



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



اشرافيية
عليه صلوات الله
عليه وآله

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

أحمد عبد الباقي

عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين

سائر



الجزء الثاني

الجزء العربي للموسوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عاصمه الدوله العربيه فى عهد العباسيين سامرا

كاتب:

احمد عبد الباقي

نشرت فى الطباعة:

الدار العربيه للموسوعات

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٣	عاصمه الدوله العربيه فى عهد العباسيين سامرا المجلد ٢
١٣	اشاره
١٣	اشاره
١٩	الباب السادس الفتن و الاضطرابات فى عهد سامرا
١٩	الفصل الأول الفتن الكبرى
١٩	١- فتنه الخرميه:
١٩	اشاره
٢٠	الحركه الخرميه:
٢٢	بابك يتولى قياده الحركه:
٢٣	اعلان الخروج على الدوله:
٢٩	توجيه الأفسين لحرب بابك:
٣١	معركه البذ الفاصله و نهايه بابك:
٣٧	٢- مؤامره العباس بن المأمون:
٣٧	اشاره
٤٠	اكتشاف المؤامره:
٤٣	نتائج المؤامره:
٤٣	٣- مؤامره الأفسين:
٤٣	اشاره
٤٤	الأفسين و عصيان مازيار:
٤٨	الأفسين و عصيان منكجور:
٤٩	غضب الخليفه على الأفسين:
٥٢	محاكمه الأفسين:
٥٤	خاتمه:

٥٩	٤- حركة الزنج: بدايه الحركة:
٥٩	اشاره
٦١	استتفحال الحركة:
٦٢	الموفق يتفرغ لحرب الزنج:
٦٤	المعركه الفاصله:
٦٥	أسباب فشل تمرد الزنج و حركتهم:
٦٧	الفصل الثانى الاضطرابات الأخرى
٦٧	اشاره
٦٨	١- تمرد الزط:
٧٠	٢- تمرد جعفر الكردى:
٧١	٣- خروج المبرقع اليماني:
٧٤	٤- تمرد القبائل العربيه:
٧٤	تمرد القيسيين فى دمشق:
٧٤	تمرد بعض القبائل العربيه:
٧٧	٥- تمرد قبائل البجه
٨٠	٦- الاضطرابات فى أرمينيه:
٨٠	اشاره
٨١	عصيان ابن البعيث فى اذربيجان:
٨٣	خروج أرمينيه فى سنه ٢٣٧ هـ:
٨٥	٧- فتن الخوارج:
٨٥	اشاره
٨٨	مساور بن عبد الحميد البجلي:
٩٣	حمدان بن حمدون التغلبى:
٩٣	هارون بن عبد الله البجلي:
٩٧	الباب السابع خلفاء سامرا و المحنه
٩٧	اشاره

٩٩	الفصل الأول المعتزله و أهل السنه
٩٩	١- مقدمه:
١٠٣	٢- بدايه المحنه فى أيام المأمون:
١٠٥	الفصل الثانى المعتصم بالله و المحنه
١٠٥	١- المعتصم بالله يناصر المعتزله:
١٠٦	٢- المحنه و أحمد بن حنبل:
١٠٩	الفصل الثالث المحنه فى عهد الواثق بالله
١٠٩	١- التشدد فى المحنه:
١١٢	٢- محنه أحمد بن نصر الخزاعى:
١١٧	٣- رجوع الواثق بالله عن القول بخلق القرآن:
١١٩	الفصل الرابع نهايه المحنه
١١٩	١- المتوكل على الله ينهى المحنه:
١٢٢	٢- من ضحايا المحنه:
١٢٢	اشاره
١٢٢	عفان بن مسلم الصفار:
١٢٤	محمد بن نوح:
١٢٥	نعيم بن حماد:
١٢٧	محمد بن اسماعيل البخارى:
١٢٩	الباب الثامن علاقات الدوله العربيه بمملكه الروم
١٢٩	اشاره
١٣١	الفصل الأول الحروب بين العرب و الروم
١٣١	١- مقدمه:
١٣٣	٢- فتح عموريه:
١٤٤	٣- أهم الحروب الحدوديه:
١٥٦	الفصل الثانى المفاداه بين العرب و الروم
١٥٦	١- فداء سنه ٢٣١ هـ:

- ٢- فداء سنه ٢٤١: ١٥٩
- ٣- فداء سنه ٢٤٦ هـ: ١٦١
- الفصل الثالث العلاقات الثقافيه و التجاريه بين العرب و الروم ١٦٤
- ١- الاتصال الحضارى بين العرب و الروم: ١٦٤
- ٢- العلاقات الثقافيه: ١٦٨
- ٣- العلاقات التجاريه: ١٦٩
- الباب التاسع الامارات شبه المستقله فى عهد سامرا - ١٧٤
- اشاره - ١٧٤
- الفصل الأول اماره بنى الأغلّب ١٧٨
- ١- تأسيس الاماره: ١٧٨
- ٢- زياده الله الأول: ١٨٠
- اشاره ١٨٠
- زياده الله الأول و صقليه: ١٨٢
- أعماله العمرانيه: ١٨٥
- ٣- أبو عقال الأغلّب بن ابراهيم: ١٨٦
- ٤- محمد الأول: ١٨٧
- اشاره ١٨٧
- الفتوحات فى صقليه: ١٩١
- ٥- أبو ابراهيم أحمد بن محمد بن الاغلب: ١٩٢
- ٦- زياده الله الثانى: ١٩٥
- ٧- محمد الثانى: ١٩٦
- ٨- ابراهيم الثانى: ١٩٩
- اشاره ١٩٩
- بناء مدينه رقادّه: ٢٠٠
- الحرب مع ابن طولون: ٢٠١
- الفتوحات فى صقليه: ٢٠٢

٢٠٤	سوء سيره ابراهيم:
٢٠٨	الفصل الثاني اماره الطاهريين
٢٠٨	١- تأسيسها:
٢١٠	٢- اماره الطاهريين و خلفاء سامرا:
٢١٦	٣- نهايه الاماره:
٢١٨	الفصل الثالث اماره بنى طولون
٢١٨	١- ولايه مصر:
٢٢٦	٢- أحمد بن طولون و تأسيس الاماره:
٢٢٦	اشاره
٢٢٩	القضاء على الاضطرابات و الفتن الداخليه:
٢٣٢	الخلافه بين الموفق و ابن طولون:
٢٣٦	تأسيس مدينه القطائع:
٢٣٧	جامع ابن طولون:
٢٤١	المارستان:
٢٤٢	وفاه أحمد بن طولون:
٢٤٤	٣- خمارويه بن أحمد بن طولون و النزاع مع الخلافه:
٢٤٤	اشاره
٢٤٧	اهتمام خمارويه بالبناء و التعمير:
٢٥٠	وفاه خمارويه:
٢٥٢	٤- نهايه اماره بنى طولون:
٢٥٤	الفصل الرابع اماره الصفارين
٢٥٤	١- تأسيس الاماره:
٢٥٦	٢- توسع الاماره:
٢٥٦	الاستيلاء على فارس و كرمان:
٢٥٨	الاستيلاء على خراسان:
٢٥٩	الاستيلاء على طبرستان و فارس:

٢٦١	٣- حرب الصفار مع الخليفة و هزيمته:
٢٦٨	٤- عمرو بن الليث الصفار:
٢٧٠	٥- نهاية اماره بنى الصفار:
٢٧٢	الباب العاشر مجالس خلفاء سامرا
٢٧٢	اشاره
٢٧٤	الفصل الأول مجالس المعتصم بالله
٢٧٤	١- المعتصم بالله و الندماء:
٢٨٠	٢- المعتصم بالله و الشعراء:
٢٨٨	٣- المعتصم بالله و مجالس الغناء:
٢٨٨	اشاره
٢٨٩	اسحاق الموصلى و المعتصم بالله:
٢٩١	المغنون الآخرون:
٣٠٠	الفصل الثانى مجالس الواثق بالله
٣٠٠	مقدمه:
٣٠١	١- من مجالسه العلميه:
٣٠٦	٢- من مجالسه الأدبيه:
٣١٠	٣- عنايه الواثق بالله باخبار الأولين:
٣١٠	أصحاب الرقيم (أصحاب الكهف):
٣١٤	سد ياجوج و ماجوج و رحله سلام الترجمان:
٣٢٣	٤- الواثق بالله و الشعر و الشعراء:
٣٢٣	الواثق بالله و الشعر:
٣٢٧	الواثق بالله و الشعر:
٣٣٠	٥- الواثق بالله و الغناء و الموسيقى:
٣٣٠	ولع الواثق بالله بالغناء:
٣٣٣	مجالسه الغنائيه:
٣٣٣	الواثق بالله و المغنون:

الواثق بالله و المغنون الآخرون: ٣٤٣

مخارق: ٣٤٣

علويه: ٣٤٤

عبد الله بن العباس الربيعي: ٣٤٩

محمد بن الحارث: ٣٥٢

أبو حشيشه: ٣٥٤

عمرو بن بانه: ٣٥٤

الواثق بالله و المغنيات: ٣٥٥

قلم الصالحيه: ٣٥٥

فريده: ٣٥٧

شاريه: ٣٥٩

عريب: ٣٥٩

الفصل الثالث مجالس المتوكل على الله ٣٤٢

١- المتوكل على الله و الندماء: ٣٤٢

٢- من مجالسه الأدبيه: ٣٧٢

٣- المتوكل على الله و الشعراء: ٣٧٤

٤- المتوكل على الله و مجالسه الغنائيه: ٣٨٤

٥- المتوكل على الله و جواريه المغنيات: ٣٩٤

الفصل الرابع مجالس خلفاء سامرا الآخرين ٤٠٢

١- المنتصر بالله و الشعر و الغناء: ٤٠٢

المنتصر بالله و الشعراء: ٤٠٢

المنتصر بالله و الغناء: ٤٠٤

٢- المستعين بالله و الشعراء و الندماء: ٤١٠

٣- المعتز بالله و الشعر و الغناء: ٤١٧

٤- المهتدى بالله: ٤٢٤

٥- المعتمد على الله و الشعر و الغناء: ٤٢٨

٤٤٠ «السنوات الهجرية وابتدؤها و ما يقابلها من السنوات الميلادية» عن أطلس التاريخ الاسلامي، ص: ٢٤٤.

٤٤٢ المصادر و المراجع

٤٤٢ ١- المصادر الاوليه:

٤٨٣ ٢- المراجع الحديثه:

٥٠٠ تعريف مركز

اشاره

سرشناسه : عبدالباقي، احمد، ١٩١٧- م.

عنوان و نام پديدآور : عاصمه الدوله العربيه فى عهد العباسيين سامرا/ احمد عبد الباقي.

مشخصات نشر : بيروت: دارالعربيه للموسوعات، ١٣ -

مشخصات ظاهري : ج.

وضيقت فهرست نويسى : برون سپارى.

يادداشت : فهرستنويسى بر اساس جلد دوم.

يادداشت : عربى.

يادداشت : كتابنامه

موضوع : عباسيان -- عراق -- تاريخ

موضوع : سامرا (عراق) -- تاريخ

رده بندي كنگره : DS٧٩/٩ /س٢ع٢ ١٣٠٠ى

رده بندي ديويى : ٩٥٦/٧٥

شماره كتابشناسى ملي : ١١٤٤٨٥٩

ص: ١

اشاره

الباب السادس الفتن والاضطرابات فى عهد سامرا

الفصل الأول الفتن الكبرى

١- فتنه الخرميه:

اشاره

على الرغم من طول مدته حكم الخليفه المأمون التى بلغت عشرين عاما و نصف العام، و على الرغم من كفايته الاداريه و ما عرف عنه من الحزم و الدهاء، فانه لم يستطع التغلب على الفتنه الخرميه التى اندلعت نيرانها فى اذربيجان، أو التغلب على تمرد الزط و عبثهم فى نواحى البطائح. و يبدو ان انهماكه فى توطيد عرشه الذى انتزعه من أخيه الخليفه محمد الامين، و تعيين الامام على بن موسى الكاظم لولايه العهد، و ما نشأ عن ذلك من مشاكل بينه و بين بنى العباس.

و كذلك اعتناقه مذهب المعتزله و تعصبه لآرائهم، و ما اثاره من خلاف مع فقهاء السنه فى موضوع خلق القرآن، قد شغله عن التفرغ للقضاء على تلك الفتن يضاف الى ذلك استمرار العلاقات العدائيه بين الدوله العربيه و البيزنطيين مما جعل الثغور العربيه عرضة لهجمات الروم. بحيث اضطر المأمون ان يقود الحملات فى السنوات

الاربع الاخيره من حكمه لمقارعه البيزنطيين. حتى انه ادركته الوفاه و هو يجاهد فى بلاد الروم.

و لا ريب فى ان الجهود التى بذلها المأمون فى القضايا آنفه الذكر استنفدت منه وقتا و جهدا كبيرين، مما اضعف من امكانياته فى القضاء على الاخطار الداخليه التى أشرنا اليها رغم اهتمامه بأمرها. و قد تمثل هذا الاهتمام بتأكيده فى وصيته على أخيه أبى اسحاق ان يتفرغ لها و يبذل كل جهوده للقضاء عليها. و لذا كان من أولى واجبات المعتصم بالله الا يألو جهدا فى مقاومه تلك الاخطار و القضاء عليها. اذ لم يكد ينتهى من أمر المبايعه حتى انصرف الى العمل بجد و حزم لمجابهه تلك الاضطرابات التى كانت قائمه و التى قامت بعد ذلك فى عهده. و سنحاول فيما يأتى ان نتبين جهوده فى القضاء عليها.

و بالنظر لأهميه الفتنة الخرميه التى كانت تهدد بالقضاء على الخلافه و الدوله العربيه، فستكلم عنها بشىء من التفصيل.

الحركه الخرميه:

يرى ياقوت الحموى ان الحركه الخرميه عرفت بهذا الاسم نسبة الى بابك الخرمى. و خرم (بضم أوله و تشديد ثانيه مع الفتح) رستاق باردبيل. كما يقول: و قيل ان الخرميه تعبير فارسى معناه الذين يتبعون الشهوات و يستبيحونها(١). و جاء فى كتاب السياهه العربيه ان اسمها مشتق من خرم و هى مدينه ببلاد ميديا، أو من كلمه خرم الفارسيه و معناها لذيد(٢). و يرى المسعودى ان الخرميه هى الطائفه التى تدعى بالمسلميه القائلين بامامه ابى مسلم الخراسانى، و قد تنازعوا بعد وفاته، فمنهم من رأى انه لم يمت و لن يموت حتى يظهر فيملاً الدنيا عدلاً، و فرقه قطعت بموته و قالت

١- معجم البلدان، ٢ / ٣٦٢.

٢- السياهه العربيه / ٩٩ - ١٠٠.

بإمامه ابنته فاطمه و هم يدعون الفاطميه (١). أما البغدادي فيرى ان الخرميه صنفان صنف منهم كان قبل الاسلام كالمزديكيه الذين استباحوا الحرمات و زعموا ان الناس شركاء فى الاموال و النساء.

و الصنف الثانى الخرميه الذين ظهوروا فى دوله الاسلام، و هم فريقان: بابكيه و مازياريه، و كلتاهما معروفه بالمحمره (٢). و لأبن الأثير رأى فاحش فى التسميه (٣).

لقد نشأت هذه الحركه بين سكان اذربيجان و المناطق الفارسيه المجاوره لها، بين من احتفظوا بمجوسيتهم، و الذين كانوا شديدى البغض و الكراهيه للاسلام و العرب. فكانوا يجرون وراء كل دعوه تستهدف محاربه الاسلام و القضاء على دوله العرب. و الخرميه اصناف عديده غير انهم يجمعون على القول بالرجعه و يقولون بتغيير الاسم و تبديل الجسم (٤)، اى انهم يؤمنون بتناسخ الارواح و القول بالحلول. فقد جاء فى وصيه جاويدان التى بلغتها زوجته لاصحابه بعد موته: انى أريد أن أموت فى هذه الليله، و ان روحى تخرج من بدنى و تدخل بدن بابك و تشترك مع روحه (٥). و كان بابك يقول لمن يستغويه انه اله (٦). و يدعون الى اباحه النساء و الاموال.

يقول المقدسى، وجدنا منهم من يقول باباحه النساء على الرضاء منهن، و اباحه كل ما يلد للنفس و ينزع اليه الطبع ما لم يعد على أحد يقرر (٧). و قد أمر المازيار الأكره بانتهاب أموال أرياع

١- مروج الذهب ٣ / ٣٠٥.

٢- الفرق بين الفرق / ١٦١.

٣- الكامل ٦ / ٣٢٨.

٤- البدء و التأريخ ٤ / ٣٠.

٥- الفهرست / ٤٩٦.

٦- نفس المصدر / ٤٩٤.

٧- البدء و التأريخ ٥ / ١١٤.

الضياع و غلاتها(١). كما انهم يعملون على اعاده الملك الى العجم و الدعوه الى الالحد(٢).

و كانت الحركه منظمه يتولاها اناس متمرسون بأساليب الدعايه، مما ساعد على حفظ آراء مزدك و مبادئه و نشرها بين سكان هذه المناطق. و قد آلت رئاستها فى نهايه القرن الثانى للهجره الى جاويدان بن سهل(٣)، و كان من الاغنياء المتنفذين فى جبالد البذ. و هو الذى اكتشف بابك و قابلياته، و مهد له السبيل لرياسه الحركه.

بابك يتولى قياده الحركه:

كان بابك فى أول نشأته صبيا مغمورا يرعى البقر، و عمل سائسا ردحا من حياته، ثم التحق بخدمه جاويدان الذى وجدته على رداءه حاله و تعقد لسانه بالأعجميه، فهما، و رآه خبيثا شهما.

فاتخذته وكيلا لأعماله و أمواله و ضياعه(٤)، و اطلعه على أسرار الحركه المجوسيه. و سرعان ما اظهر بابك تفهما عميقا لمبادئها و أهدافها. و لما مات جاويدان ساعدت زوجته و كيله بابك ليحل محله فى رياسه الحركه و اتباعها، بأن لفقت وصيته على لسان زوجها و بلغت لرجاله، و خلاصتها ان روح جاويدان حلت فى بدن بابك، الذى سيبلغ أمرا لم يبلغه أحد، و ان النصر سيحالفه فيملك الارض، و يقتل الجبابره، و يرد المزدكيه، و يعتز به الذليل و يرتفع الوضع(٥). و بايعته هى و تزوجت منه، فتبعها أصحاب جاويدان، فأصبح الرئيس الجديد للحركه. و يقول أبو حنيفه الدينورى انه صح عنده ان بابك من ولد مطهر بن فاطمه بنت أبى مسلم

١- الطبرى ٩ / ٨١، و العيون و الحدائق ٣ / ٣٩٩.

٢- البدء و التأريخ ٥ / ١٣٤.

٣- فى التنبيه و الاشراف / ٣٠٦ ورد اسمه جاووزان بن شهرک.

٤- الفهرست / ٤٩٥.

٥- نفس المصدر / ٤٩٦، و البدء و التأريخ ٦ / ١١٤ - ١١٨.

الخراساني(١). بينما يظهر خبر أورده ابن النديم انه ولد سفاحا لدهان من أهل المدائن(٢). وكذلك يرى الطبرى انه من أصل وضيع(٣).

تختلف حركه بابك عن الحركات الاخرى التى قامت ضد الدوله العربيه فى انها كانت منظمه تنظيميا جيدا كفل لها سرعه الانتشار، و طول مده الصمود فى صد الجيوش العربيه التى وجهت لضربها. فلم يقتصر انتشارها على المجوس من الفرس وحدهم، بل انضم اليها كثير من الاكراد و الأرمن و غيرهم ممن يتشكون من وطأه الحكم العباسى. و من الطبيعى ان ينضم اليها كذلك قطاع الطرق و اللصوص طمعا فى الغنائم و الكسب المادى(٤)، و هربا من مطارده السلطه. كما ملأه بعض القواد و الحكام المحليين بدوافع شخصيه، فقد شايعه محمد بن البعث و عصمه الكردى و منكجور القرتماتى، و كاتبه حاتم بن هرثمه بن أعين فى اذربيجان و هون له الأمر هناك فتحرك بابك و غلب على اذربيجان(٥). كما كاتبه مازيار يحرضه و يعرض عليه النصره(٦).

اعلان الخروج على الدوله:

لقد استطاع بابك خلال فتره قصيره تنظيم اتباعه و اعدادهم للحرب، و يقول المسعودى انهم كانوا مائتى ألف(٧). بحيث استطاع أن يعلن الانتفاض على الحكم العربى الاسلامى المتمثل بالخلافه العباسيه، فى صيف سنه ٢٠١(٨) فى اران و البيلقان و اذربيجان،

١- الاخبار الطوال / ٤٩٦.

٢- الفهرست / ٤٩٤.

٣- الطبرى ٩ / ٥٤.

٤- التنبيه و الاشراف / ٣٠٧.

٥- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٦٢.

٦- الطبرى ٩ / ٨١، و الكامل ٦ / ٤٩٦.

٧- التنبيه و الاشراف / ٣٠٧.

٨- الطبرى ٩ / ١١.

و اتخذ مدينة البذ(١) مركزا حربيا له. و اخذ يزحف منها على المناطق المجاوره. و من العوامل المهمه التي ساعدت بابك في حركته معرفته و اصحابه بطبيعه اراضى المناطق التي انتشرت فيها الخرميه، من حيث ممراتها و مكامنها، و قيامهم بتخريب ما يستولون عليه من القلاع و الحصون. و قد اطلق على أصحاب بابك من الخرميه اسم «المحمره»(٢). و سبب هذه التسميه انهم صيغوا ثيابهم بالحمرة التي اتخذوها شعارا لهم(٣).

لقد استطاع بابك ان ينشر حركته في أقاليم و مدن عديده مثل اصبهان و همذان و الرى و سائر أراضى العجم(٤). و دخل في سنه ٢١٨ هـ و هى السنه التي تولى فيها المعتصم بالله الخلافة، جماعه كبيره من أهل الجبال فى الدعوه الخرميه و تجمعوا و عسكروا فى همذان(٥). و كان هدف بابك ان يزيل ملكا و يقلب مله و يبدلها(٦). كما أراد أن يقيم مله المجوس(٧). و الواقع ان خرميه بابك استهدفت ازاله الحكم العربى و استبدال الخرميه المجوسيه به. فهى حركه دينيه سياسيه معا تسعى الى اداله دوله العرب و دينهم، و ذلك بالقضاء على الدوله العربيه أو الاستقلال عنها.

و رغم ما كانت تنطوى عليه الحركه الخرميه من خطر جسيم بات يهدد الدوله العربيه و الدين الاسلامى، فان الحرب الاهليه

-
- ١- البذ: بتشديد الذال، كوره بين اذربيجان و ايران، كان بها مخرج بابك الخرمى، و يقال: و فيها تعقد اعلام المحمره المعروفين بالخرميه، و فيها يتوقعون المهدي - معجم البلدان ١ / ٣٦١.
 - ٢- تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٧١.
 - ٣- المنتظم ٥ / ١١٤.
 - ٤- التنبيه و الاشراف / ٣٠٦.
 - ٥- الطبرى ٨ / ٦٦٧.
 - ٦- مروج الذهب ٤ / ٥٨، و للمسعودى فى كتابه التنبيه و الاشراف / ٣٠٦ قول مماثل اذ يقول ان ما ينتظره الجميع فى المستقبل من الزمان الآتى من عوده الملك فيهم، و من خلق الاسلام منهم.
 - ٧- شذرات الذهب ١ / ٣٨٤.

التي قامت بين الخليفة محمد الامين و أخيه المأمون قسمت الجيش على نفسه مما اضعفه و لا- شك، و اشغلت الدوله عن الاهتمام بشأن هذه الحركه مده من الزمن، مما ساعدها على التوسع و الانتشار.

و كان من المفروض ان يبادر المأمون بعد أن تربع على عرش الخلافة الى مجابهه هذا الخطر. الا انه لم يتخذ أى اجراء بشأنه حتى سنه ٢٠٤ هـ عند ما عاد الى بغداد، و ذلك مما يدعو الى الاستغراب، و لا ندرى ما اذا كان المأمون و هو فى مرو على علم بأمرها و لم يعرها الأهميه الكافيه استصغارا لشأنها، أم لم يكن يعلم عنها شيئاً، لان و زيره الفارسى الفضل بن سهل كان يحجب عنه بعض الاخبار و الحقائق و يموه عليه بعضها. على ان تستر الفضل بن سهل على الحركه الخرميه و عدم اخبار المأمون بها مما يدعو الى التساؤل.

هل كان ذلك ناشئاً عن عدم اهتمامه بها و انه اعتبرها مجرد حركه دينيه محليه تسعى فى أحياء المزدكيه القديمه، فلم يلتفت الى خطرها السياسى، أم انه أراد أن يشجعها و يتيح لها فرصه التوسع و الانتشار لانها تستهدف اعاده الحكم الفارسى؟ و لعل مما يؤيد الاحتمال الثانى ما كان يهدف اليه الفضل نفسه من نقل الدوله الى الفرس. فقد قال له القائد العربى نعيم بن حازم بحضره المأمون:

انك تريد ان تزيل الملك عن بنى العباس الى ولد على ثم تحتال عليهم، فتصير الملك كسرويا(١). كما ان هرثمه بن أعين أكبر قواد المأمون من العرب كان قد شعر بخطر سياسه الفضل و تبين أهدافه البعيده، فجاى الى المأمون مغاضباً و انتقد تصرفات الفضل و سياسته، و سماه المجوسى(٢).

و يلاحظ كذلك ان طاهر بن الحسين و هو فارسى الأصل أيضاً، قد تولى اماره خراسان و ما جاورها من ولايات المشرق منذ ان وصل المأمون الى بغداد، و استمر فى منصبه الى ان مات فى سنه ٢٠٧ هـ لم

١- الوزراء و الكتاب / ٣١٣.

٢- نفس المصدر / ٣١٧.

يقم بأى اجراء ضد استفحال أمر الخرميه، لا سيما و انها امتدت الى امهات مدن ولايات المشرق. فهل كان ذلك منه تشجيعا لها، أو عدم اهتمام و استهانته بأمرها؟ على ان الدينورى ينفرد بخبر يقول فيه ان المأمون لما اتصل به خبر بابك وجه اليه طاهر بن الحسين فى جيش عظيم، فواقى البذ و قد عظم أمر بابك و تهيئه الناس، فحاربوه فلم يقدروا عليه، بل انه فض جمعهم(١).

و مهما كان الامر فان أحد و لاه المأمون و هو يحيى بن معاذ قد اشتبك ببعض قوات بابك فى سنه ٢٠٤ هـ دون طائل(٢). ثم أخذ المأمون بعد ذلك يوجه الحملات لحرب بابك بين حين و اخر حتى سنه ٢١٤ هـ. و كانت الغلبه فيها لاتباع بابك اذ هزموا تلك الحملات و اسروا بعضها و قتلوا بعض قادتها. و يظهر مما يذكره اليعقوبى انهم هزموا عددا من قواد المأمون كانوا قد توجهوا لحربهم(٣). أما فى السنوات التى تلت ذلك فقد انشغل المأمون فى رد هجمات الروم على الثغور العربيه، و غزو ديارهم، و لم يستطع توجيه حملات أخرى لحرب الخرميه، حتى توفى و هو متألم لعدم استطاعته القضاء على الحركه المذكوره. مما دعا ان يؤكد على أخيه أبى اسحاق فى وصيته بأن يوجه أكفأ قواده و احزمهم لحرب بابك و ان لا يالو جهدا فى القضاء عليه، حتى و ان تطلب الأمر خروجه بنفسه لحربه(٤).

المعتصم بالله و تمرد بابك:

و هكذا اصبحت حركه بابك و تمرده أهم خطر يهدد الدوله العربيه واجهه المعتصم بالله عند توليه الخلافه. اذ كانت الحملات التى وجهت اليه فى عهد المأمون قد باءت بالفشل. و من الواضح ان انقسام الجيش العربى فى الحرب الاهليه، و انشغاله بعدها باخماد

١- الأخبار الطوال / ٣٣٧.

٢- الكامل / ٦ / ٣٥٨.

٣- تاريخ اليعقوبى / ٢ / ٤٦٣.

٤- الطبرى / ٨ / ٦٤٩.

الاضطرابات المتعاقبه فى مصر، و تمرد الزط فى بطائح العراق، و مقارعه الروم فى الثغور العربيه مما انهكه و جعله دون القوه المطلوبه لمجابهه الحركه الخرميه، مما اتاح الفرصه لبابك و اتباعه ان يعدوا أنفسهم، بل و يكسبوا بعض المعارك الحربيه. و لذلك فقد اولى المعتصم بالله هذا الامر اهتماما بالغا. و قد يكون لوصيه أخيه بشأنه أثر مهم فى هذا الاهتمام. حتى انه لم يكن له شأن يشغله، و لم تنصرف همته الى غيره(١). و قد انتهج خطه عسكريه بارعه تضمن هزيمه بابك و اتباعه. و تقوم هذه الخطه على توجيه خيره قواد الدوله و أكفأهم لمحاربتة، و استماله بعض الموالين له و ضمان تأييدهم للجيش العربيه التى توجه الى حربيه. و اصلاح القلاع و الحصون التى خربها اتباعه، و شحنها بالرجال. فقد وجه الخليفه القائد أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى الى اردبيل و أمره باصلاح القلاع و الحصون المخربه فيما بين زنجان و اردبيل، و بناء الحصون الضروريه، و تخصيص القوات الكافيه لها و لحفظ الطرق التى ستستخدم لاىصال الميره و المؤن للجيش المقاتله(٢).

و لما علم بابك بالاعمال التى يقوم بها أبو سعيد ادرك خطرهما عليه. فوجه اليه سريه لتشغله عن انجاز ما كلف به. فاعترضها أبو سعيد بعدد وافر من جنوده فقتل أكثر أفرادها و أسر منهم جماعه. فكانت هذه هزيمه أخرى تحل باصحاب بابك فى عهد المعتصم بالله(٣). فقد كان ثمة انتصار اخر سبق أن أحرزه الجيش العربى و ذلك عند ما تجمع اتباع بابك و عسكروا فى همذان سنه ٢١٨ هـ و قطعوا الطريق. فوجه اليهم المعتصم بالله القائد هاشم بن بايتجور فلم يتمكن منهم(٤). فاتبعه باسحاق بن ابراهيم المصعبى

١- الأخبار الطوال / ٣٣٩.

٢- الطبرى ٩ / ١١.

٣- نفس المصدر / ١٣.

٤- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧١.

الذى تمكن من سحقهم، و قتل منهم مقتله عظيمه(١). و يقدر الطبرى عدد من قتل من الخرميه بستين ألفا، ثم يعود فيقول انه قتل منهم نحو من مائه ألف سوى النساء و الصبيان(٢). و يقال ان الخرميه كانوا تواعدوا الى موضع علم به اسحاق فكمن لهم فيه، و كل من جاء منهم قتل و حزت اذنه، حتى انه وجه الى الخليفه بستين الف اذن(٣). و قد مدح ابو تمام الطائى اسحاق المصعبى و اشاد بايقاعه باتباع بابك بقصيده جاء فيها قوله(٤).

لاسحاق بن ابراهيم كف كفت عافيه نوء المرمرين

و مجد لم يدعه الجود حتى اقام مناوئا للفرقدين

ازلت الشك عنهم يوم رانت ضلالتهم عليهم اى رين

لقيتهم بحلاب المنايا بعيد الرز نائى الحجرتين

فاضحوا بعد عز و اختيال و هم عبر لأهل المشرقين

رددت الدين و هو قرير عين بها و الكفر و هو سخين عين

و طارد اسحاق فلول المنهزمين حتى حدود بلاد الروم حيث التجا قسم منهم اليها. و كان لهذه الهزيمة التى حلت بالخرميه فى همذان تاثير كبير فى اضعاف شأنهم فى اقليم الجبال. و تضيق رقعه انتشارهم بحيث حصروا فى اقليم اذربيجان و ما حوله. و كانت نكسه ثالته حلت ببابك، فقد نزل أحد قواده مع اتباعه فى قلعه الشاهى الحصينه، و كان صاحبها محمد بن البعث مصالحا للخرميه، الا انه فتك باتباع القائد و أسره و بعث به الى الخليفه

١- نفس المصدر، و الطبرى ٨ / ٦٦٧ - ٦٦٨.

٢- الطبرى ٨ / ٩.

٣- ديوان ابى تمام ٣ / ٢٩٧.

٤- كامل القصيده فى ديوان ابى تمام ٣ / ٢٩٧ - ٣٠٧.

بسامرا، قسالة عن بلاد بابك فاعلمه بطرقها و وجوه الحرب فيها(١).

على ان بابك، رغم هذه الخسائر، كان يحتفظ بالقسم الاكبر من جيشه فى منطقه اران، بحيث يستطيع أن يزعج به فى ميدان المعركة لمواجهة الجيش الذى يوجهه الخليفه لحربه.

توجيه الأفشين لحرب بابك:

عقد المعتصم بالله فى أوائل جمادى الآخرة سنة ٢٢٠ هـ لأ-كبر قواده الافشين حيدر بن كاوس، الأماره على الجبال و وجه به لحرب بابك(٢). فنزل فى برزند من نواحى تفليس، و عسكر بها. و وزع قواده و امرهم باصلاح الحصون، و حفر الخنادق، بحيث امن سلامه تموين جيشه، ثم الحق به الخليفه عددا من القواد الاخرين. و قد استطاعت حمله الافشين ان تلحق عددا من الهزائم بجيوش بابك و تكبدها خسائر جسيمه فى الرجال فى عده معارك. و مما ساعد الافشين على الاحتفاظ بانتصاراته و مطارده الخرميه، الامدادات المستمره من الجند و الأموال التى كان الخليفه يبعث بها بصوره متلاحقه. فقد بعث اليه بعد أن أخذت جيوشه مواقعها، بغا الكبير و معه مال للجند و للنفقات الاخرى كما وجه اليه فى سنة ٢٢٢ هـ مددا من الجند يقوده القائد جعفر الخياط. و بعث اليه مع القائد ايتاخ ثلاثين ألف ألف درهم، فاوصلها اليه و عاد.

و كان الافشين يحسن معامله جواسيس بابك عندما يقعون فى يده و يجزل عطاءهم، و يحصل منهم على معلومات عن العدو من حيث مواضعه و عدد قواته، و تحصيناته و مكانه. كما استطاع ان يدفع

١- الطبرى ٩ / ١٢.

٢- نفس المصدر / ١١.

جنوده الى الاستبسال فى القتال بما بذله لهم من بذر الاموال، و الاسوره و الاطواق التى كان يقلد بها قواده، و وعوده لهم بزياده أرزاقهم، و بانه سيكتب باسماء المستبسليين الى الخليفه ليجزل عطاءهم(١).

كانت خطه الافشين فى محاربه الخرميه تقوم على مطاولتهم فى الحرب و تضيق الخناق عليهم تدريجيا، و قطع سبل مواصلاتهم، مستهدفا حصرهم فى عقر دارهم، و من ثم الانقضاض عليهم. و أول عمل قام به، كما سبق ان أشرنا، أنه أمن سبل مواصلاته بان وزع قواده على مواقع معينه تؤمن حراسه قوافل تموينه و امدادات جيشه، و أمرهم بتحسينها. كما انه انتهج سياسه الحذر الشديد من مباغته اتباع بابك و كمائنهم. و كان يجعل نصف جيشه على أهبة الاستعداد دائما، عملا بتوجيه الخليفه الذى كتب اليه بان يجعل الناس نواب، گراديس تقف على ظهور الخيل، كما يدور العسكر بالليل، فبعض القوم معسكرون و بعض وقوف على دوابهم، كما يدور العسكر بالليل و النهار مخافه البيات حتى اذا ما دهمهم امر كان الناس على تعبيه(٢).

لقد اشتبك الجيش بالخرميه فى عدد من المعارك انتصر فيها عليهم، قبل معركة البذ الفاصله. و لعل أهم هذه المعارك التى انهكت الخرميه، معركة أرشق و معركة هشتادسر. و تعتبر معركة أرشق أولى المعارك الكبيره التى انتصر فيها الافشين. و قد أبلى فيها المتطوعون و على رأسهم القائد أبو دلف بلاء حسنا. فقد وصل القائد بغا الكبير الى اردبيل و هو يحمل أموالا الى الافشين. فعلم به بابك و استعد بكمائن نصبها لقطع الطريق عليه و الاستيلاء على الاموال. فبلغ ذلك الافشين فلجأ الى الخداع و التضليل، فأمر بغا بأن يسير بقافلته حتى حصن النهر ثم يعود بالاموال الى اردبيل،

١- الطبرى ٩ / ٤٠ - ٤١.

٢- نفس المصدر / ٤١.

و يترك القافلة تسير نحو برزند، مقر الافشين. فلما انقض بابك على القافلة و تمكن منها لم يجد الاموال معها. فظن ان الاموال قد وصلت الى حصن أرشق فتوجه بقواته لمحاصره الحصن المذكور، و طلب استسلام حاميته. الا ان الافشين الذى توقع هجوم بابك على حصن ارشق، كان قد خرج بحمله نحو الحصن المشار اليه و فاجأ قوات بابك و أحاط بها و قضى عليها. و لكن بابك استطاع مع نفر قليل من اتباعه الافلات و الهرب الى موقان، و ما لبث ان وصل الى معقله فى مدينه البذ(١).

أما معركة هشتادسر فقد خطط لها الافشين بحيث تكون المعركة الحاسمه اذا تمكن فيها من جيش الخرميه. فوجه ثلاثة جيوش نحو معقل بابك، و ذلك بان يسير الافشين نفسه من برزند، و يسير محمد بن يوسف الطائى من خش، و يتوجه بغا الكبير من خنادقه قرب جبل هشتادسر. الا ان تسرع بغا فى دخول المعركة و هزيمته فيها حال دون تحقيق هدف الافشين، رغم انتصاره على بابك و اتباعه فى هذه المعركة. لان بابك استطاع الفرار و العوده الى معقله و التحصن فيه أيضا(٢).

معركة البذ الفاصله و نهايه بابك:

بادرت قوات الجيش العربى الى محاصره مدينه البذ، فوزع الافشين قواته حولها منتظرا الفرصه المواتيه للهجوم. الا ان قسما من الجيش بقيادة جعفر الخياط و بعض جيش أبى دلف من المطوعه، اشتبكوا باتباع بابك و تغلبوا عليهم، و أوشكوا ان يدخلوا المدينه. و كان ذلك بدون اذن من الافشين. فاستدعاهم و انكر عليهم قيامهم بالهجوم قبل الاوان. و استمر مقيما فى موضعه حتى

١- الطبرى ٩/ ١٤-١٦.

٢- نفس المصدر/ ٢٣-٢٤.

سئم الجند و لا سيما المطوعه منهم، فاتهموه بالتهاون، و انه لو كان أمرهم عند هجومهم السابق لدخلوا المدينه. فاضطر الافشين ان يأمر بالتجهيز و التهيوء للهجوم العام، و وزع المواقع على قواده، ثم أمر بالزحف صوب المدينه. فتقدم قسم من الجيش و وصل أسوار المدينه و اخذ يقاتل عندها. الا ان القوات المرابطه فى المدينه من الخرميه استطاعت ان تصد هذا الهجوم.

أعاد الافشين ترتيب قواته و ازمع على تطويق المدينه ليلا، فوزع رجاله بشكل يؤمن ذلك، و أمرهم بالاستيلاء أولا على التل الذى تسيطر عليه ثله من الخرميه بقياده آذين أحد كبار قواد بابك.

و كان بابك قد امره ان يحصن هذا التل المشرف على المدينه، و جعل معه ثلاثه آلاف رجل للدفاع عنه(١). الا ان القوه التى وجهها الافشين اجبرت جيش آذين على النزول من التل، فنشبت معركة كانت فاصله اذ انتصر الجيش العربى فيها، مما جعل الاستيلاء على المدينه و شيكا. و يظهر ان هذه المعركة كانت آخر ما استطاعت القوات الخرميه ان تقاتل فيها. لان بابك تقدم على أثرها يطلب الامان من الافشين و يتعهد بتقديم الرهائن و الضمانات لاستسلامه(٢). محاولا-الحفاظ على معقله و على ما بقى من جيشه. و لكن قبل ان تتم المفاوضات حول الاستسلام و شروطه، جاء الخبر ان قسما من الجيش قد دخل مدينه البذ. و كان بابك قد كمن فى قصوره الاربعه فى المدينه عددا من أشداء رجاله يقدرون بستمائهم رجل(٣). فخرجوا للقتال، فانتهم بابك الفرصه و فر هاربا و معه أهله و بعض اتباعه، بعد أن رأى قواته قد قضى عليها. فسقطت المدينه، و احرقها الجيش و هدم قصورها و قتل من فيها من الخرميه،

١- الأخبار الطوال / ٣٣٩.

٢- الطبرى ٩ / ٤٤.

٣- الطبرى ٩ / ٤٤، و العيون و الحدائق ٣ / ٣٨٦، و يقدر عددهم باربعه الاف و ستمائهم رجل.

و أسر من بقى من أولاد بابك و عياله. و كان سقوط مدينه البذ فى يوم الجمعة لعشر خلون من شهر رمضان سنه ٢٢٢ هـ (١).

سار بابك فيمن معه يريد الهرب الى ارمينيه، فكتب الافشين الى بطارقتها يأمرهم بحفظ نواحيهم و ان لا يتركوا احدا يمر بهم الا اخذوه و عرفوه به. و قد علم الافشين من جواسيسه بموضع بابك، و كان فى واد كثير الاشجار طرفه الاول باذريجان و طرفه الاخر بارمينيه، فأمر بمحاصره ذلك الوادى. و لما ورد كتاب الخليفه بالامان لبابك كلف الافشين بعض من كان استأمن اليه من أصحاب بابك بان يذهبوا بالكتاب اليه. الا ان بابك رفض الامان الذى عرض عليه (٢). و يقال انه احرق كتاب الامان و شتم الخليفه (٣).

و عند ما أحس بابك بان جيش الافشين يحيط به ركب هو و من معه و سار مستخفيا حتى استطاع سهل بن سباط أحد بطارقه ارمينيه ان يحتال عليه و يأسره. و كان الافشين قد جعل لمن جاء به حيا الفى ألف درهم، و لمن جاء برأسه ألف ألف درهم (٤). فجاء القائد أبو سعيد على رأس قوه من الجيش و قبض عليه و جاء به الى الافشين (٥).

و قد انقذ جيش الافشين من أسرى بابك نساء كثيرات و صبيان، و جعل لهم حظائر اسكنهم فيها و أجرى لهم الخبز و أمرهم أن يكتبوا الى أوليائهم حيث كانوا. فجاء الناس و استرجعوا كثيرا منهم (٦).

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٤، و العبر ١ / ٣٨٤.

٢- الطبرى ٩ / ٤٥ - ٤٦.

٣- العبر ١ / ٣٨٤.

٤- العبر ١ / ٣٨٤، و فى النجوم ان الخليفه المعتصم بالله قد جعل لمن جاء ببابك حيا الفى ألف درهم، و لمن جاء برأسه ألف ألف درهم، فاعطى المعتصم بالله ابن سباط الفى ألف درهم و حط عنه خراج عشرين سنه - ٢ / ٢٧٣.

٥- تفصيلات القبض على الافشين فى الطبرى ٩ / ٤٧ - ٥٠، و فى مروج الذهب ٤ / ٥٦، و فى الكامل ٦ / ٤٧٢ - ٤٧٤.

٦- الطبرى ٩ / ٥٠، و جاء فى تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٤ ان عدد الاسرى الذين استنقذوا عند سقوط مدينه البذ، كان سبعة الاف و ستمائه.

و كان بابك أرسل أخاه عبد الله الى حصن اسطفانوس، اذ قال لسنباط ليس يستقيم أن أكون أنا و أخى فى موضع واحد، فلعله أن يعثر باحدنا فيبقى الآخر(١). فارسل الافشين الى عيسى بن يوسف بن اسطفانوس يطلب منه عبد الله فانفذه اليه. فلما صار فى يده حبسه مع أخيه و وكل بهما حرسا يحافظ عليهما. و كتب الى الخليفة بالفتح و اطلق الحمام بذلك(٢). فأمره بالقدوم بهما عليه. فقدم بهما فى أوائل صفر سنة ٢٢٣ هـ و لما صار قريبا من سامرا تلقاه هارون بن المعتصم بالله و آخرون من عائله الخليفه، و انزل الافشين بابك عنده فى قصره بالمطيره.

و فى اليوم التالى قعد المعتصم بالله لبابك، و اصطف الناس من باب العامه الى المطيره. و أمر الخليفه ان يشهر ببابك و ان يراه الناس، فحمل على فيل. فقال الوزير محمد بن عبد الملك الزيات(٣):

قد خضب الفيل كعادته يحمل شيطان خراسان

و الفيل لا تخضب أعضاؤه الا لذي شأن من الشان

فاستشرفه الناس حتى ادخل الى دار العامه أمام أمير المؤمنين، فأمر بقتله. و يصف المسعودى كيفيه قتله وصفا دقيقا. اذ جرد من الزينه و قطعت يده و رجلاه، ثم طعن بالسيف فى قلبه، و جز لسانه، ثم صلبه على خشبه عاليه، و حمل رأسه الى بغداد و نصب على الجسر، ثم حمل الى خراسان ليطاف به فى كل مدينه من مدنها، لما كان فى نفوس الناس من استفحال أمره و عظم شأنه(٤). ثم أمر

١- الطبرى ٩ / ٤٨.

٢- مروج الذهب ٤ / ٥٦.

٣- الطبرى ٩ / ٥٣، و الكامل ٦ / ٤٧٧.

٤- مروج الذهب ٤ / ٥٨.

يحمل أخيه الى اسحاق بن ابراهيم المصعبى ببغداد و أمره أن يفعل به ما فعل بأخيه بابك، و صلب فى الجانب الشرقى بين الجسرين (١).

و كان المعتصم بالله يجزى الافشين فى أثناء حربه مع بابك، سوى الارزاق و الانزال و المعاون، فى كل يوم يركب فيه عشره آلاف درهم، و فى كل يوم لا يركب فيه خمسه آلاف درهم (٢). كما كان كثير الاهتمام بسير الحرب دائم الاتصال بقيادتها. و لشده اهتمامه باخباره و لفساد الطريق بالثلج و غيره رتب بريدا خاصا ليوافيه بالاخبار يوميا. فجعل من سامرا الى حلوان خيلا مضمرة، على رأس كل فرسخ فرسا معه مجر مرتب، فكان يركض بالخبر ركضا حتى يؤديه الى الذى يليه يدا بيد. و كذلك رتب الخيول بعد حلوان الى اذريجان، فكانت يركض بها يوما أو يومين ثم تبدل. كما اقام دبادبه على رؤوس الجبال بالليل و النهار فيشعروا اذا وصلهم الخبر، ليتهاى الذى يليهم، و بدأ كان البريد يصل من عسكر الافشين الى سامرا فى اربعة أيام أو أقل (٣).

لقد ارتفعت منزله الافشين بعد انتصاره على بابك و قضائه على حركته التى شغلت الدوله قرابه اثنتين و عشرين سنه. فتوجه المعتصم بالله و ألبسه و شاحين بالجوهر، و وصله بعشرين ألف ألف درهم، منها عشره آلاف ألف درهم صله، و عشره آلاف ألف درهم بضرقتها فى عسكره، و عقد له على السند (٤). و فى ذلك يقول اسحاق بن خلف الشاعر فى قصيدته التى مدح بها المعتصم بالله، و أشاد بالافشين (٥):

١- الطبرى ٩ / ٥٤.

٢- نفس المصدر.

٣- الطبرى ٩ / ٥٢.

٤- الطبرى ٩ / ٥٥، و الكامل ٦ / ٤٧٨ و فيه انه وصله بعشرين ألف ألف درهم و عشره الاف ألف درهم يفرقها فى عسكره.

٥- الاخبار الطوال / ٣٤١.

ما غبت عن حرب تحرق نارها بالبد كنت هنا و انت هنا كما

عزت بافشين حسامك امهو الدين متمسك به استمساكا

لما اتاك ببابك توجهه و احق من أضحي له تاجاكا

و قام فى مجلس المعتصم بالله بعض الخطباء فتكلموا، و قالت الشعراء. و من جمله من قام ابراهيم بن المهدي فقال شعرا منه (١):

يا أمين الله ان الحمد لله كثيرا هكذا النصر فلا زال لك النصر نصيرا

و على الأعداء أعديت من الله ظهيرا و هنيئا هيا الله لك الفتح الخطيرا

فهو فتح لم ير الناس له فتحا نظيرا

و مع ما كان يتمتع به الافشين من كفايه عسكريه، و شجاعه فائقه، فان نجاحه فى القضاء على بابك و حركته لم يتحقق الا بتوجيهات المعتصم بالله، و متابعته اليوميه اخبار الحرب و سير المعارك، و انفاقه الاموال الطائله فى سبيل ذلك، بحيث وفر له كل مستلزمات النجاح للحمله العسكريه التى قادها لحرب الخرميه.

لقد حفظ لنا الطبرى احصائيه بخسائر كل من الدوله و الحركه الخرميه، اذ يقول: و كان جميع من قتل بابك فى عشرين سنه مائتى ألف و خمسه و خمسين ألفا و خمسمائه انسان. و غلب من القواد يحيى بن معاذ، و عيسى بن محمد بن أبى خالد، و أحمد بن الجنيد و قد اسره، و زريق بن على بن صدقه، و محمد بن حميد الطوسى، و ابراهيم بن الليث. و أسر مع بابك ثلاثه آلاف و ثلثمائه و تسعه اتاسى، و استنقذ ممن كان فى يده من المسلمات و أولادهن سبعه

آلاف و ستمائه. و عده من صار فى يد الأفشين من بنى بابك سبعة عشر رجلا و من البنات و الكنات ثلاث و عشرون امرأه(١). و يقدر المسعودى مجموع من قتلهم بابك فى اثنتين و عشرين سنه من جيوش المأمون و المعتصم بالله من الامراء و القواد و غيرهم من سائر طبقات الناس خمسمائه ألف على أقل تقدير(٢). و ما يذكره ابن خلدون عن عدد من قتل و من أسرو و من أنقذ من الاسرى لا- يختلف عما جاء فى الطبرى(٣)، و أحسبه قد نقل ذلك عنه. الا اننا اذا أخذنا بنظر الاعتبار عدد المتحاربين من الطرفين و نوع الاسلحة المستخدمه آنذاك و طبيعه الحرب التى لم تكن معاركها متواصله، و ان المعارك كانت موضعيه، فان فى تقدير المسعودى مبالغه، حتى و ان اضيف الى قتلى المعارك ما يقتل من السكان الاخرين. و ان تقدير الطبرى الذى أيدته ابن خلدون أقرب الى الصواب.

و قد انفق المعتصم بالله على حرب بابك حتى تم القضاء عليه مبالغ طائله من الاموال. فقد تذاكر بعض الكتاب فى مقدار تلك المبالغ التى انفقت، الا انهم لم يتهيا لهم حصرها، فقद्रوها بخمسمائه و قر من الدراهم(٤).

٢- مؤامره العباس بن المأمون:

اشاره

واجه المعتصم بالله و هو يحارب الروم و قد اتم فتح عموريه، مؤامره استهدفت اغتياله مع عدد من كبار قواده، لا سيما الاتراك منهم، و مبايعه العباس بن المأمون بالخلافه. و كان العباس نفسه يتزعم هذه المؤامره و يؤيده عدد من القواد. و كان لهذه المؤامره،

١- الطبرى ٩ / ٥٤ - ٥٥.

٢- التنبيه و الاشراف / ٣٠٥.

٣- تاريخ ابن خلدون ٣ / ٥٥٦.

٤- العيون و الحدائق ٣ / ٣٨٩.

اضافه الى السبب المباشر لها، أسباب أخرى غير مباشره كانت تدفع المتآمرين لتنفيذ مؤامرتهم. و يمكن حصر الاسباب غير المباشره بأمرين مهمين، أولهما طمع العباس بالخلافه رغم انه كان قد بايع عمه المعتصم بالله. و سبق ان رأينا ان مبايعته كانت عن اضطرار و كراهيه. فقد سبق لمؤيديه ان شغبوا لما بويع لأبى اسحاق غداه وفاه المأمون و أرادوا العباس للخلافه و نادوه باسمها. مما اضطر المعتصم بالله حينذاك الى ان يستدعيه ليعلن لأولئك المعارضين انه بايع عمه و يطلب اليهم ان يقتدوا به، و يخلدوا الى السكينه.

و عند ما عاد المعتصم بالله الى مدينه السلام استصحب معه العباس لكى لا يتيح له فرصه للاتصال بمؤيديه. و لكن يظهر انه كانت له رغم ذلك علاقات و اتصالات ببعض مؤيديه من القواد. و ثانيهما ان استفحال سيطره القواد الاتراك و ازدياد نفوذهم على الخلافه و الجيش، و استكانه المعتصم بالله الى ولائهم جعلهم يسأثرون بالمراكز المهمه فى الجيش و حصر المغانم بهم. مما اثار حفيظه القواد العرب، و الخراسانيين على قلتهم، و من شايعهم من الجند.

و كانوا لا يفتأون يبدون تذرهم من تزايد نفوذ الاتراك فى الجيش و الدوله.

أما السبب المباشر فقد نشأ عند ما وزع الخليفه كبار قواده على مواقعهم فى حملته على بلاد الروم، و عين صلاحيات كل منهم فى الشؤون الماليه و الاداريه. فاطلق يد الافشين و القاده الاتراك الاخرين مثل اشناس و ايتاخ فى الانفاق، و اناط بهم القيادات المهمه الفعاله. مما جعل بعض القواد الاخرين ينقمون من ذلك و اعتبروه استصغارا لشأنهم. و كان القائد العربى عجيف بن عنبسه الذى سبق ان قضى على تمرد الزط، على رأس هؤلاء الناقمين. اذ اعتقد ان الخليفه يستصغر شأنه و يستقصر أمره، فلم يطلق يده فى النفقات كما اطلق يد الافشين (١). فاشتكى ذلك الى العباس الذى

كان فى الحمله مع عمه، و لاسمه على تفريطه فى المبايعه و شجعه على ملافاه ما كان منه، و اكد له ان هناك عددا من القواد ممن ينحازون الى جانبه و يؤيدون مبايعته دون عمه. فلقى ذلك استجابته من العباس، و اتفقا على ان يتولى تنظيم الدعوه الى العباس الحارث السمرقندى الذى يصفه الطبرى بانه كان رجلا أدبيا له عقل و مداراه(١). أى انه كان سياسيا بليغا. و كان العباس يأنس بالحارث و يطمئن اليه، فصيره سفيره الى القواد الناقمين على الخليفه.

و قد استطاع الحارث ببلاغته و دهائه ان يستميل جماعه من القواد الى مبايعه العباس. و كان من بين من بايعه بعض خواص المعتصم بالله. و سمي لكل رجل من رجال الخليفه المخلصين رجلا من ثقات من بايعوه و قال لهم: اذا اظهرنا أمرنا فليشب كل منكم بالقائد الذى كلف به. فوكل من بايعه من خواص الخليفه بقتله، و من بايعه من خواص القواد الكبار كالافشين و أشناس و غير هما بقتلهم(٢). أى ان المؤامره دبرت على أساس اغتنام الفرصه المواتيه لاغتتيال المعتصم بالله و كبار قواده ممن لم يشتركوا فى المؤامره، و مبايعه العباس بالخلافه. و يلاحظ ان التامر بدأ قبل تحرك الجيش من سامرا الى بلاد الروم. اذ كان المتحمسون لتنفيذ المؤامره أرادوا الوثوب بالمعتصم بالله عند ما دخل الدرب فى قله من اتباعه و هو فى طريقه الى بلاد الروم، الا ان العباس أبى ذلك، و قال: لا أفسد هذه الغزاه(٣). ثم حاولوا ثانيه عند ما تم فتح عموريه و انشغل الجند بالغنائم، و لكن العباس ارتأى تأجيل الأمر حتى

١- نفس المصدر، و تاريخ ابن خلدون ٣ / ٥٦١ و فيه ان الحارث السمرقندى من بطانه عجيف بن عنبسه.

٢- الطبرى ٧١ / ٩، و تجارب الامم ٤٩٥ / ٦، و العيون و الحدائق ٣ / ٣٩٦.

٣- الطبرى ٧٢ / ٩، و تجارب الامم ٤٩٦ / ٦، و العيون و الحدائق ٣ / ٣٩٦.

عوده الجيش و مرور المعتصم بالله بالدرب خاليا من اتباعه، كما حصل فى المره الاولى فىسهل الوثوب به و قتله(١).

اكتشاف المؤامرة:

رغم التكتم و الحرص الشديد اللذين التزم بهما الحارث السمرقندى، فقد تسربت اخبار المؤامره الى بعض القواد الموالين للمعتصم بالله. اذ تقدم أحد المتآمرين و هو أحمد بن الخليل الى القائد اشناس و اعلمه بان لديه معلومات مهمه عن مؤامره دبرت ضد الخليفه و انه لا يخبر بها احدا غير أمير المؤمنين نفسه. الا ان اشناس أرغمه على أن يدلى بمعلوماته الى شخصين يثق بهما الخليفه هما القائد أبى سعيد الثغرى و الكاتب احمد بن الخصيب. فأفشى اليهما أحمد بن الخليل أمر العباس و الحارث السمرقندى و من والاهما من القواد. و يبدو ان ما دفع أحمد بن الخليل الى أن يفشى سر المؤامره هو ان اشناس كان قد ازعجته بعض تصرفاته و تصرفات زميله عمرو الفرغانى فقبض عليهما و جعلهما تحت انظاره.

فتصور ابن الخليل ان التآمر قد انكشف فحاول ان ينجو بنفسه باعترافه على الاخرين. و عند ما علم المعتصم بالله بالأمر تريث حتى تأكد من صحه الخبر لكثره عدد القواد المتهمين و بينهم عدد من خواص قواده و رجاله. فقبض على الحارث أولا فادلى بمعلومات تطابق لما اخبر به ابن الخليل. فلم يبق لدى الخليفه شك فى صحه ما وصله من اخبار عن التآمر على حياته و حياه عدد من قواده، فقبض على العباس و استطاع ان يستدرجه و يتعرف على القواد المتآمرين معه. و قد ذكر الطبرى أسماء عدد ممن تآمروا من القواد و هم: عمرو الفرغانى، و عجيف بن عنبسه، و السندى بن بختاشه،

١- . نفس المصادر المذكوره.

و الشاه بن سهل، و هرثمه بن النضر الختلى(١). فاتبعت المعتصم بالله القواد المتآمرين حتى اخذهم جميعا. و قد استخدمت وسائل مختلفه فى القضاء عليهم، بحيث لم يمض على القبض عليهم بضعة أيام حتى قتلوا جميعا، عدا هرثمه الختلى اذ كان الافشين استوهبه من المعتصم بالله فوهبه اياه(٢)، و السندى بن بختاشه الذى أمر الخليفه بان يوهب لأبيه القائد بختاشه لأنه لم يشترك فى المؤامره(٣) و بذلك قضى على المؤامره و هى فى مهدها. و يظهر ان المعتصم بالله تفنن فى طرق قتلهم تشفيا منهم. و يقول صاحب العيون و الحدائق: لم يزل المعتصم بالله يقتل واحدا واحدا من القواد كل واحد منهم بفن من القتل، الواحد بضرب العنق، و الآخر بالخنق، و الآخر بالضرب بالخشب حتى يموت(٤).

أما العباس فكان فى قبضه الافشين، فلما وصل المعتصم بالله منبج طلب العباس طعاما فقدم اليه الكثير منه فأكل. و لما طلب الماء منع منه، و ادرج فى مسح فمات ٨٢. و قد وجد له مائه ألف و ستة عشر ألف دينار، فأمر الخليفه أن تفرق على الجند و يومروا ان يلعنوه. فاحصى عددهم فوجدوا ثمانين ألف مرتزق، فدفع اليهم دينارين لكل جندي، و تمم المعتصم بالله المبلغ المطلوب من عنده(٥). و فى هذا الخبر اشاره الى عدد من بقى من الجند الذين كانوا فى الحمله مما يجعلنا نستنتج ان عدد افراد الحمله لم يكن يقل عن المائه ألف جندي. و يقدر ابن لعيه عدد الفاتحين بأكثر من

-
- ١- الطبرى ٧٨ / ٩، و العيون و الحدائق ٣ / ٣٩٨ و يقدر عدد القواد الذين قبض عليهم بسبعين قائدا، و تجارب الامم ٦ / ٥٠١-
 - ٥٠٢ و فيه: عمر الفرغانى و هرثمه بن النضر الجيلى.
 - ٢- الطبرى ٧٨ / ٩، و تجارب الامم ٦ / ٥٠٢.
 - ٣- الطبرى ٧٨ / ٩.
 - ٤- العيون و الحدائق ٣ / ٣٩٨.
 - ٥- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٦.

ثلثمائه ألف رجل(١). و لا بد انه أخذ بنظر الاعتبار فى تقديره المطوعه الى جانب الجند النظامى.

و ذكر ابن الاثير عن عجيف بن عنبسه الذى قتل عطشا و دفن فى باعثايا قرب الموصل، قصه تستدعى التأمل. قال: ان محمد بن على الاسكافى، كان يتولى اقطاع عجيف، فرفع عليه انه خانه، فاخذه عجيف و اراد قتله، فبال فى ثيابه خوفا من عجيف، ثم شفع فيه فحبسه. و لما قتل عجيف اطلق سراح محمد. ثم ما لبث ان تقلد عملا- فى نواحى الجزيره. فخرج يوما الى تل فى باعثايا فجلس يبول عليه. فخرج عليه رجل من أهل المنطقه و قال له: فى هذا التل الذى تبول عليه قبر عجيف. فعجب محمد الاسكافى من بوله على نفسه خوفا من عجيف، و بوله على قبره(٢).

عاد المعتصم بالله الى سامرا سالما فسمى العباس يومئذ باللعين.

و أمر بسجن أولاد المأمون فحبسهم ايتاخ فى أحد سراديب داره حتى ماتوا(٣). و قد انشد مروان بن أبى الجنوب المعتصم بالله قصيده لما كان من أمر العباس و عجيف، جاء فيها(٤):

ألا يا دوله المعصوم دومي فانك قلت للدنيا استقيمي

هوى العباس حين أراد غدرا فوافى اذ هوى قعر الجحيم

كذلك هوى كمهواه عجيف فاصبح فى سواء لظى الحميم

قال المعتصم بالله: أبعد الله.

١- النبراس / ٦٣.

٢- الكامل ٦ / ٤٩٢-٤٩٣، و الفرج بعد الشده ٢ / ٢٦ و فيه اسمه محمد بن الفضل الجرجرائى.

٣- الطبرى ٩ / ٧٩. و تفصيل المؤامره فى: الطبرى ٩ / ٧١-٧٩، و تجارب الامم ٦ / ٤٩٣-٥٠٢، و العيون و الحدائق ٣ / ٣٩٥-٣٩٨، و الكامل ٦ / ٤٨٩-٤٩٢.

٤- الاغانى ١٢ / ٨٤.

نتائج المؤامره:

كان من أهم نتائج القضاء على مؤامره العباس استقرار الخلافه للمعتصم بالله و أبنائه، بعد ان تخلص من منافسه ابن أخيه الذى كانت تراوده فكره الوثوب بعمه بتأييد عدد من القواد الناقمين على الخليفه. الا- ان ذلك أدى الى زياده نفوذ الا-تراك على الخليفه و توسع سلطانهم و تدخلهم فى شؤون الدوله، بعد ان وقف قاداتهم الى جانبه ضد المتآمرين، و عاونوه فى القضاء عليهم. و بالعكس فقد اضعف ذلك شأن القواد و الجند العرب، لا سيما و انه سبق للمعتصم بالله ان أمر فى أوائل خلافته باسقاط عدد من الجند العرب من الديوان و قطع اعطياتهم عند ما وقفوا الى جانب المنادين بخلافه العباس عند موت المأمون.

على ان هذه المؤامره اضطرت الخليفه المعتصم بالله على ايقاف حملته العسكريه على بلاد الروم، و الاسراع فى العوده الى العاصمه سامرا. بعد ان كان سير المعارك يبشر بانتصارات و فتوح واسعاه للجيش العربى. و قد اشرنا عند الكلام عن فتح عموريه الى ان خطه المعتصم بالله فى حربته مع الروم كانت تستهدف التقدم نحو القسطنطينيه عاصمه البيزنطيين. و لذلك فان هذه المؤامره حالت دون سحق الدوله البيزنطيه و فتح عاصمتها، و يمكن اعتبار ذلك من أهم نتائج المؤامره المذكوره.

٣- مؤامره الافشين:**اشاره**

يظهر مما يرويه البلاذرى ان الافشين حيدر بن كاوس كان ابن ملك اشروسنه و قد غضب عليه أبوه حين قتل أحد رجاله.

فشخص الى مدينه السلام و أظهر اسلامه. و انه اتصل بالخليفه المأمون و سهل له أمر الاستيلاء على اشروسنه و وصف له طريقا مختصره لتحقيق ذلك، فوجه المأمون كاتبه احمد بن أبى خالد

لغزوها. فقدمها وافتتحها، فاستسلم ملكها كاوس و أظهر اسلامه، فأقره المأمون ملكا عليها(١). و اثر الافشين البقاء فى عاصمه الخلافه لانه رأى فيها مجالا واسعا لتحقيق مطامحه.

و قد اتصل الافشين بابى اسحاق و هو امير على مصر و بلاد الشام من قبل أخيه المأمون. فاعجب أبو اسحاق بشجاعته و كفايته فى الحرب، فقربه اليه و جعله من رجاله. و عند ما تولى الخلافه أصبح الافشين فى مقدمه قواده. و عقد له على رياسه الجيش الذى وجهه لحرب بابك الخرمى الذى استفحلت دعوته. و استطاع الافشين بما بذله الخليفه من الاموال و ما سيره من الجيوش و كبار القواد، ان يقضى على ثوره بابك و جاء به اسيرا الى سامرا حيث قتل و صلب.

و لما وصل الافشين سامرا عائدا من حرب بابك أكرمه الخليفه و منحه مبلغا كبيرا من المال، و قد سبقت الاشاره الى ذلك.

و عند ما خرج المعتصم بالله الى بلاد الروم لتأديبهم و ايقاف اعتداءاتهم على الثغور العربيه، اسند الى الافشين قياده أحد جيوش الحمله. و قد استطاع ان يهزم ملك الروم فى أحد المعارك مما سهل لجيش الخليفه اقتحام عدد من مدن الروم و حصونهم و فتح حموريه أكبر مدنهم بعد القسطنطينيه.

الأفشين و عصيان مازيار:

الأفشين و عصيان مازيار(٢):

لقد تعرض الافشين الذى بلغ أوج مجده بعد قضائه على تمرد بابك، و حسن بلائه فى حرب الروم، الى غضب الخليفه المعتصم بالله لما بدر منه من أمور تنطوى على سوء النيه. و من هذه الامور عصيان مازيار حاكم طبرستان. فقد كان الخليفه المأمون قد ولى مازيار بن قارن اماره طبرستان و سماه محمدا. و كان أبوه من قبل ملكا عليها

١- فتوح البلدان / ٤١٩.

٢- يسميه البلاذرى مايزديار- فتوح البلدان / ٣٣٤.

و قد أعلن العصيان فى عهد الخليفة أبى جعفر المنصور، و كان المهدي بن المنصور حينذاك فى خراسان على رأس حملة عسكريه، فأمره أبوه بالقضاء على عصيانه. فوجه اليه القائد خازم بن خزيمة فاسر قارن و فتحت طبرستان(١).

و لما استخلف المعتصم بالله أقر مازيار على عمله. و كانت علاقته مازيار بعبد الله بن طاهر أمير خراسان سيئه، و لم يكن مازيار يحمل اليه خواجه مباشره، بل يتسلمه ممثل للخليفة و يحمله الى عبد الله(٢). و كان عبد الله لا يفتأ يكتب الى المعتصم بالله عن مخالفات مازيار مما اقنعه بعدم ولائه للخلافه و الدوله العربيه.

و مما شجع مازيار على مخالفته أمير خراسان تأييد الافشين له، لانه كان يطمح بولايه خراسان، و يريد أن ينقل الملك الى العجم(٣).

و لذلك اتصل بمازيار يستميله و يغريه بعبد الله و يدفعه الى محاربتة(٤). كما كان بنفس الوقت يحرض المعتصم بالله على و انى خراسان سيما و انه كان يسمع من الخليفه أحيانا ما يدل على انه يريد عزله(٥). و يهدف من ذلك ان يضعف مركز عبد الله فيعجز عن القضاء على عصيان مازيار. فلا يجد الخليفه بدا من اقالته و تعيين الافشين بدلا عنه. على ان مناصره الافشين لمازيار لم تكن بدافع النكايه بعبد الله بن طاهر فقط، بل كما يبدو من فحوى المكاتبه بينهما انما كانا يسعيان لهدف مشترك هو اضعاف الدوله العربيه و الاسلام و أحياء المجوسيه. فقد اعترف مازيار لما قبض عليه و حمل الى سامرا: انه بعثه على الخروج و العصيان لمذهب كانوا اجتمعوا

١- كتاب البلدان / ٣٠٣.

٢- الطبرى ٨٠ / ٩، و تجارب الامم ٥٠٢ / ٦.

٣- البدء و التاريخ ١١٩ / ٦.

٤- الطبرى ٨٠ / ٩، و تجارب الامم ٥٠٢ / ٦-٥٠٣، و العيون و الحداثق ٣ / ٣٩٩.

٥- النجوم الزاهره ٢ / ٢٤٠.

عليه، و دين اتفقوا عليه من مذاهب الثنويه و المجوس(١). و مازيار مثل الافشين لم يعتنق الاسلام الا- ظاهريا، فقد كفر و غدر(٢). و قد سبق ان اشرنا الى انه كاتب بابك الخرمي يحرضه و يعرض عليه النصره. كما ظهرت ميوله الخرميه عند ما أمر الاكره بانتهاب أموال أرباب الضياع و غلاتهم.

اعلن مازيار تمرده في سنه ٢٢٤ هـ و اجبر الناس على مبايعته و أخذ منهم الرهائن، و اهتم بجمع الاموال فجبي في شهر ما كان يؤخذ في سنه(٣). ثم بعث أحد قواده الى مدينه آمل فاجلى أهلها و خرب سورها. ففرغ أهل جرجان القريبه من آمل و خافوا على أنفسهم و أموالهم فهرب منهم كثيرون الى نيسابور. و لما انتهى خبير ذلك الى عبد الله بن طاهر وجه عمه الحسن بن الحسين في جيش كثيف لحمايه جرجان، و وجه حيان بن جبله في عدّه آلاف لحمايه قومس. و وجه الخليفه القائد محمد بن ابراهيم المصعبى في جيش كثيف ليدخل طبرستان، معاونه لعبد الله بن طاهر في اخماد الحركه و الفتنة المجوسيه.

لم يستطع مازيار و اتباعه مواجهه الجيوش التي احاطت بهم، فضعفت مقاومتهم و طردوا من المدن التي كانوا استولوا عليها.

و بعد عدّه معارك تمكنت هذه الجيوش من الانتصار على المتمردين و أسر رئيسهم مازيار. و للقبض على مازيار قصه ذكرها مفصله كل من الطبرى و مسكويه و صاحب العيون و الحقائق(٤). و بعث عبد الله بن طاهر الى عمه الحسن ان يسلم مازيار و أهل بيته الى محمد بن ابراهيم ليحملهم الى أمير المؤمنين بسامرا، كما طلب اليه ان

١- مروج الذهب ٤ / ٦١.

٢- فتوح البلدان / ٣٣٤.

٣- الطبرى ٩ / ٨٣.

٤- الطبرى ٩ / ٨٩ - ٩٥، و تجارب الامم ٦ / ٥٠٨ - ٥١١، و العيون و الحقائق ٣ / ٤٠٠ - ٤٠٢.

يستصفي أموال مازيار، فاحضره الحسن و سأله عن أمواله و أحضر شهودا ليشهدوا عليه. فاعترف بان جميع ما حملة من أمواله ستة و تسعون ألف دينار، و سبع عشره قطعه زمرد، و ست عشره قطعه ياقوت أحمر، و ثمانية أوقار سلال مجلده فيها ألوان الثياب، و تاج، و سيف من ذهب، و خنجر من ذهب و كلل بالجواهر، و حق كبير مملوء جواهر. و قد تسلمها منه محمد بن الصياح خازن عبد الله بن طاهر.

و ذكر على بن ربن الطبرى كاتب مازيار ان ذلك الحق كان ثمن شراء جوهره ثمانية عشر ألف درهم (١).

و عند ما حمل مازيار الى عبد الله بن طاهر، و عده ان هو اظهره على كتب الافشين اليه فسوف يسأل فيه الخليفه ليصفح عنه، فاطهر مازيار الكتب لعبد الله فاخذها منه و سيرها معه الى اسحاق بن ابراهيم المصعبى و طلب اليه الا يسلم مازيار و الكتب الا بيد أمير المؤمنين (٢). فاوصل اسحاق ذلك الى الخليفه. فسأل المعتصم بالله مازيار عن الكتب فانكرها، فأمر بضربه (٣). الا انه عند ما جمع بينه و بين الافشين فى دار العامه، و كان الافشين قد حبس، أقر مازيار بان الافشين كان يكاتبه و يصوب له الخلاف و المعصيه (٤).

الا ان الطبرى يقول ان المازيار عند ما سئل بحضور الافشين ما اذا كان كتب اليه، قال «نعم»، كتب أخوه خاش الى أخى قوهيار انه لم يكن ينصر هذا الدين الابيض غيرى و غيرك و غير بابك، أما بابك فأنه بحمقه قتل نفسه، و لقد جهدت أن أصرف عنه الموت فابى حمقه الا- ان دلاه فيما وقع فيه. فان خالفت لم يكن للقوم من يرمونك به غيرى ... ثم تجول الخيل عليهم جوله فتأتى على

١- الطبرى ٩/ ٩٦، و تجارب الامم ٦/ ٥١٢، و فيه: على بن زين كاتب مازيار.

٢- الطبرى ٩/ ٩٩- ١٠٠، و تجارب الامم ٦/ ٥١٤، و العيون و الحداثق ٣/ ٤٠٣.

٣- الطبرى ٩/ ١٠٠.

٤- الكامل ٦/ ٥١٠.

آخرهم، و يعود الدين الى ما لم يزل عليه أيام العجم»^(١). و يقول اليعقوبى ان مازيار قال و اللّٰه ما كتب الى و لا راسلنى الا ان ابا الحارث و كيلى أخبرنى انه لما قدم عليه بره و أكرمه^(٢).

و ازاء هذا التردد فى الاعتراف و الانكار من مازيار غضب الخليفه عليه فأمر به فضرب حتى مات، و صلب الى جانب بابك.

و يقال ان الخشبه التى صلب عليها مالت نحو خشبه بابك فتدانت أجسامهما. و كان صلب فى ذلك الموضع ياطس بطريق عموريه أيضا، و قد انحنت خشبته نحوهما كذلك. و فى ذلك يقول أبو تمام الطائى^(٣).

و لقد شفى الاحشاء من برحائها ان صار بابك جار مازيار

ثانيه فى كيد السماء و لم يكن لأثنين ثان اذ هما فى الغار

و كأنما انتبذا لكيما يطوياعن ياطس خبراً من الاخبار

الأفشين و عصيان منكجور:

من الامور الاخرى التى اتهم بها الافشين عصيان منكجور الفرغانى خال اولاد الافشين و عامله على اذربيجان. فقد احتجز منكجور لنفسه أموالا- وجدها فى بعض قرى بابك، و لما طوب بها انكرها. و بلغ ذلك الخليفه فامر الافشين بان يعزله من الولاية.

فوجه اليه الافشين ابا الساج المعروف بديوداد. و لما بلغ منكجور الخبر أعلن العصيان. الا انه هزم أمام الجيش الذى وجه اليه و التجأ الى أحد الحصون فى اذربيجان مما خربه بابك، و حاول ان

١- الطبرى ٩ / ١٠٩.

٢- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٧.

٣- ديوان ابى تمام ٢ / ١٩٨ - ٢٠٩، و جاء اسم ياطس فيه: ناطس.

يتحصن فيه. الا ان بعض اتباعه و ثبوا به و اسلموه الى قائد الحمله. و لكن الخليفه اتهم به الافشين لأنه بلغه ان منكجور انما أعلن التمرد بأمره و انه وجه أبا الساج مددا له لا- حريا عليه. مما اضطر الخليفه ان يرسل اليه القائد بغا الكبير فاسره و قدم به الى سامرا(١)، فأمر الخليفه بحبسه.

غضب الخليفه على الأفشين:

اعتاد الافشين فى خلال حربه بابك ان يجمع ما يصل اليه من الاموال و الهدايا و يبعث به مع بعض اتباعه الى بلده اشروسنه.

و لما علم عبد الله بن طاهر بذلك كتب به الى الخليفه المعتصم بالله، فأمره باعلامه بكل ما يوجه به الافشين الى هناك. فأخذ أمير خراسان يتبعه و يوصل اخباره الى الخليفه. و لا- ريب فى ان جمع الافشين أمواله فى بلده و بين اتباعه دليل على انه كان ينوى أمرا، مما يقتضى مراقبته و متابعه حركاته و اتصالاته. كما لوحظ ان الافشين كان يتلكأ فى محاربه بابك مما اثار الشبهه بأنه كان متواطئا معه، و جعل الخليفه يشك بولائه. يقول ابن الجوزى انه عند ما توجه لمحاربه بابك تخاذل عن قتاله و اضمم موافقته فى ضلاله(٢). و يرى ابن دحيه ان المعتصم بالله قتل الافشين لما واطأ بابك، فانه تاره كان معه و تاره كان عليه(٣). و عند ما يتكلم البغدادى عن الباطنيه يذكر الافشين منهم و يقول انه كان فى سره مع بابك و قد توانى فى القتال معه و دله على عورات عساكر المسلمين فقتل الكثير منهم، و لما اسر بابك و صلب ظهر للخليفه غدر الافشين و خيانتته فى حروبه مع بابك، فأمر بقتله و صلبه(٤).

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٨، و هو يرى ان هذا اول أسباب حبس الافشين، ص: ٤٧٧.

٢- المنتظم ٥ / ١١٤.

٣- النبراس / ٧٣.

٤- الفرق بين الفرق / ١٧١.

يمكن الاستنتاج من هذا ان الافشين كان يخطط لحركه انفصاليه يقوم بها فى منطقته التى يدين اهلها بالولاء له و لعائلته.

و تمهيدا لذلك تطلع الى ولايه خراسان فكاتب مازيار و هو حاكم طبرستان، و كان يتفق معه فى أهدافه، يغريه بالتمرد على عبد الله بن طاهر و يشجعه على الانتقاض على الخلافه العباسيه. و ازاء هذا كله ليس من الغريب ان يتغير الخليفه على كبير قواده، و يتوجس منه الانتقاض و شق عصا الطاعه. كما ان الافشين شعر بتغير الخليفه عليه، فعزم على ان يحتال للهرب قبل أن ينكشف أمره. فدبر أمر هروبه بطريق الموصل الى أرمينية، كان المعتصم بالله قد ولاءه عليها، و من هناك يعبر الى بلاد الخزر ثم يتجه صوب أشروسته(١). و قد اختار هذا الطريق للوصول الى بلده تمويها للآخرين. الا ان الهرب تعسر عليه لكثرة العيون التى كانت تراقب حركاته. فعزم على ان يفتك بالخليفه و كبار قواده بوليمه يدعوهم اليها و يدس لهم السم فى الطعام فيقضى عليهم جميعا.

و حتى اذا تعذر حضور الخليفه الى وليمته فانه سيتخلص من كبار القواد الموالين له امثال ايتاخ و اشناس، مما يسهل له أمر الوثوب، و قد أخذ يهوى لذلك. الا ان أحد قواده و هو واجن الاشر و سنى علم بنواياه فاستنكرها فتهدهد الافشين. فبادر واجن الى اعلام الخليفه بما عنده من نوايا الافشين و ما عزم على القيام به. فوجه المعتصم بالله حاجبه محمد بن حماد بن دنقش يدعو الافشين اليه. فجاء الافشين فى سواد، فأمر الخليفه بأخذ سواده و حبسه فى الجوسق.

و كتب الى عبد الله بن طاهر ان يحمل اليه الحسن بن الافشين من خراسان. فاحتال عبد الله فى القبض عليه، ثم وجه به و بزوجته اترنجه الى سامرا. و لما حبس الافشين عزل عن الحرس و ولى اسحاق بن يحيى بن معاذ بدلا عنه(٢).

١- الكامل ٥١٢ / ٦

٢- الطبرى ١٠٣ / ٩

و يعزو ابو المحاسن غضب المعتصم بالله على الافشين الى عداوته لعبد الله بن طاهر و لأحمد بن ابي دواد، فعملا عليه و نقلا عنه انه يكاتب مازيار، و يقول ان المعتصم بالله تأكد من ذلك من كاتب الافشين الذى اعترف بانه كتب الى مازيار يأمر الافشين يقول له «لم يبق غيرى و غيرك و غير بابك الخرمى، و قد مضى بابك، و جيوش الخليفة عند ابن طاهر، و لم يبق عند الخليفة سوى، فان هزمت ابن طاهر كفتك أنا المعتصم بالله، و يخلص لنا الدين الابيض - يعنى المجوسيه - و كان الافشين يتهم بها» (١).

و يقول شمس الدين الذهبى ان سبب غضب المعتصم بالله على الافشين انه اتهم بعباده صنم، و كان اقلف، ثم يقول: و خافه أيضا (٢).

و قيل ان احمد بن أبى دواد وجد على الافشين لكلام بلغه عنه، فإشار على المعتصم بالله بان يجعل الجيش نصفًا مع الافشين و نصفًا مع أشناس. ففعل الخليفة ذلك، فوجد الافشين من هذا الاجراء باعتباره يقلل من أهميته كقائد عام للجيش، و طال حزنه و اشتد حقه. فقال ابن ابي دواد للمعتصم بالله: ان أبا جعفر المنصور استشار أنصح الناس عنده فى أبى مسلم فكان جوابه ان قال: يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول «لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا» (٣) فقال له المنصور: حسبك، ثم قتل أبا مسلم. فقال المعتصم بالله: حسبك انت أيضا يا أبا عبد الملك، ثم وجه الى الافشين فقتله (٤).

و جاء فى الهفوات النادرة ان الافشين رأى فى منامه قبل ان يسخط عليه المعتصم بالله رؤيا افزعته، فبعث الى مفسر ليفسرها له.

١- النجوم الزاهرة ٢ / ٢٤٢.

٢- كتاب دول الاسلام ١ / ٩٨.

٣- سورة الانبياء، الايه: ٢٢.

٤- الاخبار الطوال / ٣٤١.

قال: رأيت كأن الشمس و القمر دخلا- على و أنا جالس فى بهو فقعد احدهما على كتفى الايمن و الاخر على كتفى الايسر، فانتبهت لجزعى منهما. قال المفسر: اقرأ «لا اقسم بيوم القيامة» فقرأها حتى بلغ «جمع الشمس و القمر يقول الانسان يومئذ أين المفر»(١). فاخذته رعدة و زرع- و الزرع رعدة تعترى الانسان ان هم بأمر- فما مضت عليه ثلاثه حتى قبض عليه(٢). و اذا صحت هذه الروايه فهى دليل على ما كان يشغل بال الافشين من الخروج عن الخليفه و احتمال فتل حركته و ما يترتب على ذلك من وقوعه بأيدي الخليفه و قتله، مما أظهره عقله الباطن بهذه الرؤيا المرعبه.

محاكمه الافشين:

أوكل المعتصم بالله الى مجلس خاص مؤلف من وزيره محمد بن عبد الملك الزيات و كبير قضاته أحمد بن أبى دواد، و خليفته بغداد اسحاق بن ابراهيم المصعبى، و عدد من القضاة و الفقهاء، ليتولى محاكمه الافشين. و لما كان العباسيون قد أقاموا خلافتهم على أساس دينى و اتخذوا الدين وسيله لتثبيت سلطانهم، و ضرب من يخرج عليهم، اذ انهم مزجوا الدين بالسياسه بحيث يعتبر الخروج على الخلافه جريمه دينيه تنطوى على الكفر، فقد حاول المجلس المذكور حشد ما اعتبر من المخالفات الدينيه التى قام بها الافشين و التى اذا ما ثبتت عليه كانت كافيه لادانته بالكفر و الزندقه و انه لم يسلم حقيقه، و الحكم عليه بالموت بموجب أحكام الشريعه الاسلاميه.

عقد المجلس المذكور للمحاكمه و احضر الافشين. كما احضر الشهود و هم مازيار حاكم طبرستان، و الموبذ، و المرزبان بن

١- سوره القيامه، الايات ١- ١٠.

٢- الهفوات النادره / ١٨٥- ١٨٦.

تركش و هو أحد ملوك الصغد، و رجالان من اهل الصغد. و كان المناظر له قاضى القضاء احمد بن أبى دواد. أما التهم التى وجهت اليه فهى:

١- انه ضرب كلا من امام و مؤذن المسجد الذى بنى فى الصغد ألف سوط كل واحد منهما.

٢- احتفاظه فى بيته بكتاب محلى بالذهب و الجواهر فيه كفر بالله تعالى.

٣- شهاده الموبذ بأكله لحم المخنوقه، اذ قال: ان هذا كان يأكل المخنوقه و يحملنى على أكلها، و يزعم انها ارطب لحما.

٤- كتابه أهل بلده اليه بالاشر و سنيه ما معناه الى اله الآلهه من عبده فلان ابن فلان.

٥- عدم اختتانه.

٦- مكاتبته مازيار و اغراؤه بالخروج على أمير خراسان.

أجاب الافشين عن التهمه الاولى بأن بينه و بين ملك الصغد عهد بات يترك كل قوم على دينهم، و ان هذين الرجلين و ثبا على بيت فيه أصنام لأهل أشروسنه، فاخرجا الاصنام و صيراه مسجدا، فضربهما على ذلك لتعديهما.

و عن احتفاظه بالكتاب المحلى بالذهب و الجواهر، قال انه ورثه عن أبيه و فيه آداب العجم و كفرهم، و انه كان يأخذ الآداب و يترك الكفر. أما الحليه التى فيه فانه غير محتاج الى انتزاعها منه، فتركها على ما هى عليه.

أما عن أكله لحم المخنوقه، و كان قد شهد عليه بذلك الموبذ و هو مجوسى، فقد طعن الافشين بشهادته لانه لا يجوز قبولها بموجب أحكام الشريعه الاسلاميه، و ان الموبذ شخص غير ثقه.

و أجاب عن أسلوب مكاتبه أهل بلده معه بأن تلك هي عادتهم في مكاتبه أبيه و جده، و قد كره ان يضع نفسه دونهما فتنفسد عليه طاعتهم.

و عن عدم اختنانه قال انه خاف ان يقطع ذلك العضو من جسمه فيموت. و لما قيل له انه يقاتل بالسيف و الرمح، و يخوض الحرب، و يجزع من قطع قلفه. أجاب ان تلك ضروره تصيبه، و الاختتان شىء يستجلبه لنفسه.

أما التهمه الاخيره التي كانت وحدها ذات الطبيعیه السياسيه و التي كانت سبب غضب الخليفه عليه و حبسه فلم تثبت عليه بشكل قاطع. اذ ان شهاده مازيار، كما سبق أن أشرنا، ترددت بين الاعتراف و الانكار. و كان الافشين قد انكر التهمه منذ البدايه.

و عند ما قيل له ان أخاه كاتب اخا مازيار بذلك، انكر ان تكون المكاتبه قد جرت بعلمه، و انه غير مسؤول عما كتبه أخوه. ثم استفسر عما اذا كان هناك ما يمنع من أن يحاول استماله مازيار ليثق به ثم يسلمه الى الخليفه، فيكون بذلك قد نصر الخليفه و نال الحظوه لديه. و هو استفسار أقرب الى أن يدينه من أن يبرىء ساحته من هذه التهمه، لأنه ينطوى على اعترافه الضمنى بمكاتبته مازيار.

قال أحمد بن ابى دواد فى نهايه المناظره انه قد وضح أمر الافشين، أى انه ثبتت عليه المخالفات التي اتهم بها. و أمر بغا الكبير ان يعيده الى السجن، رغم اعتراض الافشين على ذلك. و كان الحبس الذى سجن فيه فى الجوسق شبيها بالمناره، و قد جعل فى وسطها دكه لجلوسه(١).

لقد حاول الافشين ان يقنع الخليفه ببراءته مما نسب اليه من التهم. فطلب اليه ان يبعث له بمن يثق به لكى يؤدى اليه ما

سيقوله له. فانفذ المعتصم بالله نديمه حمدون بن اسماعيل. فأخذ الافشين ينفي كل ما قيل فيه من التهم، و عزا ذلك الى انه حسد على ما ناله من حظوه و منزله عاليه لدى الخليفه، و انه لا يزال على و لائه له لانه ربي فى كنفه و تقدم برعايته. ثم التمس من الخليفه ان يراعى حقه عليه و خدمته له. فلما انصرف حمدون من الافشين و ابلى رسالته الى الخليفه، أمر بقطع الطعام و الشراب عنه الا القليل حتى مات (١). و يذكر حمدون انه رأى بين يدي الافشين طبق فاكهه أرسله اليه المعتصم بالله مع ابنه هارون، و انه لما خرج منه لم يلبث قليلا حتى قيل ان الافشين يموت أو قدمات (٢). اشاره الى ان الفاكهه كانت مسمومه.

و لما مات الافشين حمل الى دار ايتاخ، ثم اخرج و صلب على باب العامه بسامرا عريانا ساعه من نهار ليراه الناس. ثم طرح و احرق مع خشبته و القى الرماد فى نهر دجله (٣).

و كان الخليفه حين أمر بحبس الافشين وجه الكاتب سليمان بن وهب ليحصى ما فى داره فى المطيره. فوجد بيتا فيه تمثال انسان من خشب عليه حليه كثيره و جوهر، و فى اذنيه حجران أبيضان مشتبان، عليهما ذهب. كما اخرج من منزله اصناما مع الاطراف الخشب التى اعدھا لهروبه. و وجد له كتابا من كتب المجوس، و كتب دينيه أخرى (٤).

و مدح أبو تمام الطائى الخليفه المعتصم بالله بهذه المناسبه مشيرا الى صلب الافشين و حرقه، بقصيده طويله جاء فيها (٥):

الحق أبلج و السيوف عوارف حذار من اسد العرين حذار

١- الطبرى ٩/ ١١٤.

٢- الطبرى ٩/ ١١٣، و تجارب الامم ٦/ ٥٢٥، و الكامل ٦/ ٥١٨.

٣- الطبرى ٩/ ١١٤، و تجارب الامم ٦/ ٥٢٥، و الكامل ٦/ ٥١٨.

٤- الطبرى ٩/ ١١٤، و تجارب الامم ٦/ ٥٢٥.

٥- كامل القصيده فى ديوان ابى تمام ٢/ ١٩٨ - ٢٠٩.

ملك غدا جار الخلافه منكم و الله قد اوصى بحفظ الجار

يا رب فتنه أمه قد بزها جبارها في طاعه الجبار

جالت بخيذر جوله المقدار فأحله الطغيان دار بوار

كم نعمه لله كانت عنده فكأنها في غربه و أسار

ثم يقول:

مكرا بنى ركنيه الا انه وطد الاساس على شفيرها

حتى اذا ما الله شق ضميره عن مستكن الكفر و الاصرار

و يقول:

ما زال سر الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سر الزناد الوارى

نارا يساور جسمه من حرها لهب كما عصفت شق ازار

طارت لها شعل يهدم لفحها أر كانه هدمها بغير غبار

مشبوهه رفعت لاعظم مشرك ما كان يدفع ضوءها للسايرى

فصلن منه كل مجمع مفصل و فعلن فاقره بكل فقار

صلى لها حيا و كان وقودها ميتا و يدخلها فى الفجار

و كذلك اهل النار فى الدنيا هم يوم القيامة جل اهل النار

خاتمه:

مما يلفت النظر فى محاكمه الافشين عدم سماع شهاده واجن الاشر و سنى الذى يعتبر الشاهد الاصلى على محاوله الافشين الخروج على الخليفه و الفتك بكبار القواد، و التى بموجبها أمر المعتصم بالله بحبسه. كما أن ما ادلى به هذا الشاهد لم يسأل عنه الافشين، و لم يسأل كذلك عن مواطأته بابك، و مساعدته منكجور. و لا ندرى

ما اذا كان مجلس التحقيق اغفلها مكتفيا بالتهم الدينيه لوضوحها، أم ان المؤرخين الذين سردوا تفاصيل المحاكمه اهلوا الاشاره اليها، أم ان التهم الدينيه وحدها كانت سبب غضب الخليفه على كبير قواده. و نرجح ان ما ذهبنا اليه آنفا من ان اهمال الجوانب السياسيه و التأكيد على المخالفات الدينيه مما اتهم به الافشين كان مقصودا المسبب الذى أشرنا اليه.

على اننا يجب ان لا- نغفل ما صار اليه الافشين من مركز مرموق، و ما له من داله على الخليفه المعتصم بالله، بسبب الانتصارات المتتاليه التى احرزها فى حروبه. بحيث اخذ كبار رجال الدوله يرهبون جانبه و يخشون سطوته. و قد تسرب الحسد الى نفوسهم، فعملوا على التخلص منه، مستغلين بعض ما ظهرت منه من تصرفات يؤاخذ عليها، فكان لهم ما اردوا. و لعل مما زاد فى حقدهم عليه اعتداده بنفسه و تعاليه عليهم. و قد اورد الخطيب الاسكافى ما يؤيد هذا حيث يقول ما خلاصته ان الافشين بعد عودته مع أمير المؤمنين من حرب عموريه تقدمت حاله لديه لبلائه الحسن فى حرب بابك و حرب الروم. فاخذ يستخف برجال الدوله، لا سيما بالوزير محمد بن عبد الملك الزيات و القاضى أحمد بن ابى دواد، فاعملا الفكر فى كيفيه التخلص منه. و لم يريا أبلغ من ايحاشه من الخليفه. فاستخدما لذلك محمد بن ابراهيم، و كان صديقا حميما للافتين و وعداه بولايه فارس و الاهواز اذا استطاع ان يوحش الافشين من المعتصم بالله. فادخل محمد فى روع الافشين بما لفته من الاخبار ان امير المؤمنين قد تغير عليه و انه يعمل على التخلص منه، مما زرع بذور الشك و سوء الظن فى نفس الافشين. و عند ما دخل الافشين بعد ذلك على المعتصم بالله و كان فى حينه ضجرا ببعض أموره، رآه متغير البشر عابس الوجه، فصدق عنده ما اخبره به محمد بن ابراهيم، فحاذر على نفسه و تحرز فى بيته. و لما بلغ المعتصم بالله فعله انكره، و كان ابن الزيات و ابن ابى دواد لم يألوا

جهدا فى اىحاشه منه. و اغنم ابن ابى دواد الفرصه فحذر المعتصم بالله من دخول الاعاجم عليه و هم مسلحون بالسيوف و الخناجر و هو أعزل. فنفر قلب المعتصم بالله من الافشين. و لم تزل الوحشه تتفاقم بينهما حتى أمر المعتصم بالله بحبس الافشين و قتله(١).

رغم ان الافشين من أصل تركى من قبائل ما وراء النهر التى كان أغلبها و ثنيا، فقد كان يعتنق المجوسيه. و قد اتضح من محاكمته انه لم يكن اسلم عن يقين و ايمان. و لهذا فهو يلتقى مع الفرس فى مجوسيته و فى كراهيته الشديده للعرب. فقد كان يقول:

اذا ظفرت بالعرب شدخت رؤوس عظمائهم بالدبوس(٢).

و وصفهم فى كتابه الى مازيار بقوله: و العربى بمنزله الكلب اطرح له كسره ثم اضرب رأسه بالدبوس(٣). و قد اتخذ الدين الاسلامى الذى اعتنقه عند ما جاء الى بغداد، و التقرب الى العرب الحكام و سيله لتحقيق مطامحه التى تكشفت فى عمله على الانفصال عن الدوله العربيه و اعاده المجوسيه. و ذلك نفس ما كان يعمل بابك الخرمى على تحقيقه. و قد كانت تصرفات الافشين فى حرب بابك تنم عن أهدافه المذكوره التى حاول اخفاءها بولائه الظاهرى للخليفه. الا انه لم يستطع الاستمرار على ذلك بحكم ما يعمل له و يستهدف تحقيقه، فظهرت دلائله فى القضايا التى اثرت ضده و حوكم عليها.

و يمكننا الان على ضوء هذه الحقائق ان نفسر أسباب ارساله ما يتوفر له من الاموال الى اشروسنه، و نفسر كذلك تلكوه و تباطؤه فى حرب بابك، و سعيه لاقناعه بالاستسلام ليضمن حياته و يقلل خسائره، بحيث يصدق عليه قول ابن الجوزى: فتخاذل عن قتاله

١- لطف التدبير / ٩١-٩٣، و جاء مثل ذلك فى آثار الاول مع تغيير طفيف / ١٠٧-١٠٨.

٢- البيان و التبيين / ٣ / ٥٨.

٣- الطبرى / ٩ / ١٠٩.

و اضممر موافقته فى ضلاله. و قول ابن دحيه: فانه تاره كان معه و تاره كان عليه. الا ان حذر من رقابه عبد الله بن طاهر أمير خراسان، و يقظه الخليفه و اتصاله المستمر به، و لهفه الجند و القواد و بخاصه العرب منهم على القضاء على بابك و الحرمة الخرميه، جعله لا يستطيع الا ان يستجيب لحرب بابك و القضاء عليه. و لذلك نراه بعد الانتهاء من هذه الحرب و العوده من غزو بلاد الروم، يخطط لحركته التى باءت بالفشل و انتهت بمصرعه.

و لعل مما يؤيد تخطيطه للوثوب بالخلافه انه حاول القضاء على القواد الموالين للمعتصم بالله. فقد حاول قتل القائد العربى أبا حلف القاسم بن عيسى، فخف القاضي أحمد بن أبى دواد لانقاذه، و كان مما قاله للافشين: كم تراك قدرت تقتل أولياء أمير المؤمنين واحدا بعد واحد، و تخالف أمره فى قائد بعد قائد(١).

٤- حركة الزنج: بدايه الحركة:

اشاره

من الحركات الخطيره التى جابهت الدوله العربيه فى عهد سامرا، و كانت عميقه التأثير فى أمن البلاد و أحوالها الاقتصادية و الاجتماعيه، الحركة التى حمل لواءها الدعى على بن محمد و عرفت بحركة الزنج.

ان ما اصاب الدوله العربيه من وهن شديد من جراء استبداد القواد الاتراك بالسلطه و منازعتهم الخلفاء، شجع ذوى المطامح على الخروج على سلطانها. و قد استطاع أحد المغامرين و هو على بن محمد العبقسى(٢) ان يقوم بدعوه فى جنوبى العراق مستغلا

١- الاغانى ٨ / ٢٥٠ - ٢٥١.

٢- نسبه الى عبد القيس - العبر ٢ / ٤٢.

اوضاع العبيد من الزوج الذين استطاع ان يثير حفيظتهم على مالكيهم من أصحاب الاراضى الزراعيه، فهربوا منهم و التحقوا به.
كما التف حوله كل صاحب فتنه(١).

ان دعوه على بن محمد لم تقم على قواعد سياسيه و اجتماعيه معينه تستهوى الناس اليه، و انما اكتفى بادعائه بتحسين أحوال العبيد «و انه يريد ان يرفع اقدارهم، و يملكهم العبيد و الاموال و المنازل، و يبلغ بهم اعلى الامور(٢) و مناداته بعدم التمييز بين العناصر و الاجناس، و هى من دعاوى الخوارج، مما بدا ان ذلك كافيا عند اولئك الذين انضموا اليه من الزوج. و بصرف النظر عن العوامل الاخرى فان مجرد وعد الزوج بتحريرهم و تمليكهم الاموال كان كافيا لان يسارعوا الى اجابه دعوته. كما انه ادعى الانتساب لآل البيت ليضفى على دعوته سمه روحيه و يكسبها الشرعيه المطلوبه ... و قد اطلق على نفسه لقب أمير المؤمنين، و ضرب ذلك على نقوده الذهبيه و الفضيّه(٣).

و لم يلبث على بن محمد مدته و جيزه حتى التف حوله الوف من الزوج ينشدون الخلاص من العبوديه و شظف العيش. فكون منهم جيشا استطاع ان يتحدى به سلطات الدوله مدته من الزمن.

فاستولى على ضواحي البصره و اخذ يهدد المدينه نفسها. و يظهر انه اختار منطقه البصره لعدده اسباب منها ان طبيعه المنطقه الجغرافيه ساعدت الزنج على حرب كمائن و عصابات متنقله، مما أدى الى اطاله أمد الاضطرابات و تعسر قمعها على الجيش النظامي.

و كثره العبيد العاملين فى ازاله السباخ عن الاراضى الزراعيه فيها، فقد كانت «كسوح الزوج معروفه بالبصره كالجبال، و كان فى

١- العبر ٢ / ٨.

٢- الطبرى ٩ / ٤١٥.

٣- ثوره الزنج / ١٧٢.

انهار البصره منهم عشرات الالوف يعذبون بهذه الخدمه»(١).

يضاف الى ذلك ان البصره كانت مركزا لطبقه كبيره من الاغنياء الذين كونوا ثرواتهم من استثمار العبيد فى الزراعه، و ان هذه الطبقة وقفت ضد حركه الزنج منذ البدايه(٢).

و قد اتخذ صاحب الزنج منطقه القنوات و المستنقعات جنوبى البصره للاسباب التى ذكرناها قاعده له، و استطاع ان يصمد امام الجيوش التى سيرت اليه.

استفحال الحركه:

صرف صاحب الزنج جهوده أول أمره لاحتواء البصره فحاصرها حتى أضر بأهلها، فاستولى فى سنه ٢٥٦ هـ على الأيبله و قتل بها نحو ثلاثين ألف(٣). ثم هاجم فى منتصف شوال من السنه التاليه مدينه البصره. و كان القائد المكلف بحمايتها قد تهاون فى اتخاذ العده لصد هجوم الزنج(٤). فدخلوها و احرقوا المسجد الجامع و قسما من المدينه، و نهبوا ممتلكاتها، و قتلوا عددا هائلا من أهلها، و هرب الباقيون بأسوأ حال. و يقول المسعودى انهم قتلوا ثلثمائه ألف نفس من أهل المدينه(٥). فكانت هذه اول مذبحه يقوم بها الزنج.

و مما ساعد الزنج على التوسع شرقا و شمالا انشغال الجيش بمحاربه يعقوب بن الليث الذى بات يهدد العاصمه سامرا، فدخلوا

١- نفس المصدر / ٢٨.

٢- نفس المصدر / ١١٢.

٣- العبر ٢ / ١٣.

٤- الطبرى ٩ / ٤٨٤.

٥- مروج الذهب ٤ / ٢٠٧.

الاحواز فى رجب سنه ٢٥٩ هـ (١). و دخلوا مدينه واسط فى سنه ٢٦٤ (٢)، ثم صاروا الى جبل و النعمانيه و جرجرايا فهرب كثير من أهل السواد الى بغداد (٣). الا ان بعد هزيمه ابن الليث تفرغ الجيش للقضاء على الحركه فى جنوبى البلاد.

الموفق يتفرغ لحرب الزنج:

بعد أن أمن الموفق، أخو الخليفه المعتمد على الله، جانب ابن الليث، أخذ يستعد لحرب الزنج الذين استفحل أمرهم و صاروا خطرا كبيرا يهدد الخلافه بعد الانتصارات التى حققوها على الجيوش التى أرسلت لقتالهم. و بعد أن أكمل استعداداه أرسل ابنه أبا العباس أحمد فى سنه ٢٦٦ هـ الى واسط لحربهم، فقاتلهم أبو العباس فى عدد من المعارك و تغلب فيها عليهم و استرد منهم كثيرا من المواقع و الاموال و انقذ اعدادا كبيره من الاسرى و السبايا (٤).

و بهذا بدأ مد الزنج بالانحسار.

أخذ صاحب الزنج بعد أن وصلته انباء الخسائر التى حلت بجيشه، يجمع جموعا جديده يسيرها الى حرب ابى العباس.

فسار الموفق بنفسه الى حربيه فى صفر سنه ٢٦٧ هـ و نزل قريبا من واسط، و جعل جيش ابنه مقدمه لجيشه فى زحفه على قاعده صاحب الزنج. و كان أول نصر كبير حققه جيش الموفق انه هزم قائد الزنج سليمان بن موسى الشعرانى و دخل مدينه المنيعه و استنقذ زهاء خمسه آلاف امرأه سوى الزنجيات، و حملن الى واسط ليدفعن الى أوليائهن، و استولى على كل ما فى المدينه من امتعه الزنج

١- الطبرى ٩ / ٥٠٣.

٢- نفس المصدر / ٥٣٩.

٣- نفس المصدر / ٥٤٢ و ٥٤٤.

٤- نفس المصدر / ٥٦٤.

و ميرتهم، و هدم أسوارها و طم خندقها(١). ثم استولى على مدينه المنصوره، و هى معقل آخر من معاقل الزنج، و اصيب قائدهم أحمد بن مهدى الجبائى بسهم مات على أثره. و استنقذ زهاء عشره آلاف من نساء أهل واسط و صبيانهم، فاعيدوا الى ذويهم، و احتوى الجيش على ما فى المدينه من الذخائر و الاموال و الاطعمه و المواشى(٢).

بعد هذه الانتصارات استعد الموفق للهجوم على المختاره قاعده صاحب الزنج على نهر أبى الخصيب. و قبل أن يشن عليه الهجوم كتب اليه يدعوه الى التوبه و الاتابه الى الله تعالى مما ركب من سفك الدماء و انتهاك المحارم و تخريب البلدان، و يعلمه ان الأمان مبسوط له ان هو نزع عما هو عليه من الامور التى يسخطها الله، الا ان صاحب الزنج ازداد عنادا و لم يجب على الكتاب(٣). و يقال انه قتل الرسول(٤).

حاصرت جيوش الموفق مدينه المختاره فى أواخر رجب سنه ٢٦٧ هـ. و كان صاحب الزنج قد جمع قواده كافه من جميع الجهات بجيوشهم ليدافعوا عن عاصمته. فقاتلوا دونها قتالا شديدا. مما حمل الموفق على أن يقيم عسكره مقابل المختاره فى موقع سماه الموقيه، و ما لبث هذا العسكر ان صار مدينه عامره بالاسواق و أنواع التجارات، و بنى بها أبو أحمد مسجدا جامعاً، و اتخذ بها دارا لضرب الدينانير و الدراهم(٥). و قد نشط الموفق فى تشديد الحصار على قاعده صاحب الزنج الذى أخذ يطاول فى الحرب. و لما أصيب الموفق بسهم فى صدره فى جمادى الاولى لم يترك

١- الطبرى ٩ / ٥٦٦ - ٥٦٨.

٢- نفس المصدر / ٥٧٣.

٣- نفس المصدر / ٥٨١.

٤- العبر ٢ / ٤٣.

٥- الطبرى ٩ / ٥٨٥ - ٥٨٦.

مدينته الموفقيه، فعولج من جرحه حتى شفى منه. فاستأنف تشديد الخناق على صاحب الزنج فى عقر داره.

المعركه الفاصله:

كان صاحب الزنج قد قطع القناطر و الجسور التى كانت على نهر ابى الخصيب و احدث سكرًا فى النهر من جانبه و جعل فى وسط السكر بابًا ضيقًا ليحتد فيه جرى الماء فلا تستطيع السفن دخوله.

لذا رأى الموفق ضروره قلع هذا السكر فارسل عليه الجند و الفعله فالحوا عليه حتى قلعه، و فتح النهر أمام سفن الجيش. و كان للزنج مزارع فى ناحيه النهر الغربى و لهم قنطرتان على هذا النهر، فوجه الموفق ابنه العباس بجمع من شجعان جيشه، فنصب لهم الكمائن و أقام من فوهه النهر المذكور. و عند ما هم الزنج بالعبور اعترضتهم سفن أبى العباس، فقتل منهم فى النهر و على ضفتيه خلق كثير، و أسر منهم اعدادًا كبيره.

و قد وصل الى الموفق مدد كبير، اذ وصله وزيره و قائده صاعد بن مخلد من سامرا و معه جيش قدر بعشره آلاف مقاتل. كما وصل لؤلؤ قائد ابن طولون بعد ان خرج على سيده و معه جيش عظيم (١).

فوزع الموفق قواده و جيوشهم حسب الخطه التى أعدها للهجوم الاخير على صاحب الزنج و من بقى يحارب الى جانبه. فتحركت القوات من جهات مختلفه على مواقع الزنج التى ضاقت بهم فولوا منهزمين، بعد ان احتوى أصحاب الموفق مدينتهم باسرها، و اطلقوا من كان فيها من الاسرى.

و كان صاحب الزنج و ابنه و عدد من قواده قد اوغلوا فى نهر أبى الخصيب، هارين الى موضع كان صاحبهم قد وطأه ملجأً اذا

غلب على مدينته(١). فأمر الموفق بملاحقتهم، فزحفت اليهم جموع متتاليه من الجيش و اوقعت بهم. فاسر سليمان بن جامع قائد قواد الزنج، مع قواد آخرين مما فت فى عضد على بن محمد.

و لم يكف الجيش عن مطاردته حتى وافى البشير بقتله، و جاءوا الى الموفق برأسه، فخر الموفق ساجدا لله على ما أولاه و أبلاه، و سجد أبو العباس، و قواد الموفق شكرا لله. و أمر الموفق برفع الرأس على قناه و نصبه بين يديه ليراه الناس(٢).

و بذل الموفق الامان لمن يستسلم ممن بقى من الزنج المحاربين، فوافى معظمهم مستسلمين. و أمر أن يكتب الى سائر الامصار بالنداء فى أهل البصره و الابله و كور دجله، و الاحواز، و أهل واسط و ما حولها، بقتل صاحب الزنج، و ان يؤمروا بالعوده الى أوطانهم.

و قدم أبو العباس أحمد الى مدينه السلام، اذ كان الخليفه المعتمد على الله آنذاك فيها، و معه رأس على بن محمد صاحب الزنج، فدخلها لأثنتى عشره بقيت من جمادى الأولى سنه ٢٧٠هـ، فاستبشر الناس بالقضاء عليه و على حركته التى أجاج أوارها، و دامت أربع عشره سنه و أربعة أشهر و سته أيام(٣).

أسباب فشل تمرد الزنج و حركتهم:

هناك أسباب عديده تضافرت على فشل الحركه التى قادها الدعى على بن محمد. فعلى الرغم من تكاثر اتباعه سواء ممن طمع باسترداد حريره، أو بالمغانم من الاموال و السبايا، فان عدم دربتهم على فنون القتال، و ضعف قيادتهم، اضطره على أن يتبع ما

١- المنتظم ٥ / ٥٩.

٢- الطبرى ٩ / ٦٥٩ - ٦٦٠.

٣- الطبرى ٩ / ٦٦٣.

يعرف بحرب العصابات. وقد حققت له هذه الخطه قدرا كبيرا من النجاح، و لكنه تجاح موضعى موقت. فاذا ما استولى على موضع ما سرعان ما كان ينسحب أو يهرب منه. على انه بمرور الزمن أصبح من الاخطار التى تهدد كيان الدوله العربيه. و لما توجه الامير الموفق لمحاربه الزنج اتبع خطه اضطهرهم بموجبها على المواجهه و خوض المعارك الكبيره. فقد شدد الحصار على جماعات الزنج المتفرقين فى المناطق الجنوبيه من العراق و لا سيما فى البطائح و الاهوار و أطرافها مما اضطهرهم على التجمع بفوات كبيره لكى تستطيع خرق الحصار المفروض عليها، ورد الجيوش التى أخذت توالى هجومها عليها. و على الرغم من كثره الخسائر التى حلت بهذه الجيوش فانها اضطرت صاحب الزنج على خوض معارك كبيره كانت نتائجها فى معظم الحالات و بالا عليه.

و من العوامل الاخرى المهمه التى ساعدت على فشل الحركه ما رافقها من عنف الزنج و قسوتهم و تشبعهم بروح الحقد و الانتقام، مما جعل الناس ينقمون عليها و يتطوعون لمحاربتها. فضعض ذلك قوات على بن محمد مما أدى به الى الفشل، و قد انتهى بقتله كل نشاط للزنج فى جنوبى العراق.

الفصل الثانى الاضطرابات الأخرى

اشاره

واجه خلفاء سامرا اضافه الى الفتن و المؤامرات التى ذكرناها آنفا، حركات أخرى أقل شأنًا و أضعف خطرا. و هى أقرب الى أن تكون حركات تمرد و عصيان تقوم بين آن و آخر فى ولايات و أقاليم مختلفه من أنحاء الدوله العربيه المتراميه الأطراف. الا انها مع ذلك استنفدت كثيرا من الجهود للقضاء عليها، مع ما سببته من خسائر فى الارواح و الاموال.

و من المؤسف ان مصادرنا التاريخيه التى عاصر أصحابها تلك الاحداث أو جاءوا بعدها بقليل، عند ما تذكر تمردا ما أو حركه عصيان، لا تهتم بأسبابها و لا تتحوى العوامل التى أدت اليها و الظروف التى كانت تحيط بها بقدر ما تركز من اهتمام بتوجيه العساكر اليها و اخضاعها و وصف ما يرافق ذلك من قسوه و بطش.

و يرجح ان ذلك ناشىء من الاعتقاد بأن الخروج على الخلافه غير جائز شرعا. و لذا فلا داعى لمعرفه أسبابه. أما الاهتمام بالقضاء على تمرد ما و ما يتبع ذلك من تقتيل و حرق و نهب، فيظهر انه تهديد للاخرين و تحذيرهم من سوء المصير اذا ما أقدموا على أمر مماثل.

سوف نتناول في هذا الفصل حركات التمرد و العصيان التي قامت ضد خلفاء سامرا بحسب تسلسلها التاريخي لكي تعطينا صورة عن جانب من الاوضاع الداخليه للدوله العربيه حينذاك.

كما سنفرد بحثا خاصا بكل حركه من حركات الخوارج لاختلاف طبيعه خروجهم على الخلافه، و الفتن التي قامت في ارمينيه و اذربيجان لتعددها على فترات متقاربه.

١- تمرد الزط:

تسلل الى منطقه البطائح في جنوبي العراق قبل الفتح العربى بعض القبائل الهنديه عرفت بالزط. و قد هاجروا من مواطنهم في الهند لغلاء وقع هناك فتنقلوا في بلاد كرمان و الاهواز الى أن صاروا الى هذه المواضع(١). و يعتبرهم ابن خلدون انهم اخلاط من الناس(٢). و الواقع انهم أصبحوا كذلك بعد أن التجأ اليهم عدد من اللصوص و قطاع الطرق و العبيد الفارين. و هناك قول بأن الحجاج الثقفى عند ما كان واليا على العراق أتى بخلق من زط السند و اصناف ممن بها من الامم و معهم أهلوهم و أولادهم و جواميسهم، و اسكنهم باسافل كسكر فغلبوا على البطيحه و تناسلوا بها(٣). و ان محمد بن القاسم هو الذى حملهم من السند الى العراق(٤).

عاش الزط في منطقه البطائح بعزله عن بقية السكان، و احتفظوا بعاداتهم و تقاليدهم الغريبه و بطراز معيشتهم و لباسهم.

و على الرغم من حسن معامله العرب لهم، و خاصه بعد الفتح العربى، لم يلبثوا ان اصبحوا عنصر فتنه و فساد، فالتجأ اليهم اباق العبيد و الهاربين من وجه السلطه، و اخذوا ينتهبون الغلات الزراعيه من

١- التنبيه و الاشراف / ٣٠٧.

٢- تاريخ ابن خلدون / ٣ / ٥٤٦.

٣- فتوح البلدان / ٣٦٨.

٤- نفس المصدر / ١٦٦.

البيادر. و عند ما نشبت الحرب الاهليه بين الخليفه الامين و أخيه المأمون، اغتتموا فرصه ضعف السلطه فخرجوا عليها. و اخذوا يقطعون طريق البصره بالسلب و الاعتداء، فتحامى الناس عن الاجتياز بهم. و انقطع عن بغداد ما كان يحمل اليها من البصره بالسفن، فاشتد امرهم على الناس. فلما استقر المأمون ببغداد حاول تأديبهم، فارسل فى سنه ٢٠٥ هـ عيسى بن يزيد الجلودى لمحاربتهم(١). ثم بعث فى السنه التاليه حملة أخرى بقيادة داود بن ماسجور(٢). الا انه فشل فى التغلب عليهم لصعوبه تعقيبهم فى أهوار البطائح.

و لما استخلف المعتصم بأنه قرر ان يقضى على عبثهم بصرامه.

فوجه اليهم أحمد بن سعيد الباهلى فهزموه(٣). فبعث اليهم فى منتصف سنه ٢١٩ هـ جيشا بقيادة عجيف بن عنبسه الذى اتبع فى محاربتهم خطه تقوم على سد منافذ الطرق النهريه و محاصرتهم.

فضيق عليهم الخناق قرابه سته شهور حتى اضطرهم على الاستسلام.

و كان الخليفه هو الذى أمره باتباع هذه الخطه فى حربهم(٤). و مما يدل على اهتمام المعتصم بالله بامر الزط انه أمر عجيفا بترتيب الخيل فى كل سكه من سكه البريد لتركض بالاخبار، فكان الخبر يخرج من عند عجيف فيصل الى المعتصم بالله فى يومه(٥).

و كان برأس الزط محمد بن عثمان و قد اسقط فى يده بعد أن حاصرهم عجيف، فطلب الامان على دمائهم و أموالهم، فامنهم عجيف، و حملهم فى السفن و جاء بهم الى بغداد. و كان عددهم

١- الطبرى ٨ / ٥٨٠. و الكامل ٦ / ٣٦٢.

٢- الطبرى ٨ / ٥٨١. و الكامل ٦ / ٣٧٩.

٣- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٢.

٤- فتوح البلدان / ٣٦٩.

٥- نفس المصدر، و الطبرى ٨ / ٨، و الكامل ٦ / ٤٤٣.

حوالى سبعة و عشرين ألفا بين رجل و امرأه و صبى، و عدد المقاتله منهم اثنا عشر ألفا(١). و يصف لنا الطبرى كيفيه عرضهم على الخليفه الذى رغب فى مشاهدتهم بازياهم. اذ عبأهم عجيف فى زواريقهم على هيئتهم فى الحرب، معهم البوقات، و دخل بهم بغداد يوم عاشوراء من سنه ٢٢٠ هـ و المعتصم بالله عند الشماسيه فى سفينه كبيره من نوع الزو، فمر به الزط على تعبئتهم ينفخون بالبوقات.

فكان أولهم بالقص و آخرهم بحذاء الشماسيه، و اقاموا فى سفنهم ثلاثه أيام، ثم عبر بهم الى الجانب الشرقى فدفعوا الى بشر بن السميدع فذهب بهم الى خانقين، ثم نقلوا الى عين زربه(٢). و هى احدى الثغور الشاميه، و يظهر ان نقلهم اليها كان تقويه لحاميتها.

و يقول البلاذرى ان عجيفا أخذهم جميعا و قدم بهم بغداد فى الزواريق، فجعل بعضهم بخانقين و فرق سائرهم فى عين زربه و الثغور(٣). و يؤيد هذا ما ذكره المسعودى بأنه انزلهم بلاد خانقين و جلولاء من طريق خراسان، و بلاد عين زربه من الثغر الشامى(٤). و قد قضت الهجمات البيزنطيه على الثغور العريه على القسم الاكبر منهم.

٢- تمرد جعفر الكردى:

عصى فى الموصل أحد زعماء الاكراد اسمه جعفر بن مهرجش(٥) فى سنه ٢٢٦ هـ و تبعه عدد كبير من الاكراد و غيرهم ممن كانوا يتذمرون من تعسف الولاة. فولى المعتصم بالله عبد الله بن السيد بن انس الأزدي على الموصل و أمره بالقضاء على تمرد جعفر و اتباعه. و كان جعفر قد استولى على مدينه الموصل و الجبال

١- الطبرى ٩ / ١٠.

٢- نفس المصدر.

٣- فتوح البلدان / ١١٨.

٤- التنبيه و الاشراف / ٢٠٧.

٥- الطبرى ٩ / ١١٨، و الكامل ٦ / ٥٠٧ و فيه اسمه جعفر بن فهرجس، و مثل هذا جاء اسمه فى تاريخ ابن خلدون - ٣ / ٥٧٦.

القريبه منها، فقاتله عبد الله و أخرجه من الموصل. فلجأ جعفر مع أتباعه الى أحد الجبال المنيعه. و لما تبعه جيش عبد الله استظهر عليه جعفر لمعرفته بتلك المواضع الجبلية، و اعتياد اتباعه على القتال فيها. فهزم عبد الله و قتل كثير من أفراد جيشه، و كاد أن يقضى عليه، الا ان أحد قواده استطاع ان يشاغل اتباع جعفر عن أصحابه من جيش عبد الله مما سهل لهم الانسحاب و النجاه.

و لما علم الخليفه بفشل حمله عبد الله بن انس و تمزق جيشه، وجه في المحرم من سنه ٢٢٧ هـ القائد ايتاخ على رأس حمله لقتال ابن مهرجش. فالتقى ايتاخ بالتمردين، و استطاع بعد عدة معارك أن يتغلب عليهم و يمزق شملهم. فتفرق من بقى من اتباع جعفر عنه، و وثب به أحد أصحابه فقتله (١). فواقع ايتاخ باتباعه و لاحقهم و أكثر فيهم القتل و السبي. ثم حشد الاسرى و النساء و الاموال و حمل ذلك الى تكريت (٢).

٣- خروج المبرقع اليماني:

من الحوادث المهمه التي حدثت في السنه الاخيريه من عهد المعتصم بالله، و كانت من نتائج تعاظم سلطه الجند الاتراك، و عدم مراعاتهم حقوق الناس و تعديهم على حرياتهم، ظهور ثائر في جبال الأردن هو أبو حرب تميم اللخمي، و قد عرف بالمبرقع اليماني.

و هو رجل من أهل فلسطين اشتهر بالشجاعه و شده البأس. و قد ثار على السلطه عند ما حاول أحد الجنود الاتراك النزول في داره و هو غائب، فمانعته امرأه كانت في البيت فضربها و اغلظ لها الكلام.

١- الطبرى ٩/ ١١٨، و الكامل ٦/ ٥٠٧، و فيه: قيل ان جعفرا شرب سما كان معه فمات.

٢- الطبرى ٩/ ١١٨.

فلما عاد أبو حرب شكت إليه الأمراء سوء معاملته الجندی التركي، لأن العرب لم يألفوا نزول الجند قسرا في بيوتهم. فاخذ سيفه و بحث عن الجندی، فوجده و قتله. ثم هرب من ملاحقه السلطه و قصد أحد جبال الاردن و أقام مختفيا. و قد جعل على وجهه برقعاً لئلا يعرف (١). و كان يظهر في النهار متبرقعاً، فاذا جاءه أحد أمره بالمعروف و نهاه عن المنكر، فاذا استجاب له ذكر الخليفه و ما يأتيه من الاعمال القبيحه و يعيبه عليها (٢). فاستجاب له جماعه من فلاحى تلك الناحيه و القرى القريبه منها، رغبه فى التخلص من أوضاعهم الاقتصادية و المعيشيه السيئه.

و زعم المبرقع انه أموى، و لعل ذلك كان سبب تخوف السلطه من توسع دعوته، لا سيما اصحابه زعموا انه السفينانى (٣). و كان ممن استجاب الى دعوته جماعه من رؤساء اليمانيه انتصارا له و عصبية لانه من اليمانيين، منهم زعيم يقال له بيهس و كان مطاعا فيهم، و رجلان آخران من أهل دمشق (٤). مما جعل الخليفه المعتصم بالله يهتم بأمره، فسير اليه القائد رجاء الحضارى فى زهاء الف من الجند. فلما اتاه رجاء وجد جماعته يزيدون على مائه ألف، فتحاشى الاصطدام بهم. و لقله خبره المبرقع العسكريه فانه لم يبادر الى مهاجمه الجيش الذى قدم لتأديبه. و قد عسكر رجاء بعيدا عنه و اخذ يشاغله و يطاوله حتى آن وقت الزرع فانصرف من كان مع المبرقع من الفلاحين الى أراضيهم، و لم يبق معه الا قرابه الالفين. و نظرا لقله معرفتهم بشؤون الحرب فقد استطاع رجاء الحضارى ان يفل جمعهم بسهولة. و يقول مسكويه: فتأمل رجاء عسكر المبرقع فلم يجد فيه من له فروسيه غيره، فقال لاصحابه لا

١- نفس المصدر / ١١٦، و تجارب الامم ٥٢٧ / ٦، و العيون و الحدائق ٣ / ٤٠٨.

٢- الطبرى ١١٦ / ٩، و تجارب الامم ٥٢٧ / ٦، و الكامل ٥٢٢ / ٦.

٣- نفس المصادر.

٤- الكامل ٥٢٢ / ٦، و الطبرى ١١٦ / ٩.

تعجلوا عليه فانه سيظهر لأصحابه بعض ما عنده. فما لبث المبرقع ان حمل، فقال رجاء لأصحابه: افرجوا له. فأفرجوا له، ثم حمل ثانيه. فقال رجاء: افرجوا له، فاذا اراد الرجوع فحولوا بينه وبين ذلك و خذوه. فافرجوا له، ففعل ذلك، و احاطوا به فانزلوه عن دابته، و اسره رجاء و حمله الى الخليفه بسامرا(١).

و لما قدم رجاء بأبي حرب على المعتصم بالله عاتبه على تلكؤه فى حربته.

فاوضح رجاء للخليفه ان سبب ذلك هو قله جنده و كثره اتباع المبرقع، و كلهم من حراثى تلك الناحيه، و لذلك فقد تمهل حتى قل عدد اتباعه لما انصرف أكثرهم الى عملهم فى المزارع و وجد الفرصه لحربه و التغلب عليه(٢).

و يستدرك الطبرى فيقول ان هناك من يزعم بان خروج المبرقع اليماني كان فى سنه ٢٢٦ هـ بالرملة، و قالوا انه سفيانى. فصار فى خمسين ألفا من أهل اليمن و غيرهم. و قد ناصره ابن بيهس و آخران معه من رجال دمشق. فسار اليهم رجاء الحضارى و واقعهم بدمشق فتغلب عليهم و اخذ ابن بيهس اسيرا. ثم اتجه الى مقاتله أبى حرب، فقتل عددا كبيرا من أصحابه و أسره و حمله الى سر من رأى، حيث جعل هو و ابن بيهس فى المطبق(٣).

و ما ذكره ابن خلدون يقرب مما استدركه الطبرى، اذ جاء فيه، انه بينما كان رجاء و جيشه يعسكرون قبالة اصحاب المبرقع ينتظرون أوان الزراع، توفى المعتصم بالله. و كانت الفتنة قد ثارت بدمشق، فأمر الواثق بالله رجاء ان يقضى على هذه الفتنة أو لا ثم يعود لحرب المبرقع. ففعل رجاء بأمر الواثق بالله فقاتل ثوار دمشق و هزمهم، و اصلح أمر دمشق، و رجع الى قتال المبرقع فاخذه

١- الطبرى ١١٧/٩، و تجارب الامم ٥٢٧/٦.

٢- الطبرى ١١٧/٩.

٣- نفس المصدر/ ١١٨.

أسيرا و ابن بيهس معه (١). و اذا صحت هذه الروايه، فان ما ذكره الطبرى عن معاتبه المعتصم بالله قائده، يصبح من الاخبار الموضوعه، أو أن يكون الواثق بالله هو الذى عاتب القائد المذكور.

٤- تمرد القبائل العربيه:

تمرد القيسيين فى دمشق:

كان بعض زعماء اليمانيه و عدد من أهل دمشق و على رأسهم ابن بيهس الذى كان ذا نفوذ فى قومه، قد استجابوا لدعوه المبرقع اليماني الذى تمرد على الدوله فى فلسطين. و قد يكون لعامل العصبية القبليه تأثير فى انتصارهم له. و قد سبقت الاشاره الى أسباب تمرده و الى توسع دعوته. و خرج ابن بيهس اثر وفاه المعتصم بالله فى عدد كبير من بطون قيس بدمشق، و حاصر أميرها أبا المغيث الرافقى. فبعث الواثق بالله القائد رجاء الحضارى لاختماد ثورته. فقدم رجاء دمشق و رأى ثوارها يعسكرون بمرج راهط، فنزل بدير مران و دعاهم الى الطاعه، فلم يرجعوا عن غيهم فقاتلهم و هزمهم و قضى على تمردهم (٢).

تمرد بعض القبائل العربيه:

و تمرد عدد من القبائل العربيه التى تقع منازلها قرب المدينه المنوره، منهم بنو سليم و بنو هلال و بنو مره، و هم من أقوى القبائل العربيه. فكانوا يعتدون على الناس و يغتصبون أموالهم. و عند ما هاجم بنو سليم جماعه من كنانه و باهله و قتلوا بعض أفرادهما وجه اليهم أمير المدينه محمد بن صالح بن العباس ثله من الجند، الا انهم

١- تاريخ ابن خلدون ٣ / ٥٧٢ - ٥٧٣.

٢- راجع عن تمرد القيسيين: الكامل ٦ / ٥٢٨ - ٥٢٩.

استعدوا للقائها و قطعوا الطريق بين مكة و المدينة و نهبوا القرى و المناهل، حتى تخلف الناس عن الحج. و نصبوا رجلا من سليم يقال له عزيزه الخفاجى و سلموا عليه بالخلافه(١). فكان ذلك و لا شك محاوله للخروج على الخلافه العباسيه و الانفصال عنها اذا ما نجحت. فبادر الواثق بالله و وجه فى سنه ٢٣٠ هـ حمله على رأسها القائد التركى بغا لاختصاعهم. فهاجمهم بغا و تمكن من دحرهم، فدعاهم الى الامان فاستسلم أكثرهم. و لكى يأمن تمردهم ثانيه احتبس من وصف منهم بالشر و الفساد و سجنهم فى المدينه المنوره(٢).

و كان فيهم عزيزه بن القطاب. فلما انقضى موسم الحج استطاع بغا ان يجبر بنى هلال أيضا على الاستسلام، و احتبس من أشرارهم عددا سجنهم فى المدينه المنوره كذلك.

و قد حاول المسجونون الهرب فنقبوا السجن، و قتلوا الحرس و اخذوا سلاحهم. فلما علم بهم اهل المدينه أحاطوا بهم و قاتلوهم حتى قضوا عليهم. و كان عزيزه بن القطاب قد فك قيوده و جعل يقاتل بها و يرتجز قائلا(٣):

لا بد من زحم و ان ضاق الباب انى انا عزيزه بن القطاب

للموت خير من العاب هذا و ربي عمل للبواب

حتى قتل فأمر به أمير المدينه المنوره فصلب(٤).

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٠.

٢- الطبرى ٩ / ١٣٠ - ١٣١، و تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٠.

٣- الطبرى ٩ / ١٣٣.

٤- النجوم الزاهره ٢ / ٢٥٦ - ٢٥٧.

و كان القائد بغا قد توجه نحو قبائل بني مره و فزاره الذين كانوا قد استولوا على مدينه قذك، و استطاع ان يخضعهم و يأسر عددا كبيرا منهم.

و تمردت قبائل بني نمير فى اليمامه فى سنه ٢٣٢ هـ و عاثت فسادا. فأمر الواثق بالله القائد بغا ان يتوجه اليها بجيشه لتأديبها. فلقبها و حاربها فى معارك متعدده حتى تغلب عليها. و لما تم اخضاع جميع القبائل المتمرده قفل عائدا الى بغداد، و طلب الى أمير المدينه المنوره ان يلحق به بمن معه من الاسرى. فلقبه ببغداد و سارا جميعا الى سامرا و معهما من الأسرى ما يزيد على الألفى رجل من مختلف تلك القبائل التى تمردت. و بذلك قضى على حركات تمرد القبائل العربيه.

ان استمرار هذه الاضطرابات المحليه طيله السنوات ٢٢٨-٢٣٢ هـ، أى طيله خلافه الواثق بالله، بين القبائل العربيه فى الحجاز و اليمامه لا بد و ان تكون لها أسباب دفعت تلك القبائل الى التمرد و الخروج على السلطه الى حد انها تسمى خليفه لها. الا ان مراجعنا التاريخيه لا تشير الى تلك الاسباب، و انما اكتفت بذكر حشد الجيوش لا خمادها و نجاحها فى القضاء عليها. أى ان أخماد تلك الاضطرابات لم يتم بالقضاء على أسبابها و معالجه دوافعها التى قد تكون اقتصاديه او سياسيه، و انما اخضعت بقوه السيف التى تمثلت بحشود الجند التى كانت قاسيه فى قتالها تلك القبائل.

و يقول الطبرى ان المتمردين كانوا يرددون حين هاجمهم بغا:

يا بغيه الخير و سيف المنتبه و جانب الجور البعيد المشتبه

من كان منا جانبا فلست به أفعل هداك الله ما أمرت به

فقال بغا: انما امرت ان اقتلكم(١).

٥- تمرد قبائل البجه

٥- تمرد قبائل البجه (١)

البجه قبائل بدويه كانت تسكن شرقي بلاد النوبه ما بين نهر النيل و بحر القلزم. و بين أرض النوبه و البجه جبال منيعه. و فى بلادهم معدن الذهب و الزبرجد (٢). و هم ينزلون خياما من الجلود، و ينتفون لحاهم، و ينزعون فلک ثدى الغلمان لثلا يشبه ثديهم ثدى النساء، و غالب طعامهم الذره، و هم يركبون الابل و يحاربون عليها، و يرمون بالحرا ب فلا يخطئون (٣). و هم يقاسمون من يستخرج المعادن النفيسه من أرضهم، و يؤدون الى عمال مصر فى كل سنه أربعمائه مثقال من التبر (٤). و خمسائه نفر من العبيد و الجوارى مع عدد من البخت البجاويه و زرافتين و فيلين (٥). و قد توقفوا عن دفع ذلك فى سنه ٢٤٠ هـ و لعدده سنوات، و منعوا من كان يعمل من العرب فى استخراج الذهب و الجواهر، كما اخذوا يغيرون على أراضي مصر و ينتهبون بعض قرى الصعيد مثل اسنا و ادفو (٦).

و كتب والى مصر عنبسه بن اسحاق الى الخليفه المتوكل على الله بتمرد البجه و اعتداءاتهم، فانكر الخليفه الامر. الا ان بعد بلادهم الصحراويه عن العمران جعله يتردد فى توجيه حمله عسكريه لتأديبهم. فشاور فى أمرهم أرباب الخبره بمسالک تلك البلاد، فعرفوه انهم أهل باديه و ان الوصول الى بلادهم و منه برارى و مفاوز موحشه معطشه، و انهم متى ما طرقتهم طارق استنجدوا بقبائل

١- كذا وردت فى الطبرى و فى مختلف المصادر ما عدا فى الكامل ٧ / ٧٧ فهى: البجاه.

٢- مختصر كتاب البلدان / ٥٩ و ٧٨.

٣- كتاب البلدان / ٣٣٦.

٤- الطبرى ٩ / ٢٠٦.

٥- النجوم الزاهره ٢ / ٢٩٥.

٦- الكامل ٧ / ٧٧. و النجوم الزاهره ٢ / ٢٩٥.

الاحباش المتصله على شواطىء النيل حتى بلاد الزنج(١). فبلغ الامر محمد بن عبد الله، و كان من القواد الذين يتولون خفاره الحجاج أكثر السنين، فحضر الى الفتح بن خاقان و عرض عليه انه اذا ما أمر الخليفه عامل مصر بتجهيزه كما يريد عبر الصحراء الى بلاد البجه. فلما عرض الفتح ذلك على المتوكل على الله أمر بتجهيزه بسائر ما يحتاج اليه و تقدم الى عنبسه ان يمده بالرجال و الخيل و الجمال و ما يحتاج اليه من الميره و السلاح و الاموال(٢).

فخرج اليهم محمد بن عبد الله من مصر و قد انضم اليه عدد كبير من المتطوعين ممن كانوا يعملون فى استخراج المعادن، بحيث صار عدد جيشه نحو من عشرين ألف مقاتل بين فارس و راجل.

كما سير بنفس الوقت سبعة مراكز موقره بالمؤونه من الدقيق و التمر و الزيت و الشعير و السويق فى بحر القلزم. و امر بعض أصحابه أن يرافقوا هذه السفن لتوافيه فى ساحل البحر عند عيذاب من أرض البجه. و قد أعدها احتياطا لاحتمال عدم امكان حصول جيشه على الطعام هناك.

و لما وصل محمد بجيشه الى حصون البجه خرج اليه ملكهم، و اسمه على بابا، فى جيش كثيف و سلاحهم الحراب و المزاريق و أكثرهم على الجمال و هى على غايه من النفرة و الشراسه. و لما قارب البجه عسكر محمد رأوا ان لا- قبل لهم بهم لكثره عددهم و كمال عدتهم. فعزم ملكهم على مطاولتهم فى الحرب حتى تفنى ازوادهم و تضعف خيولهم فيسهل التغلب عليهم. فاخذ يراوغ بجيشه و يستطرد أمام جيش محمد. الا ان وصول مراكز المؤونه الى جيش محمد أفسد خطه على بابا الذى أيقن ان المدد لا ينقطع من

١- النجوم الزاهره ٢ / ٢٩٦.

٢- النجوم الزاهره ٢ / ٢٩٧.

جبهه الساحل، لا سيما و ان محمدا كان قد شدد الحراسه عليها كى لا تستولى عليها جموع البجه. فصمم على الاشتباك بجيش محمد.

و راي محمد بن عبد الله ان يربك جيش البجه ليضعف من أهميه كثره عددهم فجمع اجراس الابل و الخيل التى فى جيشه و جعلها فى اعناق خيل المقدمه، و أمر بضرب الطبول و نفخ الابواق ساعه الحمله. و عند ما حمل على البجه نفرت ابلهم من الاصوات الصاخبه و اشتد رعبها، فولت الادبار و تساقط عن ظهورها اكثر ركابها. فارتبك جيش على بابا و داس بعضه بعضا. فتبعهم جيش محمد و أوقع بهم قتلا و أسرا. فلما رأى ملك البجه ذلك و ايقن بالهزيمه طلب الامان. فاجابه محمد الى طلبه بعد أن أدى ما عليه من الخراج و غيره عن السنوات التى كان ممتنعا فيها عن الاداء.

و أخذه محمد أسيرا الى سامرا، فوصلها فى أواخر سنه ٢٤١ هـ.

و لما مثل على بابا بين يدى المتوكل على الله أمره الحاجب بتقبيل الأرض فامتنع، فعزم الخليفه على أن يأمر بقتله، و خاطبه على لسان الترجمان: انه بلغنى ان معك صنما من حجر اسود تسجد له كل يوم مرتين، فكيف تتأبى على تقبيل الارض بين يدى، و بعض غلمانى قد قدر عليك و عفا عنك؟ فلما سمع على بابا كلامه قبل الارض ثلاثا، فعفا عنه و خلع عليه و على أصحابه، و سمح له بالعوده الى بلاده(١).

و كان قد وقف بباب العامه بسامرا سبعون من البجه على ابلهم و قد رفعوا على حرابهم رؤوس عدد ممن قتل من عسكرهم فى الحرب. و قد ولى الخليفه على البجه و الطريق بين مكه و مصر سعدا الخادم، فولى هذا محمد بن عبد الله خليفه عنه، فخرج محمد عائدا بعلى بابا الى بلاده(٢).

١- النجوم الزاهره ٢ / ٢٩٩.

٢- الطبرى ٩ / ٢٠٦، و الكامل ٧ / ٧٩.

٤- الاضطرابات فى أرمينية:

إشارة

كان المأمون قد ولى خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى على أرمينية، فخالط بطارقتها، أى أمراءها المحليين - و قبل هداياهم، مما جرأهم على من جاء بعده من العمال(١). وبقى خالد فى منصبه هذا الى أيام المعتصم بالله، فولى بدلا عنه الحسن بن على الباذغيسى المعروف بالمأمونى. فأهمل شؤون البطارقة و لان لهم فازدادوا فسادا على الدوله(٢). و قد ولى المعتصم بالله بعده عددا من الولاة لم يتمكنوا من السيطرة على المنطقه. و كان اخرهم على بن الحسين بن سباع القيسى. فاستضعفه الامراء المحليون حتى سموه اليتيم لضعفه و مهاتته(٣). فاعاد المعتصم بالله خالد بن يزيد الشيبانى الى الولاية على أرمينية و ديار ربيعه. فلما بلغ خبره البطارقة خافوه و عملوا على العصيان عليه، و قد تحصن كل منهم فى قلعتة. مما اضطر الخليفه على رد خالد، و اعاده الوالى السابق على بن الحسين.

و كانت رواتب الجند قد تأخر دفعها لقله الجبايه فشغبوا مطالبين بارزاقهم، فطالب الوالى أهل البلاد بدفع ما عليهم من الخراج، فامتنعوا عن الدفع و ثاروا به و حاصروه، مما اضطر الخليفه على أن يبعث القائد حمدون بن على بن الفضل ليتولى مساعده الوالى فى اخضاع الولاية(٤).

ثم اضطربت أرمينية فى عهد الواثق بالله و تحرك بها بعض البطاركة و العرب و تغلبوا على نواحيهم. فولى الخليفه خالد بن يزيد الشيبانى الولاية عليها و ضم اليه بعض الكور من ديار

١- فتوح البلدان / ٢١٢.

٢- فتوح البلدان / ٢١٢، و مختصر كتاب البلدان / ٢٩٤.

٣- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٥.

٤- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٥.

ربيعه، فسار اليها في جيش كثيف. فلما بلغ المتغلبين امره خافه أكثرهم وكتبوا اليه يعلنون طاعتهم وارسلوا اليه الهدايا، فرفضها وطلب ان يأتي بها مرسلوها بانفسهم، وذلك ليختبر ولاءهم وطاعتهم. وطلب الى اسحاق بن اسماعيل العامل على تفليس، و كان من جملة المتغلبين يأمره بالقدوم اليه، فلم يفعل. فزحف اليه، الا ان الموت عاجله قبل ان يصل اليه. فولى الخليفة محمد بن خالد مكان أبيه. و لما كان أصحاب أبيه قد انصرفوا عند موته فقد طلب الى الخليفة ان يمدده. فسير اليه القائد أحمد بن بسطام الذي ساعده في جمع أصحاب أبيه و مواليه، و في محاربه قسم من المتغلبين و اخضاعهم، مما ساعده على ضبط شؤون الولاية.

عصيان ابن البعيث في اذربيجان:

كان محمد بن البعيث من جملة المتغلبين على بعض نواحي اذربيجان، فقاتله عاملها فظفر به و أسره و حمله الى سامرا فسجن فيها. الا- انه ما لبث ان هرب في سنة ٢٣٤ هـ و عاد الى منطقته مرند، و جمع اليه اتباعه من ربيعه و غيرهم، و اعلن الخلاف و العصيان، ثانيه. و لم يستطع والى اذربيجان محمد بن حاتم بن هرثمه ان يظفر به. فولى المتوكل على الله حمدويه بن الفضل السعدي على اذربيجان و وجهه من سامرا على البريد(١). فلما وصل الى مقر عمله زحف الى ابن البعيث و الجأ الى مدينه مرند. و كان ابن البعيث قد حصنها و جمع فيها ما يحتاجه من آله و مؤونه للحصار.

فاقام حمدويه على حصاره زمنا دون جدوى لمتانته أسوار المدينه و قوه حاميتها. فوجه الخليفة اليه قائدا اخر لمساعدته، فلم يفلح في فتح المدينه. فسير الخليفة القائد بغا الشرابي في أربعة آلاف من الجند الأتراك و المغاربه. فلما قرب بغا من مرند حاول ان يستميل.

١- الطبري ٩ / ١٦٥، و الكامل ٧ / ٤٢.

بعض أصحاب ابن البعيث، فارس بن عيسى بن الشيخ بن السليل الشيباني(١). و معه امان لوجوه المدينة و لابن البعيث نفسه، على أن ينزلوا على حكم أمير المؤمنين الخليفة، و الا- فانه سيقاتلهم، و ان ظفر بهم لم يستبق احدا منهم، و كان عامه من مع ابن البعيث من ربيعه قوم عيسى بن الشيخ، فخرج اليه عدد كبير منهم(٢). ثم فتحت المدينة أبوابها فدخلها الجيش، و حاول ابن البعيث الهرب فلحقه بعض الجند و أخذوه أسيرا، و انتهب الجند منزله و منازل أصحابه و أهل المدينة ممن لم يستأنوا.

و قدم بغا الشرايبي الى سامرا في شوال سنة ٢٣٥ هـ بابن البعيث مع أخوين له واحد أبناؤه، و كانوا خرجوا بأمان، مع عدد من الاسرى. و قد حملوا على الجمال ليراهم الناس. فأمر المتوكل على الله بحبسهم. و ذكر انه لما أتى المتوكل على الله بمحمد بن البعيث أمر بضرب عنقه، و قبل ان يقتله السيف سأله الخليفة عما دعاه الى ما صنع، فقال: الشقوه، و انت الحبل الممدود بين الله و بين خلقه، و ان لى فيك لظنين اسبقهما الى قلبى أولاهما بك و هو العفو، ثم اندفع يقول(٣):

أبى الناس الا انك اليوم قاتلى أمام الهدى و الصفح بالناس أجمل

و هل أنا الا جبله من خطيهو عفوكم من نور النبوه يجبل

فانك خير السابقين الى العلا و لا شك ان خير الفعالين تفعل

فقال الخليفة لبعض أصحابه: ان معه لأدبا. فقال: بل يفعل أمير المؤمنين خيرهما و يمن عليه. فأمر برده فحبس مقيدا. و قيل

١- فى الكامل ٧ / ٤٢ ابن السليل، و فى المختصر فى اخبار البشر ٢ / ٤٤ ابن السليكم.

٢- الطبرى ٩ / ١٦٥، و الكامل ٧ / ٤٢.

٣- الطبرى ٩ / ١٧٠، و الكامل ٧ / ٤٧-٤٨ و فيه آخر البيت الاول: بالمرء أجمل.

ان المعتز شفع فيه الى أبيه فعفا عنه(١). و لم يلبث ابن البعث ان مات فى السجن بعد وصوله سامرا بشهر واحد.

خروج أرمينية فى سنة ٢٣٧ هـ:

عين المتوكل على الله القائد أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى على أرمينية و اذربيجان، فعسكر بكرخ فيروز متأهبا للخروج الى ولايته. الا انه توفى فجأه فى أوائل شوال سنة ٢٣٦ هـ. فولى الخليفة ابنه يوسف، فشخص الى ارمينية و استطاع ان يضبطها.

و عند ما خرج بقراط بن آشور، و هو بطريق البطارقة، يطلب الاماره على الولاية فى سنة ٢٣٧ هـ استطاع يوسف ان يظفر به فقيده و بعث به الى سامرا، فاثار عمله هذا عددا من البطارقة فاعلنوا عصيانهم على الوالى، و تحالفوا على قتله، و قد انضم اليهم اسحاق بن اسماعيل عامل تفليس. و صادف موسم سقوط الثلج فى طرون، و هى المدينة التى كان فيها يوسف الثغرى، فحاصروه، فقاتلهم الا- انهم تغلبوا عليه و قتلوه، كما قتلوا كل من قاتل معه من أهل المدينة، و أما من لم يقاتل معه قالوا له: انزع ثيابك و انج بنفسك عريانا، ففعلوا و مشوا حفاة عراه فهلك أكثرهم من البرد، و سقطت أصابع كثير ممن نجا منهم، و كان ذلك فى رمضان(٢). ثم تغلبوا على عمال بقيه النواحي فقتلوهم.

لما بلغ المتوكل على الله خبر خروج البطارقة و قتلهم يوسف بن محمد و عماله وجه بغا الشرابى الى ارمينية طالبا بدم يوسف.

فسار اليهم بغا بجيش كبير و حارب قتله يوسف فظفر باكثرهم، و قتل زهاء ثلاثين ألفا من أهل أرمينية و سبى منهم خلقا كثيرا(٣).

ثم توجه بغا الى تفليس للقبض على عاملها الثائر اسحاق بن

١- الطبرى ٩ / ١٧١، و الكامل ٧ / ٤٨.

٢- الطبرى ٩ / ١٨٧، و الكامل ٧ / ٥٨.

٣- الطبرى ٩ / ١٨٨، و الكامل ٧ / ٥٨ - ٥٩.

اسماعيل. و أمر قائده زيرك التركي بمهاجمه المدينه، فخرج اسماعيل الى محاربتة. و كان بغا يقف على تل مطل على المدينه يراقب المعركه، فلما رأى خروج اسحاق بعث النفاطين فضربوا المدينه بالنار، و كان أكثر بيوتها من خشب الصنوبر فالتهمتھا النيران. فعاد اسحاق الى المدينه ليعالج أمر الحريق فاحاط به الجند و أخذوه أسيرا فضرب بغا عنقه و سير رأسه الى الخليفه بسامرا. و احترق بالمدينه نحو خمسين ألف انسان، و أسر الجند من بقى حيا فيها، و سلبوا الموتى (١).

ثم وجه بغا جيشه لتأديب بقيه العصاه من البطارقه، ففتح قلعه الجردمان (٢)، و هى بين بردعه و تفليس و اخذ بطريقها اسيرا. كما استطاع ان يخضع البيلقان و أران و يأسر أصحابهما من البطارقه. و بذلك قضى على حركه العصيان و التمرد الذى كان قد عم أغلب أنحاء أرمينيه. الا ان اليعقوبى يذكر ان بغا زحف الى الصناريه فحاربهم فهزموه فانصرف عنهم، و تتبع من كان أعطاهم الامان فأخذ بعضهم، و هرب جماعه و كاتبوا صاحب الروم و صاحب الخزر و صاحب الصقالبه، فاجتمعوا فى خلق عظيم، فكتب بغا بذلك الى المتوكل على الله، فندب للبلد محمد بن خالد بن يزيد الشيبانى، فلما قدم ارمينيه جدد الامان للثائرين فسكنوا (٣).

مما يلفت النظر تعدد الفتن التى قامت فى أرمينيه و اذربيجان.

و يظهر ان السياسه التى انتهجتها الدوله العرييه فى تلك المناطق، فى الابقاء على الامراء المحليين بمراكزهم طالما كانوا مواليين للدوله، كانت نتيجتها ان تمسك هؤلاء الامراء بسلطاتهم التى غدت مشروعه باعتراف الدوله بها. و كانوا يسخطون لأى تدخل من الولاه فى شؤونهم، لا سيما اذا كان اولئك الولاه ضعفاء.

١- الطبرى ٩/ ١٩٢-١٩٣، و الكامل ٧/ ٦٧.

٢- الطبرى ٩/ ١٩٣، و الكامل ٧/ ٦٨، و جاء فيه اسم لقلعه الحرزمان.

٣- تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٩٠.

و الواقع ان بطارقه ارمينيه كانوا شبه مستقلين فى اماراتهم. فاذا قدم عليهم وال داروه فان رأوا منه عفه و صرامه و كان فى قوه و عدده اذعنوا له بالطاعه و أدوا الخراج، و الا- طمعوا فيه و استخفوا بأمره(١). كما ان القسوه المتناهيه التى كان يلجأ اليها قواد الحملات العسكريه التى توجه لاختضاع العصاه كاحراق المدن و الامعان فى تقتيل السكان و سبيهم، كانت تولد رد فعل لدى سكان تلك المناطق فيزدادون بغضا للسلطه و بعدا عنها، و يبادرون الى مناصره كل من يناهضها، انتقاما لما أصابهم. و لذلك يلاحظ ان حركات التمرد فى المناطق المذكوره قلت كثيرا و كادت تتلاشى عند ما شغلت الدوله بمقاومه حركه الزنج، اذ انصرفت بكل جهودها للقضاء عليها. مما ترك للبطارقه الحريه الكامله فى اداره شؤونهم، و لذا لم يكن ثمه ما يدعوهم الى التمرد و العصيان.

٧- فتن الخوارج:

اشاره

كان جمهور الخوارج بدوا تغلب عليهم نزعه المساواه، و لذا لم يختصوا قبيله أو فخذنا بالخلافه، بل قالوا بترشيح كل مسلم لها، و ان يختار لها أفضل الناس بانتخاب الامه كافه(٢). و يذكر الشهرستانى ان عدد فرقهم الرئيسه ثمانيه، و قد تشعبت بحيث أصبحت خمسا و عشرين فرقه، يجمعها كلها وجوب الخروج على الامام اذا غير السيره و عدل عن الحق(٣). و هم لا يقرون مبدأ الوراثه أو التفويض و لذلك اعتبروا الخلفاء الامويين جائرين يجب الخروج عليهم، لانهم لم تختارهم الامه.

و كان رأى الخوارج فى الخلفاء العباسيين لا يختلف عن رأيهم فى الخلفاء الامويين، فانهم لا يرونهم صالحين للخلافه لانهم لم

١- فتوح البلدان / ٢١٢.

٢- النظم الاسلاميه للدورى / ٨٧-٨٨.

٣- الملل و النحل / ١ / ١١٥.

يستوفوا شروطها، و لم يختاروا من قبل الامه اختيارا حرا، و لذلك ظلوا يحملون لواء الخروج عليهم طيله عهد سامرا. و كانوا يستفيدون من الاضطراب القائم فى حاضره الخلافه بسبب النزاع بين الخلفاء و القواد الا-تراك، فيستضحل أمرهم و يشنون الغارات على القرى و الرساتيق و يجبون منها الزكاه و العشور. و قد دخلوا اكثر من مره بعض المدن و القرى. و لم تستطع الدوله القضاء عليهم رغم الحملات التى وجهت اليهم، لانهم لم يكونوا يتبعون قواعد الحرب النظاميه. فهم يظهرون عند ما تسنح لهم الفرصه، فيقاتلون بشجاعه و استبسال، ثم يفرون ملتجئين الى الجبال أو المناطق الوعره عند ما يهزمون أمام الجيش الموجه لقتالهم. و لم يتيسر لهم ان يستولوا على منطقه معينه بصوره دائمه و يؤسسوا اماره خاصه بهم. و لعل أهم أسباب ذلك قله عددهم، و ان الناس لم يكونوا يؤيدونهم، فضلا عن انهم كانوا يرهبون جانبهم لشدتهم و صرامتهم فى معامله من لم يأخذ بعقيدتهم، و كثيرا ما كانوا يتطوعون لمحاربتهم.

و سنستعرض فيما يأتى الانتفاضات التى قام بها رؤساء الخوارج ممن طالت مقارعتهم جيوش الخلافه فى عهد سامرا. فقد خرج عدد من زعماء الخوارج فى أماكن مختلفه من أرجاء الدوله العربيه لا سيما فى منطقه الموصل و الجزيره. كما كان أمرهم قد استفحل لوقت ما فى سجستان من الولايات الشرقيه. الا ان أكثرهم لم يتمكنوا من الثبات فى وجه السلطه، اذ سرعان ما كان يقبض عليهم فيسجنون أو يقتلون. و لم يستطع الاستمرار فى مقارعه الحملات التى توجه اليهم سوى نفر قليل منهم. فقد خرج فى سنه ٢٣١ هـ على عهد الواثق بالله، محمد بن عمرو الشيبانى الخارجى من بنى تغلب، فى ثلاثه عشر رجلا من اتباعه، فى ديار ربيعه فى الجزيره، و استجاب له كثيرون. فخرج الى محاربتة غانم بن ابى مسلم، و كان على جيش الموصل، فاخذه أسيرا و بعث به الى سامرا،

فحبس في سجن المطبق ببغداد، و نصبت رؤوس القتلى من أصحابه عند خشبه بابك بسامرا(١). و يروي اليعقوبي اخبار هذا الخارجي بشكل آخر فيقول ان محمد بن عمرو الشيباني خرج بديار ربيعه و ابو سعيد محمد بن يوسف بها فخرج اليه مع الجند، و كان محمد بن عمرو في ثلاثمائه أو أربعمائه من الخوارج فصار الى سنجار ثم انهزم الى ناحيه الموصل، فتبعه أبو سعيد فاسره و ادخله نصيبين على بقره، و حملة الى الواثق فكتب اليه: ما ينبغي ان يقتل، فانه لن يخرج خارجي مادام حيا، فلم يترك محبوسا في ايام الواثق بالله(٢).

و يظهر ان محمد بن عمرو اطلق من السجن او انه استطاع الهرب، لانه خرج ثانيه بناحية الموصل في سنة ٢٤٨ هـ في أيام المنتصر بالله. فوجه اليه القائد اسحاق بن ثابت الفرغاني، فاخذه أسيرا مع عدد من أصحابه فقتلوا و صلبوا(٣). الا ان ابن الأثير يشير في حوادث سنة ٢٥٢ هـ الى ان محمدا المذكور قتل في ديار ربيعه، قتله خليفه لأيوب بن احمد في ذى القعدة(٤). و لعله و أهم في ذلك لأنه سبق له أن أيد روايه الطبري، الا ان يكون قد نجا من القتل في سنة ٢٤٨ هـ و هرب من السجن، أو ان الطبري و اهم في تأريخ قتله و صلبه. على ان المسعودي يذكر و ثوب خارجي آخر في أيام المنتصر بالله غير محمد بن عمرو، هو ابو العمود الشاري الذي ظهر بالبوازيج قرب تكريت، و قد استفحل أمره اذ انضمت اليه جماعات من ربيعه و من الـكراد. فسرح اليه المنتصر بالله جيشا على رأسه القائد التركي سيما، فكانت بين الفريقين عده مواقع تمكن الجيش بعدها من أسر الشاري فجيء به الى سامرا. و يظهر ان

١- الطبري ٩ / ١٤٠، و الكامل ٧ / ٢٣ و جاء اسمه فيه محمد بن عبد الله الثعلبي، و لعلها مصحقة عن التغلبي.

٢- تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٨٣.

٣- الطبري ٩ / ٢٥٥، و الكامل ٧ / ١٢٠.

٤- الكامل ٧ / ١٧٦-١٧٧.

المنتصر بالله عفا عنه و اطلق سراحه بعد ان اخذ عليه العهد و المواثيق بعدم الخروج ثانيه(١). و لا- يعرف ما اذا كان أبو العمود هذا هو نفسه محمد بن عمرو الذى سبقت الاشاره اليه. و يبدو ان المسعودى قد توهم فى التفصيلات، لا سيما و انه لم يذكر شيئا عن خروج ابن عمرو الشارى. كما ان مده خلافه المنتصر بالله و هى ستة أشهر، لا تتسع لقيام فنتين فى نفس المنطقه. الا ان اختلاف مصير أبي العمود و اختلاف القائد الذى وجه اليه، و عفو المنتصر بالله عنه. مما يستدعى التأمل فى روايه المسعودى.

و يشير ابن الاثير الى خارجى آخر اسمه طوق من بنى زهير خرج فى سنه ٢٥٧ هـ فاجتمع اليه أربعة آلاف فسار الى أذرمه(٢)، فحاربه أهلها، الا انه استطاع ان يدخلها عنوه، و يظهر انه استباح المدينه. فجمع عليه الحسن بن أيوب بن أحمد العدوى جمعا كثيرا فحاربه و ظفر به فقتله و قطع رأسه و انفذه الى سامرا(٣).

على ان اهم فتن الخوارج فى خلال هذه المده هى فتنه مساور بن عبد الحميد الشارى البجلي الموصلى و خلفه هارون بن عبد الله التى استمرت قرابه ثلاثين سنه، و فتنه حمدان بن حمدون التغلبى التى دامت أربعة عشر عاما.

مساور بن عبد الحميد البجلي:

ظهر لأول مره فى رجب سنه ٢٥٣ بالبوازيج، و هى بلد على فم الزاب الأسفل حيث يصب فى دجله(٤). و كان من دهاقينها. و قد

١- مروج الذهب ١٣٧ /٤.

٢- أذرمه: بلده من ديار ربيعه قريبه من نصيبين، و هى من أعمال الموصل- معجم البلدان ١ /١٣١-١٣٢.

٣- الكامل ٧ /٢٤٩.

٤- معجم البلدان ١ /٥٠٣.

اعتنق مذهب الخوارج و اعلن العصيان لأن صاحب الشرطه. كما يذكر ابن الاثير، اخذ ابنا لمساور اسمه حوثره فحبسه فى الحديثه، و هى بليده صغيره كانت على الجانب الشرقى من دجله قرب الزاب الاعلى(١). و كان حوثره فتى جميلا، فكان صاحب الشرطه يخرج من السجن ليلا و يحضره عنده، ثم يرده الى الحبس نهارا. فغضب مساور لذلك و خرج و أيدته جماعه فقصد الحديثه و استولى عليها و اخرج ابنه من الحبس. فاخفى صاحب الشرطه و لم يظفر به مساور. و كثر اتباع مساور من العرب و الاكراد فطمع بالاستيلاء على الموصل فسار اليها و نزل بجانبها الشرقى. و كان الوالى عليها آنذاك عقبه بن محمد بن جعفر الخزاعى، فخرج لمقاتلته. الا ان مساور كره القتال و آثر الانسحاب الى البوازيج، و كان ابنه معه فسمع يقول(٢):

أنا الغلام البجلي الشارى اخرجنى جوركم من دارى

و لما ادرك الخليفه المعتز بالله خطر فتنه مساور الخارجى وجه اليه القائد التركى ساتكين لحربه، فهرب مساور نحو طريق خراسان. و كان المسؤول عن هذا الطريق بندار الطبرى قد علم بخبره فاستعد لملاقاته، و توجه نحوه بثلاثمائة فارس حتى اشرف على معسكره ليلا، فرأى اتباع مساور مشغولين بالصلاه. فأشار عليه بعض أصحابه بمباغتتهم، الا انه امتنع عن مهاجمتهم غيله.

فلما أحس مساور و اتباعه بالخطر بالسلاح فأشتبك الطرفان و تمكن مساور من ان يهزم جيش بندار، و تبعهم حتى لحق ببندار و تمكن منه فقتله، و فر من نجا من أصحاب بندار و يتراوح عددهم بين مائه و مائه و خمسين رجلا. فسار مساور باتباعه الى حلوان(٣)،

١- نفس المصدر ٢ / ٢٣٠.

٢- الكامل ٧ / ١٧٥.

٣- حلوان: مدينه فى اخر حدود السواد مما يلى الجبال من بغداد فتحها العرب صلحا فى سنه (١٩).- معجم البلدان ٢ / ٢٩٠.

يريد الاستيلاء عليها، فخرج اليه أهلها فقاتلوه و منعوه من دخول مدينتهم، فقال ابن مساور في ذلك(١):

فجعت العراق ببندارها و حزت البلاد بأقطارها

و حلوان صبحتها غار هفتلت أغرار غرارها

و عقبه بالموصل أحجرتة و طوقته الذل في كارها

و كان مساور قد استولى في سنة ٢٥٤ هـ على أكثر أعمال الموصل و قوى أمره. فنهض لقتاله الحسن بن أيوب بن أحمد العدوى التغلبي، و كان خليفه لاييه بالموصل، و معه خلق كثير، فعبر الزاب، فانسحب مساور و نزل في واد عميق، فسار الحسن في طلبه.

فالتقى به و اقتتلوا، فانهمز الحسن و عاد بعسكره الى الموصل مغلولاً. فقوى شأن مساور و خافه الناس.

و رغم ان القائد نوشري خرج اليه في رمضان و قتل من أصحابه عددا كبيرا، الا انه لم يستطع التغلب عليه. مما شجع مساورا على أن يطمع بالاستيلاء على الموصل، فقصدها و نزل بظاهرها عند الدير الاعلى. فاستتر امير البلد منه، و هو عبد الله بن سليمان، لضعفه عن مقاتلته، كما لم يساعده أهل المدينه لميلهم الى الخلاف.

فدخل مساور المدينه بغير حرب، و لم يعرض لأحد من أهلها بسوء، سوى ان اتباعه احرقوا دار عبد الله بن سليمان. و لما حل يوم الجمعة دخل مساور المسجد الجامع، فصعد المنبر و خطب عليه و قال في خطبته: اللهم اصلحنا و اصلح و لاتنا(٢). و عند ما خطب و صلى جعل من أصحابه من يحرسه بالسيوف لانه لم يكن مطمئنا الى أهل الموصل لكثرتهم و عدم ميلهم اليه فضلا عن حذرهم منه. و يظهر انه

١- الكامل ٧ / ١٨٠.

٢- نفس المصدر / ٢٠٥.

لم يستطع المقام بها فتركها و سار الى الحديثه التي اتخذها مقرا له.

و قد استفاد مساور من الاضطراب السائد فى حاضره الخلافه بسبب الخلاف بين الخليفه و القواد الاتراك فاستولى على جزء من شمالى العراق و منع الاموال عن الخليفه فضاقت على الجند أرزاقهم(١). فخرج اليه القائد يارجوخ الا ان مساورا هزمه.

و لما بلغ الخليفه المهتدى بالله فى أول صفر سنه ٢٥٦ هـ ان مساورا الشارى صار الى بلد فقتل من أهلها و أحرق منازلهم، عزم على تجريد حملته كبيره للقضاء عليه. فأمر كبير قواده موسى بن بغا و القائدين مفلحا و بايكبال بالخروج اليه. الا انهم لم يخرجوا لعدم اطمئنانهم الى نيه الخليفه تجاههم و خوفهم من اتفاهه مع غريمهم القائد صالح بن وصيف. الا انهم بعد ان ظفروا بصالح و قتلوه سار موسى و بايكبال لحرب مساور فى مستهل جمادى الاولى، و قد شيعهما الخليفه، الا افهما سرعان ما عادا الى سامرا لاضطراب الاحوال فيها.

و عند ما بويح الخليفه المعتمد على الله سير القائد مفلحا فى عسكر حسن العده الى قتال مساور و القضاء على تمرده، فلما قرب العسكر من الحديثه فارقتها مساور و اتجه الى الجبال فتبعه جيش مفلح.

فالتقى الجيشان و اقتتلا، فهزم مساور و فر باصحابه صاعدين أحد الجبال و صاروا الى ذروته. فعسكر جيش مفلح فى سفح الجبل لحاصرتهم، فعمد مساور الى الخداع فأمر أصحابه بايقاد النيران و ان يركزوا رماحهم ليوهم جيش مفلح بانهم معسكرون فوق الجبل، ثم هبط بهم من الجهه الاخرى من الجبل و مضى هاربا لضعف أصحابه و لكثرت ما أصابهم من الجراح(٢).

١- نفس المصدر / ٢٢٦.

٢- الطبرى ٩ / ٤٥٥ - ٤٥٦، و الكامل ٧ / ٢٢٧.

عاد القائد مفلح الى الموصل و أخذ يتهيأ للخروج للقاء مساور الذى كان قد عاد الى الحديثه، فلما اقترب جيش مفلح منها، تركها مساور و توغل باتباعه فى الجبال و الوديان، فاستعصى على مفلح الظفر به، فعاد و قد اصاب جيشه الارهاق. فارسل مساور جماعه من أصحابه لملاحقه الجيش المنسحب، حتى وصل مفلح الى الحديثه. الا ان هجمات أصحاب مساور اضطرته على تركها و الانحدار فى أول شهر رمضان سنة ٢٥٦ هـ الى سامرا، مما ساعد مساورا على فرض هيمنته على المنطقه و جبايه خراجها، فاشتد أمره و قوى شأنه(١).

و استطاع مساور ان يظفر فى سنة ٢٦١ هـ بوالى خراسان يحيى بن جعفر فقتله(٢)، فشخص القائد مسرور البلخى فى طلبه، فهرب مساور و لم يستطع اللحاق به. و قد توفى مساور فى سنة ٢٦٣ هـ و هو فى طريقه الى لقاء الجيش الذى وجه من سامرا لحربه(٣).

يستخلص مما ذكرناه عن مساور الشارى انه خرج عاصيا على الدوله انتقاما لسوء تصرف صاحب الشرطه، و انه لم يكن له من المؤيدين و الاتباع ما يساعده على ان يستثمر تغلبه على الحملات العسكريه التى وجهت اليه. و انه كان شجاعا لا ينقصه المكر و الخديعه، و انه كان ينهج حرب العصابات، فكان يهاجم مكانا ما فيقتل و يحرق و ينهب ثم يهرب. و بقى يظهر بين مده و أخرى فى أماكن مختلفه حتى توفى و هو يستعد لمحاربه أحد الجيوش التى وجهت اليه.

١- الكامل ٧ / ٢٢٧.

٢- الكامل ٧ / ٢٨٨، و الطبرى ٩ / ٥١٢، و جاء فيه اسم والى خراسان يحيى بن جقص.

٣- الطبرى ٩ / ٥٣٢، و الكامل ٧ / ٣٠٩.

حمدان بن حمدون التغلبي:

أما الخارجي الآخر الذي استمر مده طويله أيضا فهو حمدان بن حمدون التغلبي. و قد انتصر لهارون الشاري في بعض معاركه. و سار اليه أول خروجه في أول رمضان سنة ٢٦٧ هـ والى الموصل اسحاق بن كنداج فهزمه و اتباعه الى نصيبين، و تبعهم الى قرب آمد، و جرت بين الطرفين معارك لم تكن حاسمه، و يظهر ان حمدانا و اتباعه استطاعوا الافلات من ابن كنداج فلم يظفر بهم(١).

و كان حمدان قد دخل الموصل بمعيه هارون الشاري، الا انهما ما لبثا ان خرجا منها. و ظل حمدان يقارع الجيوش التي ترسل الى محاربتة، حتى خرج اليه الخليفة المعتضد بالله في سنة ٢٨١ هـ، و كان حمدان قد التجأ الى قلعه ماردین. فلما بلغه مجيء المعتضد بالله هرب منها فاستولى الجيش على ما فيها من الاموال و الاثاث و هدمها. و توجهت ثله من الجند خلف حمدان، فطلبوه حتى ظفروا به، فأمر الخليفة بحبسه(٢).

هارون بن عبد الله البجلي:

عند ما توفي مساور الشاري كتب اصحابه الى محمد بن خرزاد الخارجي بشهرزور ليولوه أمرهم فامتنع، فبايعوا أيوب بن حيان البجلي. الا ان ابن خرزاد ما لبث ان ارسل الى اصحاب مساور يعلمهم بموافقتة على ان يتولى أمرهم. فاجابوه انهم بايعوا ابن حيان البجلي و لا يغدرون به، فسار ابن خرزاد اليهم و قاتلهم، فقتل ابن حيان، فبايع اصحابه محمد بن عبد الله الوارقي المعروف بالغلام فقتل أيضا، فبايعوا بعده هارون بن عبد الله البجلي الذي

١- الطبری ٩ / ٥٨٧، و الكامل ٧ / ٣٦٢.

٢- الطبری ١٠ / ٣٨.

استطاع ان يهزم ابن خرزاد و ان يستولى على أعمال الموصل و يجبي خراجها(١).

ثم تجدد النزاع بين محمد بن خرزاد و هارون البجلي. و كان ابن خرزاد زاهدا خشن العيش، يلبس الصوف الغليظ و يرقع ثيابه، و لذلك انفض عنه أغلب اتباعه. و كان هارون قد كاتبهم و استمالهم اليه فاتاه منهم الكثيرون. و لم يبق مع ابن خرزاد غير أبناء عشيرته، فضعف أمره، و ما لبث أن قتل في أحد معاركه مع الـكراد في منطقه شهرزور. فانفرد هارون البجلي بالرئاسه على الخوارج، فقوى شأنه و كثر اتباعه، و تغلب على القرى و الرساتيق، و جعل على دجله من يأخذ الزكاه من الاموال المتحدره و المصعده، و بث نوابه في الرساتيق يأخذون العشر من الغلات(٢).

و استطاع هارون ان يدخل مدينه الموصل بمعاونه حمدان بن حمدون التغلبي الخارجي. و صلى هارون بالناس في جامع المدينه.

الـان بنى شيبان كانوا قد تجمعوا في بعض جهات الموصل، فجمع هارون اتباعه لمقاتلتهم. و كتب الى حمدان التغلبي يطلب نجده، فسار الاثنان الى نهر الخازر فاصطدما بتجمع بنى شيبان و اشتبكا صعهم في قتال هزم فيه هارون و صاحبه حمدان و اتباعهما.

استمر هارون الشاري خارجا على الدوله حتى عهد المعتضد بالله، فخرج اليه بنفسه الى الموصل في سنه ٢٨٣ هـ، و انتدب الحسين بن حمدان التغلبي لحربه. فاشترط الحسين على الخليفه ان هو جاء بهارون ان يطلق سراح ابيه حمدان الذي سبق ان ظفر به المعتضد بالله قبل سنتين و سجنه، فوافق الخليفه على ذلك. و من الواضح ان المعتضد بالله اختار الحسين لهذه المهمه لانه كان بمعيه ابيه الخارجي مده، و كان أبوه يتعاون مع هارون الشاري، و لذا

١- الكامل ٧ / ٣٠٩ - ٣١٠.

٢- الكامل ٧ / ٣٥٩ - ٣٦٠.

فانه كان على معرفه بكمائث الشراه و مخابئهم و أساليب القتال التي يتبعونها. و لم يخيب الحسين ظن الخليفه به، فطارده هارون الشارى و اتباعه و اشتبك معهم و هزمهم و ظفر بهارون و جاء به أسيرا بغير عهد و لا عقد(١).

و لما تم القبض على هارون الشارى انصرف المعتضد راجعا الى مدينه السلام، و خلع على الحسين بن حمدان و طوقه بطوق من ذهب، و أمر بفك قيد أبيه حمدان و التوسعه عليه و الاحسان اليه، ثم اطلق سراحه.

الباب السابع خلفاء سامرا و المحنه

اشاره

١- المعتزله و أهل السنه.

٢- المعتصم بالله و المحنه.

٣- المحنه فى عهد الواثق بالله.

٤- نهايه المحنه.

الفصل الأول المعتزلة و أهل السنة**١ - مقدمه:**

المعتزلة طائفة من المسلمين يسمون بأصحاب العدل و التوحيد.

و تتلخص عقيدتهم بان الله تعالى قديم، و القدم أخص صفاته، و هو عالم قادر وحي بذاته، و انه لا يرى يوم القيامة بالابصار، و نفوا عنه التشبيه من كل وجه. و ان كلامه، أى القرآن، مخلوق محدث و ليس أزليا، و سموا هذا النمط توحيدا. و ان الانسان قادر على أفعاله من خير أو شر و لذا فهو يستحق فى الدار الآخرة على أفعاله ثوابا أو عقابا. و ان الله تعالى منزه عن أن يضاف اليه شر أو ظلم و انه لا يفعل الا الخير و الصلاح، و سموا هذا النمط عدلا. و ان المؤمن اذا خرج من الدنيا على طاعه و توبه فانه يستحق الثواب، و اذا خرج من غير توبه عن كبيره ارتكبها استحق الخلود فى النار، و لكن عقابه أخف من عقاب الكافر، و هذا ما يعبرون عنه بالمنزلة بين المنزلتين، أى انه لا مؤمن و لا كافر، و سموا هذا النمط و عدا و وعيدا. و هم يدعون الى اقامه حكم الله على من يخالف أوامره

و نواهيه، و ذلك هو النهى عن المنكر. و بهذا تقوم عقيدته المعتزله على الاعتقاد بالعدل و التوحيد و الوعد و الوعيد و القول بالمنزله بين المنزلتين و الامر بالمعروف و النهى عن المنكر.

و سموا معتزله لان رأسهم واصل بن عطاء كان يجلس الى الحسن البصرى فى حلقات الدرس، فلما نشب الخلاف فى الرأى حول مرتكب الكبائر، فقالت الخوارج بكفره، و قالت الجماعه بانه مؤمن و ان فسق، قال واصل ان الفاسق من هذه الامه ليس مؤمنا و لا- كافرا، بل هو فى منزله بين المنزلتين. فطرده الحسن من مجلسه، فاعتزل واصل عنه، فاطلق عليه و على اتباعه ممن يقولون قوله اسم المعتزله(١). و بالنظر لايمان المعتزله بحريه الرأى فقد تعددت اراؤهم حول القواعد الاساسيه لمذهب الاعتزال، باختلاف اجتهاد البارزين منهم.

و مع تعدد فرق المعتزله فهم متفقون على عدد من العقائد أهمها(٢):

١- نفى الصفات عن الخالق عز و جل و استحاله رؤيته بالابصار.

٢- ان كلام الله محدث مخلوق.

٣- الفاسق من المسلمين لا مؤمن و لا كافر، و انما هو بمنزله بين المنزلتين.

٤- ان كل ما أمر الله به أو نهى عنه من أعمال لم يشاء الله منها شيئا، لانه خلق الاجسام و لم يخلق شيئا من الاعراض، أى انه لم يخلق أفعال العباد و انما هم يفعلون أعمالهم بالقدره التى خلقها الله فيهم.

١- راجع عن المعتزله و نشوئهم و فرقهم: الملل و النحل ١/ ٤٣- ٨٥، و ثمرات الاوراق ١/ ١٦، و الفرق بين الفرق / ٦٧- ١٢٢.

٢- الفرق بين الفرق / ٦٨- ٦٩.

٥- ان الله تعالى شىء لا كالأشياء و انه خلق كل ما خلقه من لا شىء.

و كان مذهب الاعتزال قد ظهر فى أيام الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان، و لم يزل ينمو و يتزايد اتباعه الى أيام الخليفة المأمون العباسى الذى اعتنق هذا المذهب و اظهر القول بخلق القرآن، و حاول ان يجعل الاعتزال مذهب الخلافة الرسمى.

أما خلاصه عقيدته أهل السنه فى القرآن الكريم فقد لخصها ابن دحيه بما يلى: ان القرآن كلام الله عز و جل، صفه ذاته و هو سبحانه متكلم به. نزل به جبريل على رسول الله صلى الله عليه و سلم فدعاه عنه و بلغه بلسانه العربى. و انه فى المصاحف مثبت، و فى القلوب محفوظ، و بالآذان مسموع، و بالأصوات متلو، و بالفهام مفهوم، و بالحروف و الاشكال و الاصباغ مخطوط، و بالالفاظ مقروء، فمكتوبه و مخطوطه و مسموعه و متلوه و محفوظه و مقروءه، حقيقه كلام الله عز و جل غير محدث و لا مخلوق و لا مجعول. و ان كل تلك الصفات محدثه كائنه بعد ان لم تكن، مختلفه متغيره فانيه، و كلام الله باق واحد ثابت لا يزول و لا يحول و لا يبدل(١).

و قد اتفق جمهور اهل السنه و الجماعه على أصول أركان الدين، و أهمها(٢):

١- ان العالم كل شىء هو غير الله عز و جل، و ان كل ما هو غير الله تعالى و غير صفاته الأزليه مخلوق مصنوع، و ان صانعه ليس بمخلوق و لا مصنوع. و ان الحوادث كلها لا بد لها من محدث صانع، و ان صانع العالم خالق الأجسام و الأعراض خيرها، و شرها.

٢- ان علم الله تعالى و قدرته و حياته و ارادته و سمعه و بصره و كلامه صفات أزليه له و نموت أبدية.

١- النبراس / ٧١-٧٢.

٢- للمزيد من التفصيلات راجع الفرق بين الفرق / ١٩٤-٢١٧.

٣- ان مآخذ أسماء الله تعالى و أوصافه، التوقيف عليها أما بالقرآن أو بالسنة الصحيحة و أما باجماع الأمة عليه، و لا يجوز اطلاق اسم عليه من طريق القياس.

٤- الفرق بين الرسول و النبي، ان كل من نزل عليه الوحي من الله تعالى على لسان ملك من الملائكة و كان مؤيدا بنوع من الكرامات الناقضة للعادات فهو نبي. و من حصلت له هذه الصفه و خص أيضا بشرع جديد أو بفسخ بعض أحكام شريعته كانت قبله فهو رسول. و ان المعجزه أمر يظهر بخلاف العاده على يد مدعى النبوه مع تحديه قومه بها و مع عجز قومه عن معارضته بمثلها، على وجه يدل على صدقه.

٥- ان اركان شريعته الاسلام خمس: شهاده ان لا اله الا الله و ان محمدا رسول الله، و اقامه الصلاه، و ايتاء الزكاه، و صوم رمضان، و حج البيت الحرام. و من اسقط وجوب ركن منها أو تأويله فهو كافر. و ان الايمان هو المعرفه و التصديق بالقلب.

٦- ان أفعال المكلفين خمس: واجب و محذور و مسنون و مكروه و مباح. فالواجب ما أمر به الله تعالى على وجه اللزوم و تاركه مستحق العذاب. و المحذور ما نهى الله تعالى عنه و فاعله يستحق العقاب. و المسنون ما يثاب عليه فاعله و لا يعاقب تاركه. و المكروه ما يثاب عليه تاركه و لا يعاقب فاعله.

و المباح ما ليس فى فعله ثواب و لا عقاب.

٧- ان الله سبحانه و تعالى قادر على افناء جميع العالم جملة، و على افناء بعض الاجسام مع بقاء بعضها.

٨- ان الخلافه و الامامه فرض واجب على الأمة و ان طريق عقد الامامه للامام الاختيار بالاجتهاد.

٢- بدايه المحنه فى أيام المأمون:

ان تمسك أهل السنه بنصوص القرآن و السنه النبويه، و قولهم بأن الايمان ليس بحاجه الى غيرهما، و ان الاعتماد على النظر و العقل قد يوصل الى الالحاد، يجعلهم على طرفى نقيض من مبادئ المعتزله التى تقوم على العقل و النظر. مما أدى الى ذلك الصراع العنيف بين الفريقين حول القول بخلق القرآن. فقد كتب الخليفه المأمون فى ربيع الاول سنه ٢١٨ هـ، و هى السنه التى توفى فيها، و كان على رأس حملته عسكريه فى بلاد الروم، الى خليفته بمدينه السلام اسحاق بن ابراهيم المصعبى، يأمره بامتحان القضاة و المحدثين، و خلاصه كتابه(١): ان السواد الاعظم من الرعيه أهل جهاله بالله، و ضلاله عن حقيقه دينه و توحيدده، و انهم ساووا بينه تبارك و تعالى و بين ما انزل من القرآن. فاتفقوا على ان القرآن قديم أول لم يخلقه الله و لم يحدثه. و ينسب هؤلاء أنفسهم الى أهل السنه. و طلب اليه ان يجمع القضاة و يمتحنهم فيما يقولونه فى خلق القرآن و احداثه، فان أقروا بذلك كانوا على سبيل الهدى و النجاه، و عليهم ان لا- يقبلوا شهادته من لم يقر بان القرآن مخلوق محدث. و أمره أن يكتب اليه بما يحصل من ذلك.

ثم كتب المأمون بعد ذلك الى اسحاق كتابا ثانيا خلاصته(٢): ان من واجب أمير المؤمنين أن يجهد لله نفسه، و يهدى من زاغ عنه، و ان يقف رعيته على حدود ايمانهم و سبيل فوزهم. و ان أمير المؤمنين رأى ما ينال المسلمين من القول فى القرآن الذى جعل الله اماما لهم، و اشتباهه على كثير منهم بأنه غير مخلوق. مما أدى الى التلم بالدين و الاعتراف بالتبديل و الالحاد. و طلب اليه أن يمتحن قاضيى بغداد و سائر القضاة فى عمله، فلا يبقى أحدا منهم ما لم يقر

١- نص الكتاب فى الطبرى ٨ / ٦٣١-٦٣٤.

٢- نص الكتاب فى الطبرى ٨ / ٦٣٤-٦٣٧.

بأن القرآن مخلوق. و ان يطلب اليهم ان يمتحنوا من يحضر مجالسهم للشهادة، و ان لا يقبلوا شهاده من لم يقر بذلك.

فدعا اسحاق بقضاه بغداد و فقهاها و ينوف عددهم على العشرين (١)، فمنهم من أجاب و منهم من امتنع و منهم من راوغ فى جوابه. فكتب اسحاق بجواب كل منهم الى الخليفه المأمون. فكتب الخليفه الى اسحاق كتابا ثالثا (٢). و فيه رد المأمون على من لم يجب.

و ابرز عيوبهم و الماخذ عليهم و طلب الى اسحاق أن يعاود امتحانهم، و من لم يرجع منهم عن شركه، يشخصهم موثقين الى أمير المؤمنين ليرى فيهم رأيه. و قد نفذ الخليفه هذا الكتاب فى خريطه بنداريه- أى بالبريد المستعجل- فأجاب القوم كلهم عدا أحمد بن حنبل و محمد بن نوح، فقيدا بالحديد و وجها الى طرسوس. الا ان المأمون كان قد مات قبل وصولهما اليه، فاعيدا الى مدينه السلام.

و كان صاحب الخبر قد أبلغ المأمون ان بشر بن الوليد، و هو أحد الفقهاء الذين أقروا بخلق القرآن، قد تأول الآيه الكريمه «إِلَّا مَنْ أْكْرَهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» (٣). أى انه أقر بخلق القرآن تقيه خوفا من البطش به. فكتب المأمون الى اسحاق بانهم أخطأوا تأويل الآيه الكريمه، و انما عنى الله تعالى بها من كان معتقدا الايمان مظهر الشرك، فليست هذه لهم. و طلب اليه ان يشخصهم جميعا الى طرسوس، فاشخصهم اليه. فلما وصلوا الرقه بلغتهم وفاه المأمون، فاعادهم و اليها عنبسه بن اسحاق الى مدينه السلام.

و يبدو ان المأمون كان يستهدف من اظهار مذهب الاعتزال ان يضعف نفوذ الفقهاء و سلطانهم على عامه الناس.

١- أورد الطبرى اسمائهم فى ٨ / ٦٣٧.

٢- نص الكتاب فى الطبرى ٨ / ٦٤٠-٦٤٤.

٣- سوره النحل، الايه: ١٦٠.

الفصل الثانى المعتصم بالله و المحنه

١- المعتصم بالله يناصر المعتزله:

كان أبو اسحاق قد ولاه المأمون على مصر منذ سنه ٢١٤ هـ، فكتب الى كيدر و هو خليفته فى مصر، بأن أخاه أمير المؤمنين عبد الله المأمون أمره بأن يكتب الى قضاة عمله بامتحان من يحضرون للشهادة، فمن أقر منهم بان القرآن مخلوق و كان عدلا قبلت شهادته، و من امتنع أسقطت شهادته. كما طلب اليه ان يمتحن القضاة بذلك أيضا، فمن قال ان القرآن مخلوق أقره بموضعه، و من رفض أمره باعتزال عمله، و أوعز اليه بمثل ذلك فيما يتعلق باهل الفقه و الحديث(١).

و لما بويع المعتصم بالله بالخلافه جعل أحمد بن أبى دواد رئيس قضاة، و اتخذه مستشارا له فى كل أموره، حسب ما أوصاه به أخوه المأمون. و ابن أبى دواد هذا كان رأس القائلين بخلق القرآن. و المعتصم بالله شبه أمى لا يكاد يعرف شيئا من علوم الدين القرآن. و المعتصم بالله شبه أمى لا يكاد يعرف شيئا من علوم الدين أو فقهه، لا سيما ما يقول به المعتزله من الآراء. و لذا فقد وقع

١- نص الكتاب فى كتاب الولاة و كتاب القضاة / ٤٤٥-٤٤٧.

تحت تأثير رئيس قضااته من جهة، كما انه رغب أن لا يكون أقل اهتماما من أخيه بهذه الدعوه من جهة أخرى و بخاصه انه قد قال له فى وصيته: و خذ بسيره أخيك فى القرآن. و لذا فقد استمر على نهج المأمون بأن جعل الاعتزال مذهب الخلافة الرسمية، و فى امتحان رجال الدين بخلق القرآن. و امر المعلمين ان يعلموا الصبيان ذلك(١).

كما أمر بمناظره أحمد بن حنبل.

٢- المحنة و أحمد بن حنبل:

يعتبر الامام أحمد بن حنبل أقوى من تصدى للمحنة من رجال الفقه و الحديث. و قد أصبح أبرز فقهاء أهل السنه بعد وفاه الامام محمد بن أدريس الشافعى. و بعد ان قضى فى السجن ما ينوف على السنتين اخرجته المعتصم بالله لامتحانه مجددا طمعا فى ان يلين و يقر بخلق القرآن. فعقد له مجلسا لمناظرته حضره قاضى القضاة أحمد بن أبى دواد و قاضى بغداد عبد الرحمن بن اسحاق و غيرهما من رجال الدين المعتزله. فناظروه ثلاثه أيام فلم يقر بذلك. فأمر الخليفه به فجلد جلدا عظيما حتى غاب عقله و تقطع جلده(٢).

الا ان لليعقوبى رأيا آخر فى موقف أحمد بن حنبل من المحنة.

فهو يقول انه امتنع أول الأمر عن أن يقول بان القرآن مخلوق فضرب عده سياط. فطلب اسحاق بن ابراهيم الى الخليفه ان يسمح له بمناظرته لعله يستطيع ان يقنعه بتغيير رأيه. فحاجه اسحاق و استدرجه الى ان يعترف بانه لا يعلم كل شىء، و ان ما يعلمه من أمور قد تعلمه بالتدرىج، و انه لا يزال يجهل أمورا كثيره. و اقنعه اسحاق بان ما لم يعلمه قد علمه أمير المؤمنين. فقال ابن حنبل انى أقول بقول أمير المؤمنين فى خلق القرآن، فاشهد اسحاق على قوله،

١- تاريخ الخلفاء / ٣٣٥.

٢- الكامل / ٦ / ٤٤٥.

و خلع عليه و اطلقه الى منزله(١). و يؤيد هذا ان الجاحظ قال فى رساله له بعنوان «فضيله المعتزله» طبعت على هامش كتاب الكامل للمبرد فى سنه ١٣٢٤ هـ، ان أحمد بن حنبل لم يضرب سوى ثلاثين سوطا مقطوعه الثمار، مشعبه الأطراف، حتى أفصح بالاقرار مرارا(٢). و لكن ابن دحيه يقول: ان هذا القول لا يصح، و هى حكاية مفتعله من بعض سفله المعتزله، ثم يصف طريقه ضرب ابن حنبل، و كيف ان المعتصم بالله كان يهيب بالجلادين ان يوجعه ضربا، و يطلب منه بين آن و آخر ان يجيب الى ما يدعوه اليه فلا يرضى، و ان ضربه استمر حتى فقد وعيه(٣).

ان دعوى اقرار الامام احمد بن حنبل التى قال بها اليعقوبى و الجاحظ تناقض ما اجمعت عليه المصادر الاخرى من انه رفض القول بخلق القرآن رغم سجنه و ضربه، و قد عرف الامام أحمد بصلابه رأيه و انه فضل الموت لما حمل مقيدا الى الخليفه المأمون بطرسوس، على القول بذلك. كما انه كان يدرك اهميه موقفه من دعوه المعتزله، و تأثيره على أهل السنه. و قد لام الفقهاء السبعه الذين أجابوا بالموافقه، فقال: لو انهم صبروا و قاموا لله لكان انقطع الامر و حذرهم الرجل - يعنى المأمون - و لكن لما أجابوا، و هم عين البلد، اجترأ على غيرهم(٤). و يرجح ان ما اورده اليعقوبى و الجاحظ موضوع من قبل المعتزله أو غيرهم من مناوئى أحمد بن حنبل، للحط من منزلته من جهه، و انتصارا لموقف السلطه و تأييدا لدعوتها الى القول بخلق القرآن.

١- تفصيل ذلك فى تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٢.

٢- أحمد بن حنبل و المحنه / ١٤.

٣- النبراس / ٦٨ - ٦٩.

٤- أحمد بن حنبل و المحنه / ١٠٩.

على ان امر المحنة كان فى عهد المعتصم بالله سهلا، اذ لم يكن الناس يلزمون بالقول بخلق القرآن(١). و يظهر ان الامر اقتصر على القضاة و الفقهاء و المحدثين و الشهود.

ولأبن الأثير تسلسل تاريخى طريف فى نشوء فكره القول بخلق القرآن يذكره عند ما يشير الى وفاه أحمد بن أبى دواد، فيقول عنه و انه أخذ ذلك عن بشر المريسي، و اخذه بشر عن الجهم بن صفوان، و انه أخذ ذلك عن بشد المريسي، و اخذه بشد عن الجهم بن صفوان.

و أخذه الجهم عن الجعد بن أدهم، و أخذه الجعد عن ابان بن سمعان، و أخذه ابان عن طالوت ابن أخت ليلى الأعصم و ختته، و أخذه طالوت عن ليلى اليهودى الذى سحر النبى صلى الله عليه و سلم، و كان ليلى يقول بخلق التوراه، و أول من صنف فى ذلك طالوت و كان زنديقا فافشى الزندقه(٢). و هدف ابن الأثير من هذا التسلسل اعتبار القول بخلق القرآن رأيا يهوديا، يقول به الزنادقه، و من ثم فهو دخيل على الاسلام و القول به كفر.

١- كتاب الولاه و كتاب القضاة / ٤٥١.

٢- الكامل ٧ / ٧٥.

الفصل الثالث المحنه فى عهد الواثق بالله

١- التشدد فى المحنه:

أخذ الخليفه الواثق بالله بمبادئ الاعتزال. اذ كان قد الزم نفسه بتقليد عمه المأمون فى ادخاله فانساق فى دعوته على حمل الناس على القول بخلق القرآن من جهه، كما انه وقع تحت تأثير ابن أبى دواد من جهه أخرى. فناصر المعتزله فى نشر آرائهم. و بلغ من تأييده لهم و تعصبه لآرائهم انه أمر بحصر الوظائف الدينيه فيهم.

بل انه عند ما اتفق مع الروم على مفاداه اسرى العرب لديهم، أمر بأن يمتحن الاسارى فمن قال بخلق القرآن و ان الله لا يرى فى الاخره فودى به، و من لم يقل بذلك ترك فى أيدي الروم. كما سبق أن أمر بامتحان أهل الثغور و أمر بضرب أعناق من لم يقل بخلق القرآن(١).

و يلاحظ ان النزاع بين المعتزله و خصومهم انحصر فى موضوع القول بخلق القرآن دون آراء المعتزله الاخرى كالعديل الالهى و حريه الاراده و مسؤوليه الانسان عن أعماله، و غير ذلك. و ذلك لأن هذا الموضوع يسير الفهم فلا يحتاج الى عمق فى التفكير أو مزيد من

١- الطبرى ٩ / ١٤١، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٢.

العلم. فهو يتلخص فى أن القرآن و ان كان كلام الله تعالى فانه مخلوق و ليس أزليا مثله. اذ ان ما القى فى اذن الرسول صلى الله عليه و سلم من كلام الله تعالى، عند نزول الوحي عليه، لم يكن هو صوت الخالق عز و جل، بل انه كلام خلقه الله تعالى و ظهر بارادته بصوره غير مباشره، و هو يتفق فى وضعه و فحواه مع ارادته تعالى.

و على هذا فانه من مخلوقات الله تعالى الماديه مثل غيره من المخلوقات الاخرى، و ليس فكرته الأبدية التى هى جزء من حقيقته لا تنفصل عنه. و هذا يناقض رأى أهل السنه الذين يقولون ان كلام الله تعالى صفة أبدية ملازمه له لا بدايه له و لا نهايه، و هو فى ذلك مثل الخالق نفسه. و لذا فان القرآن الذى هو كلام الله تعالى أوحاه الى رسوله الكريم لم يحدث فى مجرى الزمن، بل انه وجد منذ الأزل، أى انه وجد بوجوده تعالى، و لذا لا يمكن أن يكون مخلوقا.

على الرغم من بساطه الموضوع و عمق نتائجه، فان اهتمام السلطه و الرأى العام به مما يدل على التقدم الثقافى الذى وصل اليه المجتمع العربى فى عهد الواثق بالله فى سامرا. و مع ان المعتزله اتيح لهم ان يستخدموا سلطه الخلافه فى فرض آرائهم على الناس، فانهم لم ينجحوا فى النهايه، لأن عددا غير قليل من العلماء و الفقهاء، اظهروا استقلالاً فكرياً و شجاعه أدبيه فى مناهضه هذه الآراء، و لأن المحافظين من رجال الدين كان لهم نفوذ كبير على عامه الناس.

لقد قام الاعتزال أصلاً على الاجتهاد و الرأى، و شأنه فى ذلك شأن المذاهب الاسلاميه الاخرى. فهى تختلف فى عديد من القضايا الفقهييه، غير ان خلافاتها لم تتعد المساجله و المناقشه و حشد الآيات القرآنيه و الاحاديث النبويه لتأييد وجهه نظرها. أما دعاه الاعتزال فقد أخذوا مخالفهم بالشده و العنف، بل بالسجن و التعذيب و القتل أيضاً. و انهم و سمووا بالكفر كل من لم يقل بمقولتهم. و هذا مما يدعو الى الاستغراب، اذ اوقع المعتزله أنفسهم بتناقض واضح بين دعوتهم الى التمسك بالمبادئ العقلية و الدفاع عن حريه الرأى،

و ممارستهم التعصب الأعمى باضطهاد مخالفيهم، و عدم التسامح معهم. و الواقع انهم اساءوا استخدام السلطه فى فرض آرائهم على الآخرين، مما كان له رد فعل واضح. فقد ناهض عدد من الفقهاء و العلماء هذه الدعوه رغم ما تعرضوا له من اضطهاد و تنكيل وصل ببعضهم الى السجن و بالبعض الآخر الى القتل.

كان أمر المحنه فى أيام المعتصم بالله سهلا اذ لم يكن الناس يؤخذون بها شاءوا أم أبوا، فلما استخلف الواثق بالله أمر أن يؤخذ الناس بها بالشده(١). و يقال ان قاضى قضاته ابن ابى دواد قد استولى عليه و حمله على التشدد فى المحنه(٢). و قد أمر القضاة فى سائر الامصار ان لا يقبلوا شهاده من لم يقل بخلق القرآن(٣). فقد ورد فى سنه ٢٣١ هـ كتاب الواثق بالله على أمير البصره بامتحان الأئمه و المؤدبين بخلق القرآن(٤). و جاء فى كتاب الولاه و القضاة انه لما ورد كتاب الخليفه الواثق بالله على قاضى مصر محمد بن ابى الليث بامتحان الناس أجمع، لم يبق فقيه و لا محدث و لا مؤذن و لا معلم حتى أخذ بالمحنه، فهرب كثير من الناس، و ملئت السجون ممن انكر المحنه، و أمر ابن ابى الليث بأن يكتب على المساجد: لا اله الا الله رب القرآن المخلوق. فكتب ذلك على المساجد بفسطاط مصر.

و منع الفقهاء من أصحاب مالک و الشافعى من الجلوس فى المسجد و أمرهم ان لا يقربوه(٥).

و يبدو ان الناس فى مصر أخذوا بصنف و ألزموا القول بخلق القرآن بتأثير الجو الارهابى الذى أحدثه القاضى ابن ابى الليث.

و قد أورد صاحب كتاب القضاة و كتاب الولاه أمثله على ذلك. اذ

١- كتاب الولاه و كتاب القضاة / ٤٥١.

٢- تاريخ بغداد ١٤ / ١٨، و تاريخ الخلفاء / ٣٤١.

٣- مروج الذهب ٤ / ٣١٩.

٤- شذرات الذهب ١ / ٤٠٨، و العبر ٢ / ٦٩.

٥- كتاب الولاه و كتاب القضاة / ٤٥١.

روى عن نصر بن مرزوق انه قال: كنت جالسا فى المسجد فسمعت ضوضاء و رأيت الناس قد جفلوا فنظرت فاذا هارون بن سعيد الأيلى و طيلسانه تحت عضده و عمامته فى رقبته، و مطر غلام القاضى ابن ابى الليث يسوقه بعمامته، و هارون ينادى بأعلى صوته القرآن كذا و كذا، ثم اخرجه من المسجد يطاف به فى الطرق(١). كما يذكر اسماء عدد من العلماء الذين هربوا من مصر لأنهم امتنعوا عن القول بخلق القرآن(٢).

و من طريق ما يروى عن الحارث بن مسكين و قد امتحن على عهد الواثق بالله، فقيل له أتشهد ان القرآن مخلوق مخلوق؟ قال: قال: أشهد ان التوراه و الانجيل و الزبور و القرآن هذه الأربعة مخلوقه، و قد مد أصابعه الأربعة، فعرض بها و كنى عن خلق القرآن، و خلص مهجته من القتل(٣).

٢- محنه أحمد بن نصر الخزاعى:

ان الفقهاء و غيرهم من رجال الدين الذين رفضوا القول بخلق القرآن و تحملوا الطرد من وظائفهم و السجن و التعذيب، لم يتوقفوا عن تحدى السلطه و معارضه دعوتها. و قد تمثلت هذه المعارضه فى أيام الواثق بالله بفقهاء بغداد هو احمد بن نصر بن مالك الخزاعى، و هو اخو ثابت بن نصر الخزاعى الذى كان أميرا على الثغور مده سبع عشره سنه و قد حسن أثره فيها(٤).

و كان أحمد بن نصر قد سبق له أن تزعم المتطوعين الذين بايعوه على الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر لمقاومه أهل الشر و الفساد ممن

١- نفس المصدر / ٤٥١ - ٤٥٢.

٢- نفس المصدر / ٤٥٣.

٣- العقد الفريد ٢ / ٤٦٥.

٤- تاريخ بغداد ٧ / ١٤٢.

استغلوا ضعف السلطه ببغداد أيام الحرب بين الأمين و المأمون فعاثوا فى البلد فسادا. و استطاع ابن نصر و اتباعه حينذاك ان يعيدوا الأمن الى نفوس الناس و يطمئنوهم على أموالهم. و لذلك تيسر له ان يقود حملته ضد الدعوه الدينيه الجديده التى يدعو اليها الخليفه و قاضى قضاته.

و قد بدأت دعوه ابن نصر هذه مثل غيرها، تنتشر بصوره سرية فى أول الأمر و قد ساعدته ظروف معينه على كسب مزيد من الاتباع. و لعل أهم تلك الظروف هى شخصيته نفسه، فان نسبه يتصل بكعب بن عمرو الذى ورد ذكره فى الحديث الشريف «نزل القرآن على لغه الكعبين، كعب بن لؤى و هو ابو قريش، و كعب بن عمرو و هو ابو خزاعه»^(١) و كان جده مالك الخزاعى أحد نقباء الدعوه العباسيه، مما جعل له منزله مميزه فى مجتمع بغداد. يضاف الى ذلك انه من أهل العلم و الحديث، أمار بالمعروف قوال بالحق و داع اليه. فكان يشنع على القائلين بالدعوه الجديده. فقد روى عنه انه قال^(٢): رأيت مصابا قد وقع فقرأت فى اذنه فكلمتنى الجنيه من جوفه فقالت: يا أبا عبد الله بالله دعنى أخنقه فانه يقول القرآن مخلوق. كما كان يطلق لسانه فى الطعن بالخليفه و حاشيته، و يقول: ما دخل عليه أحد يصدقه.

و جاء فى تاريخ اليعقوبى ان احمد بن نصر كان قد قصد قاضى القضاة أحمد بن أبى دواد فى بعض أموره فرده، فانصرف غاضبا عليه ذاما له، و جعل يبسط عليه لسانه و يتهمه بالكفر و المروق عن الدين، فمال اليه قوم لا يشكون بان ذلك غضب للدين، فاشر أبت قلوبهم للمعصيه انتصارا للقرآن^(٣). فاعاد ابن نصر تنظيمه

١- تاريخ بغداد ٥ / ١٧٤.

٢- نفس المصدر / ١٧٥.

٣- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٢.

السابق القائم على مبايعته على الامر بالمعروف و معارضه القول بخلق القرآن. و قد بايعه عدد من العامه، كما اشرنا انتصارا للدين. فاتسعت دعوته و قويت حتى طمع بعض اتباعه بالثوره على الخلافه.

ان المصادر المتوفره عن الموضوع لا توضح ما اذا كان احمد بن نصر قد استهدف من تنظيمه الجديد الخروج على الخلافه لانها لم تعد شرعيه فى نظر و نظر اتباعه. و لكن يبدو انه قد استغلته جماعات أخرى و اتخذته واجهه لتحقيق مطامعها. اذ يذكر الخطيب البغدادي ان اثنين من الموسرين بذلا مالا و عزموا على الوثوب فى بغداد فى شعبان سنه ٢٣١ هـ (١). و ذكر الطبرى ما يشبه هذا و خلاصته ان شخصين من أهل بغداد أحدهما يعرف بابى هارون السراج، و الآخر يقال له طالب، و معهما شخص ثالث من أهل خراسان من أصحاب اسحاق بن ابراهيم المصعبى صاحب الشرطه، و هم ممن كانوا يظهرون تأييد ابن نصر، و يحركون اتباعه من اصحاب الحديث، و ممن ينكر القول بخلق القرآن من أهل بغداد، ليحملوه على اظهار حركته، و انهم قصدوه دون غيره لمنزلته التى اشرنا اليها. و كان طالب و اتباعه يعملون فى الجانب الغربى من بغداد، و يعمل أبو هارون و اتباعه فى الجانب الشرقى منها، و ان هذين الشخصين فرقا أموالا فى سبيل الوثوب بالخلافه، و قد عينوا موعدا لذلك (٢).

على ان اخبار المؤامره بلغت صاحب الشرطه، فبادر بالقبض على بعض اتباع أحمد بن نصر ثم تتبع الآخرين، و أصابت الشرطه فى منزل أحدهم اعلاما. ثم أخذ ابن نصر و أولاده و جماعه كانوا عنده فحملوا مقيدى الى سامرا. فعقد الخليفه مجلسا حضره قاضى

١- تاريخ بغداد ٥/ ١٧٦.

٢- الطبرى ٩/ ١٣٥-١٣٦.

القضاء أحمد بن أبي دواد، و اسحاق بن ابراهيم، و عبد الرحمن بن اسحاق، و كان قاضيا على الجانب الغربى من بغداد، و هو صديق لأحمد بن نصر. و لم يناظره الخليفة فى الشغب، و لا فى ارادته الخروج عليه، و قال له: دع ما اخذت له (١). و انما امتحنه فى القول بخلق القرآن، فأبى ان يعترف بأنه مخلوق. و لما سأله عن رؤيه الرب عز و جل فى الآخرة، أجاب بالايجاب مستشهدا بالحديث النبوى القائل «ترون ربكم يوم القيامه لا- تضامون فى رؤيته» و بالحديث «ان قلب ابن آدم بين اصبعين من أصابع الرحمن» فقال الواثق بالله: ويحك، يرى كما يرى المحدود و المتجسم، يحويه مكان و يحصره الناظر؟ أنا أكفر برب هذه صفته (٢).

و لما استطلع الخليفة ممن حضر المجلس رأيهم فى أقوال أحمد بن نصر، أحل القاضى عبد الرحمن بن اسحاق دمه، و طلب آخر ان يشرب من دمه. أما ابن أبي دواد فقال انه شيخ مختل العقل أو انه كافر يستتاب. الا ان الواثق بالله ضرب عنقه. و صلب و فى رجليه قيود، فى الحظيره التى صلب فيها بابك الخرمى و حمل رأسه الى بغداد فنصب فى الجانب الشرقى أياما، ثم حول الى الجانب الغربى.

و منع الناس من التقرب منه، و اقيم عليه الحرس. و علفت فى أذنه رقعه فيها: هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر قتله الله على يدى هارون الامام الواثق أمير المؤمنين بعد ان اقام الحججه عليه فى خلق القرآن و نفى التشبيه، و عرض التوبه عليه فابى الا المعانده، فعجل الله به الى ناره و أليم عذابه (٣).

و أمر الواثق بالله بحبس كل من عرف بصحبه أحمد بن نصر ممن ذكر انه كان مشايعا له. و وضع نيف و عشرون رجلا منهم فى

١- تأريخ بغداد ٥/ ١٧٧.

٢- نفس المصدر.

٣- تجارب الامم ٦/ ٥٣٢، و ورد هذا النص بشىء من التغيير فى الطبرى ٩/ ١٣٩ و فى تاريخ بغداد ٥/ ١٧٨.

حبوس الظلمه، و منعوا من أخذ الصدقه التي يعطاها المسجونون، كما منعوا من الزوار و ثقلوا بالحديد(١).

و يقول الذهبي ان الواثق بالله قتل ابن نصر بيده لامتناعه من القول بخلق القرآن، و لكونه اغلظ له في الخطاب، و قال له: يا صبي. و يقول ان أحمد بن نصر كان رأسا في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، فقام و معه خلق من المطوعه و استفحل امرهم، فخافته الدوله من فتق يتم بذلك(٢).

و يلاحظ على محاكمه أحمد بن نصر ان الخليفه تغاضى عن جريمته السياسيه و ما قام به من الشغب و التآمر على الدوله و الاستعداد للوثوب بالخلافه، رغم وضوح الأدله على ذلك و ثبوتها.

و انما استهدف من المحاكمه اثبات كفره و مروقه من الدين مما يحل قتل. و يظهر ان ذلك ناشىء عن اعتبار الخلافه منصبا دينيا و ان الخروج عليها و الكفر بالدين سواء. و قد يكون اغفال الجانب السياسى مقصودا لصرف اذهان الناس عن فكره التآمر على الخلافه أو الخروج عليها(٣).

و يذكرنا هذا بمحاكمه الأفسنين حيدر بن كاوس عند ما تهيأ للانتقاض على الخليفه المعتصم بالله، فقد اغفلت جريمته السياسيه كذلك، و حوكم على مخالفاته الدينيه فقط. لأن السياسه و الدين سواء فى نظر العباسيين.

١- تجارب الامم ٦ / ٥٣٢، و الطبرى ٩ / ١٣٩.

٢- العبر ١ / ٤٠٨.

٣- راجع عن تفصيلات حركه احمد بن نصر و محاكمته و قتله: الطبرى ٩ / ١٣٥ - ١٣٩، و تجارب الامم ٦ / ٥٢٩ - ٥٣٢، تاريخ بغداد ٥ / ١٧٥ - ١٧٨، و الكامل ٧ / ٢٠ - ٢٣.

٣- رجوع الواثق بالله عن القول بخلق القرآن:

تدل حركة احمد بن نصر بشكل واضح على قوه مناهضى الاعتزال من الفقهاء رغم تشدد ثلاثه من الخلفاء فى قرضه. و يقال ان الخليفه الواثق بالله رجع عن القول بخلق القرآن قبل موته (١).

و يروى المسعودى سبب رجوعه كما رواه ابنه محمد المهتدى بالله الذى قال ما خلاصته انه أقدم على الواثق بالله بشيخ من أهل الفقه و الحديث من أهل أذنه من الثغر الشامى مقيد ... فقال له: يا شيخ أجب أبا عبد الله أحمد بن ابى دواد فيما يسألك عنه. فقال:

يا أمير المؤمنين، أحمد يقل عن المناظره .. أتأذن لى فى كلامه؟

فأذن له، فأقبل الشيخ على ابن ابى دواد و قال له: مقاتلك هذه التى دعوت الناس اليها من القول بخلق القرآن، داخله فى الدين بحيث لا يكون تاما الا بالقول بها؟ قال: نعم. قال الشيخ: رسول الله صلى الله عليه و سلم (دع الناس اليها أو تركهم؟ قال: تركهم. فقال: فعلمها أو لم يعلمها؟ قال: علمها. قال: فلم دعوت الناس الى ما لم يدعهم اليه رسول الله صلى الله عليه و سلم و تركهم منه؟ فأمسك أحمد ... فصرف الرجل وجهه الى الواثق بالله و قال: يا أمير المؤمنين، اذا لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه و سلم و لاصحابه فلا وسع الله علينا.

فقال الواثق بالله: نعم لا وسع الله علينا ان لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه و سلم .. ثم قال الواثق بالله: اقطعوا قيده .. و أمر له بجائزه .. و احسب ان الواثق بالله رجع عنها منذ ذلك الوقت (٢).

١- تأريخ الخلفاء / ٣٤١.

٢- فى تأريخ بغداد ١٠ / ٧٥، و تأريخ الخلفاء / ٣٤٢ هو ابو عبد الرحمن عبد الله بن محمد الازرمى شيخ أبى داود و النسائى. مفصل الخبر فى مروج الذهب ٤ / ١٩٠ - ١٩٢، و النجوم الزاهره ٢ / ٢٦١ - ٢٦٩، و جاء الخبر فيه بثلاث روايات - و تأريخ بغداد ٤ / ١٥١ - ١٥٢.

و يظهر ان محاوله الانتقاض على خلافه الواثق بالله لم تقتصر على أحمد بن نصر الخزاعي و اتباعه. فقد كان هناك عدد غير قليل من رجال الدين، ممن رفضوا القول بخلق القرآن، قد راودتهم فكره الخروج على الخليفة الا ان الامام أحمد بن حنبل الذى كان رأس المعارضين لم تؤيد ذلك حرصا على وحده الامه و سلامتها و لم ير فى دعوه الخليفة الى القول بخلق القرآن ما يخرج عن الخلافه. و يقول ابو يعلى الحنبلى: اجتمع فقهاء بغداد الى ابى عبد الله أحمد بن حنبل، و قالوا: هذا أمر قد تفاقم و فشا- يعنون القول بخلق القرآن- نشاورك فى انا لسنا نرضى بأمرته و لا سلطانه. فقال: عليكم بالنكره بقلوبكم، و لا تخلعوا يدا من طاعه، و لا تشقوا عصا المسلمين(١).

١- الاحكام السلطانيه لأبى يعلى الحنبلى / ٥.

الفصل الرابع نهايه المحنه

١- المتوكل على الله ينهى المحنه:

سبقت الاشاره الى ان الواثق بالله كان قد تراجع فى أواخر أيامه عن الامعان فى فرض اراء المعتزله على الفقهاء و المحدثين.

و يقال انه تاب و رجع عن القول بخلق القرآن. الا ان المنيه ادركته قبل ان يشيع ذلك(١). فلما تولى المتوكل على الله الخلافه خالف ما كان عليه المأمون و المعتصم بالله و الواثق بالله من الاعتقاد بمذهب المعتزله، فنهى عن الجدل و المناظره و عاقب عليه. و أظهر السنه و تكلم بها فى مجلسه، و كتب الى الولايات برفع المحنه و اظهار مذهب السنه(٢).

و يظهر مما ذكره أبو المحاسن عن المحنه ان مبادره المتوكل على الله بانهاء القول بخلق القرآن كانت فى سنه ٢٣٤ هـ و يؤيده فى ذلك السيوطى(٣). و يبدو ان الخليفه الجديد كان متحمسا لالغاء المحنه و اعاده الطمأنينه الى النفوس باظهار السنه. فقد استقدم المحدثين و الفقهاء الى سامرا و اجزل لهم العطاء و اكرمهم و طلب اليهم ان

١- النجوم الزاهره ٢/ ٢٦٦.

٢- الطبرى ٩/ ١٩٠، و مروج الذهب ٤/ ٨٦.

٣- النجوم الزاهره ٢/ ٢٧٥، و تاريخ الخلفاء ٣٤٦.

يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية (١). تلك الامور التي منع المعتزله القول بها. و من جمله من استقدمهم المتوكل على الله من بغداد وغيرها، عبد الله و عثمان ابنا محمد بن ابي شيبه الكوفيين و كانا من حفاظ الناس، و قاضى البصره ابراهيم بن محمد اليتى، و محمد بن عبد الملك بن ابي الشوارب. و قسم فيهم الجوائز و الاعطيات، و اجرى عليهم الارزاق، و أمرهم بان يجلسوا للناس و يحدثوا بالاحاديث التي فيها رد على المعتزله (٢).

و قد لقيت مبادره المتوكل على الله بالغاء المحنه و اظهار السنه قبولاً حسناً من عامه الناس، فتركوا تلك المقاله، و انكرها من كان يقول بها، و ارتفع الجدل و المناظره (٣). و استحق عليها ثناء الناس و تقديرهم. حتى قال القاضى اليتى: الخلفاء ثلاثه: أبو بكر الصديق قاتل أهل الرده حتى استجابوا، و عمر بن عبد العزيز رد مظالم بنى أميه، و المتوكل على الله محا البدع و أظهر السنه (٤).

و قال محمد بن عبد الملك بن ابي الشوارب: انى جعلت دعائى فى المشاهد كلها للمتوكل، و ذلك ان عمر بن عبد العزيز جاء الله به لرد المظالم، و جاء بالمتوكل لرد الدين (٥).

و قال الشاعر البحرى يمتدح سياسه المتوكل الدينيه باحياء السنه، و يعرض بالقاضى أحمد بن ابي دواد، منها قوله (٦):

أمير المؤمنين لقد سكتالى أيامك الغر الحسان

رددت الدين فذا بعد ما قد اراه فرقتين تخاصمان

١- نفس المصدرين السابقين.

٢- تاريخ بغداد ١٠ / ٢٧ و ٢ / ٣٤٤.

٣- مشاكلة الناس لزمانهم / ٣٢.

٤- فوات الوفيات ١ / ٢٥٢.

٥- نفس المصدر ٢ / ٩٠.

٦- تاريخ بغداد ٧ / ١٦٩ - ١٧٠.

قصمت الظالمين بكل أرض فاضحى الظلم مجهول المكان

فى سنه رمت متجبريهم على قدر بدايه عوان

فما ابقى من ابن أبى دواسوى جسد يخاطب بالمعانى

تحرير فيه سابور بن سهل فطاوله و مناه الامانى

اذا اصحابه اصطحبوا بليل اطلالوا الخوض فى خلق القرآن

يديرون الكؤوس و هم نشاوى يحدثنا فلان عن فلان

ثم خطا المتوكل على الله فى سنة ٢٣٧ هـ خطوه أخرى فى تصفيه آثار المحنه، فاطلق من كان فى السجون من أهل البلدان ممن امتنع عن القول بخلق القرآن فى أيام أبيه، أو أخذ فى خلافه الواثق بالله، فخلاهم جميعا و كساهم(١). و كان ممن اطلق سراحه القاضى بشر بن الوليد الكندى أحد اصحاب ابى يوسف و قد اخذ عنه الفقه، و كان المأمون و لاه القضاء على مدينه المنصور، و قد ابتلى بالمحنه فى عهد المعتصم بالله، فاعفاه من القضاء و أمر أن يحبس فى منزله و وكل ببابه الشرط، و نهى ان يفتى احدا بشىء. فأمر المتوكل على الله باطلاقه و ان يفتى للناس و يحدثهم(٢).

و قد هم المتوكل على الله بانزال جثه احمد بن نصر الخزاعى المصلوبه منذ أيام الواثق بالله. فاجتمع الغوغاء حولها و كثروا و تكلموا فى أمر ابن نصر. فبلغ ذلك الخليفه فأمر بضرب قسم منهم و حبسهم. ثم أمر بعد ذلك بانزال الجثه و دفعها الى أوليائه فغسلت و دفنت. و كتب صاحب البريد ببغداد الى الخليفه بخر العامه الذين احتشدوا حول الجنازه باعداد لا تحصى و تمسحوا بها.

فأمر المتوكل على الله خليفته ببغداد ان يمنع اجتماع العامه فى مثل هذا الأمر و شبهه(٣).

١- تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٨٤-٤٨٥، و النجوم الزاهره ٢/ ٢٩٠.

٢- تاريخ بغداد ٧/ ٨٣.

٣- الطبرى ٩/ ١٩٠.

لقد كانت هناك بعض العوامل التي دفعت المتوكل على الله الى انتهاج هذه السياسه، لعل أهمها انه كان يتعصب للسنه و يمقت المعتزله. يضاف الى ذلك رغبته فى التقرب الى عامه الناس التي كان تأثير الفقهاء و رجال الدين عليها كبيرا. فقد لمس فشل اسلافه الثلاثه فى استماله الناس الى اعتناق مذهب المعتزله، و حاول كسب رضاهم و ولاءهم بالغاء المحنه و احياء السنه. قال يزيد المهلبى(١):

قال لى المتوكل يوما يا مهلبى ان الخلفاء كانت تغضب على الرعيه لتطيعها، و أنا ألين لهم ليحبونى و يطيعونى(٢).

٢- من ضحايا المحنه:

اشاره

كان الى جانب من ذكرنا من الفقهاء و رجال الدين ممن تعرضوا لغضب السلطه لعدم قولهم بان القرآن مخلوق، فقهاء و محدثون آخرون أوذوا فى سبيل تمسكهم بالسنه و عدم اقرارهم بخلق القرآن. و كان اشهرهم:

عفان بن مسلم الصفار:

أبو عثمان عفان بن مسلم الصفار البصرى، نشأ فى البصره و انتقل الى بغداد و صار من رجال الفقه و الحديث المرموقين فيها.

روى عنه الامام أحمد بن حنبل، و محمد بن سعد الزهرى، و البخارى فى صحيحه. يقول الخطيب البغدادي ان عفان بن مسلم أول من امتحن من الناس بمحنه القول بخلق القرآن، و روى عنه انه قال: دعانى اسحاق بن ابراهيم، فلما دخلت عليه قرأ على الكتاب الذى بعث به المأمون من الرقه، فاذا فيه امتحن عفان

١- تاريخ بغداد ١٧ / ١٦٦، و فوات الوفيات ١ / ٢٠٣.

٢- يزيد بن المهلب من بنى المهلب بن ابى صفره، شاعر محسن، من الندماء الرواه، اتصل بالمتوكل على الله و نادمه و مدحه، و رثاه بعد موته. و هو بصرى الاصل نشأ ببغداد و بها اشتهر، توفى سنه ٢٥٩.

و ادعه الى أن يقول القرآن كذا و كذا، فان قال ذلك فاقره على عمله، و ان لم يجبك بما كتبت به اليك فاقطع عنه الذى يجرى عليه- و كان المأمون يجرى على عفان خمسمائه درهم كل شهر- فلما قرأ اسحاق الكتاب، قال لى: ما ذا تقول؟ فقرأت عليه: «قل هو الله أحد، الله الصمد ..» حتى ختمتها، فقلت: مخلوق هذا؟ فقال اسحاق يا شيخ ان امير المؤمنين يقول انك ان لم تجبه الى الذى يدعوك اليه يقطع عنك ما يجرى عليك، و ان قطع عنك أمير المؤمنين قطعنا نحن عنك ايضا. فقلت له: يقول الله تعالى «وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوعَدُونَ»(١). فسكت اسحاق فانصرفت(٢).

و يلاحظ ان الطبرى الذى أورد تفصيلات دعوه المأمون الى القول بخلق القرآن و المراحل التى مرت بها تلك الدعوه، لم يشر الى ما ذكره الخطيب البغدادي. فقد ذكر الطبرى ان المأمون طلب الى اسحاق بن ابراهيم ان ينفذ اليه سبعة نفر عددهم(٣)، ليس فيهم عفان بن مسلم. و طلب اليه فى كتابه الثانى ان يمتحن القضاء و الفقهاء، فاحضر اسحاق ستة و عشرين عالما و فقيها(٤)، و لم يكن عفان بن مسلم بينهم. و لما اشخص اسحاق الى المأمون اثنين من الفقهاء مقيدين بالحديد(٥)، لم يكن عفان أحدهما. و عند ما اشخص اسحاق عددا اخر من الممتنعين عن الاجابه بالقول بخلق القرآن الى طرسوس ليقيموا فيها حتى خروج المأمون من بلاد الروم(٦)، فان عفان بن مسلم لم يكن بينهم كذلك.

و ما جاء فى الكامل عن هذا الموضوع يكاد يطابق ما اورده الطبرى(٧). و هو خال أيضا من الاشاره الى امتحان عفان بن

١- سورة و الذاريات، الايه: ٢٢.

٢- تاريخ بغداد ١٢ / ٢٧١.

٣- الطبرى ٨ / ٦٣٤.

٤- الطبرى ٨ / ٦٣٧.

٥- نفس المصدر / ٦٤٤.

٦- نفس المصدر / ٦٤٥.

٧- الكامل ٦ / ٤٢٣-٤٢٤ و ٤٢٧.

مسلم. و كذلك ما جاء فى كتاب العيون و الحدائق، و كتاب تجارب الأمم عن أمر المأمون بامتحان القضاء و الفقهاء (١)، خلا من الاشاره الى عفان بن مسلم. الا ان عدم ذكر اسم عفان بن مسلم الصفار فى المصادر التى أشرنا اليها لا يعنى عدم صحه ما اورده الخطيب البغدادي، فقد يكون امتحانه قد جرى فرديا. و قبل ورود كتاب الخليفه الى اسحاق بن ابراهيم بامتحان القضاء و الفقهاء.

توفى عفان ببغداد فى صفر سنه ٢١٩ هـ و عمره خمس و ثمانون سنه (٢).

محمد بن نوح:

الفقيه الزاهد محمد بن نوح بن ميمون بن عبد الحميد العجلي، و يعرف أبوه بالضرور (٣). عرف بشده التمسك بالسنه و الدين، و حدث شيئا يسيرا. و كان ممن ابتلى بالمحنه بالقول بخلق القرآن فى أواخر عهد المأمون. و يعتبر من الرعيل الأول من ضحايا تلك المحنه. اذ كان هو و الامام احمد بن حنبل ممن امتنع عن الاجابه بالقول بخلق القرآن عند ما امتحن اسحاق بن ابراهيم القضاء و الفقهاء و المحدثين ببغداد بأمر من المأمون. و لما كتب اسحاق الى الخليفه، و كان حينذاك غازيا فى بلاد الروم غزوته الأخيره، باسماء من رفض الاجابه، كتب اليه يرد على الممتنعين عن القول بخلق القرآن، و قد اتهم محمد بن نوح بالتعامل بالربا، اذ قال عنه:

و اما محمد بن حاتم، و ابن نوح، و المعروف بابن معمر، فاعلمهم انهم مشاغيل بأكل الربا عن الوقوف على التوحيد، و ان امير

١- العيون و الحدائق ٣/ ٣٧٦-٣٧٧، و تجارب الامم ٦/ ٤٦٥-٤٦٦.

٢- تاريخ بغداد ١٢/ ٢٧٧، و الكامل ٦/ ٤٥٤.

٣- تاريخ بغداد ١٣/ ٣٢٣.

المؤمنين لو لم يستحل محاربتهم في الله و مجاهدتهم الا لأربائهم و ما نزل به كتاب الله في امثالهم، لاستحل ذلك، فكيف و قد جمعوا مع الأرباء شركا و صاروا للنصارى شبيهاً(١). ثم أمره بعد ذلك ان يشخص اليه المخالفين. فقيده اسحاق الامام احمد بن حنبل و محمد بن نوح بالحديد و وجه بهما الى طرسوس ليقبلا فيها حتى يصلها المأمون عند عودته من بلاد الروم. و قد حملا متلازمين على بعير واحد، فلما وصلا الرقه جاء النبا بوفاه المأمون، فاعادهما والى الرقه الى مدينه السلام.

و كان محمد بن نوح قد مرض في الطريق، فمات في عانه.

فصلى عليه الامام احمد، و دفنه هناك، و كانت وفاته في سنة ٢١٨ هـ (٢). قال عنه الامام احمد: ما رأيت أحدا أقوم بأمر الله من محمد بن نوح رغم حدائه سنه، و قله علمه، فقد قال لي ذات يوم يا ابا عبد الله انت رجل يقتدى بك ... فاتق الله و اثبت لأمره، أو بما معناه، يشجعني على الثبات بمعارضه القول بخلق القرآن(٣).

نعيم بن حماد:

نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث بن همام، أبو عبد الله الخزاعي الفارسي. كان من الرحاله في طلب الحديث. نشأ في مرو من اسره عربيه و رحل الى العراق و الحجاز، ثم سكن مصر و لم يزل مقيما فيها الى ان أشخص الى سامرا في أيام المعتصم بالله، سمع الحديث على بعض محدثي عصره، و اختص بالمحدث عبد الله بن

١- الطبري ٨ / ٦٤٢.

٢- العبر ١ / ٣٧٧، و النجوم الزاهره ٢ / ٢٢٩.

٣- تاريخ بغداد ٣ / ٣٢٣.

المبارك، وسمى الفارضى لأنه كان من أعلم الناس بالفرائض(١).

و يقال انه أول من جمع المسند فى الحديث و صنفه(٢).

و قد اختلفت فيه آراء رجال الحديث، فمنهم من وثق بروايته و اعتبره ثقة صدوقا فروى عنه، و منهم من اتهمه بوضع الحديث و الحكايات المزوره، و وصفه بالوهم فيما يرويه، و قال بعضهم انه ليس من الحديث فى شىء(٣).

عند ما استخلف المعتصم بالله أمر قاضى مصر بحمل الفقهاء على القول بخلق القرآن. و قد تولى محمد بن ابى الليث تنفيذ أمر الخليفة، بعد ان استعفى القاضى هارون العوفى من هذه المهمه، فحمل نعيم بن حماد و آخرين ممن لم يجيبوا الى القول بخلق القرآن، الى دار الخلافه. و هناك قيد و سجن، و كان ذلك فى سنه ٢٢٤ هـ.

و لنعيم عده كتب فى الرد على الجهميه، و هو الخبير بأرائهم و أقوالهم، و قد قال: أنا كنت جهميا، فلذلك عرفت كلامهم، فلما طلبت الحديث عرفت انهم يدعون الى التعطيل(٤). و من هنا انبرى للرد عليهم. و جاء فى هديه العارفين ان له ثلاثه عشر كتابا فى الرد على الجهميه، و كتب فى الرد على أبى حنيفه، و ناقض محمد بن الحسن الشيبانى، و ان من تصانيفه أيضا كتاب الملاحم و الفتن، و مسند فى الحديث(٥).

ظل نعيم محبوسا حتى مات فى السجن. فكان ضحيه من ضحايا المحنه. و كان أوصى ان يدفن فى قيوده، و قال: انى مخلص(٦).

١- تاريخ بغداد ٣/ ٣٠٧، و النجوم الزاهره ٢/ ٢٥٤.

٢- تاريخ بغداد ٣/ ٣٠٦.

٣- شذرات الذهب ٢/ ٦٧، و تاريخ بغداد ٣/ ٣١٢.

٤- تاريخ بغداد ٣/ ٣١٢.

٥- هديه العارفين ٢/ ٤٩٧.

٦- تاريخ بغداد ٣/ ٣١٣.

و قد مات فى جمادى الاولى من سنة ٢٢٨ هـ (١). فجر فى قيوده و القى فى حفرة دون ان يكفن او يصلى عليه أحد (٢). لأن دعوه المعتزله كانت فى عنفوان قوتها.

محمد بن اسماعيل البخارى:

يظهر ان الخلاف فى القول فى القرآن اتخذ وسيله للطعن على بعض الفقهاء و رجال الحديث. فقد كان أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى يقول: ان أفعال العباد مخلوقه، لأن النبى صلى الله عليه و سلم قال «ان الله يصنع كل صانع و صنعته» و على هذا فان حركاتهم و أصواتهم و اكتسابهم مخلوقه. أما القرآن المتلو المبين، المثبت فى المصاحف، المسطور فى الكتب، المدعى فى القلوب فهو كلام الله ليس بخلق. قال الله تعالى «بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» (٣). فاتخذ منافسو البخارى قوله هذا حجه لا تهامه فى عقيدته. فقد قال محمد بن يحيى المحدث: من زعم ان القرآن مخلوق فقد كفر و خرج عن الايمان ... و من قال لا- أقول مخلوق أو غير مخلوق فقد ضاهى الكفر، و من زعم ان لفظى بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق فقد ضاهى الكفر، و من زعم ان لفظى بالقرآن مخلوق فهو مبتدع لا يجالس و لا يكلم. و من ذهب بعد مجلسنا هذا الى محمد بن اسماعيل البخارى فاتهموه، فانه لا يحضر مجلسه الا من كان على مذهبه (٤).

و قد رد البخارى على ذلك بقوله «من زعم انى قلت لفظى بالقرآن مخلوق فهو كاذب فانى لم أقله ... الا- انى قلت ان افعال العباد مخلوقه (٥).

١- نفس المصدر، و النجوم الزاهره، ٢/ ٢٥٤. و يقال انه توفى سنة ٢٢٩- تاريخ بغداد ٣/ ٣١٤، و النجوم الزاهره ٢/ ٢٥٧.

٢- تاريخ بغداد ٣/ ٣١٤.

٣- سوره العنكبوت، الايه: ٤٩.

٤- تاريخ بغداد ٢/ ٣١-٣٢.

٥- نفس المصدر/ ٣٣.

الباب الثامن علاقات الدوله العربيه بمملكه الروم

اشاره

- ١- الحروب بين العرب و الروم.
- ٢- المفاداه بين العرب و الروم.
- ٣- العلاقات الثقافيه و التجاريه بين العرب و الروم.

الفصل الأول الحروب بين العرب و الروم**١- مقدمه:**

اضطر الخليفه المأمون الى أن يخرج غازيا الى بلاد الروم فى كل سنه من السنوات الأربع الأخيره من سنى حكمه. فقد خرج فى سنه ٢١٥ هـ و فتح بعض الحصون الروميه. و لما هجم الروم فى السنه التاليه ٢١٦ هـ على طرسوس و المصيصه خرج على رأس حملته لردهم و تأديبهم، ففتح هرقله و عددا من الحصون. كما خرج فى سنه ٢١٧ هـ و حاصر مدينه لؤلؤه فهادنه أهلها. و قد توفى فى السنه التاليه و هو فى بلاد الروم. و كان قد قرر انشاء حصن قوى فأمر ببناء مدينه طوانه من أرض الروم و حشد لها الصناع، و ولى أبنه العباس أمر بنائها(١).

١- تجارب الامم ٦/ ٤٦٤، و العبر ١/ ٣٧٢.

ان هذه اللمحه القصيره عن أواخر أيام المأمون تعطينا صورته واضحه عن طبيعه العلاقه العدائيه المستمره بين الدوله العربيه و مملكه الروم.

لقد كان أبو اسحاق محمد بمعيه أخيه المأمون فى حملته الاخيريه، و كان المأمون أوصى له بالخلافه من بعده. و نظرا لما واجهه أبو اسحاق من معارضه بعض القواد الذين طالبوا بمبايعه العباس بن المأمون بدلا عنه، فقد قبل مهادنه الروم، و اسرع فى العوده الى عاصمه الخلافه. و أمر بهدم ما كان المأمون أمر ببنائه فى طوانه و حمل ما كان بها من السلاح و الآله الحربيه و غيرها مما قدر عليه، و احرق ما لم يقدر على حمله، و أمر بصرف من كان المأمون قد أسكنهم هناك، الى بلادهم(١). و قد يكون اسراع المعتصم بالله بالعوده الى العاصمه تنفيذا لما جاء فى وصيه المأمون له «و عجل الرحله عنى و القدوم الى دار ملك بالعراق»(٢). الا ان قيامه بتخريب الحصن الذى أمر أخوه ببنائه ليقف فى وجه هجمات البيزنطيين لم يعرف سببه، الا ان يكون يخالف أخاه فى أهميه موقع هذا الحصن من الناحيه العسكريه، أو انه أراد أن يغيض العباس، و قد كلفه أبوه بالقيام على بناء الحصن المذكور.

لقد شغل المعتصم بالله فى خلال السنوات الخمس الاولى من خلافته بالقضاء على ما واجهه من المشاكل و الاضطرابات الداخليه مما لم يستطع معه مهاجمه بلاد الروم أو توجيه بعض الحملات الى مدنهم الحدوديه. و يظهر ان الروم من جانبهم قد ملوا استمرار القتال مع الجيوش العربيه، و اغتنموها فرصه للراحه و الاستعداد على ان انشغال الجيش العربى فى القضاء على الاضطرابات، و بخاصه حركه بابك الخرمى، أصابه شىء من الانهاك. مما اثار فى نفوس

١- الطبرى ٨ / ٦٦٧، و تجارب الامم ٦ / ٤٧٠.

٢- الطبرى ٨ / ٦٤٩.

البيزنطيين أطعمهم الدفينه فى اجتياح بعض الثغور العربيه.

لا سيما و ان بابك الخرمى كان يغرى ملك الروم بمهاجمه الدوله العربيه لانشغال جيوشها بمقاتله اتباعه، مستهدفا من ذلك ان يخفف ضغط الجيش العربى عليه، اذا ما شغل الجيش المذكور فى جبهه اخرى.

و بالنظر لما كان للمدن الحدوديه القائمه بين الدوله العربيه و بلاد الروم من دور كبير فى الحروب التى كانت شبه مستمره بينهما، فقد اهتم الخلفاء العباسيون الأوائل بهذه المدن و الحصون فاعادوا بناء ما تخرّب منها، و زادوا فى تحصينها و فى عدد القوات المقاتله المرابطه فيها، كما شجعوا على السكن بها.

و يطلق اسم الثغور على المدن الحدوديه الحصينه التى حشدت بالمقاتلين، و منها كانت تشن الغارات على مدن الروم. كما يطلق اسم العواصم على الحصون و المدن العربيه الداخليه التى تنزل فيها الجيوش فتعتصم بها و تحتوى اذا عادت من هجماتها، او اذا أرادت الخروج الى الثغور(١). و هى بهذا الاعتبار تعصم الثغور و تمدّها فى وقت الحاجه.

٢- فتح عموريه:

عند ما ضيقت الجيوش العربيه الخناق على بابك الخرمى، و وجد نفسه و اتباعه مشرفين على الهزيمه و الهلاك، كتب الى ملك الروم توفيل يعلمه ان جيوش الخليفه مشغوله بمقاتلته، حتى ان المعتصم بالله وجه خياطه و طباخه- و يقصد بذلك من باب التهكم و السخرية، القائد جعفر الخياط و القائد ايتاخ الذى كان فى أول أمره طباخا- و يحثه على مهاجمه الثغور العربيه، لأنه ليس هناك

من يستطيع منعه عنها و صدّه عنها. و كان يستهدف من ذلك ان يضطر الجيش العربى على الحرب فى جبهه أخرى، فيسحب الخليفه بعض الجيوش التى تحاربه و يوجهها الى محاربه الروم، فيخف عليه ضغطها(١). و ذلك مما يتيح له فرصه لجمع شمل جيشه الممزق و مطاوله الجيش العربى.

و قد لقي اقتراح بابك استجابته من لدن توفيل الذى اغتنم الفرصه فخرج فى سنه ٢٢٣ هـ و معه ملوك برجان و البرغر و الصقاليه و غيرهم ممن جاورهم(٢). على رأس جيش كبير قدر بمائه ألف مقاتل، و قيل أكثر من ذلك، و فيهم من الجند نيف و سبعون ألفا، و بقيتهم اتباع منهم المحمره الذين كانوا قد انهزموا الى بلاد الروم حين قاتلهم اسحاق بن ابراهيم المصعبى فى سنه ٢١٩ هـ. و سار حتى وصل الى زبطره فدخلها و قتل عددا كبيرا من رجالها، و سبى نساءها و أطفالها، و أحرقها(٣). ثم اغار على ملطيه و ما جاورها من الحصون العربيه و أمعن فيها قتلا و سبيا و نهبا.

و مثل بمن صار فى يده من العرب فسمّل اعينهم و قطع آذانهم و أنوفهم(٤). فضج الناس فى سامرا و بغداد، و استغاثوا فى المساجد. و دخل ابراهيم بن المهدي على المعتصم بالله و انشده قائما قصيده يذكر فيها ما نزل باهل الثغور على أيدي الروم و يحضه على الانتصار لهم، و مما قاله(٥):

١- الطبرى ٥٦ / ٩.

٢- مروج الذهب ٥٩ / ٤.

٣- الطبرى ٥٦ / ٩، و مختصر تاريخ العرب / ٢٥٠، و جاء فيه ان زبطره مسقط رأس المعتصم بالله، بينما يذكر المسعودى ان مولده كان بالخلد ببغداد سنه سنه ثمانين و مائه- مروج الذهب ٦٤ / ٤.

٤- الكامل ٤٧٩ / ٦.

٥- مروج الذهب ٥٩ / ٤ - ٦٠، و ثمار القلوب / ١٦ و فيه: يا عتره الله، كناية عن بنى العباس.

يا غاره الله قد عاينت فانتهكى هتك النساء و ما منهن يرتكب

هب الرجال على أجرامها قتلت ما بال أطفالها بالذبح تنتهب

استعظم الخليفة الأمر، لا سيما عند ما بلغه ما يقال ان امرأه أسيره عند الروم صاحت: وا معتصماه. فاستثارته الحميه و أجابها و هو جالس على سريره: لبيك لبيك، و أعلن نفي الحرب (١) و يقول ابن العماد الحنبلي ان المعتصم بالله كان في مجلس انسه و الكأس في يده، فبلغه ان امرأه عباسيه أسيره في عموريه عند عالج رومي و قد لطمها على وجهها يوما فصاحت وا معتصماه. فقال لها العالج متهمكما ما يجي ء اليك الا على حصان أبلق. فختم المعتصم بالله كأسه و اقسم الا يشربه الا بعد قتل العالج و تحرير الامراه الاسيره. و يقول انه عند ما نادى بالرحيل لغزو عموريه أمر أن لا يخرج أحد من العسكر الا على حصان أبلق. فلما فتح عموريه دخلها و هو يقول: لبيك لبيك، فطلب العالج و ضرب عنقه و فك قيود الاسيره، و أمر ساقيه أن يأتيه بكأسه المختوم، فغك ختمه، و قال: الآن طاب الشراب (٢).

أما سبب الحمله على رأى القزويني فهو ان الروم في انقره اعتدوا على رجل من أهل العراق، فنادى يا معتصماه. فقالوا له اصبر حتى يأتيك على الأبلق لينصرك. فوصل هذا الخبر الى المعتصم بالله فأمر بشراء كل فرس ابلق و قصد بلاد الروم (٣).

ان ما اورده كل من المؤرخين المذكورين لا يعدو عن نقل ما اشيع من روايات و اخبار بين أهل سامرا و بغداد عند ما بلغهم خبر اجتياح الروم بعض الثغور، و اعلان الخليفه نفي الحرب. و ليس

١- العيون و الحدائق ٣/ ٣٩٠، و الكامل ٦/ ٤٨٠.

٢- شذرات الذهب ٢/ ٦٣-٦٤.

٣- اثار البلاد/ ٥٠٦.

بالضرورة ان تكون تلك الروايات و الأخبار حقيقيه. على انها بنفس الوقت تعطينا صورته عن اهتمام الناس بالأمر و محاولتهم استشاره الخليفه بمثل هذه الروايات. كما انها دليل على وقوع اعتداء الروم على المدن الحدوديه مما يستلزم نهوض الدوله لصدته و الرد عليه.

دعا المعتصم بالله الناس الى الجهاد و أمر بالاسراع فى تهيئه الجيش و تجهيزه بما يلزمه من السلاح و الآله و العدد، و حياض الادم و الروايا و القرب، و آله الحديد و النفط، و الدواب. حتى ذكر انه لم يتجهز مثله قبله خليفه قط. و بعد ان اكتمل اعداد الحمله قادها المعتصم بالله بنفسه. فخرج غازيا عليه دراعه بيضاء من الصوف، و قد تعمم بعمامه الغزاه(١) و ركب دابته و سمط خلفه شكالا و سكه حديد و حقيه فيها زاده(٢).

و كان ورود الخبر بهجوم الروم بعد الظفر ببابك الخرمى، مما سهل للخليفه التهيؤ لحرب واسعه جديده. و قد اشهد المعتصم بالله قاضى بغداد عبد الرحمن بن اسحاق و معه عدد من أهل العداله، على ما أوقفه من ضياعه، فجعل ثلثا لولده، و ثلثا لله تعالى، و ثلثا لمواليه(٣). ثم عسكر بموضع خارج سامرا يعرف بالعيون غربى دجله، فى أوائل جمادى الاولى سنه ٢٢٣ هـ (٤). و قد تألفت الحمله من جيشين تولى الخليفه نفسه قياده الجيش الرئيس و عبر به جبال كيليكيا سالكا درب طرسوس. و اناط قياده الجيش الآخر بالافشين حيدر بن كاوس و أمره بدخول بلاد الروم من الممر الشمالى، درب الحدث، عبر جبال طوروس، على أن يتلاقيا بأنقره، و جعل الخليفه على مقدمه جيشه القائد أشناس و اتبعه

١- مروج الذهب ٤ / ٦٠.

٢- الطبرى ٩ / ٥٦، و الفخرى / ٢١٠.

٣- الطبرى ٩ / ٥٦.

٤- نفس المصدر، و تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٧٥.

بالقائد محمد بن ابراهيم، و على يمتته ايتاخ، و على ميسرته جعفر بن دينار الخياط، أما القلب فقد اناط قيادته بعجيف بن عنبسه(١).

و قبل ان يتحرك المعتصم بالله بجيشه وجه عجيف بن عنبسه و عمر الفرغانى و جماعه من القواد الى زبطره اعانه لأهلها، فوجدوا ان الروم قد انصرفوا عنها، فمكتوا بها قليلا حتى اطمأن أهلها و عادوا الى قراهم و بيوتهم(٢).

لقد عزم المعتصم بالله على ان يسير الى مدينه عموريه بعد أن عرف انها أكبر المدن الروميه بعد القسطنطينيه و أمنعها، و انها موطن الاسره التي كانت تحكم الروم يومئذ. و لأهميه عموريه يسميها الدينورى القسطنطينيه الصغرى(٣). و يفهم مما جاء فى كتابى الطبرى و العيون و الحدائق، ان المعتصم بالله كان قد استفسر و هو بسامرا، أى قبل أن يتحرك بحملته، عن أمنع بلاد الروم فقيل له عموريه(٤). الا- ان صاحب الفخرى يقول ان المعتصم بالله ظفر ببعض أهل الروم فسأله عن أحصن مدنهم و أعظمها و أعزها عندهم، فقال له الرومى ان عموريه هى عين بلادهم، فتوجه اليها(٥). الا- اننا نرى ان ما ذكره ابن الطقطقى كان من باب الاستنتاج، لأن معرفه مدن العدو من حيث مواقعها و تحصينها و طرق الوصول اليها من ضرورات الامور العسكريه التي يتعين على الجيش الغازى أن يعرفها قبل سيره الى ساحه القتال. و مما يؤيد ذلك ان المعتصم بالله لما خرج بجيشه نقش على الألويه و التروس اسم

١- الطبرى ٩ / ٥٧.

٢- نفس المصدر.

٣- الاخبار الطوال / ٣٣٨.

٤- الطبرى ٩ / ٥٧، و العيون و الحدائق ٣ / ٣٩٠.

٥- الفخرى / ٢١٠.

عموريه و أمر أن يكتب كل حامل لواء على انه يقصد عموريه باللغه اليونانيه(١).

لقد استطاع قواد الحمله تنفيذ ما كلفوا به من الواجبات.

و كان جيش الافشين قد توغل فى بلاد الروم بعد ان هزم ملكهم فى معركة مهمه، و دخل بجيشه انقره، بعد ان استولى على عدد من المدن و الحصون الروميه. و تقدم الجيش العربى حتى وافى مدينه عموريه فاحاط بها. و كانت محصنه تحصينا قويا و لسورها أربعه و أربعون برجاً(٢). و بعد حصار شديد استخدمت فيه العرادات و المجانيق تمكن المهاجمون من عبور الخندق المحيط بالمدينه. و قد حاول المعتصم بالله ان يستخدم الدبابات فى اجتياز الخندق فأمر بأن يطم جزء منه بجلود الغنم المملوءه بالتراب، و عمل دبابات كبارا تسع الواحده منها عشره رجال ليدحرجها على الجلود المذكوره الى السور. الا انه لما تقدمت واحده من الدبابات و صارت فى منتصف الطريق تعلقت بتلك الجلود، و لم يتخلص الرجال منها الا بعد جهد و شده، فاهمل استخدامها(٣).

و مما ساعد على اقتحام المدينه ان احد اسرى العرب بعموريه أخبر الخليفه بان السيول كانت قد اجتاحت جزء من السور، فأمر ملك الروم عامل عموريه بأن يعمره، فتعجل فى ذلك و بناه بناء ضعيفا موقتا. فتعرف المعتصم بالله على ذلك الموضع من السور و امر بضربه بالمجانيق فتهدم، مما مكن الجيش العربى من دخول المدينه، فاضطرت حاميتها على الاستسلام، و اسر كبير قوادها ياطس(٤).

و أمر الخليفه بهدم المدينه و احراقها. و لكثرة الغنائم و الاسرى،

١- العرب و الروم / ١٣١.

٢- المسالك و الممالك / ١٠٧.

٣- الطبرى ٩ / ٦٥.

٤- الطبرى ٩ / ٦٨.

كان لا ينادى على بيع شىء منها أكثر من ثلاثة أصوات ثم يباع، أما الأسرى فكان ينادى عليهم خمسة خمسة و عشرة عشرة، و ذلك طلبا للسرعه(١).

و يقال ان ملك الروم عند ما هزمته الجيوش العربيه قبل فتح عموريه أرسل وفدا الى الخليفه المعتصم بالله يقول له «ان الذين فعلوا بزبطره ما فعلوا تعدوا أمرى، و أنا أبنيتها بمالى و رجالى، وارد ما أخذ من أهلها و اخلى جمله من فى بلد الروم من الاسارى، و ابعث اليك بالقوم الذين فعلوا بزبطره على رقاب البطارقه»(٢).

الا ان المعتصم بالله لم يأذن لوفد الروم فى المصير اليه و احتجزه حتى تم فتح عموريه فاذن له بالانصراف(٣). و يؤيد خبر الوفد ما ذكره صاحب كتاب رسل الملوك من ان ملك الروم توفيل بن ميخائيل ارسل الى المعتصم بالله اثر موقعه عموريه وفدا يحمل هدايا من ثياب الديداج المذهبه و غيرها، و معه كتاب يعتذر فيه عما بدر من جيشه فى زبطره، و يسأل الخليفه ان ينعم عليه باطلاق سراح البطارقه الذين اسرهم الجيش العربى و عددهم مائه و خمسون بطريقا، و انه مستعد لافتداء كل واحد منهم بمائه من أسرى المسلمين لديه(٤). و لا يظهر من الخير ما اذا كان الخليفه قد استجاب لالتماس ملك الروم.

يقول المسعودى ان المعتصم بالله أراد المسير الى القسطنطينيه و النزول على خليجها، و الحيله فى فتحها برا و بحرا، فاتاه ما أزعجه و صرف عما عزم عليه، من أمر العباس بن المأمون و ان بعض القواد قد بايعوه، و انه كاتب طاغيه الروم، فاعجل المعتصم فى العوده بعد

١- العيون و الحداثق ٣ / ٣٩٥، و الكامل ٦ / ٤٨٨.

٢- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٦.

٣- الطبرى ٩ / ٦٩.

٤- رسل الملوك / ٣٤ - ٣٥.

ان حبس العباس و مؤيديه (١). و يقول السيوطى ان المعتصم بالله كان قد عزم على المسير الى أقصى الغرب ليملك البلاد التى لم تدخل فى ملك بنى العباس، و قد روى عن أحمد بن الخصب انه قال: ان المعتصم بالله قال لى ان بنى أميه ملكوا و ما لأحدنا ملك، و ملكنا نحن و لهم بالاندلس هذا الأموى، فقد ر ما يحتاج اليه لمحاربتة و شرع فى ذلك فاشتدت علته و مات (٢).

يتضح من هذا ان المعتصم بالله كان يطمح فى الاستيلاء على الاندلس، و القضاء على المملكة البيزنطيه. و يبدو ان الروم كانوا يتوقعون ان يسير الجيش العربى، بعد اكتساحه عموريه، قدما نحو القسطنطينيه، بحيث بات الملك البيزنطى يخشى سقوط عاصمته فاستنجد بمدينه البندقيه و بملك الفرنج و بعبد الرحمن الثانى أمير الأندلس، الا انه لم يتلق ايه معونه من أحد منهم (٣).

على ان مؤامره العباس قد اضطرت المعتصم بالله على عقد الصلح مع ملك الروم و العوده الى سامرا، فسلمت بذلك القسطنطينيه و المملكة البيزنطيه.

و كان الشاعر أبو تمام الطائى الذى صحب المعتصم بالله فى حملته هذه، قال قصيدته المشهوره يمدح بها المعتصم بالله و يرد على تخرصات المنجمين و دعاواهم الكاذبه، و ان الفتح جلى وجه الجيش العربى بانتصاره المبين على الروم المخذولين، فكان ذلك انتصارا عظيما للاسلام، ننتخب منها الأبيات التاليه (٤):

السيف أصدق انباء من الكتب فى حده الحد بين الجد و اللعب

بيض الصفائح لاسود الصحائف فى متونهن جلاء الشك و الريب

١- مروج الذهب ٤ / ٦٠.

٢- تاريخ الخلفاء / ٣٣٧.

٣- الحدود الاسلاميه البيزنطيه ١ / ٣٨٨.

٤- كامل القصيده فى ديوان ابى تمام ١ / ٤٠ - ٧٤.

و العلم فى شهب الارماح لامعهبين الخميسين لا فى السبعه الشهب
أين الروايه بل أين النجوم و ماصاغوه من زخرف فيها و من كذب
تخرصا و أحاديثا ملفقهليست بنبع اذا عدت و لا غرب
عجائبا زعموا الايام مجفلهعنهن فى صفر الأصفار أو رجب
و خوفوا الناس من دهياء مظلمهاذا بدا الكوكب الغربى ذو الذنب
و صيروا الابرج العليا مرتبهما كان منقلبا أو غير منقلب
يقضون بالأمر عنها و هى غافلهمادار فى فلكك منها و فى قطب
لو بينت قط أمرا قبل موقعه لم تخف ما حل بالأوثان و الصلب
فتح الفتوح تعالى أن يحيط به نظم من الشعر أو نثر من الخطب
فتح تفتح أبواب السماء له و تبرز الأرض فى أثوابها القشب
يا يوم وقعه عموريه انصرفت منك المنى حفلا معسوله الحلب
أبقيت جد بنى الاسلام فى صعدهو المشركين و دار الشرك فى صبيب
ثم يصف هزائم الروم، حتى يقول:
تدبير معتصم بالله منتقم لله مرتقب فى الله مرتعب
الى أن يقول:

لم يغز قوما و لم ينهد الى بلاد الا تقدمه جيش من الرعب
لو لم يقد جحفلا يوم الوغى لغدامن نفسه وحدها فى جحفل لجب
رمى بك الله برجها فهدمهاو لو رمى بك غير الله لم يصب
من بعد ما اشبوها واثقين بهاو الله مفتاح باب المعقل الأسب

لبيت صوتا زبطريا هرقت له كاس الكرى رضاب الخرد العرب

أجبتة معلنا بالسيف منصلتاو لو اجبت بغير السيف لم تجب

خليفة الله جازى الله سعيك عن جرثومه الدين و الاسلام و الحسب

فمنحه المعتصم بالله عن كل بيت منها ألف دينار(١). و كان عدد أبياتها واحدا و سبعين بيتا. و يقول ابن دحية ان أبا تمام كرر انشاد القصيده ثلاثه أيام، فقال له المعتصم بالله: الى كم تجلو علينا عجوزك؟ قال: حتى استوفى مهرها يا أمير المؤمنين. فأمر له باثنين و سبعين ألف درهم نقره، عن كل بيت ألف درهم شرعى(٢).

و يقول أبو الفرج الاصبهاني ان أول خليفه عد أبيات الشعر و أعطى على عددها هو الوليد بن يزيد الخليفه الأموى لما هنأه الشاعر يزيد بن ضبه بتوليئه الخلافه، فأمر أن يعطى ألف درهم لكل بيت من قصيدته(٣).

استغرقت حمله المعتصم بالله على عموريه منذ أن عسكر بجيشه غربى دجله فى الثانى من جمادى الأول حتى افتتاح المدينه قرابه سته شهور، أما حصارها فقد دام خمسه و خمسين يوما(٤). أما عدد من اشترك من الجند فى الحمله فان الطبرى رغم التفصيلات التى أوردتها عن الحمله و المعارك التى جرت فيها لم يشر الى عدد المشتركين فيها. الا- ان المسعودى قال عن عددهم «لم يكن يحصى الناس العدد و لا يضبطون كثره، فمن مكثر و مقلل، فالمكثر يقول خمسمائه ألف، و المقلل يقول مائتى ألف»(٥) و يقدر ابن دحية عدد المشتركين فى الحمله بأكثر من ثلثمائه ألف رجل(٦). و ذكر اليعقوبى عددهم بصوره غير مباشره، فقد جاء فى تاريخه انه لما حبس العباس بن المأمون بعد اكتشاف مؤامراته، وجد له مائه ألف و سته عشر ألف دينار، فأمر المعتصم بالله أن تفرق على الجند،

١- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢١.

٢- النبراس / ٦٤.

٣- الاغانى / ٧ / ٩٩.

٤- الطبرى / ٩ / ٧٠.

٥- مروج الذهب / ٤ / ٦٠.

٦- النبراس / ٦٣.

فاحصوا فوجدوا ثمانين ألف مرتزق(١). و لا- يغرب عن البال ان هذا العدد يمثل الباقي من الجند المسترزقه المشتركين فى الحمله، و ان تقدير كل من المسعودى و ابن دحيه يشمل جميع الرجال المقاتلين، المسترزقه منهم و المتطوعه و المجاهدين مع أمراء الجيش و قاداته. و جاء فى كتاب العيون و الحدائق ان القواد و الامراء الذين شهدوا فتح عموريه كانوا نحو سبعين(٢). فاذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ان القائد يرأس ألف جندي، فان عدد المشتركين فى الحمله سبعون ألف جندي مرتزق، أى نظامى. و يمكن القول على ضوء ما ذكر ان عدد افراد الحمله لم يكن يقل عن مائه ألف جندي نظامى، يضاف اليهم المتطوعه و المجاهدون.

٣- أهم الحروب الحدوديه:

كانت الحروب على الحدود العربيه البيزنطيه سجالات بين الطرفين، ينال العرب من العدو، و ينال العدو منهم. و الذى يلفت النظر فى هذه الحروب كثره عدد أسرى العرب لدى الروم، و قد يكون سبب ذلك كثره هجمات العرب و غزواتهم على الثغور و الحصون الروميه. يقول المقرئى «و لكثره هجوم أساطيل العرب على بلاد العدو، فانها كانت تسير من مصر و الشام و من أفريقيا، فلذلك احتاج الخلفاء الى الفداء»(٣). و الواقع ان كثره الهجمات العربيه لم تقتصر على البحر فقط بل كانت فى البر أكثر.

و يلاحظ ان أكثر الغزو كان يقع فى الربيع و الصيف، لان الشتاء فى بلاد الروم قارس البرد كثير الثلوج، و ذلك مما لم يعتد عليه العرب. و يظهر ان حرب عموريه قد ارهقت الروم و انهكتهم،

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٧٦.

٢- العيون و الحدائق ٣ / ٣٩٨.

٣- الخطط المقرئيه ٢ / ١٩١.

فلم يعد باستطاعتهم ان يتأروا لها طيله أيام الواثق بالله. كما ان الواثق بالله نفسه لم تراوده فكره استثمار ضعف الدوله البيزنطيه، و لم يكن له أى طموح عسكري فساد السلام على الحدود بين الدولتين فى عهده، مما أفسح المجال لمفاداه الاسرى بين الطرفين، فتم فداء سنه ٢٣١ هـ الذى عرف بفداء خاقان الخادم.

و يظهر ان العرب استشعروا ضعف الروم، و لما انقضت مده الاربعين يوما، و هى مده الهدنه التى حددت للمفادات، غزا الامير أحمد بن سعيد بن مسلم الباهلى. الا ان التوفيق لم يحالفه اذ اصاب جيشه الثلج و المطر فمات من جنده حوالى المائتين، و غرق منهم فى نهر البرندون عدد آخر و أسر منهم آخرون، بحيث خسرت الحمله زهاء الخمسمائه رجل. و كان الروم قد تجمعوا لصد الحمله بعدد كبير مما اضطر الامير أحمد بن سعيد على التراجع مكتفيا بما غنمه من قطعان البقر و الماشيه. فغضب الخليفه الواثق بالله عليه و عزله (١). و هذا يؤيد ما قلناه من ان الواثق بالله كان يؤثر ان يسود السلام أرجاء الدوله العربيه.

و عند ما عين الأمير على بن يحيى الأرمنى أميراً على الثغور الشاميه اخذ يخرج لغزو الصواقي. فخرج فى سنه ٢٣٧ هـ، و استمر فى قياده صوائف السنتين التاليتين. و يبدو ان الغرض من خروجه سنويا كان لأرهاب العدو و منعه من التعرض للثغور العربيه.

و يقول أبو المحاسن عن غزوه على بن يحيى فى سنه ٢٣٩ هـ انه أوغل فى بلاد الروم حتى شارف القسطنطينيه، و احرق ألف قرية، و قتل عشره آلاف عالج، و سبى عشرين ألفاً، و عاد سالماً غانماً (٢).

و هاجم الروم فى يوم عرفه من سنه ٢٣٨ هـ السواحل المصريه، و كان والى مصر عنبسه بن اسحاق أراد طهور ولديه يوم العيد

١- الطبرى ٩/ ١٤٤-١٤٥.

٢- النجوم الزاهره ٢/ ٣٠٠.

الاضحى حتى يجمع بين العيد والفرح، واحتفل لذلك احتفالا كبيرا و احضر جميع من كان من الجند فى الثغور المصريه، تيس و دمياط و الاسكندريه، ليشاركوا فى الاحتفال، فخلت تلك الثغور من حامياتها. و يبدو ان اسطول الروم فى البحر المتوسط اغتتم الفرصه فجاءت ثلاثمائه سفينه من سفنه مشحونه بالمقاتلين و هاجمت ثغر دمياط فى صباح يوم عرفه و دخلوا المدينه دون ان يلقوا مقاومه، سوى ان أحد المحبوسين يقال له أبو جعفر بن الأكشف، و كان من وجوه المدينه و قد حبسه عنبسه مقيدا، قد أخرجه بعض أعوانه من السجن، فقاتل بهم الروم فهزمهم و اخرجهم من دمياط. الا ان الروم كانوا قد احرقوا بعض دور المدينه، و استولوا على الاسلحه و قتلوا كثيرا من الرجال العزل و سبوا نحوا من ستمائه امرأه، و يقال ان المسلمات منهن مائه و خمس و عشرون، و البقيه من نساء القبط. كما استحوذوا على الاموال التى كانت قد وضعت لتحمل الى العراق كالقند و الكتان.

و كان عدد الروم الذين نزلوا المدينه زها خمسه آلاف رجل، فاقروا سفنهم من المتاع و الأموال و النساء، و احرقوا المسجد الجامع و الكنائس فى المدينه، و كان من غرق فى بحيره دمياط من النساء و الصبيان أكثر مما سباه الروم(١).

و لما بلغ عنبسه نبأ هجوم الروم على دمياط نفر اليها بعد النحر فى جيشه فلم يدركهم لأنهم كانوا قد مضوا الى مدينه تيس و نزلوا فى اشتومها و هو الموضع الذى يصب فيه النيل فى البحر المتوسط.

و كان لها سور له بابان من الحديد كان المعتصم بالله قد امر بعمله.

فخربوا السور و احرقوا ما فى الحصن من المجانيق و العرادات، و أخذوا باييه الحديد و حملوهما معهم(٢). و كان أحد شعراء مصر

١- راجع عن مهاجمه الروم دمياط: الطبرى ٩/ ١٩٣-١٩٥، و الكامل ٧/ ٦٨-٦٩ و فيه اسم ابن الاكشف يسر، و النجوم الزاهره ٢/ ٢٩١-٢٩٥.

٢- الطبرى ٩/ ١٩٤-١٩٥، و الكامل / ٦٩.

و هو يحيى بن الفضيل نظم شعرا يستنهض به همه الخليفة و يستثيره، و يعيب على الوالى تهاونه، اذ قال(١):

أترضى بأن يوطأ حريمك عنوهو ان يستباح المسلمون و يحربوا

حمار اتى دمياط و الروم وثب بتئيس رأى العين منه و اقرب

مقيمون بالأشتوم يبغون مثل ماأصابوه من دمياط و الحرب ترتب

فما رام من دمياط شبرا و لادرى من العجز ما يأتى و ما يتجنب

فلا تنسانا بدار مضيعه بمصر و ان الدين قد كاد يذهب

فأمر المتوكل على الله ببناء حصن دمياط، فتولى عمارته عنبسه بن اسحاق و انفق فيه أموالا طائلة. و قد دفع هجوم الروم على دمياط و تئيس الخليفة الى الاهتمام بانشاء اسطول بحرى فى مصر ليؤمن صد الهجمات البحريه التى قد تقع عليها. فانشأ عنبسه أول اسطول حربى لمصر، و بنى الموانى للسفن الحربيه أو جعل الارزاق لغزاه البحر كما هى لغزاه البر. و انتخب له القواد العارفين بمحاربه العدو فى البحر. و كان لا يستخدم فى الاسطول غشيم و لا جاهل بأموار الحرب، فاجتهد الناس بمصر فى تعليم أولادهم الرمايه و فنون الحرب البحريه. و صار للعاملين فى الاسطول حرمه و مكانه، بحيث صار كل واحد من الناس يرغب فى ان يعد من جملتهم و يسعى الى ذلك بكل الوسائل(٢).

و اغار الروم فى سنه ٢٤١ هـ على عين زربه فاسروا من كان فيها من الزط مع نساءهم و أطفالهم و جواميسهم و بقرهم(٣)، و كان المعتصم بالله نقلهم اليها عند ما قضى على تمردهم فى سنه ٢٢٠ هـ.

١- الخطط المقريزيه ١/ ٢١٤، و كتاب الولاه و كتاب القضاة / ٢٠١ و فيه اسمه يحيى بن الفضل.

٢- الخطط المقريزيه ٢/ ١٩١.

٣- الطبرى ٩/ ٢٠١، و الكامل ٧/ ٨٠.

و كان قد جرى في هذه السنه، أى ٢٤١ هـ، فداء بين العرب و الروم، و عند ما انتهت مده هدنه الفداء هاجم الروم في السنه التاليه ثغر شمشاط(١)، بعد خروج على بن يحيى من الصائفه و تقدموا حتى قاربوا مدينه آمد. و كان دخولهم من ناحيه أبرق شمالى ملطيه، ثم اتجهوا الى الثغور الجزريه فانتهبوا عده قرى و أسروا نحو عشره آلاف رجل. فتبعهم عمر بن عبد الله الأقطع و معه عدد كبير من المتطوعين فلم يلحقوا بهم، لأنهم كانوا قد انصرفوا الى بلادهم، فأمر الخليفه المتوكل على الله على بن يحيى ان يسير الى بلادهم شاتيا(٢).

و حينما كان المتوكل على الله فى دمشق فى سنه ٢٤٤ هـ وجه القائد بغا لغزو الروم، فغزا الصائفه و افتتح صمله و عاد غانما(٣). كما خرج على بن يحيى لغزو الصائفه فى السنه التاليه، الا ان الروم كانوا بنفس الوقت قد أغاروا على سميساط فقتلوا و سبوا نحوا من خمسمائه انسان. و بعث ملك الروم الى أهل حصن لؤلؤه بطريقا يقال له لغثيط(٤)، يضمن لكل رجل منهم ألف دينار اذا ما سلموه الحصن، فقبضوا عليه و سلموه الى القائد التركى بلكاجور فحملة الى أمير الثغور على بن يحيى، فبعث به الى الخليفه، و كتب ملك الروم يبدل مكانه ألف رجل من أسرى العرب(٥).

و شهدت سنه ٢٤٦ هـ عده غزوات عربيه قام بها عدد من القواد. فقد غزا عمر بن عبد الله الأقطع الصائفه و عاد بسبعه آلاف أسير(٦). و غزا قرياس و عاد بخمسه آلاف أسير، و غزا الفضل بن

١- الطبرى ٢٠٧/٩، و الكامل ٨١/٧ و فيه انهم هاجموا سميساط.

٢- الطبرى ٢٠٧/٩، و الكامل ٨١/٧.

٣- الطبرى ٢٠٩/٩.

٤- يقول ابن حوقل ان اللغثيط هو الوزير- صوره الارض / ١٧٨.

٥- الطبرى ٢١٨/٩، و الكامل ٨٩/٧.

٦- فى الكامل سبعة عشر ألفا.

قارن بحرا فى عشرين مركبا و افتتح حصن انطاكيه على الساحل الجنوبى لبلاد الروم، كما غزا على بن يحيى فعاد بخمسه آلاف أسير و من الدواب بعشره آلاف رأس، و غزا بلكاجور فغنم و سبا أيضا(١). فكان موسم الغزو العربى فى هذه السنه مفعما بالمغانم و الانتصارات الموضعيه.

و لما تولى المنتصر بالله الخلفه اخرج القائد وصيفا على رأس جيش قوامه اثنى عشر ألف رجل عدا المتطوعين، لرد هجوم رومى مزعوم، فنزل ملطيه و غزا الصائفه فدخل بلاد الروم و افتتح حصن فردريه(٢).

و غزا الصائفه فى سنه ٢٤٩ هـ القائد جعفر بن دينار فافتتح حصنا، و استأذنه عمر الأقطع أمير ملطيه فى المصير الى ناحيه الروم فاذن له، فسار عمر و معه جيش كثير العدد فتوغل فى بلاد الروم، فتصدى له ملك الروم فى جيش يزيد على خمسين ألف مقاتل فحاطوا بالحمله العربيه، فقتل الأقطع مع ألف رجل من جيشه. و تقدم جيش الروم نحو الثغور الجزريه و تغلب عليها. فبلغ ذلك الأمير على بن يحيى الذى قد نقل الى الولايه على أرمينيه و اذربيجان، فبادر الى مساعده جيش ابن الأقطع و اشتبك بجيش الروم، فقتل مع أربعمائه من أصحابه. و كان هذان القائدان الأقطع و الأرمنى من أبرز القاده الشجعان، و يصفهما الطبرى انهما كانا نابين من أنياب المسلمين، و كان الروم يرهبون جانبهما. و لذا كان مقتلهما، و هما فى ميدان الجهاد، خساره كبيره أصيب بها الجيش العربى، مما كان له صدى قويا فى مختلف أرجاء الدوله العربيه، و بخاصه فى حاضرتها سامرا و فى مدينه السلام. اذ شق الأمر على الناس و عظم عليهم فقدهما، مع حنقهم الشديد على القواد الاتراك

١- الطبرى ٩ / ٢١٩، و الكامل ٧ / ٩٣.

٢- الطبرى ٩ / ٢٦٠، و الكامل ٧ / ١١٩.

و استفضاعهم معاملتهم الخلفاء، اذ صاروا يستخلفون من يحبون استخلافه و لا يحدوهم فى ذلك غير مصالحهم الخاصه دون رعايه لشؤون الدين أو مصالح الامه. فاجتمعت العامه ببغداد بالصراخ و النداء بالنفير. و انضم اليهم الجند من الانباء و الشاكرية بحجه مطالبتهم بارزاقهم، ففتحوا السجون و اخرجوا من فيها، و احرقوا أحد جسرى المدينه و قطعوا الآخر. أما فى سامرا فقد وثب جمع كبير من الناس ففتحوا السجن و اخرجوا من فيه، و لما حاولت قوه من الجند تشتيتهم وثب بهم العامه و اتسع نطاق شغبهم. فخرج كبار قواد الأتراك: وصيف و بغا و اوتامش، على رأس جنودهم و قتلوا من العامه جماعه. و لما رمى وصيف بحجر أمر النفاطين فقتلوا حوانيت التجار و منازل الناس بالنار، و انتهوا بعض المنازل و الحوانيت. فاستثارت هذه الحوادث حميه بعض أهل اليسار من سامرا و بغداد فاخرجوا أموالا كثيره و فرقوها فيمن ينهض الى الثغور لحرب الروم، فاقبل المتطوعون من نواحى مختلفه من أرجاء الدوله(١).

و يظهر ان الدوله العربيه لم تكن مستعده لتوجيه جيش لحرب الروم فى تلك المده، و ذلك لاضطراب شؤون الخليفه المستضعف المستعين بالله بسبب النزاع القائم بين القواد الاتراك من جهه و الخليفه و القائد المتسلط أو تامش من جهه أخرى و الذى انتهى بقتل أو تامش و ازدياد ضعف مركز الخلافه، و لهذا لم يستطع الخليفه ان يستفيد من حماس الناس و يوجههم لحرب العدو. و فى هذا يقول الطبرى «فلم يبلغنا انه كان للسلطان فيما كان من الروم الى المسلمين من ذلك تغيير، و لا توجيه جيش اليهم لحربهم فى تلك الايام»(٢).

١- راجع عن حوادث الشغب المذكوره: الطبرى ٩ / ٢٦١-٢٦٣، و الكامل ٧ / ١٢١-١٢٣.

٢- الطبرى ٩ / ٢٦٢.

على ان القائد بلكاجور استطاع أن يغزو في صيفين متتاليين في الستين التاليتين و يستولى على بعض الحصون و يأسر جماعه من الروم(١).

ان انقسام الخلافة العباسيه في عهد المستعين بالله و قيام خليفتين في وقت واحد، و نشوب الحرب بين سامرا و بغداد، و ما تبع ذلك من مشاكل داخلية و ازدياد نفوذ القواد الاتراك، و اشتداد الصراع بينهم و بين الخلفاء، ثم قيام ثوره الزنج و استفحالها. كل ذلك أدى الى انشغال الدوله عن الثغور العربيه فضعفت حامياتها، و لم تعد متحمسه للغزو و القتال. بحيث انه لما غزا محمد بن معاذ من ناحيه ملطيه في سنة ٢٥٣ وقع أسيرا بيد الروم و هزم جيشه(٢). و تلت هزيمته و اسره مده هدوء على الحدود العربيه-الروميه. الا ان انهماك الجيش العربي داخليا في اخضاع ثوره الزنج في عهد المعتمد على الله شجع الروم على اغتنام الفرصه، فارسيل باسيل الأول، مؤسس الاسره المقدونيه في بلاد الروم، جيشا كبيرا ليقوم بهجوم واسع على طول حدود الدوله العربيه الفاصله بينها و بين مملكته. و قد استطاعت احدى الحملات أن تستولى على سميساط في سنة ٢٥٩ هـ، ثم حاصرت ملطيه، الا ان أهلها استطاعوا رد المهاجمين، و قتلوا قائد الحمله(٣).

و في سنة ٢٦٣ هـ سلمت حاميه لؤلؤه من الصقاليه الحصن الى الروم(٤). و يغزو ابن الاثير ذلك الى والي طرسوس القائد التركي ارخوز بن يولغ بن طرخان، و كان غرا جاهلا-فاساء السيره في أهل الثغر و آخر عن حاميه لؤلؤه ارزاقهم و ميرتهم، فضجوا من ذلك و كتبوا الى أهل طرسوس يشكون منه و يهددون بتسليم القلعه الى

١- الطبري ٩ / ٢٧٧ و ٣٢٧، و الكامل ٧ / ١٦٤.

٢- الطبري ٩ / ٣٧٧، و الكامل ٧ / ١٨٣.

٣- الطبري ٩ / ٥٠٦، و الكامل ٧ / ٣٦٧.

٤- الطبري ٩ / ٥٣٢.

الروم اذا لم تصلهم ميراثهم و ارزاقهم. فغظم ذلك على أهل طرسوس فبادروا الى جمع مبلغ خمسة عشر ألف دينار من بينهم و سلموها الى ارخوز ليحملها الى أهل لؤلؤه فأخذها لنفسه. فلما أبطا المال على أهل لؤلؤ فسلموا القلعه الى الروم. و لما اتصل الخبر بالخليفه المعتمد على الله اضاف ولايه طرسوس الى اماره احمد بن طولون ليقوم بأمرها و أمر الحصون التابعه لهم، و ليغزو الروم منها(١).

و غزا في السنه التاليه عبد الله بن رشيد بن كاوس عامل الثغور في أربعة آلاف رجل من أهل الثغور الشاميه، فدخل بلاد الروم فقتل و سبى و غنم. و لما رحل عائدا احاط به ثلاثه من بطارقه الروم بجيوشهم، فقاتلهم باتباعه فقتل أكثرهم و تمكن الروم من أسره بعد اصابته بعده طعنات، فحمل الى ملك الروم. و لم يلبث في الأسر الا قليلا، اذ ان الروم شعروا بقوه ابن طولون المتناميه و شدته في منازلهم، فبعث ملكهم بعيد الله بن رشيد و عدد من الاسرى و انفذ معهم عددا من المصاحف المذهبه هديه اليه(٢).

و يظهر ان اناطه اماره الثغور بأمير مصر أحمد بن طولون اعاد الحماس الى حامياتها و المتطوعه فيها. فاخذت غزواتهم تترى سنه بعد أخرى فيغنمون و يعودون. فقد غزا سيما الخادم عامل ابن طولون على الثغور الشاميه في سنه ٢٦٦ هـ في ثلاثمائه رجل من أهل طرسوس، فخرج عليهم نحو أربعة آلاف من الروم فاقتتلوا قتالا شديدا قتل فيه خلق كثير من العدو و أصيب آخرون، الا ان قسما من جيش الروم وصل الى ديار ربيعه شمالي الجزيره غربى نهر دجله، فقتلوا و أسروا نحو من مائتين و خمسين شخصا. فنفر اليهم بعض رجال الموصل و نصيبين، ففر الروم راجعين(٣).

١- الكامل ٧ / ٣٠٨ - ٣٠٩.

٢- الطبرى ٩ / ٥٤٥، و الكامل ٧ / ٣٢٨.

٣- الطبرى ٩ / ٥٤٩، و الكامل ٧ / ٣٣٢.

و غزا فى سنه ٢٦٨ هـ خلف الفرغانى عامل ابن طولون، من ناحيه الثغور الشاميه فقتل من الروم بضعه عشر ألفا، و غنم من الأموال كثيرا، بحيث بلغ سهم المحارب منها أربعين دينارا(١).

و لما أغار ملك الروم المعروف بابن الصقليه و اناخ على ملطيه فى نفس السنه المذكوره، بادر أهل مرعش و الحدث الى نجدتها، و ارغموا الجيش الرومى على الفرار(٢).

و حاول الروم فى سنه ٢٧٠ هـ القيام بهجوم واسع على الثغور العربيه. فتقدم بطريق البطارقه اندرياس على رأس جيش يربو عدده على مائه ألف مقاتل، فنزل على قلميه، و هى على بعد سته أميال من طرسوس. فخرج اليه القائد يا زمان عامل ابن طولون على الثغور و كمن لجيش الروم و أوقع به هزيمه منكره و أصابه بخسائر جسيمه جدا، اذ يقال انه كبده سبعين ألف قتيل، منهم عدد من البطارقه و كبيرهم بطريق البطارقه، و غنم العرب غنائم لا تحصى. فقد اخذوا لهم سبعة صلبان ذهب و فضه مع صليبهم الاعظم من الذهب المكمل بالجواهر. و استحوذوا على خمسه عشر ألف دابه و من السروج نحو ذلك، و استولوا على سيوف محلاه بالذهب و الفضة، و اربعة كراس من ذهب و مائتى كرسى من فضه، و مائتى طوق ذهب، و نحو عشره آلاف علم دياج، و غير ذلك كثير(٣).

و يعتبر هذا أعظم انتصار للجيش العربى على الروم بعد عموريه.

ثم غزا يازمان القائد فى سنه ٢٧٥ هـ بحرا و هزم الروم و غنم منهم أربعة مراكب(٤). و يقول ابن خلدون ان يازمان غزا بالصائفه

١- الطبرى ٩ / ٦١٢، و الكامل ٧ / ٣٧٣.

٢- نفس المصدرين السابقين.

٣- الكامل ٧ / ٤٠٦-٤٠٧، و المنتظم ٥ / ٧٠-٧١، و تاريخ ابن خلدون ٣ / ٧١٠ و جاء اسم القائد فى الكامل: بازمار.

٤- الكامل ٧ / ٤٣٣، و المنتظم ٥ / ٩٤.

أيضاً و توغل فى أرض الروم و قتل و سبى و أسر و غنم و عاد الى طرسوس(١).

و عند ما خرج يازمان للغزو فى سنه ٢٧٩ هـ وصل الى «شكند»، فاصابته شظيه من حجر منجنيق فى اضلاعه، فارتحل عائدا بعد أن أو شكك على الاستيلاء عليها، فتوفى الطريق، فحمل الى طرسوس فدفن فيها(٢). و كانت هذه آخر غزوه خرجت الى بلاد الروم من الثغور العربيه فى عهد الخلفاء العباسين فى سامرا.

١- تاريخ ابن خلدون ٣ / ٧١١.

٢- الكامل ٧ / ٤٤٩، و تاريخ ابن خلدون ٣ / ٧١١ و سمي المدينه: اسكندا.

الفصل الثانى المفاداه بين العرب و الروم

١- فداء سنه ٢٣١ هـ:

لعل أهم الاحداث التى جرت مع الروم فى عهد الواصل بالله هى عمليه الفداء التى تمت فى سنه ٢٣١ هـ. و تعتبر هذه المفاداه الثالثه التى تمت منذ تولى العباسيون حكم الدوله العربيه(١). فقد قدم على الخليفه بسامرا وفد من ملكه الروم تيودوره الوصيه على ابنها ميخائيل بن توفيل، يفاوض فى فداء أسرى الروم بمن فى أيديهم من أسرى الحرب، فاجاب الخليفه بالموافقه(٢). و قد جرت بين الوفد البيزنطى و الوزير محمد بن عبد الملك الزيات مفاوضه للاتفاق على شروط المفاداه. و كان رسل الروم قد اشترطوا ان لا يأخذوا فى الفداء امرأه عجوزا و لا شيخا كبيرا و لا صبيا، و استمرت المفاوضات عدّه أيام الى ان اتفق الطرفان على أن يكون الفداء على أساس كل نفس بنفس(٣).

١- تم الفداء ان الاول و الثانى فى عهد هارون الرشيد- التنبيه و الاشراف / ١٦١ و يقول الطبرى ١٤٢ / ٩ ان آخر فداء قد تم فى عهد محمد الامين.

٢- الطبرى ١٤١ / ٩، و تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٢، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٢.

٣- الطبرى ١٤٢ / ٩، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٣.

و كان الخليفة قد بعث الى بلاد الروم من يتعرف على عدد أسرى العرب هناك، فكان عددهم ثلاثة آلاف رجل و خمسمائه امرأه(١).

و كان عدد أسرى الروم أقل من ذلك، فأمر الواثق بالله بشراء الرقيق و الاسرى الروم من سامرا و بغداد و غيرهما. فاشترى من وجد منهم، فلم يتم العدد المطلوب فتبرع الخليفة فاخرج من كان فى قصره من النساء الروميات العجائز و غيرهن حتى تم العدد(٢).

و عقد الخليفة لأحمد بن سعيد بن مسلم الباهلى على ولاية الثغور و العواصم و أمره ان يحضر عمليه الفداء، و بعث معه خاقان الخادم الذى عرف هذا الفداء بأسمه باعتباره ممثل الخليفة. كما حضر أحد الخبراء بالشؤون الروميه هو مسلم الجرمى، و كان ذا معرفه بأهل الروم و أرضها، و له مصنفات فى اخبارهم و ملوكهم و بلادهم و طرقها و مسالكها، و أوقات الغزو و الغارات عليها(٣).

كما وجه باثنين من أصحاب القاضى ابن ابى دواد، أى من المعتزله، هما يحيى بن آدم الكرخى و يكنى بابى رمله، و جعفر بن محمد الحذاء. و بعث معهما كاتباً يدعى طالب بن داود، و امرهم بامتحان الاسرى العرب وقت المفاداه، فمن قال بخلق القرآن و ان الله لا يرى يوم القيامة، فودى به و اعطى دينارا واحداً، و من لم يقل بذلك ترك فى أيدي الروم(٤).

و لما كان يوم عاشوراء من سنه ٢٣١ هـ اجتمع العرب و معهم أسرى الروم، و اتى الروم و معهم الاسرى العرب. و حضر المفاداه عدد كبير من العرب من جند و متطوعه، و يقدر اليعقوبى عددهم

١- الطبرى ٩ / ١٤٢.

٢- الطبرى ٩ / ١٤٢، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٢، و الكامل ٧ / ٢٤.

٣- التنبيه و الاشراف / ١٦٢.

٤- الطبرى ٩ / ١٤٢، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٢، و تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٢ و فيه دفع لمن فودى به ديناران و ثوبان.

بسبعه آلاف رامح سوى من ليس معه رمح (١). و يظهر ان تقديره لا يخلو من المبالغه، اذ يقدر الطبرى عدد الحاضرين بأربعه آلاف فارس و راجل (٢). فخاف الروم لقلتهم و كثره العرب، فأمنهم خاقان الخادم و ضرب لهم أربعين يوما هدنه لا يقوم العرب خلالها بغزوهم، حتى تتسنى لهم العوده الى بلادهم (٣).

و تمت عمليه المفاداه على نهر اللامس على بعد مرحلتين من طرسوس. و كان النهر يفصل بين الطرفين، فوقف العرب من جانبه الشرقى، و الروم من الجانب الغربى. و كان العرب يطلقون الأسير من الروم، فيطلق الروم أسيرا من العرب، فيلتقيان فى وسط النهر و كان مخاضه يعبره الاسرى. و قيل كان على النهر جسر، كما قيل كان عليه جسران احدهما للعرب و الآخر للروم. فيأتى كل منهم الى أصحابه فاذا وصل الأسير العربى كبير العرب، و اذا وصل الاسير الرومى استقبله الروم بالصياح، حتى فرغوا من الفداء (٤).

و يقول ياقوت الحموى ان اللامس قريه على شاطىء بحر الروم من ناحيه طرسوس، كان فيها الفداء بين العرب و الروم، يقدم الروم فى البحر فيكونون فى سفنهم، و العرب فى البر، فيتم الفداء، و يؤيده ابن حوقل فى ذلك (٥).

استغرقت عمليه الفداء بين العرب و الروم أربعه أيام (٦).

أما عدد من فودى بهم من الاسرى العرب و من كان معهم من أهل الذمه، فقد تراوح بين خمسمائه رجل و سبعمائه امرأه على ما ذكره

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨٢.

٢- الطبرى ٩ / ١٤٣.

٣- الطبرى ٩ / ١٤٤.

٤- الطبرى ٩ / ١٤٣-١٤٤، و تجارب الامم ٦ / ٥٣٣، و الكامل ٧ / ٢٤.

٥- معجم البلدان ٥ / ٨، و صورته الارض / ١٨٣.

٦- الطبرى ٩ / ١٤٤، و التنبيه و الاشراف / ١٦١، و فيه انها استغرقت عشره أيام.

اليقوبى، و بين أربعة آلاف و ستمائة انسان بما فيهم من أهل الذمه على ما جاء فى تاريخ الطبرى و التنبيه و الاشراف و تجارب الامم و الكامل (١). و يبدو ان اليقوبى متحفظ جدا فى تقدير عدد من تم اقتداؤهم، لا سيما اذا أخذنا بنظر الاعتبار عدد من احصى من أسرى العرب فى بلاد الروم قبل عمليه الفداء. و يقدر ابن خلدون عدد الذين فودى بهم من العرب باربعه آلاف و أربعة و ستين، و النساء و الصبيان بثمانمائة، و اهل الذمه بمائه (٢). و يقول الطبرى ان خاقان الخادم استفرخ جميع من كان فى بلد الروم من الاسرى العرب ممن علم موضعه، و انه أعطى صاحب الروم ممن كان قد فضل فى يده من أسرى الروم مائه نفس، ليكون عليهم الفضل استظهارا مكان من يخشى أن يأسروه من المسلمين الى انقضاء المده، و رد الباقين الى طرسوس فباعهم (٣).

٢- فداء سنه ٢٤١:

يعتبر هذا الفداء الرابع حسب ما يقول المسعودى. و يفهم مما جاء فى الطبرى عنه ان الملكه تيودوره الوصيه على ابنها ميخائيل الثالث، و جهت فى هذه السنه الى الخليفه المتوكل على الله أحد رجالها المدعو قرياقس تطلب مفاداه من فى أيدي الروم من أسرى العرب.

فوجه المتوكل على الله فى شعبان نصر بن الازهر بن المفرج المعروف بالشيعى، ليعرف عدد الاسرى فى بلاد الروم، لكى يتدبر امر مفاداتهم. و يقال ان تيودوره، بعد خروج نصر من بلادها، أمرت بعرض النصرانيه على أسرى المسلمين فمن تنصر منهم بقى فى

١- الطبرى ٩/ ١٤٣، و تاريخ اليقوبى ٢/ ٤٨٢، و تجارب الامم ٦/ ٥٣٢، و التنبيه و الاشراف / ١٦١، و الكامل ٧/ ٢٤.

٢- تاريخ ابن خلدون ٣/ ٥٧٧-٥٧٨.

٣- الطبرى ٩/ ١٤٣-١٤٤.

بلادها، و من ابى قتلته، و ذكر انها قتلت اثني عشر ألفا لانهم رفضوا الدخول فى النصرانيه.

و كتب الخليفه الى عمال الثغور الشاميه و الجزريه ان خادمه شنيفا قد فاوض الروم و اتفق معهم على هدمه امدها ثلاثه أشهر ليقوم كل من الطرفين يجمع الاسرى الذين لديه. و عند ما انتهت المده اجتمع الطرفان على نهر اللامس أيضا فى الثانى عشر من شوال، و تم الفداء بينهما. و كان عدد من فودى به من الاسرى العرب خمسا و سبعين و ثمانمائه انسان، منهم خمس و عشرون و مائه امرأه(١). و لا- يختلف ما ذكره ابن الاثير عن هذا الفداء عما جاء فى الطبرى سوى قوله ان الملكة تيودوره ارسلت تطلب المفاداه بمن بقى من أسرى العرب بعد ان قتلت من لم يدخل فى النصرانيه منهم، و ان قاضى القضاة جعفر بن عبد الواحد الهاشمى طلب ان يحضر عمليه الفداء فأذن له(٢).

أما المسعودى فانه لا يذكر موضوع عرض النصرانيه على المسلمين و قتل من لم يتنصر منهم، كما انه يختلف فى عدد من فودى به من الاسرى العرب، و يقول كان عددهم مائتين و ألفين من الرجال و مائتين من النساء، كما يذكر انه كان فى الاسرى بعض النصارى المأسورين من دار الاسلام بلغ عددهم مائه رجل و نيف، فعرضوا مكانهم عده اعلا-ج لأين الفداء لا- يقع على نصرانى(٣). و يؤيد المقريزى ما ذكره المسعودى(٤)، و احسب انه نقله عنه.

و ذكر اليعقوبى هذا الفداء باختصار، فلم يذكر عدد من فودى به من أسرى العرب، كما انه لم يشر الى الاسرى من النصارى. فهو

١- الطبرى ٩/ ٢٠٢-٢٠٣.

٢- الكامل ٧/ ٧٦.

٣- التنبيه و الاشراف / ١٦٢.

٤- الخطط المقريزيه ٢/ ١٩١.

يذكر ان ملك الروم وجه برسل و بعض الهدايا يطلب المفاداه، و قد بعث له باضعافها. و يشير الى انه قد حمل من كل بلد فيه من أسرى الروم، و اشترى عبيد النصرى(١). مما يدل على ان عدد اسرى الروم لدى الدوله العربيه كان قليلا.

مما يلفت النظر فى هذه الروايات التى ذكرناها عن هذا الفداء الاختلاف الكبير فى عدد من فودى بهم بين ما ذكره الطبرى و ما ذكره المسعودى. ثم اذا كانت ملكه الروم قد ابقت فى بلادها من تنصر من الأسرى و قتلت من رفض التنصر، فانه لم يعد هناك من يفادى به من الاسرى العرب، مما يستدل منه ان الروايه مبالغ فيها و تنقصها الدقه. و تتضمن روايه ابن خلدون و ضوحا أكثر، و هى أخرى بالقبول، اذ يقول: و كانت تدوره ملكه الروم حملت اسرى المسلمين على التنصر، فتنصر الكثير منهم، ثم طلبت المفاداه فيمن بقى منهم على الاسلام(٢).

٣- فداء سنه ٢٤٦ هـ:

و هو الفداء الخامس على قول المسعودى، و قد تم فى خلافه المتوكل على الله أيضا. يقول الطبرى عن هذا الفداء ان ملك الروم ميخائيل بن توفيل بعث الى الخليفه رسولا يدعى أطروبيليس و معه سبعة و سبعون رجلا من أسرى المسلمين أهدهم الى الخليفه. فانزل الرسول على شنيف الخادم. ثم وجه المتوكل على الله نصر بن الازهر الشيعى مع رسول ملك الروم، فشخص فى هذه السنه للمفاوضه مع ملكها على الشروط التى يتم الفداء بموجبها.

و قد وصف ابن الازهر مقابلته ملك الروم و تقديمه هدايا الخليفه اليه، و اتفاهه حول شروط المناداه، و صفا طريقا نقتطف

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٩٠ - ٤٩١.

٢- تاريخ ابن خلدون ٣ / ٥٨٧ - ٥٨٨.

منه ما يأتي «لما صرت الى القسطنطينيه حضرت دار ميخائيل الملك بسوادى و سيفى و خنجرى و قلنسوتى، فجرت المناظره بينى و بين خال الملك بطرناس (و هو بادراس اخو تيودوره أم الملك، و قد صار وصيا عليه) و كانوا قد أبوا ان يدخلونى بسيفى و سوادى، فقلت: انصرف، فانصرفت. فرددت من الطريق و معى الهدايا، منها نحو ألف نافجه من المسك، و ثياب حرير، و زعفران كثير، و طرائف ... و حملت الهدايا معى، فدخلت عليه، فاذا هو على سرير فوق سرير، و اذا البطارقه حوله قيام. فسلمت و جلست على طرف السرير الكبير، و قد هى ء لى مجلس، و وضعت الهدايا بين يديه. و بين يديه ثلاثه تراجمه: غلام فراش كان لمسور الخادم، و غلام لعباس بن سعيد الجوهري، و ترجمان له قديم يقال له سرحون. فقالوا لى: ما تبلغه؟ قلت: لا تزيدون على ما أقول لكم شيئاً. فاقبلوا يترجمون ما أقول. فقبل الهدايا و لم يأمر لأحد منها بشى ء. و قربنى و أكرمنى، و هياً لى منزلاً بقربه. فخرجت فنزلت فى منزلى ... فراجعوا فى مخاطبتى، و انقطع الأمر بينى و بينهم فى الفداء على ان يعطوا جميع من عندهم من الاسرى و هم أكثر من ألفين منهم عشرون امراه و معهن عشره من الصبيان، و أعطى جميع من عندى و كانوا أكثر من ألف قليلاً، فاجابونى الى المحالفه.

فاستحلفت خاله فحلف عن ميخائيل، فقلت: أيها الملك، قد حلف لى خالك، فهذه اليمين لازمه لك؟ فقال برأسه نعم. و لم اسمعه يتكلم بكلمه منذ دخلت بلاد الروم الى أن خرجت منها. انما يقول الترجمان و هو يسمع فيقول برأسه نعم أولاً، و ليس يتكلم، و خاله المدير أمره. ثم خرجت من عنده بالاسرى بأحسن حال. حتى اذا جئنا موضع الفداء، أطلقنا هؤلاء جمله. و كان عداد من صار فى أيدينا من المسلمين أكثر من ألفين، منهم عدد ممن كان تنصر، و صار فى أيديهم أكثر من ألف قليلاً..»(١).

و قد تم هذا الفداء فى صفر من سنة ٢٤٦، و قيل انه تم فى جمادى الأولى، و ذلك على يد الأمير على بن يحيى الارمنى. و كان عدد من فودى بهم ألفين و ثلاثمائة و سبعة و ستين شخصا. و يسمى المسعودى هذا الفداء، فداء نصر بن الأزهر و على بن يحيى الأرمنى، و يقول انه تم فى مستهل صفر، و هو يتفق فى عدد من فودى بهم مع ما ذكره الطبرى، و يضيف ان الفداء تم فى سبعة أيام و ان من فودى بهم كانوا من الذكور و الاناث(١). و ما ذكره المقرئى عن هذا الفداء يطابق روايه المسعودى(٢). و يقتصر ابن الاثير فى ذكر هذا الفداء على انه تم فى سنة ٢٤٦ هـ على يد على بن يحيى الأرمنى، و يتفق مع الطبرى و المسعودى فى عدد من فودى بهم(٣).

و يشير المسعودى الى ما يقال عن فدائين آخرين تما فى عهد الخلفاء العباسيين فى سامرا، أحدهما فى سنة ٢٥٣ هـ فى أيام المعتز بالله على يد شفيح الخادم. و الآخر فى أيام المعتمد على الله فى رمضان سنة ٢٥٨ هـ على يد شفيح و محمد بن على. و هو يشكك فى حدوثهما بقوله: لم نجد لهما حقيقه و لا اشتهر أمرهما و لا استفاض خبرهما، و ان الصحيح المعول عليه ما كان قد ذكره(٤). و من الجدير بالذكر ان الطبرى و ابن الاثير لا يذكران شيئا عن الفدائين المذكورين اللذين نفى المسعودى حصولهما فى عهد سامرا.

١- التنبيه و الاشراف / ١٦٢-١٦٣.

٢- الخطط المقرئيه ٢ / ١٩١.

٣- الكامل ٧ / ٩٣.

٤- التنبيه و الاشراف / ١٦٣ و ١٦٦-١٦٧ على التوالى.

الفصل الثالث العلاقات الثقافيه و التجاربه بين العرب و الروم

١- الاتصال الحضارى بين العرب و الروم:

عند ما انتقلت عاصمه الدوله العربيه فى عهد المعتصم بالله الى سامرا كانت بلاد الشام و مصر و شمالى أفريقيا و النصف الشرقى من آسيا الصغرى، جزء من الدوله العربيه. و كان العرب قد حرروا هذه البلاد من الامبراطوريه البيزنطيه، الا ان الطابع الرومى استمر فى هذه البلاد عهدا غير قصير فى النواحي الاجتماعيه كالتقاليد و طراز الحياه، و الناحيه الفنيه المتمثله فى الغناء و الموسيقى و طراز البناء، و كذلك فى الناحيه الثقافيه و الفكرية. و يروى أبو الفرج عن المغنى المدنى مسلم بن محرز المتوفى سنه ١٤٠ هـ انه صار الى الشام فتعلم ألحان الروم و أخذ غنائهم، فاسقط من ذلك ما لا يستحسن، و أتى بما لم يسمع المرء مثله (١). و قد وجد العرب فى هذه البلاد و انظمه اداريه و مراكز ثقافيه متقدمه، فأولوها رعايتهم

و استفادوا منها كثيرا مما ساعدهم على تقدمهم الحضارى. و لا ينكر انهم تعرفوا عن طريق الحضاره الهيلينيه التى كانت سائده فى البلاد المذكوره على آثار القدماء فى ميدان العلوم و الفنون(١).

و قد استهدف العرب فى عهد الفتوح اجتياح بلاد الروم نفسها و الاستيلاء على عاصمتهم القسطنطينيه، و قد اوشكت الامبراطوريه البيزنطيه ان تمحى من الوجود تماما على أيديهم ثلاث مرات بين سنتى ٤٨ و ٩٩ هـ، و كان الخطر العربى ماثلا على الدوام فى ذهن كل بيزنطى(٢). و كانت آخر مره استهدفت فيها العرب الاستيلاء على القسطنطينيه فى ٢٢٣ هـ عند ما اجتاح المعتصم بالله بلاد الروم و افتتح عموريه، الا ان مؤامره قامت ضده حالت دون تحقيق ذلك.

و على الرغم من توقف موجه الفتح العربى فى بلاد الروم على عهد الخلفاء العباسيين فى سامرا، فان الحروب ظلت مستمره تقريبا بين الدوله العربيه و امبراطوريه الروم. الا انها كانت على شكل غزوات على أطراف الحدود بينهما، و هدفها رد العدو و منع اذاه، أو ارهابه و الحاق الاذى به و الفوز بالغنائم. و قد اشرنا الى هذه الحروب فى فصل سابق.

و كانت هذه الحروب، كما رأينا، متصله بحيث لم تمر سنه من سنوات الخلافه العباسيه فى سامرا دون نشوب قتال بين الجانبين، خلا فترات و جيزه من الهدوء كما اشرنا فى صدر هذا الباب. و قد أدى استمرار الحروب الحدوديه بين الدولتين الى أن تقوم كل منهما بتحسين ثغورها و شحنها بالمقاتلين المحترفين، مما كان يستلزم حاله مستديمه من اليقظه و الاستعداد لدفع عدوان المغيرين. على أن تواصل هذه المعارك بما يستتبع من علاقات غير مقصوده بين

١- الامبراطوريه البيزنطيه / ٣٦٦.

٢- حضاره الاسلام / ٥١.

شعبين كبيرين لا يخلو من تأثير على التطور الداخلى لدى كل منهما.

و اذا كانت التجاره قد تأتى فى المكان الاول من حيث انها عامل فى التطور الثقافى للشعوب، فان العلاقات السياسيه أيضا قد خدمت الثقافه فى كثير من الاحيان. اذ يتطاحن شعبان فيتبادل المنتصرون و المنهزمون الافكار و العادات و الاخلاق و اللغات و الاداب(١).

لقد كان للروم، كسب عريق فى حضارته، عاداتهم و تقاليدهم يمارسونها فى حياتهم الاعتياديه. كما ان لهم طريقتهم فى أصول الحكم، و لهم فنونهم الخاصه بهم. و انهم يحتفظون بتراث كبير من كتب اليونان فى الطب و الفلسفه و الادب. و قد اقتبس العرب بعض ما تيسر لهم من ذلك عن طريق المعارك الحدوديه التى أشرنا اليها.

فان استيلاء الروم على أحد الثغور العربيه و بقاؤهم فيه مده حتى يجلبهم العرب عنه، يترك بين سكانه شيئا من تأثيرهم و لا سيما فى اللغه و أسلوب الحياه اليوميه. و ذلك بحكم اتصالهم المباشر بهم.

و كذلك الامر عند ما يقع الاسرى العرب بأيدى الروم، و كان عدد هم كبيرا نسبيا بسبب كثره غزواتهم و هجماتهم على الثغور و الحصون الروميه. أو عند ما يقع الاسرى الروم بأيدى الغزاه العرب، و كانوا من الكثره أحيانا بحيث ينادى على بيعهم خمسه و عشره عشره، كما حصل فى معركة عموريه. فيختلط هذا العدد الكبير منهم بأهل دار السلام. فكان هذا الاختلاط عاملا مهما فى الاتصال الحضارى و الثقافى بين الجانبين. اذ ان كل طرف يقتبس من الطرف الآخر بحكم معاشته قوما يختلفون عنه، بعضا من عاداتهم و تقاليدهم و أسلوبهم فى الحياه، و يتعلم شيئا قليلا أو كثيرا من لغتهم. و لعل ظهور بعض الشعراء و الادباء ممن كانوا من أصل رومى مثل ابن الرومى الشاعر، و ياقوت الحموى الرومى الأديب البلدانى البارع، دليل واضح على التأثير الذى أشرنا اليه.

و من الطبيعي ان يزداد تأثر الأسير كلما اتسعت ثقافته و ارتفع مستواه الاجتماعي و الحضارى، و ذلك بحكم نوع علاقاته و سعه اطلاعه. فينقل عند عودته من الأسر ما تعلمه أو اعتماده، الى بلاده. و يذكر أحد الاسرى العرب، و هو هارون بن يحيى، انه اسر فى عسقلان و حمل الى القسطنطينيه على طريق البحر، و يذكر المدن و القرى و الاماكن التى مر بها حتى انتهى الى عاصمه الروم، فيصف مالفته نظره فيها أو تأثر به. كأبواب المدينه و بلاط الملك، و هو قصر كبير فى وسط المدينه يحيط به سور، و البذرون و هو ميدان واسع يجتمع فيه البطارقه فيشرف عليهم الملك من قصره. و ما شاهده فى القصر من التماثيل النحاسيه للبشر و الحيوانات. و يصف سباق العجلات المذهبه و لباس الرجال الذين يسوقونها. و كنيسه الملك و قبتها و أعمدتها و أبوابها و مقصورتها و التماثيل التى فيها، و حضور الملك اليها يوم الميلاد. و كيف يحضرون اسرى المسلمين لياً أكلوا على مائده الملك بعد أن ينادى منادى الملك ان هذه الاطعمه ليس فيها شىء من لحم الخنزير. ثم يصف (الارقنا) و هو الأرغن.

و يبدى اعجابه بفخامه موكب الملك عند خروجه الى الكنيسه العظمى التى هى للعامه، و يذكر اديره الرهبان حوالى القسطنطينيه، و يتعجب من كثرة الرهبان فيها. ثم يصف سفره الى روما و مروره بسلانيك(١). و هو فى وضعه هذا يعطينا كثيرا من التفصيلات التى يبدو فى بعضها شىء من المبالغه. و يرجح ان هارون بن يحيى قد اسر و حمل الى عاصمه الروم فى أيام الملك باسيل الأول (٢٥٣-٢٧٣هـ)(٢).

كما لا يخفى تأثير الرقيق الرومى فى البيوت العربيه، لا سيما النساء و تأثيرهن على تربيته الأولاد، و تنظيم الشؤون المنزليه. بل لقد صار بعضهن أمهات خلفاء، فقد كان أربعه من خلفاء سامرا

١- الاعلاق النفيسه / ١١٩ - ١٣٢.

٢- الامبراطوريه البيزنطيه / ٤٨٤.

من أمهات روميات، فان قراطيس أم الواثق بالله، و حبشيه أم المنتصر بالله، و قبيحه أم المعتز بالله، و قرب أم المهتدي بالله كن أمهات أولاد روميات.

و مهما كان البون بين العرب و الروم شاسعا فى أدب اللياقه و أسلوب الحياه، فقد كان بينهما من الامور المشتركه ما يكفى لتمكين كل منهما من التأثير فى الجانب الآخر(١).

٢- العلاقات الثقافيه:

لاحظنا مما تقدم ان الحروب الحدوديه بين الدوله العربيه و المملكه البيزنطيه رغم استمرارها لم تمنع من قيام علاقات بين العرب و الروم. و لعل أوضح أوجه هذه العلاقات كانت فى النواحي الثقافيه و التجاريه. أما العلاقات الثقافيه فقد كان أبرز مظاهرها تلك المصادر الفلسفيه و الطبيه لارسطو و جالينوس و ابقراط و غيرهم من فلاسفه اليونان و حكماؤها، التى جلبت من بلاد الروم. اذ حصل العرب على كثير من كتب اليونان فى نواحي الطب و الفلسفه بصوره خاصه. و قد انكب عليها المترجمون و نقلوها الى اللغه العربيه بتشجيع من الخلفاء و رجال الدوله الذين لم يدخروا و سعا فى الانفاق على ذلك. مما كان له عظيم الأثر فى حركه التقدم العلمى التى ازدهرت فى القرنين الثالث و الرابع. و قد اسهنا فى بحث هذا الموضوع فى الباب الخاص بالحركه العلميه فى عهد سامرا.

و قد اشتهر فى سامرا عدد من فطاحل المترجمين و على رأسهم حنين بن اسحاق العبادى المتوفى سنه ٢٦٠ هـ الذى كلفه المأمون بنقل كتب الحكماء اليونانيين الى اللغه العربيه، و أوفده على وفد الى بلاد

الروم لاختيار ما يروونه مفيدا من الكتب(١). و كان حينئذ يتقن اليونانيه و آدابها كما يتقن العربيه و السريانيه. و قد عينه المتوكل على الله رئيسا للمترجمين و عين له كتابا نحارير عالمين بالترجمه ليعاونوه فى عمله، و قد ترجم كتب ابقراط و جالينوس و لخصها أحسن تلخيص(٢).

و يمكن اعتبار بعثه الواثق بالله الى بلاد الروم للتحرى عن الفتية الذين آوا الى كهف هربا من تعسف دقلديانوس، من مظاهر العلاقه الثقافيه بين العرب و الروم أيضا. فقد أشرنا فى فصل آخر الى ان الواثق بالله قد بعث بأحد علماء العرب الى مدينه أفسوس فى بلاد الروم لتحرى أمر أولئك الفتية، و رأينا كيف ان امبراطور الروم آنذاك ميخائيل الثالث قد أستجاب لطلب الخليفه العربى فأرسل مع مبعوثه رجلا- عارفا بموقع الكهف ليكون دليلا- له. و هذا يدل و لا- شك على نوع من التعاون فى الحقول العلميه بين الدولتين رغم الحروب التى كادت أن تكون متصله بينهما.

و كان من بعض نتائج هذا التأثير الثقافى المتبادل ان انتقلت كلمات عربيه كثيره الى لغه الروم، و كلمات يونانيه الى اللغه العربيه. و هذه الكلمات المنقوله سواء كانت عربيه أم يونانيه.

أصابها كثير من التحريف بحيث بات من الصعب معرفه أصلها المختفى وراءها.

٣- العلاقات التجاربه:

رأينا ان الحروب الحدوديه بين الدوله العربيه و بلاد الروم لم تقف حائلا دون قيام علاقات ثقافيه بين الطرفين. و الواقع انها لم تمنع كذلك قيام علاقات تجاربه بينهما. و يبين المقدسى البشارى

١- اخبار الحكماء / ١١٧، و عيون الانباء / ٢٦٠.

٢- عيون الانباء / ٢٦٢.

ان سبب ذكره الطرق الموصلة الى القسطنطينيه هو «لحاجه المسلمين الى ذلك و قصدهم فى شراء الاسارى، و الرسالات، و الغزو، و التجارات»^(١). و فى هذا دلالة على تردد العرب على عاصمه الروم كوفود رسميه، أو لافتداء الاسرى، أو للغزو، أو لغرض التجاره.

و كما كان التجار البيزنطيون يظهرون فى كثير من المدن العربيه، كان التجار العرب يقدون على بيزنطه لانجاز أعمالهم. و كانت مملكه الخزر بموقعها الجغرافى بين اقليم قزوین و الامبراطوريه البيزنطيه و الروس حلقة اتصال أبقت التجاره العربيه متصله مع أوروبا و بلاد الروم، كما كانت طرابزون على البحر الاسود مركز الاتصالات التجاريه بين الطرفين، و يتضح مما يذكره المسعودى ان طرابزنده (طرابزون) كانت تقام فيها أسواق سنويه يأتى اليها كثير من الاعمم للتجاره من المسلمين و الروم و الارمن و غيرهم^(٢). و الواقع ان طرابزون كانت حينذاك أهم الموانىء التى يعرض فيها التجار العرب بضائعهم على التجار من الروم و غيرهم.

و كان يقطنها عدد من التجار العرب^(٣).

لقد كانت بضائع الشرق تنقل الى أوروبا فى خلال القرن الثالث عن طريق الدوله البيزنطيه سواء بواسطه تجارها أو التجار العرب. فصارت القسطنطينيه مركزا لاستقبال بضائع الشرق و مصنوعات كالحريير و الكتان، و التوابل و البخور و العطور، و المنسوجات العراقيه و الشاميه التى اشتهر منها الموسلين و الدمقس، و المصنوعات النحاسيه و الزجاجيه و غيرها من البضائع التى كانت تبهر الغرب آنذاك. و منها تنقل الى أواسط أوروبا و غربيها.

و لا شك فى ان قيام بيزنطه بدور الوسيط اكسبها مركزا مهما بالنسبه للبلاد الاوربيه الاخرى، و أدى الى ازدهار حياتها

١- أحسن التقاسيم / ١٤٧.

٢- مروج الذهب / ١ / ١٧٦.

٣- تراث الاسلام / ١٥٩.

الاقتصادي له لما كانت تجنبه من الارباح من ذلك، كما كان التجار العرب يربحون الكثير من تجاراتهم هذه.

و عند ما يذكر ابن خرداذبه مسالك التجار حينذاك يعطينا صوره واضحه عن البضائع التي كانت تنقل من الشرق الى الغرب أو بالعكس. فهم يجلبون من الغرب الخدم و الجوارى و الغلمان و الديباج الرومى و جلود الخز و الفراء و السمور. و يركبون البحر فيخرجون بالفرما و يحملون تجاراتهم برا على الحيوانات الى القلزم (السويس) و منها يركبون البحر ثانيا الى جده فينطلقون منها الى السند و الهند و الصين، فيحملون بضائع هذه البلدان و مصنوعات كالمسك و العنبر و العود و الكافور و الدار صيني و الصندل و الساج و الفلفل و الحرير الصيني و السرج و غير ذلك مما يحمل من تلك البلدان(١)، ثم يرجعون بنفس الطريق. و قد يعدلون بتجاراتهم الى القسطنطينيه لبيعوها الى الروم. و ربما صاروا بها الى بلاد الفرنج مباشرة لبيعها هناك. كما كانوا يحملون تجاراتهم أحيانا فى البحر الغربى فيخرجون بانطاكية و يسيرون برا حتى يبلغوا نهر الفرات، ثم يركبون دجله الى بغداد و منها الى الابله، و منها الى عمان فالسند و الهند و الصين(٢).

و يقول المقدسى عن كفر سلام، و هى احدى قرى قيساريه «و لهذه القصبه رباطات على البحر يقع منها النفير، و تطلع اليها شلذيات الروم مع اسارى المسلمين للبيع كل ثلاثه بمائه دينار، و فى كل رباط قوم يعرفون لسانهم و يذهبون اليهم فى الرسالات»(٣).

و فى قوله هذا دليل آخر على قيام العلاقات التجاريه بين الدولتين حتى انها لتشمل بيع الاسرى و شرائهم، كما يظهر منه وجود من يحسن

١- المسالك و الممالك / ١٥٣ - ١٥٤.

٢- المسالك و الممالك / ١٥٣ - ١٥٤.

٣- أحسن التقاسيم / ١٧٧.

اللغة الروميه من العرب ليسهل أمور معاملات البيع و الشراء بين الطرفين.

و كان للثغور العربيه الشاميه منها و الجزريه أهميه خاصه فى العلاقات التجاريه بين الدوله العربيه و بلاد الروم، بالنظر لأهميه موقعها بينهما. فهى تتوزع فى منطقه متوسطه بين البحر المتوسط و البحر الاسود و بحر الخزر، و ترتبط بموانى البحر المذكوره.

مما ساعدها على ان تلعب دورا مميزا فى التجاره بين الدولتين.

و يذكر المقريزى ان الخليفه المستعين بالله كان قد انفذ أحد خدمه الى بلاد الروم ليحلب له أشياء نفيسه منها، فلما ابتاعها و كانت و قر بغل، عاد بها الى طرسوس و سافر منها مع القافله الى سامرا(١).

و مما زاد فى أهميه الثغور العربيه ان استمرار تدفق المجاهدين و الغزاه عليها أكسب طرقها الأمن و السلامه لسالكىها من التجار.

اذ كانت تلك الطرق عامره بدور الاستراحه و المرابط المخصصه للغزاه بالاصل الا- انها كانت بنفس الوقت ملجأ للتجار و قوافلهم عند مرورهم بها.

و كانت المسالحو المواضيع الحدوديه تراقب التجار بدقه و ذلك لاستيفاء العشور منهم عن البضائع التى يحملونها للتجاره، أما أمتعتهم الشخصيه فلا عشر عليها(٢). و كان من واجبها أيضا التأكد من هويه التجار الغرباء فيفتشونهم لثلا يكون معهم سلاح، أو انهم

١- الخطط المقريزيه ١/ ٣١٤.

٢- كتاب الخراج / ١٨٨.

يحملون كتباً تتضمن أخباراً تتعلق بشؤون الدوله العربيه(١).

الا- ان ذلك لم يحل دون نقل البضائع و السلع و مبادلتها. اذ كان التجار الاجانب يعتبرون مستأمنين فى دار الاسلام و لهم حق الاقامه و العمل فى التجاره، و لكنهم اذا اطلوا المقام أكثر من سنه أمروا بالخروج، و الا وضعت عليهم الجزيه(٢).

١- نفس المصدر / ١٩٠.

٢- نفس المصدر / ١٨٩.

الباب التاسع الامارات شبه المستقله فى عهد سامرا

اشاره

١- اماره بنى الأغب.

٢- اماره الطاهريين.

٣- اماره بنى طولون.

٤- اماره الصفارين.

الباب التاسع الامارات شبه المستقله فى عهد سامرا كان من جمله نتائج سيطره القواد الاتراك و استبدالهم بالخلفاء ان نفوذ الخلافه قد تداعى و غدا اسميا لا سيما فى أيام الفتنه، مما كان له أثر واضح فى اضعاف الدوله العربيه بصورة عامه. و يلاحظ انه كلما كانت الخلافه تزداد ضعفا بنتيجه الصراع بين الخلفاء و القواد الاتراك ظهرت امارات فى شرقى الدوله أو فى غربيها، و هى تقتطع جزء من ممتلكات الدوله و ترغم الخليفه أو تتوسل اليه بالاموال و الهدايا للاعتراف بها، لكى تضىفى الشرعيه على وجودها.

و كانت درجه استقلال هذه الامارات تتوقف على علاقاتها بالخلافه. و كلما ضعف مركز الخلافه ازدادت تلك الامارات حريه فى تصريف شؤونها. و توسعت على حساب الدوله. و سنعرض فيما يلى الى نشوء تلك الامارات التى قامت فى عهد سامرا، و استمرارها، او التى كانت قد قامت قبل ذلك و استمرت أو توسعت فى خلال العهد المذكور.

الفصل الأول اماره بنى الأغب

١- تأسيس الاماره:

ساد الاضطراب فى أفريقيه فى عهد الخليفه هارون الرشيد، فضل يغير الولاه عليها دون جدوى. فارسل القائد هرثمه بن أعين مع جيش كبير لتهدئه الاضطرابات و دراسه حاله البلاد. و لما رجع هرثمه بعد ثلاث سنوات نصح الرشيد بأن يولى ابراهيم بن الاغب، و هو أحد الزعماء المتغلبين هناك، ولايه افريقيه، و لما لمس من عقله و دينه و كفايته(١). و قد تعهد ابراهيم بتهدئه الاحوال و تقديم أربعين ألف دينار سنويا الى بيت المال، مع الاستغناء عن الاعانه المالىه و قدرها مائه ألف دينار كانت مصر ترسلها من ايراداتها الى أفريقيه فى كل سنه، و بشرط أن يعهد الخليفه بالولايه اليه و لأبنائه من بعده بالوراثة، فوافق الرشيد و ولاه ولايه أفريقيه فى منتصف جمادى الآخره سنه ١٨٤(٢). و كان هذا التعيين ينطوى على اعتراف الخلافه باستقلال أفريقيا استقلالاً داخليا.

١- الكامل ١٥٥ / ٦.

٢- البيان المغرب ٩٢ / ١.

و قد بقيت العلاقه بين اماره بنى الأغب و الخلافه فى سامرا وديه. و لابد من الاشاره الى ان اماره بنى الأغب تختلف عن بقية الامارات المستقله التى قامت فى أنحاء أخرى من الدوله، بانها كانت عريه بأمرائها و بأغلبه رعاياها، و انها عملت على توسيع رقعته سلطانها على حساب دوله الروم. و الواقع ان التوسع العربى و نشر الدين الاسلامى فى جزر البحر المتوسط تم على أيدى أمراء بنى الأغب.

كان ابراهيم بن الأغب فقيها، شاعرا و خطيبا مفوها، ذا رأى و حزم و درايه فى الحرب. و لم يتول أفريقيه أحسن سيره و سياسه منه، و لا- أراف برعيه، و لا أوفى بعهد، فدانت له قبائل البربر بالطاعه، و هدأت البلاد فى أيامه(١). فقد استطاع بمؤهلاته و ما امتاز به من صفات قياديه أن يقضى على الفوضى فى أفريقيه و يعيد اليها الأمن فى خلال مدته حكمه التى دامت اثنتى عشره سنه.

و أسس ابراهيم عند توليه الاماره مدينه على بعد ثلاثه أميال من مدينه القيروان، سماها مدينه القصر، و اتخذها مقاما له. ثم صارت من بعده دار للإقامه سكنها الأمراء من بنى الأغب. و عند ما انتقل ابراهيم الى مدينه القصر خرب دار الاماره التى كانت بالقيروان بقبلى الجامع. و بنى فى مدينه القصر جامعا رحيا له صومعه مستديره بنيت بالآجر و العمد سبع طبقات، لم بين أحكم منها و لا أحسن منظرا. و أسس فيها الاسواق و الحمامات، و حفر مراحل للماء كانت مياها غزيره بحيث اذا نزر الماء فى مراحل القيروان نقلوا الماء اليها من مدينه القصر(٢).

ان جد بنى الأغب الذى ينتسبون اليه هو الأغب بن سالم التميمى أحد رجال الدعوه العباسيه، و كان من القاده الشجعان.

١- البيان المغرب ١ / ٩٢.

٢- المغرب للبكرى / ٢٨.

و قد عهد إليه أبو جعفر المنصور بولاية أفريقيه فى سنة ١٤٨ هـ، و قتل فى شعبان سنة ١٥٠ هـ لما خرج عليه الحسن بن حرب الكندى(١).

و حكم الاماره من أسره بنى الأغب أحد عشر أميرا دامت امارتهم مائه و اثنتى عشره سنة (١٨٤- ٢٩٦ هـ) و كان اخرهم أبو نصر زياده الله الثالث الذى فر لما دخل أبو عبد الله الشيعى قائد جيش الفاطميين مدينه رقاده فى رجب سنة ٢٩٦ هـ. و ما لبث أبو نصر ان مات فى مدينه الرمله و هو فى طريقه الى القدس فى سنة ٢٩٩ هـ(٢).

و عاصر خلفاء سامرا من بنى الأغب سبعة امراء أولهم أبو محمد زياده الله الذى كان على الاماره عند تولى المعتصم بالله الخلفاه.

و لسوف يقتصر بحثنا على مده حكم هؤلاء الامراء فقط.

٢- زياده الله الأول:

اشاره

أبو محمد زياده الله بن ابراهيم، و هو الثالث من أمرائهم.

تولى الاماره فى سنة ٢٠١ هـ بعد أخيه أبى العباس عبد الله بن ابراهيم. و عند ما نشب الخلاف بين الخليفه محمد الأمين و أخيه المأمون و بايع بنو العباس ابراهيم بن المهدي بالخلفاه ببغداد، ثبت زياده الله على ولائه للمأمون و الدعاء له. فلما انتصر المأمون شكر لزياده الله فعله فأقره على ولايته و منحه مزيدا من تأييده(٣).

قامت على عهد زياده الله عداه اضطرابات لقسوته و جوره و سوء ادارته. و قد اساء السيره فى الجند و سفك فيهم الدماء لسوء ظنه

١- البيان المغرب ١/ ٧٥.

٢- المختصر فى اخبار البشر ٢/ ٦٣.

٣- الاعلام ٣/ ٩٣.

بهم و وثوبهم بالأمراء قبله و خلافهم على أبيه (١). و قد بلغ من شدة قسوته عليهم انه عند ما شيع الجيش الذى وجهه الى قتال المنصور الطنبذى فى تونس هدد القائد الأغلب بن عبد الله المعروف بغلبون و جنده بالقتل اذا حلت بهم الهزيمة. مما جعل أكثر الجند ينقمون عليه و ينضمون الى عدوه (٢). و كانت خروج الطنبذى بتونس أهم الفتن التى قامت فى عهده. و قد استطاع الطنبذى فى أول الأمر ان يهزم عدّه حملات و جهت اليه، حتى انه زحف على القيروان. الا انه بعد عدّه معارك هزم و تفرق اتباعه. و كان أهل القيروان قد رحبوا بالطنبذى للتخلص من جور زياده الله الا انه عند ما تمت له الغلبه على الطنبذى صفح عنهم و جعل عقوبتهم هدم سور القيروان حتى الصقه بالأرض (٣). و بقيت المدينة بلا سور حتى اعاد بناء المعز بن باديس بن منصور الصنهاجى فى سنه ٤٤٤هـ (٤). و كذلك هدم سور مدينه تونس لأن أهلها أيدوا ثوره الطنبذى. و كان عليها سور من اللبن و الطين عدا القسم المواجه للبحر فكان من الحجاره (٥). كما تعرضت تونس مره أخرى لانتقام زياده الله عند ما التجأ اليها فضل بن ابى العنبر فقتل كثيرا من أهلها و شرد آخرين منهم، ثم عاد و أمن الهارين فعادوا اليها (٦).

فقد قامت فى سنه ٢١٨هـ فتنه أخرى فى تونس تزعمها فضل بن ابى العنبر و استطاع ان يصد جيشا لزياده الله. الا ان الجيش الآخر الذى وجه اليه بقياده ابى فهر محمد بن عبد الله بن الأغلب

١- البيان المغرب ١ / ٩٦.

٢- الكامل ٦ / ٣٣١.

٣- البيان المغرب ١ / ١٠٠.

٤- المغرب للبكرى / ٢٥.

٥- كتاب البلدان / ٣٤٨ - ٣٤٩.

٦- الكامل ٦ / ٤٤٠.

استطاع اقتحام المدينة و التغلب عليه. فأمن زياده الله كل من طلب الأمان ممن هرب من أهلها عند دخول أبي فهر إليها(١).

زياده الله الأول و صقلية:

تطلع أمراء بنى الأغلب الى الاستيلاء على جزيره صقلية.

و قد لخص القزوينى ما ذكره عنها ياقوت الحموى و ابن حوقل، فوصفها بأنها جزيره عظيمه من جزائر المغرب مقابله لافريقيه، و هى مثلثه الشكل بين كل زاويه و أخرى من زواياها مسيره سبعة أيام، و هى خصبه كثيره البلدان و القرى، كثيره المواشى و الحيوانات الاخرى من الخيل و البغال و الحمير و البقر، و الحيوان الوحشى، و ارضها تنبت الزعفران. و كانت قليله العماره، خامله الذكر حتى فتح العرب بلاد افريقيه، فهرب بعض أهلها الى صقلية و عمروها، و بالجزيره جبال شامخه، و عيون غزيره، و انهار جاريه. قال ابن حمديس مشتاقا إليها:

ذكرت صقلية و الهوى يهيج للنفس تذكراها

فان كنت أخرجت من جنهفانى أحدث أخبارها

و بها جبل النار و هو مطل على البحر، فى أعلاه منافس يخرج منها النار و الدخان، و ربما سالت النار منه الى جهه تحرق كل ما مرت به، و تجعل الارض مثل خبث الحديد لا تنبت شيئاً، و يسميه الناس الأخبات. و فى أعلى هذا الجبل السحاب و الثلوج. و الأمطار دائمه لا تكاد تقلع عنه فى صيف و لا شتاء، و الثلج لا يفارق أعلاه فى الصيف. و فيها البركان العظيم و ليس فى الدنيا بركان أشنع منه

منظرا و لا أعجب منه مخيرا، فاذا هبت الريح سمع له دوى عظيم كالرعد القاصف. و يقطع من البركان الكبرى الذى لا يوجد مثله. و بها آبار ثلاث يخرج منها أول الربيع الى آخره زيت النفط.

فينزل فى هذه الآبار على درج و يتقنع النازل و يسد منخره، فاذا تنفس فى أسفلها هلك من ساعته، يغرف ماءها و يجعله فى اجانات فما كان نفطا علا فيجمع و يجعل فى القوارير(١).

لقد دفع العرب فى أفريقيه الى الاستيلاء على جزيره صقلية عده عوامل أهمها عاملان، أولهما القضاء على القراصنه الروم الذين اتخذوا من موانى الجزيره مراكز لهم يشنون منها الغارات البحريه على سواحل أفريقيه فيخربون ثغورها و ينهبون أموالها و يأسرون من يقدرون عليهم من سكانها و يبيعونهم عبيدا أو يأخذون الفديه عنهم. و العامل الآخر انهم رأوا فى ذلك وسيله لقطع دابر الفتن و الثورات الداخليه. فاعتبروا القتال فى سبيل الاستيلاء على صقلية جهادا يهدف الى نشر الدين الاسلامى. فدفع الأمير أبو محمد زياده الله الأول العناصر المثيره للفتن نحو غزو موانى صقلية و مدنها و فتحها. و لا شك ان مما شجع على ذلك قرب الجزيره من سواحل أفريقيه. فنزلت فيها طلائع القوات العربيه فى سنه ٢١٢ هـ فى ميناء مازره(٢)، على الساحل الجنوبي الغربى من الجزيره و تمكنت من الاستيلاء عليه.

و استمرت الحملات العربيه فى فتح الموانى و المدن فى القسم المذكور من جزيره صقلية حتى وصلت بالرم(٣)، فحاصروها

١- اثار العباد / ٢١٥-٢١٦، و معجم البلدان ٣ / ٤١٦-٤١٩، و صوره الارض / ١١٣-١٢٥.

٢- مازره: مدينه جميله عامره ذات أسوار حصينه- المسلمون فى صقلية / ٢١٧.

٣- بالرم: أعظم مدن صقلية و لها سور مبنى بالحجر- معجم البلدان ١ / ٤٨٣.

و ضيقوا الخناق عليها حتى اضطر قائدها الرومي على تسليمها بعد أن سمح له بمغادرتها بحرا مع بعض اتباعه، و ذلك في سنة ٢٢٠ هـ، و قد جعلها العرب عاصمه للجزيره، فكثرت فيها العمران و بنيت فيها المساجد(١). فتوسعت المدينه و نمت حتى صارت من مراكز الحضاره العربيه المهمه آنذاك، مما ساعد على انتشار الدين الاسلامي بين سكانها الأصليين(٢).

و كانت مسينا(٣) قد افتتحت في سنة ٢١٩ هـ في خلال حصار بالرم، و هي تقع في أقصى الشمال الشرقي من الجزيره. و بذلك استولى العرب على القسم الغربي من الجزيره و على قسم من شمالها. و بقي بيد الروم الساحل الشرقي و أواسط الجزيره و قلاعها. فركز بنو الاغلب اهتمامهم في اجلاء الروم عنها و الاستيلاء عليها لتتم لهم السيطرة على الجزيره كلها.

لما توفي قائد الجيش العربي في صقلية زهير بن عوف في سنة ٢٢٠ هـ خلفه أبو الأغلب ابراهيم بن عبد الله بن الأغلب، و هو ابن أخي الامير زياده الله، فانتهج سياسه جديده للاستيلاء على ما بقي بيد الروم من الجزيره. فعمل على تقويه اسطوله البحري، و أخذت سفنه تهاجم السواحل الجنوبيه و تطرد الروم منها. و بنفس الوقت تواجه النجديات البحريه القادمه لمساعدته الروم، فتضربها بقوه و تضطرها على الهروب و التراجع. مما اضعف القوات الروميه الموجوده في الجزيره. حتى استطاعت احدى الحملات العربيه التوغل الى أواسط الجزيره و الاستيلاء على كبرى مدنها

١- مما يلفت النظر كثرة المساجد فيها، و لياقوت رأى طريف في ذلك، هو رقاعه أهلها بسبب كثرة أكلهم البصل - معجم البلدان ١/ ٤٨٣.

٢- يراجع عن فتح بالرم و مسينا كتاب «المسلمون في جزيره صقلية» / ٧٠-٧٢.

٣- مسينا: على ساحل صقلية المواجه لبلاد الروم، و هي أكبر موانئ الجزيره و اكثرها عماره. بها تجتمع السفن الكبيره و المسافرين و التجار من بلاد الاسلام و بلاد الروم. و كان مرساها يستقبل أكبر ما يكون من السفن - معجم البلدان ٥/ ١٣٠ و المسلمون في صقلية / ٢١٤.

قصريانه فى سنه ٢٢٣ هـ (١). و كان الروم قد حشدوا جيشهم للدفاع عنها، فحاصرها الجيش العربى و ما لبث أن تمكن من فتح ثمره فى سورها مما سهل له اجتيازه و الدخول الى المدينه، فاضطرت حاميتها على الاستسلام.

و كانت سفن بنى الأغب، تهاجم فى نفس الوقت، سواحل ايطاليا الجنوبيه فاستولت على مدينه طارنطه (٢)، و مدينه بارى (٣)، اللتين اتخذهما الجيش العربى قواعد لزحفه شمالا نحو مدينه روما.

أعماله العمرانيه:

كان الأمير زياده الله محبا للعمران، فجدد عماره جامع القيروان بعد أن هدمه كله. و أراد أن يهدم المحراب و يبنى غيره، فقبل له ان من تقدمه من الولاة توقفوا عن ذلك باعتباره أثرا قديما و قد وضعه الصحابى عقبه بن نافع. و لما الح على ذلك قال له أحد البنائين انه يستطيع أن يخفيه بين جداريه و يبنى أمامه محرابا جديدا، فاستصوب رأيه و عمل بموجبه (٤). و لا يزال الجامع المذكور على بنائه حتى اليوم. و المحراب كله و ما يليه مبنى بالرخام الأبيض من أعلاه الى أسفله، و مخرم بالنقوش بكتابه و زخارف جميله الصناعه. و طول الجامع ٢٢٠ ذراعا و عرضه ١٥٠ ذراعا و عدد أعمدته ٤١٤ عمودا، و قد بنيت فيه مقصوره.

و بلغ ما انفقته عليه سته و ثمانين ألف مثقال من الذهب (٥). أما

-
- ١- قصريانه: مدينه جبلية ذات حصون و قلاع منيعه صعبه المنال.
 - ٢- طارنطه: تقع فى الجنوب الشرقى من شبه جزيره ايطاليا على الخليج المسمى باسمها، و تسمى اليوم ترنتو.
 - ٣- بارى: تقع شمالى شرقى طارنطه على الساحل الشرقى لجنوبى ايطاليا.
 - ٤- المغرب للبكرى / ٢٣.
 - ٥- نفس المصدر / ٢٣-٢٤.

المئذنه المربعه التي كانت قد شيدت على طراز المآذن السوريه فقد حافظت على شكلها و طرازها، و هي تعتبر من أقدم المآذن القائمه فى شمالى أفريقيا. و قد افضى هذا الجامع بفخامته و روعه بنائه على القيروان حله من المهابه جعلها من أمهات المدن العربيه الاسلاميه.

و قد اهتم زياده الله كذلك بتحسين مدن أفريقيا. فبنى لمدينه سوسه سورا كان يفخر به و يقول(١): ما أبالى ما قدمت عليه يوم القيامه و فى صحيفتى أربع حسنات: بنيانى الجامع بالقيروان، و بنيانى قنطره الربيع، و بنيانى حصن مدينه سوسه، و توليتى أحمد بن محرز قضاء أفريقيا. و كان زياده قد ولى الفقيه المالكى أحمد بن محرز الكلابى قضاء افريقيه فى سنه ٢٢٢ هـ، الا انه ما لبث أن توفى بعد سنه من تعيينه، و كان أوصى أخاه بن أبى محرز أن يكتفم موته الى أن يتم تجهيزه و الصلاه عليه خوفا من أن يكفنه زياده الله، ففعل عمران ذلك. فلما حمل نعشه من داره اقبل أحد فتیان الأمير بمسك و اكفان، فلما علم انه قد كفن ذر المسك الذى كان معه. و لما وصلوا بالجنازه الى المقبره حضر زياده الله و عزى أخا القاضى، و قال: يا أهل القيروان لو أراد الله بكم خيرا لما أخرج ابن أبى محرز من بين ظهرانكم(٢).

توفى زياده الله فى القيروان يوم الثلاثاء لاربع عشره خلت من رجب سنه ٢٢٣ هـ و عمره احدى و خمسون سنه و بضعه أشهر(٣).
و قد دامت امارته احدى و عشرين سنه و سبعة أشهر.

٣- أبو عقاب الأغلّب بن ابراهيم:

تولى الاماره بعد أخيه زياده الله، و هو رابع الامراء من بنى الأغلّب، و قد عرف بحسن السيره، فاحسن الى الجنود و ازال مظالم

١- نفس المصدر / ٣٥، و معجم البلدان ٣ / ٢٨٣.

٢- البيان المغرب ١ / ١٠٦.

٣- نفس المصدر، و الكامل ٦ / ٤٩٣.

كثيره، و زاد فى أرزاق العمال و اجزل صلاتهم و كف أيديهم عن الرعيه. و قطع النبيذ عن القيروان و عاقب على بيعه و شربه(١).

استمر العرب فى حملاتهم على جزيره صقلية فى عهد الأمير ابى عقال، فاستولوا على عدد من الحصون صلحا بعد أن استأمنوا أهلها فى سنه ٢٢٣ هـ منها حصن البلوط، و حصن ابلطنو، و حصن قزلون. كما سير أبو عقال اسطولا الى قلوريه ففتحها، و لقى الاسطول البيزنطى الذى جاء لنجدتها فهزمه. و غزت سريه من جيشه فى صقلية مدينه قصر يانه فغنمت و عادت دون مقاومه.

و رغم انها لم تستطع الاستيلاء على المدينه الا انها استولت على حصن مهم هو حصن الغيران، و هو أربعون غارا(٢).

توفى أبو عقال فى القيروان فى ربيع الآخر سنه ٢٢٦ هـ و هو ابن ثلاث و خمسين سنه(٣). و كانت مده امارته سنتين و تسعه أشهر.

٤- محمد الأول:

إشاره

عند تولى الواثق بالله الخلافه كان الوالى على أفريقيه الأمير أبا العباس محمد بن الأغلب الملقب بمحمد الأول، و هو خامس أمرائها. و قد تولى امارتها فى أواخر ربيع الآخر سنه ٢٢٦ هـ بعد موت أبيه ابى عقال فى عهد المعتصم بالله. بقيت اماره بنى الأغلب فى عهد محمد الأول مستقلة بشؤونها الداخليه عن حاضره الخلافه التى لم تكن لها أية سلطه عليها سوى ما تقدمه من المبلغ السنوى المقطوع، و الخطبه فى يوم الجمعة باسم الخليفه.

١- البيان المغرب ١/ ١٠٧، و العيون و الحدائق ٣/ ٣٩٨، و الكامل ٦/ ٤٩٣.

٢- تراجع تفاصيل هذه الحملات فى الكامل ٦/ ٤٩٤.

٣- البيان المغرب ١/ ١٠٧، و المختصر فى اخبار البشر ٢/ ٣٤.

كان الأمير محمد قد قلد أخاه أحمد كثيرا من شؤون الاماره رغم ان احمد كان جاهلا مغرورا يطمع بالاماره دون أخيه. و يروى ابن عذارى خيرا يؤيد جهله و قله علمه و مكابرتة، و ذلك انه كتب مره «لحم ضبى» بالضاد، فقال له كاتبه: أيد الله الأمير، الظبى يكتب بالضاء لا بالضاد. فقال أحمد: قد علمنا فيه اختلافا فابو حنيفه يجعله بالطاء و مالك يجعله بالضاد(١). و قد استطاع أحمد بن الأغلِب أن يغرى بعض الجند و يكسب ولاءهم، فقصد بهم مدينه القصر القديم، و هى مقر الاماره، و قد خلا- بابها من الرجال، فدخلوها و هاجموا دار الوزير ابى عبد الله بن على بن حميد فقبضوا عليه و قتلوه. و نشب القتال بين رجال الأمير محمد و اتباع أخيه أحمد. فقال أصحاب أحمد لرجال الأمير: ما بالكم تقاتلوننا و نحن فى طاعه الأمير؟ انما قمنا على أولاد حميد الذين استولوا على أموال البلاد. فوقف القتال، لأن الأمير محمدا رأى انه بوغت بهجوم أخيه و لم يكن مستعدا له، فمال الى المساله. فعقدت المصالحه بين الأخوين و تحالفا ألا يغدر أحدهما بالآخر. فاستولى أحمد على مرافق الاماره و دواوينها فقبض على من شاء و استصفى أموال من أراد. و جبى الأموال من الناس، و استوزر نصر بن حمزه(٢).

و بذلك بقى الأمير أبو العباس محمد و ليس له من الاماره سوى اسمها حتى نهايه عهد الوراق بالله(٣).

الا ان الأمير محمد تمكن فى سنه ٢٣٣ هـ ان يظفر بأخيه احمد المتغلب على الحكم، اذ ساعده جماعه من بنى عمه و من مواليه فهاجم بهم القيروان ليلا على غفله من أحمد و حرسه و استولى عليها و قبض على أخيه و نفاه الى المشرق، فمات فى العراق، و عند ما دخل أبو

١- البيان المغرب ١/ ١٠٧-١٠٨.

٢- البيان المغرب ١/ ١٠٨.

٣- الكامل ٧/ ٢٥.

العباس محمد القيروان وصل أهلها و اغدق عليهم العطاء حتى استنفذ جميع ما فى خزائنه من الأموال و الملابس(١).

بعد ان استعاد أبو العباس سلطانه على الاماره واجهته ففتتان الأولى فتنه سالم بن غلبون عامله على الزاب. و كان قد عزله فى سنه ٢٣٣، فأعلن التمرد و توجه على رأس جيش يريد القيروان.

فدخل مدينه باجه و احتفى بها ليستعد لحرب ابن الأغلب. فوجه اليه الامير أبو العباس جيشا بقيادة خفاجه بن سفيان، فاستطاع ان يلحق الهزيمة بابن غلبون و اتباعه فقتله و حمل رأسه الى ابن الأغلب. و كان ازهر بن سالم رهينه عند ابن الأغلب فقتله عند ما اعلن أبوه العصيان(٢).

أما الفتنه الثانيه فقد قام بها عمرو بن سليم التجيبى المعروف بالقويح، فى تونس فى سنه ٢٣٤ هـ و دامت أكثر من سنتين، و لم يستطع القائد خفاجه بن سفيان الذى توجه لقتاله، اقتحام المدينه فرجع ادراجه. فسير ابو العباس فى السنه التاليه قائد اخر هو محمد بن موسى المدعو عربان على رأس جيش لمحاربه القويح، الا- ان كثيرا من أفراد جيشه انضموا الى جانب الثوار مما اضعف قوه عربان الذى قتل فى المعركه و هزم ما بقى من أفراد حملته فعادوا الى القيروان مفلولين(٣). فوجه أبو العباس فى سنه ٢٣٦ هـ حملة ثالثه على رأسها قائد جيوشه خفاجه بن سفيان، فهاجمت مدينه تونس و جرى قتال عنيف عند أبوابها. و بعد عده معارك هزم القويح و قتل الكثير من اتباعه، و قد ادركه احد جنود خفاجه فقتله و جاء برأسه اليه، فحملة خفاجه الى الامير أبى العباس، و دخل الجيش الأغلبى مدينه تونس. و قد سر أبو العباس بالقضاء على

١- البيان المغرب ١ / ١٠٩.

٢- نفس المصدر ١ / ١١٠، و الكامل ٧ / ٤٠.

٣- الكامل ٧ / ٤٤، و البيان المغرب ١ / ١١٠ وقيه القويح بدلا من القويح.

فتنه القويح و عوده تونس الى طاعته. فاكرم قائده و وصل قاتل القويح و كساه(١).

و كان البربر في منطقه «لها» بطرابلس تمردوا على عامل المدينه و امتنعوا عن أداء العشور و الصدقات، و حاربوه و اضطروه على ترك المدينه، فالتجأ الى مدينه لبد و بعث بطلب النجده من القيروان، فبعث اليه الأمير محمد جيشا بقياده أخيه زياده الله، فهزم البربر و قتل منهم خلقا كثيرا و اسر آخرين فضرب أعناقهم، و احرق ما كان في معسكرهم، ففضى بذلك على تمردهم، فعاد الباقون الى الطاعه.

لقد اعجب أبو العباس بالفقيه المالكي سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي، و اسمه عبد السلام و انما لقب بسحنون باسم طائر حديد الذهن بالمغرب يسمى سحنون، و ذلك لحده ذهنه و فرط ذكائه(٢). و كان سحنون كبير علماء القيروان في حينه و اليه انتهت الرياسه في العلم في المغرب. و قد صنف «كتاب المدونه» في مذهب الامام مالك بن انس، و صار له من الاصحاب و الطلاب ما لم يحصل لغيره من رجال مالك. و عنه اشتهر المذهب المالكي في المغرب(٣). و كان سحنون الى جانب علمه عادلا نزيها، فولاه أبو العباس القضاء بعد ان أبى و امتنع عليه عاما كاملا- خشيه التدخل في أعماله، حتى حلف له الأمير بالايمان المؤكده ان يطلق يده على أهل بيته و قرابته و حاشيته، و ينفذ عليهم الحق أحبوا أو كرهوا(٤). و بقى سحنون على القضاء الى ان توفي في شهر رجب سنه ٢٤٠ هـ.

١- البيان المغرب ١ / ١١٠، و الكامل ٧ / ٤٤. (٣٩) الكامل ٧ / ٩١.

٢- البيان المغرب ١ / ١٠٩، و وفيات الاعيان ٢ / ٣٥٤.

٣- وفيات الاعيان ٣ / ٣٥٢.

٤- وفيات الاعيان ٣ / ٣٥٢، و البيان المغرب ١ / ١٠٩.

و بنى أبو العباس فى سنة ٢٣٩ هـ مدينه بقرب تاهرت سماها العباسيه، و ظلت قائمه حتى استولى عليها أفلح بن عبد الوهاب الأياضى و احرقها، و كتب الى الاموى فى الاندلس يعلمه بذلك تقربا اليه، فبعث اليه بمائه ألف درهم جزاء على ما قام به (١).

الفتوحات فى صقلية:

استمرت سياسه بنى الأغلِب فى عهد الأمير محمد الاول فى محاربه الروم و طردهم من صقلية. و كان الروم قد استرجعوا مسينا التى فتحها العرب قبل عده سنوات، فاوز الأمير محمد الى الفضل بن جعفر باستردادها. فهاجمها الفضل و حاصرها برا و بحرا حتى اضطر أهلها فى سنة ٢٢٨ هـ ان يطلبوا الأمان لقاء تسليم المدينه. فأمنهم الفضل، و دخلها بجيشه (٢). ثم سار الفضل بن جعفر الى حصار مدينه لىنتينى فى سنة ٢٣٢ هـ، و هى تقع جنوبى شرقى بشيره، و هى قلعه حصينه على بعد سته أميال من البحر، تقع على النهر المسمى باسمها، و كانت تصلها المراكب القادمه فى البحر (٣). فسارع أهلها الى الاستنجاد بقائد الروم فى مدينه قصريناه لينصرهم فى صد الحمله العربيه، فأجابهم الى طلبهم، و جعلوا بينهم علامه لوصول النجده للانضمام الى حاميه المدينه.

و يظهر ان علامه التى اتفقوا عليها، و هى ايقاد النيران على جبل معين فى ليله معينه، قد تسربت الى القائد العربى فاشعل النيران فى الوقت المعين و فى المكان المحدد. فظنها أهل لىنتينى انها نيران النجده التى جاءت لمساعدتهم، ففتحوا باب الحصن لاستقبالهم. ففاجأهم الجيش العربى الذى اقتحم الحصن قبل ان تصل النجده الموعوده،

١- فتوح البلدان / ٢٣٦، و الكامل / ٥١٩ / ٦.

٢- المسلمون فى جزيره صقلية / ٧٧.

٣- نفس المصدر / ٢١٥.

و استطاع الاستيلاء على المدينة التي اضطر أهلها على تسليمها بعد أن أمنهم الفضل على أنفسهم و أموالهم(١).

و لما مات عامل صقلية محمد بن عبد الله بن الأغلب فى سنة ٢٣٦ هـ اجتمعت كلمه العرب فيها على توليه العباس بن الفضل، و كتبوا بذلك الى الأمير محمد فأقر العباس عاملا على الجزيرة و بعث اليه بعهدة(٢). و كان العباس قبل أن يصله العهد بتعيينه يغير و يرسل السرايا لمهاجمه الحصون و القلاع التى لا تزال بيد الروم.

فلما تم تعيينه جاهد كثيرا و غزا طويلا، و كانت له مع الروم مواقف هزمهم فيها و اذلهم(٣). فقد خرج فى العام التالى لتعيينه على رأس حمله فبلغ مدينة بثيره و هى من مدن الجزيرة المهمه تقع الى الشرق من قصر يان، و حاصرها خمسة أشهر، فصالحه أهلها على خمسة آلاف رأس، و كان فى حملته هذه قد خرب عددا من الحصون و غنم كثيرا من الاموال(٤).

توفى الأمير أبو العباس الأغلبى فى أوائل المحرم سنة ٢٤٢ هـ و له من العمر ست و ثلاثون سنة(٥). و كانت مدته ولايته خمس عشره سنة و ثمانية أشهر و عده أيام.

٥- أبو ابراهيم أحمد بن محمد بن الاغلب:

ولى الاماره بعد أبيه و هو ابن عشرين سنة و كان حسن السيره، كريم الأخلاق و الأفعال، و من أجود الناس و أسمحهم، و أرفقهم بالرعيه مع تدين و اجتناب للظلم. و قد أحسن السيره مع الرعيه

١- الكامل ٧ / ٦.

٢- نفس المصدر ٧ / ٦٠.

٣- البيان المغرب ١ / ١١١.

٤- الكامل ٧ / ٦٠ - ٦١.

٥- البيان المغرب ١ / ١١٢.

و أكثر العطاء للجند و منع الظلم عن الناس(١). فكان عهده هادئا فلم تقم أية ثورة أو خلاف ضده. فصرف جهده الى بناء الحصون و تقوية القائم منها، و يقول ابن الأثير انه بنى بارض أفريقيه عشره آلاف حصن بالحجاره و الكلس و أبواب الحديد(٢). و يظهر ان اهتمامه بتقوية الحصون جاء نتيجة استرداد الروم عددا من الحصون التي كان العرب استولوا عليها في صقلية بسبب ضعف تحصينها. اذ لا يخفى ان مناعه أسوار الحصون و متانه أبوابها و ضخامتها كانت من أهم وسائل الدفاع عنها حينذاك.

كما اهتم الأمير أبو ابراهيم بالنواحي العمرانيه فانفق كثيرا من الأموال لحفر مواجل الماء و بناء المساجد و تشييد القناطر.

و اهتم بصوره خاصه بجامع القيروان فزاد في بنائه. و قد أشرنا في فصل سابق الى انه جلب من سامرا تربيعات من الغضار المذهب و زين بها محراب الجامع المذكور، كما انه جلب له منبرا خشبيا من بغداد و قد زين بزخارف سامرا، و هو يتكون من صفوف من الحشوات المقسمه الى مناطق مستطيله تزينها الزخارف الهندسيه المتشابهه و النباتات المجرده و تفريعات من ورق العنب(٣). و هو لا يزال قائما شاهدا على ما بلغته الزخرفه العربيه من أرقى درجات الروعه في عهد سامرا. و عند ما حدث سيل عظيم في مدينه القيروان في سنه ٢٤٧ هـ و كسر قنطره باب الربيع أمر أبو ابراهيم باصلاحها، و اكمل كذلك مآجل باب تونس الكبير(٤).

و يروى عن احسانه الى الفقراء انه كان يركب في ليالى شعبان و رمضان من القصر القديم حتى ينتهى الى جامع القيروان و بين يديه الشموع، و معه دواب محمله بالدرهم يتصدق بها على الضعفاء

١- البيان المغرب ١/ ١١٢، و الكامل ٦/ ٥٢٠.

٢- الكامل ٦/ ٥٢٠.

٣- الفنون الاسلاميه / ١١٦.

٤- البيان المغرب ١/ ١١٣.

و المساكين(١). و قد ولى القضاء بافريقيه أبا الربيع سليمان بن عمران بن أبي هاشم الملقب بخروفيه.

أما فيما يتعلق بصقليه فقد استمر الامير أحمد فى سياسه اسلافه فى فتح مدنها و حصونها. فقد أرسل العباس بن الفضل عامله عليها عدده حملات للاستيلاء على مدينه قصر يان، كانت آخرها حملته عليها فى سنه ٢٤٢ هـ حيث استطاع فتحها بعد أن قضى على الجيش الرومى المدافع عنها. و قد ساعد على فتحها أحد أسرى الروم الذى نصح القائد العربى بمهاجمه المدينه فى مده اشتداد البرد و تراكم الثلوج و انجاس الناس فى بيوتهم، فتمكنت ثله من الجند من الوصول الى سور المدينه فدلهم الأسير على فتحه صغيره فيه يدخل منها الماء الى المدينه، فدخلوا منها و فتحوا الابواب. فدخلها العباس صبيحه يوم الخميس منتصف شهر شوال بحيشه. و بعد قتال عنيف تغلبوا على من كان فيها من جيش الروم، و أصابوا من الغنائم ما يعجز الوصف عنه(٢). و بنى العباس فى المدينه مسجدا فى يومه و نصب فيه منبرا خطب عليه الخطيب فى يوم الجمعة(٣).

و فى سنه ٢٤٦ هـ نكثت بعض القلاع التى سبق ان هادنت العرب مثل قلعه البلوط و قلعه ابلطنوا و قلعه أبى ثور، فبعث العباس بعض السرايا لتأديبها. ثم انصرف الى تعمير مدينه قصر يان و تحصينها و شحنها بالعساكر(٤). و سار العباس فى السنه التاليه الى سر قوسه الا انه اعتل فى الطريق و وافته المنيه فى أوائل رجب، و قد دامت ولايته على جزيره صقليه احدى عشره سنه قضاها فى

١- نفس المصدر ١ / ١١٢.

٢- الكامل ٧ / ٦٢ - ٦٣.

٣- نفس المصدر ٧ / ٦٣.

٤- نفس المصدر ٧ / ٦٤.

مطارده الروم و اجلائهم عنها. و كان فى بعض حملاته قد غزا أرض قلوريه و انكبرده و اسكنها المسلمين(١).

و عند توفى العباس بن الفضل اجتمع اهل صقلية على توليه ابنه عبد الله مكانه، و عرضوا الامر على الأمير أحمد فى القيروان.

فاستمر عبد الله بارسال السرايا و استولى على عدة حصون. الا ان الامير أحمد بعث خفاجه بن سفيان عاملا على الجزيره. و أول عمل قام به خفاجه انه سير حمله يقودها ابنه محمود لمهاجمه سرقوسه، فتغلب على بعض حصونها و غنم ما فيها. كما تمكنت احدى السرايا التى بعث بها خفاجه من الاستيلاء على مدينه توطس بعد حصارها مده قصيره(٢).

توفى الامير أبو ابراهيم يوم الثلاثاء لثلاث عشره خلت من ذى القعدة سنه ٢٤٩(٣). و كانت مده امارته سبع سنوات و عشر اشهر و نصف الشهر.

٦- زياده الله الثانى:

ولى الاماره بعد وفاه الأمير أحمد أخوه أبو محمد زياده الله بن محمد بن الأغلب و كان يعاصر الخليفه المستعين بالله. و أول عمل قام به انه أقر خفاجه بن سفيان على ولايته على صقلية و خلع عليه لما لمسه من تفانيه فى الجهاد، و انشغاله المستمر فى حرب الروم و اجلائهم عن أراضى الجزيره. و قد واصل خفاجه فى عهد زياده الله الثانى هجماته على القلاع و المدن التى ما زالت فى حوزة الروم

١- نفس المصدر، و ارض قلوريه هى القسم الغربى من جنوبى شبه جزيره ايطاليا و تدعى اليوم (كلابريا) أما انكبرده فهى ما يدعى اليوم بالجبل الاسود و تقع على الساحل الشرقى لبحر الادرياتيك.

٢- الكامل ١٠٦ / ٧.

٣- الكامل ١٢٥ / ٧.

و بخاصه سرقوسه. و كانت حملاته غزوات تكسب الغنائم و تعود دون ان تستولى على ما تهاجمه من القلاع و المدن. الا انه تمكن فى احدى حملاته ان يستولى على مدينه نوطس و هى من المدن الكبيره فى الجزيره، و تقع فى أقصى الجنوب الشرقى منها على مقربه من الساحل. و كان بعض أهلها اخبر العرب بموضع دخلو منه الى المدينه، فغنموا منها أموالا جليله (١).

كان الأمير زياده الله الثانى حليما جوادا، حسن السيره، ذا رأى و شجاعه، الا ان أيامه لم تطل. فقد توفى فى ليله السبت لعشر بقين من ذى القعدة سنه ٢٥٠هـ (٢)، و كانت ولايته سنه واحده و بضعه أيام.

٧- محمد الثانى:

تولى أبو عبد الله محمد الثانى بن احمد الأول الاماره بعد وفاه عمه زياده الله الثانى، و لقب بابى الغرائق لولعه بصيدها، حتى انه بنى قصرا يخرج اليه لصيدها، انفق عليه ثلاثين ألف مئقال من الذهب (٣). و كان كريما الى حد الاسراف و لم تكن له هممه فى جمع المال، و لما مات لم يترك خلفه فى بيت المال شيئا (٤). كما كان حسن السيره، عادلا فى الرعيه. و فى عهد بنى جامع المعافرى بالتيروان.

و قد شيده محمد بن حمدون الاندلسى المعافرى فى سنه ٢٥٢هـ فنسب اليه. و بناه بالآجر و الجص و الرخام و بنى فيه جبايا للماء (٥).

١- الكامل ٧ / ١٠٦.

٢- البيان المغرب ١ / ١١٤، و الكامل ٧ / ١٣٥.

٣- البيان المغرب ١ / ١١٤.

٤- البيان المغرب ١ / ١١٤.

٥- نفس المصدر.

و غضب الأمير محمد الثانى على قاضى القيروان سليمان بن عمران فصرفه و عين عبد الله بن احمد بن طالب أحد كبار فقهاء المالكيه، الا انه ما لبث بعد مده ان عزله و اعاد القاضى السابق الى منصبه. و حلت فى أيامه فى سنه ٢٦٠ مجاعه عامه بالمشرق و المغرب مع و باء الطاعون(١). و ممن توفى بالوباء المذكور عالم افريقيه و فقيها محمد بن ابراهيم بن عبدوس الذى دون المجموعه فى الفقه المالكي(٢).

أما فى صقلية فقد تميز عهد الامير محمد الثانى باشتداد الحرب و تواصلها، و انها كانت سجالا بين العرب و الروم. اذ كان الروم قد استردوا بعض المدن و الحصون التى كان العرب قد استولوا عليها. مما دفع الجيش العربى هناك الى محاوله استعادتها. فقد غزا خفاجه بن سفيان فى سنه ٢٥١ هـ مدينه قصريناه، ثم قصد سرقوسه و قاتل حاميتها و رجع عنها. ثم بعث ابنه محمدا فى حملته استطاعت ان تقتل ألف فارس من الروم، و عرفت حملته هذه بسريه الألف فارس.

و تكررت حملات خفاجه فى السنوات التاليه على المدن الرئيسه التى بيد الروم مثل سرقوسه و قصريناه و طرمين. و لعل أهمها حربه مع القائد الذى ارسلته القسطنطينيه على رأس جيش للدفاع عن سرقوسه، فانهمز القائد الرومى بعد قتال شديد، و قتل الاف من أصحابه. و قد اصاب الجيش العربى منهم سلاحا و خيلا و مغنم أخرى كثيره(٣).

١- البيان المغرب ١/ ١١٦.

٢- نفس المصدر، و الكامل ٧/ ٢٧٣. (٦٩) البيان المغرب ١/ ١١٤.

٣- الكامل ٧/ ١٠٧.

و خرج خفاجه فى سنه ٢٥٥ هـ فهاجم سرقوسه و حاصرها و ضيق عليها، ثم ما لبث ان عاد منها الى بلرم. و فى طريقه اغتاله أحد جنوده فطعنه طعنه قاتله، و ذلك فى مستهل رجب من السنه المذكوره، فحمل جثمانه الى بلرم فدفن فيها(١). فولى أهل صقلية ولده محمدا و كتبوا بذلك الى أمير بنى الأغلِب محمد الثانى فأقره على ولايته، و سير له العهد بالولاية و الخلع. و يظهر انه أصبح لأهل صقلية الحق فى اختيار الوالى على الجزيره بحيث يضعون أمير أفريقيه أمام الأمر الواقع فيقر اختيارهم الا فيما ندر من الحالات.

استمر محمد بن خفاجه على نهج أبيه فى مهاجمه مدن جزيره صقلية التى ما زالت بيد الروم، و محاوله انتزاعها منهم. و لعل أهم ما انجزه خلال مدته ولايته القصيره انه ارسل حملة فى سنه ٢٥٦ هـ الى جزيره مالطه و كان الروم يدافعون عنها، فاستطاع قائد الحمله أحمد بن عبيد الله بن الأغلِب ان يهزم الروم و يطردهم منها و يستولى عليها(٢).

الا ان محمدا ما لبث ان قتل فى السنه التاليه، اذ تواطأ عدد من خدمه الخصيان فقتلوه لثلاث خلون من رجب و كتموا أمره و لم يعرف أمر قتله الا بعد يوم من هروب الخدم، فادركهم حرسه و قتلوا بعضهم(٣). فعهد الامير محمد الثانى بولايه صقلية الى أحد قواده أحمد بن يعقوب بن المضاء بن سلمه الذى ما لبث ان مات فى السنه التاليه(٤). فولى أهل صقلية ابنه الحسين مكانه، و أقره أمير بنى الأغلِب عليها(٥).

١- البيان المغرب ١/ ١١٥، و الكامل ٧/ ١٠٨.

٢- الكامل ٧/ ١٠٩.

٣- البيان المغرب ١/ ١١٥، و الكامل ٧/ ١٠٩ و ٢٤٩.

٤- نفس المصدرين السابقين.

٥- البيان المغرب ١/ ١١٥.

هاجم الحسين بن أحمد فى السنه التاليه سرقوسه فصالحه أهلها على أن يخرجوا اليه من أسرى العرب الذين كانوا لديهم ٣٦٠ أسيرا(١).

و بعد ان حكم الامير أبو الغرائيق اماره بنى الأغلب مده عشر سنوات و نصف السنه توفى فى ليله الاربعاء لست خلون من جمادى الاولى سنه ٢٦١ هـ. و كان قد عاصر من خلفاء سامرا كلا من المستعين بالله و المعتز بالله و المهتدى بالله و المعتمد على الله. و لما حضرته الوفاه عهد بالاماره لابنه ابى عقال و أوصى بأن يتولى أخوه ابراهيم حتى يكبر ولده، و استحلف أخاه الا ينازع ابنه و أشهد عليه آل الأغلب و مشايخ القيروان(٢).

٨- ابراهيم الثانى:

اشاره

كان الأمير محمد الثانى قد عهد بالاماره لابنه أبى عقال و نظرا لصغر سنه فقد أوصى بأن يتولى الأمره أخوه ابراهيم بن أحمد حتى يكبر ولده. الا- ان أهل القيروان سألوا ابراهيم الذى كان واليا عليها آنذاك ان يتولى الاماره دون ابن أخيه، لما عرفوه عنه من العداله و الحزم و حسن السيره. فاجاب بعد تردد و امتناع، فبايعه مشايخ أفريقيه و وجوهها و جماعه من بنى الأغلب. و لعل من الطريف ان نشير الى انه اعتذر عن قبول تولى الاماره بانه حلف لأخيه بأن لا ينازع ولده و لا يدخل قصره. فكانت الفتوى للخروج من يمينه ان يتولى الاماره فى داره و ليس فى قصر الاماره، فدخل داره و بايعوه(٣). فكان خلال السنوات السبع الاولى من امارته

١- البيان المغرب ١/ ١١٦، و الكامل ٧/ ٢٦٦.

٢- البيان المغرب ١/ ١١٦، و الكامل ٧/ ٢٨٤.

٣- البيان المغرب ١/ ١١٦.

حسن السيره حميد الافعال. و قد اهتم ببناء الحصون و تقويه الجيش، و اشاعه العدل بين الناس. و كان يجلس بجامع القيروان ليسمع شكوى الخصوم و يفصل بينهم(١). و يظهر انه فعل ذلك مقتديا بمن جلس من الخلفاء لرد المظالم.

بناء مدينه رقاده:

عنى الامير ابراهيم الثانى بالنواحي العمرانيه عنايه خاصه، و كان من أول أعماله انه بنى مدينه جديده اتخذها عاصمه له هى مدينه رقاده. و تقع على أربعة أميال من القيروان، و أكثرها بساتين و ليس بأفريقيه أعدل هواء و لا ارق نسيمًا و لا أطيّب ترابه منها(٢).

و هناك روايتان عن سبب تسميتها بهذا الاسم، أولاها ان أحد أمراء بنى الأغلّب أرق وفاقه النوم فعولج بالمشى. فلما وصل الى موضع رقاده تعب فغلب عليه النوم، فسمى من يومئذ رقاده. و تقول الروايه الاخرى ان ابا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافى القائم بالدعوه الاباضيه باطرابلس، لما نهّد الى القيروان لقتال قبائل رفجومه و كانوا قد تغلبوا عليها، التقى بهم بهذا الموضع فقتلهم فيه قتلا ذريعا، فسمى رقاده لرقاد جث القتلى فيه بعضها فوق بعض(٣).

لقد انشأ الأمير ابراهيم فى هذا الموضع مدينه بنى بها قصورا عجيبيه و جامعًا. فعمرت بالاسواق و الفنادق و الحمامات. و لما تم بناء القصر المسمى بقصر الفتح انتقل ابراهيم اليه من القصر القديم. و قد استغرق بناء المدينه زهاء السنتين (٢٦٣-٢٦٤ هـ).

١- الكامل ٧ / ٢٨٣.

٢- معجم البلدان ٣ / ٥٥، و المغرب للبكرى / ٢٧.

٣- معجم البلدان ٣ / ٥٥، و المغرب للبكرى / ٢٨.

و بقيت رقاده عاصمه لامراء بنى الأغلّب الى ان هرب منها آخر أمرائهم زياده الله الثالث.

و لما منع الامير ابراهيم بيع النبيذ و شربه بمدينه القيروان و أباحه بمدينه رقاده، قال بعض الظرفاء من أهل القيروان(١):

يا سيد الناس و ابن سيدهم و من اليه الرقاب منقاده

ما حرم الشرب فى مدينتناو هو حلال بأرض رقاده؟

و من اعمال ابراهيم العمرانيه الاخرى توسيعه جامع القيروان.

فقد زاد فى عدد بلاطاته، و بنى فوقه قبه شاهقه تقوم على اثنتين و ثلاثين ساريه من بديع الرخام، و زينت جدرانها و سقوفها بالزخارف و النقوش العربيه الجميله. و كانت محكمه البناء عجيبه المنظر يشهد كل من رآها انه لم يرا احسن منها بناء. و بنى فى الجامع مقصوره للنساء يؤدين فيها الصلاه و جعلها محجوزه عن الجامع بحائط مخرم بالزخارف محكم العمل(٢).

الحرب مع ابن طولون:

لعل أهم الاحداث التى واجهت الأمير ابراهيم الثانى و هددت امارته هو هجوم العباس بن احمد بن طولون على افريقيه فى سنه ٢٦٥ هـ يريد انتزاعها من بنى الاغلب. و كان العباس قد خرج على أبيه أحمد بن طولون فأشار عليه بعض اصحابه ان يتجه الى افريقيه. فكاتب عددا من زعماء القبائل فيها فاجابه قسم منهم.

و كتب الى الامير ابراهيم يقول ان امير المؤمنين الخليفه قد قلده

١- المغرب للبكرى / ٢٧- ٢٨.

٢- المغرب للبكرى / ٢٤.

أفريقيه و أعمالها و انه متوجه اليها. ثم سار الى برقه من ثمانمائه فارس و عشره الاف راجل من سودان أبيه حملهم على خمسه آلاف جمل. و قيل انه حمل من بيت مال مصر ثمانمائه حمل دنانير ذهباً، قيل ان مبلغها ألف ألف دينار و مائتا ألف دينار. فلما وصل الى مدينه لبدته بعث اليه الأمير ابراهيم القائد احمد بن قرهب على رأس جيش من الفرسان، فالتقى بجيش العباس و انهزم أمامه، و التجأ الى اطرابلس، فاستنجد أهلها بأبي منصور الاباضى صاحب مدينه نفوسه، فزحف هذا فى اثنى عشر ألف من رجاله لنجدتهم.

و كان الأمير ابراهيم قد ضرب حلى نسائه دنانير و دراهم لأن سلفه لم يبق فى بيت المال شيئاً يذكر.

و جهز جيشاً أرسله الى عامل اطرابلس و أمره بمقاتله ابن طولون. فاجتمع رئيس الاباضيه و عامل اطرابلس على قتال ابن طولون. فقتل من جيش ابن طولون عدد كبير، و نهبت أمواله، و هزم أقبح هزيمه، و كاد ان يقع فى الاسر، فعاد ادراجه بأسوأ حال. و لشده اهتمام الامير ابراهيم بالأمر خرج بنفسه يريده اطرابلس، فجاءه خبر هزيمه العباس. فبحث عن الاموال التى نهبها جيشه و اخذها ممن وجد معه منها، و كان الرجل من العسكر يبيع مثاقيل ابن طولون سرا خوفاً من أن تؤخذ منه (١).

الفتوحات فى صقلية:

فتحت فى عهد ابراهيم الثانى مدينه سرقوسه، و كان فتحها هذه المره نهائياً اذ احتفظ بها العرب و لم يستطع الروم الاستيلاء عليها مره أخرى. فقد توجه اليها فى رمضان سنه ٢٦٤ هـ جعفر بن

١- البيان المغرب ١/ ١١٨- ١١٩، و الكامل ٧/ ٣٢٤- ٣٢٥، و الخطط المقرئيه ١/ ٣٢٠.

محمد و حاصرهما برا و بحرا. و لما سير الروم اسطولا لنجدتها هزمه العرب. و دام حصار المدينة تسعه أشهر، اضطر أهلها بعدها على الاستسلام. فقتل ألوف من جنودها، و أصاب العرب من الغنائم ما لم يصيبوا مثله من مدينة أخرى(١).

و لما توفي عامل صقلية الحسين بن أحمد فى سنة ٢٧١ هـ تولى بعده سواده بن محمد بن خفاجه التميمى(٢). و كان أول عمل قام به انه قاد حملته الى مدينة قطانية فاهلك ما فيها. ثم سار الى طرمين و قاتل أهلها، حتى طلب اليه الروم المهادنه و المفاداه فوافق على ذلك، فانقذ ٣٠٠ أسير من العرب كانوا فيها، و عاد الى بلرم(٣).

الا ان اهل صقلية لم ترضهم سياسه العامل الجديد سواده التميمى فوثبوا به فى سنة ٢٧٣ هـ و تمكنوا منه، فبعثوه مقيدا مع أخ له الى أفريقيا، و اجتمعوا على توليه العباس بن على و لايه الجزيره(٤).

و عند ما تنسك الامير ابراهيم الثانى فى أواخر أيامه و عزم على الحج الى بيت الله الحرام، جعل طريقه على جزيره صقلية ليتلافى الاحتكاك بابن طولون بمصر، و ليجمع الحج و الجهاد بفتح ما بقى من حصون الجزيره. و اخرج جميع ما عنده من المال و السلاح و سار فى اسطول كبير. و لما وصل الى صقلية فى سنه ٢٨٩ هـ غزا بعض المدن و الحصون التى بيد الروم، و استولى على مدينة برطينو.

ثم هاجم مدينة طيرمين و كان أهلها قد استعدوا لقتاله الا انه هزمهم و دخل المدينة. و يقال ان ملك الروم لما سمع هزيمة جيشه فى طيرمين و استيلاء العرب عليها حزن و بقى سبعة ايام لا يضع التاج على رأسه. و بعد ان تم فتح طيرمين ارسل الامير ابراهيم

١- البيان المغرب ١/ ١١٨-١١٩، و الكامل ٧/ ٣٢٠.

٢- البيان المغرب ١/ ١١٩، و الكامل ٧/ ٤١٧.

٣- الكامل ٧/ ٤١٧.

٤- البيان المغرب ١/ ١٢٠.

سراياه الى حصون اخرى، فاستولت على بعضها و خربت البعض الآخر(١).

سوء سيره ابراهيم:

سار الامير ابراهيم الثانى فى خلال السنوات السبع الاولى من حكمه سيره حسنه. و قد ذكرنا ما قام به من أعمال خلالها اكسبته رضاء الناس. الا- انه بعد ذلك غلبت عليه السوداء فتغيرت أحواله و ساء ظنه بالآخرين، فالتجأ الى القتل للتخلص ممن يسيء الظن بهم. و يقول ابن عذارى المراكشى انه قتل أخوته الثمانية و اعدادا كبيره من أقربائه و أصحابه و حجابيه و خدمه و جنده، و قتل ابنه و بناته(٢). و لما عزل أحمد بن طالب بن سفيان التميمى عن قضاء أفريقيا فى سنة ٢٧٥ هـ حبسه ثم قتله بالسم(٣). و كان قد حبس كاتبه محمد بن حيون المعروف بابن البريدى فى سنة ٢٧٦ هـ فكتب اليه هذا من السجن يستعطفه:

هبنى أسأت فاين العفو و الكرم اذ قادننى نحوك الاذعان و الندم

يا خير من مدت الايدى اليه اما ترثى لصب نهاه عندك القلم

بالغت فى السخط فاصفح صفح مقتدران الملوك اذا ما استرحموا رحموا

١- الكامل ٧ / ٢٨٥ - ٢٨٦.

٢- البيان المغرب ١ / ١٣٢.

٣- البيان المغرب ١ / ١٢١ - ١٢٣، و المسلمون فى جزيره صقلية / ١٠٣ - ١٠٥ و جاء فيه ان ما نسب اليه من هذه الاعمال الفظيعة قد تكون الدعايه القاطميه قد بالغت فى ذلك لتسيء الى سمعته.

فلما قرأ ابراهيم الأبيات، قال: يكتب لى هبنى أسأت و هو قد اساء، أما انه لو قال:

و نحن الكاتبون و قد أسأنا فهبنا للكرام الكاتيينا

لعفوت عنه. ثم امر به فجعل فى تابوت حتى مات.

و قتل فى سنه ٢٧٧ هـ حاجبه نصر بن الصمصامه بضربه خمسمائه سوط، فلم ينطق بكلمه و لا تحرك من موضعه، فأمر بضرب عنقه. و عرض فى سنه ٢٧٨ هـ ديوان الخراج على سواده النصرانى على ان يسلم، فقال سواده: ما كنت لأدع دينى على رياسه أنالها. فأمر به فقطع نصفين و صلب. و استشرى فى سنه ٢٧٩ هـ بالقتل بحيث صار يقتل بطرا و شهوه. فقد قتل فى هذه السنه اسحاق بن عمران المستطيب المعروف بسم ساعه. و قتل جميع فتيانه، لأن المنجمين قالوا له انه يقتله رجل ناقص العقل و انه قد يكون احد الفتيان. فقتل كل من رآه منهم يتقلد سيفا و فيه حركه و نشاط. و لما اوغل فى قتلهم خاف ان تفسد قلوب البقيه عليه فقتلهم جميعا. و استخدم عوضا عنهم السودان، ثم عرض لهم منه ما عرض للفتيان الصقالبه فقتلهم كذلك جميعا(١).

و وثب اهل الزاب بعامله فى سنه ٢٦٨ هـ و كان وجوههم قد قدموا اليه فاحسن اليهم و اكرمهم، الا انه ما لبث ان فتك بهم، و امعن فى قتل أهل البلد حتى الاطفال منهم. و لكثره من قتل منهم أمر بأن تحمل جثثهم على العجلات الى حفره ليدفنوا فيها(٢).

١- البيان المغرب ١/ ١٢١-١٢٣، و المسلمون فى جزيره صقلية/ ١٠٣-١٠٥ و جاء فيه ان ما نسب اليه من هذه الاعمال الفظيحه قد تكون الدعايه القاطميه قد بالغت فى ذلك لتسىء الى سمعته.

٢- الكامل ٧/ ٣٧٠، و البيان المغرب ١/ ١١٩. و الزاب كوره عظيمه بأرض المغرب تمتد بين تلمسان و سجلماسه، و تكتنفها القرى العديده. و قيل ان زرعها يحصد فى السنه مرتين - معجم البلدان ٣/ ١٢٤.

الـ انه أظهر التوبه فى أواخر أيامه، لما استقام أمر ابى عبد الله الشيعى، فأراد أن يرضى العامه و يستميل قلوب الخاصه. فرد المظالم، و اعتق مماليكه، و اعطى فقهاء القيروان و وجوها أموالا كثيره ليفرقوها فى الضعفاء و المساكين(١).

و عند ما ذهب الى صقلية فى طريقه الى الحج أصيب بالذرب، و اشتد عليه المرض حتى توفى فى آخر ذى القعدة سنه ٢٨٩ هـ، فجعل جثمانه فى تابوت و حمل الى القيروان و دفن فيها(٢). و كان عمره اثنتين و خمسين سنه، و طالت ولايته ثمانيا و عشرين سنه و سته أشهر، فكان أطول أمراء بنى الأغلب عهدا فى الحكم. و قد عاصر طيله حكمه الخليفه المعتمد على الله.

١- البيان المغرب ١ / ١٣٢.

٢- الكامل ٧ / ٢٨٦، و البيان المغرب ١ / ١٣٢ و فيه انه توفى بارض الروم و نقل جثمانه الى جزيره صقلية و دفن فيها. و جاء مثل هذا فى كتاب (المسلمون فى جزيره صقلية) انه مات و هو يحارب فى قلوريه، و نقل جثمانه الى بلرم فدفن هناك، و بنى على قبره قصر- ص: ١٠٢.

الفصل الثاني اماره الطاهريين

١- تأسيسها:

استطاع طاهر بن الحسين قائد جيوش المأمون أن يؤسس اماره مستقلة شملت عددا من ولايات القسم الشرقى من الدوله العربيه فى عهد العباسيين. و ذلك عند ما عينه المأمون فى سنه ٢٠٥ هـ واليا على خراسان من مدينه السلام الى أقصى أعمال المشرق(١). بعد أن حقق له النصر على أخيه محمد الأمين. فاخذ طاهر يعمل على الانفصال عن الدوله بعد أن بلغه سوء رأى المأمون فيه(٢). و كان طاهر قد قتل الخليفه محمدا الأمين عند ما وجهه المأمون لمحاربتة. فاشتد ذلك على المأمون، و كان كلما تذكر مقتل أخيه ازداد حنقا على طاهر، و قد قال مره: لن يفوت طاهرا منى ما يكره(٣). و لذلك احتال

١- الطبرى ٨ / ٥٧٧، و تجارب الامم ٦ / ٤٤٨، و تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٥٦ و فيه انه ولاه فى سنه ٢٠٦.

٢- كتاب البلدان / ٣٠٧.

٣- الطبرى ٨ / ٥٧٩.

طاهر لتعيينه على ولايه خراسان(١). لكي يبتعد عن انظار المأمون من جهه، و لكي يكون بين بنى قومه و انصاره فإمن الايقاع به من جهه أخرى. و يظهر ان المأمون لم يكن مطمئنا الى ولائه لانه لم يوافق على تعيينه الا- بعد أن خمنه وزيره أحمد بن أبي خالد(٢).

و كان طاهر فى أواخر أيامه يحكم خراسان و الولايات الشرقيه التى ضمت اليه كأمير مستقل لا يخضع للخليفه الا بالاسم. و قد تحقق ما توقعه المأمون عن محاوله طاهر الاستقلال عن الخليفه، اذ انه اسقط فى سنه ٢٠٧ هـ اسم الخليفه من خطبه الجمعة، دليلا على استقلاله. فقد صعد المنبر و خطب الناس، فلما بلغ الى ذكر الخليفه أمسك عن الدعاء له(٣). و يقول الذهبى انه دعوه الامام المأمون و عزم على الخروج عليه(٤). و كان ذلك قبيل وفاته بأيام، اذ باغته الأجل فمات فى جمادى الأولى من تلك السنه من حمى اصابته فوجد ميتا فى فراشه(٥). و يقال انه احتيل له بشربه(٦).

و قد تتابع على حكم الاماره أولاد طاهر و احفاده. و رغم علاقتهم الوديه بالخلافه و انهم لم يتأخروا عن نصرتها اذا ما طلب اليهم ذلك، فقد حافظوا على استقلالهم الداخلى، و استمر خضوعهم للدوله العربيه شكليا. و استطاعوا أن يوسعوا نطاق امارتهم برضاء الخليفه حتى حدود الهند. و دامت امارتهم خمسا و خمسين سنه تولاهها خمسه أمراء منهم.

١- تفصيلات ذلك فى الطبرى ٨ / ٥٧٧ - ٥٧٩.

٢- الطبرى ٨ / ٥٧٩، و تجارب الامم ٦ / ٤٥٠.

٣- الطبرى ٨ / ٥٩٤، و تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٥٧، و تجارب الامم ٦ / ٤٥٣.

٤- العبر ١ / ٣٥١.

٥- الطبرى ٨ / ٥٩٣، و تجارب الامم ٦ / ٤٥٢.

٦- كتاب البلدان / ٣٠٧.

خلف طلحه أباه طاهرا في اماره خراسان. و يظهر ان المأمون اضطر على توليته لعهده أسباب، منها رغبته في ازاله الشك في أن له يدا في موت طاهر، ثم عظم نفوذ اسره بنى طاهر في خراسان.

و عند ما توفي طلحه عين المأمون أخاه عبد الله بن طاهر مكانه لأنه كان شديد الثقه به و الاعتماد عليه. و كانت هذه التعيينات التي تمت في عهد المأمون لطاهر و ولديه من بعده قد اكسبت بنى طاهر حقا وراثيا في امارتهم.

٢- اماره الطاهريين و خلفاء سامرا:

عند ما استخلف المعتصم بالله كان الوالى على خراسان و ما يتبعها من الولايات الشرقيه عبد الله بن طاهر، و قد تولاه منذ سنه ٢١٤ هـ عند ما توفي أخوه طلحه. و قد اختلفت الروايات في كيفية توليه، فان اليعقوبى يقول ان المأمون كان قد ولي عبد الله في سنه ٢١٤ هـ أقاليم الجبال و أرمينية و اذربيجان، فاتخذ عبد الله مدينه الدينور مقرا له، و لما مات طلحه بن طاهر ولي المأمون عبد الله مكانه و وجه اليه بعهد و عقده مع اسحاق بن ابراهيم و قاضى القضاء يحيى بن أكثم، فنفذ عبد الله الى خراسان(١). الا ان الطبرى يقول قد وردت وفاه طلحه على المأمون فبعث الى عبد الله يحيى بن أكثم يعزيه عن أخيه و يهنئه بولايه خراسان(٢). و هناك روايه تقول ان المأمون خير عبد الله بين ولايه خراسان و ما اليها، أو ان يبقى على ولايته على الجبل و ارمينية و اذربيجان و حرب بابك، فاختر خراسان و شخص اليها(٣). أما ابن الاثير فيقول لما مات

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٣٦٣، و كتاب البلدان / ٣٠٧.

٢- الطبرى ٨ / ٥٩٥.

٣- الطبرى ٨ / ٦٢٢، و تجارب الامم ٦ / ٤٦٣-٤٦٤، و العيون و الحدائق ٣ / ٣٧٤.

طلحه ولى خراسان على بن طاهر خليفه لأخيه عبد الله الذى كان بالدينور، فثار الخوارج بخراسان فسار اليها عبد الله بأمر من المأمون، و اتخذ مدينه نيسابور مقرا له(١). و لم يكن قد نزلها و ال من و لاه خراسان قبله(٢).

و كيفما كان الأمر فان عبد الله بن طاهر قد ولى خراسان بعد وفاه اخيه طلحه و بقى على ولايتها الى أن توفى سنه ٢٣٠ هـ. و كان عبد الله نشأ فى كنف المأمون و رعايته، و لذلك اعتمد عليه فى مهمات الامور. و أوصى أخاه أبا اسحاق ألا يفرط به، فقد قال له فى وصيته: أقره على عمله و لا تهجه، فقد عرفت الذى سلف بينكما أيام حياتى و بحضرتى، استعطفه بقلبك، و خصه ببرك، فقد عرفت بلاءه و غناه عن أخيك(٣). و رغم ان المعتصم بالله كان سىء الرأى بعبد الله الا انه أقره على عمله، سواء كان ذلك استجابة منه لوصيه اخيه، أو لأنه كان بحاجة الى مناصرته فى حرب بابك الخرمى. و يقول الشابشتى ان المعتصم بالله كتب الى عبد الله عن رأيه فيه و طلب اليه الا- يقدم عليه الى عاصمه الخلافة، و مع ذلك أجاب عبد الله بانه على طاعه أمير المؤمنين، و انه لو ورد عليه كتابه بالشخوص اليه لما امسى حتى يشخص(٤).

لقد أظهر عبد الله اخلاصا واضحا للدوله العربيه، فقد افسد خطط الأفشين حيدر بن كاوس فى توجيه أمواله الى بلده أشر و سنه فى أثناء محاربه بابك الخرمى. فكان عبد الله يكتب الى الخليفه المعتصم بالله بكل ما يوجه به الأفشين الى أشروسنه. و اخذ مره مالا كان الأفشين قد بعث به مع بعض رجاله، و وزعه على الجند، و كتب

١- الكامل ٦ / ٤١٤.

٢- كتاب البلدان / ٣٠٧.

٣- الطبرى ٨ / ٦٤٩.

٤- الديارات / ١٣٩ - ١٤٠.

الى الافشين بذلك، فأقر الافشين عبد الله مرغما(١). و كان الافشين يطمع فى أن يحل محل عبد الله بن طاهر فى ولايه خراسان توطئه للوثوب بالخلافه. و يظهر ان هذا هو ما دعا عبد الله الى أن يكون مخلصا فى ولائه للمعتصم بالله. و كان موقف عبد الله من الافشين من أهم الاسباب التى حالت دون تحقيق الافشين نواياه.

كان عبد الله اداريا مجربا، و على درجه عاليه من الكفايه و الحزم، بحيث ضبط خراسان ضبطا ما ضبطه أحد قبله، و دانت له البلاد، و استقامت عليه الكلمه(٢). و من مظاهر حزمه انه عند ما ولى خراسان استناب بنيسابور محمد بن حميد الطاهرى، فبنى هذا دارا خرج بحائظها الى الطريق. فلما قدمها عبد الله جمع الناس و سألهم عن سيره محمد فيهم، فسكتوا. فقال بعض الحاضرين ان سكوتهم يدل على سوء سيرته فيهم. فعزله و أمره بهدم ما بنى فى الطريق(٣).

و يعتبر عبد الله من الأجواد. فقد ذكر الخطيب البغدادي اخبارا عديده عن كرمه الزائد، فيها كثير من المبالغه. و فى الخبر التالي مثال على ذلك: لما رجع عبد الله من الشام الى بغداد، صعد فوق سطح داره فرأى دخانا يرتفع الى جواره. فسأل حاجبه عن سبب الدخان، فأعلمه ان القوم يخبزون. فقال: و هل يحتاج جيراننا الى ان يتكلفوا ذلك؟ ثم أمره أن يحصى جيرانه ممن لا يقطعهم عنه شارع. فمضى و احصاهم فبلغ عددهم أربعة آلاف نفس. فأمر عبد الله لكل واحد منهم فى كل يوم بمنين من الخبز، و من من اللحم، و بعشره دراهم للتوابل فى كل شهر، و مائه و خمسين درهما لكسوه الشتاء، و مائه درهم لكسوه الصيف. و بقى ذلك دأبه

١- الطبرى ٩/ ١٠٤.

٢- تاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٨٠.

٣- الكامل ٧/ ١٤.

مدته مقامه ببغداد. فلما خرج انقطعت تلك المخصصات الا الكسوه ما عاش أبو العباس عبد الله (١). لا يخفى ان وجود أربعه آلاف نفس فى شارع واحد مبالغ فيه أو انه كان تقديرا اعتباريا. و ان اعاله هذا العدد و اكسائهم صيفا و شتاء أمر بالغ التكاليف، و لا اخال الامير عبد الله يطيق ذلك، لان كلفه الكسوه وحدها تبلغ ألف ألف درهم سنويا، ناهيك عن كلفه الخبز و اللحوم و التوابل. و مما يشبه هذا ما رواه الذهبى من ان عبد الله وقع مره على قصص بصلات بلغت اربعه آلاف ألف درهم (٢). و انما قيل هذا عنه، على ما نرى، مغالاه فى مدحه، و لا تنسى انه فارسى الاصل و الفرس مياون الى المبالغه بطبيعتهم. و قد بولغ فى اخبار كرمه لرفع شأنه و اظهاره على الآخرين ممن اشتهروا بالجود و الكرم من الولاة و القواد العرب.

و كان عبد الله أديبا شاعرا له شعر مليح و رسائل ظريفه. و قد انقطع اليه أبو العميثل عبد الله بن خليل الأديب الشاعر (٣). و كان كاتباً لأبيه طاهر بن الحسين، و قد تولى تأديب عبد الله فى صغره.

و لما صار عبد الله واليا على خراسان صار أبو العميثل كاتبه و شاعره. كما كان عبد الله يحسن الغناء و الموسيقى. و قد نسب اليه أبو الفرج أصواتا صنع ألحانها (٤). و قد بلغ من علمه بالألحان انه صنع ألحانا مشهوره و ألقاها على جواريه فأخذنها عنه و غنين بها و سمعها الناس عنهن و عمن أخذ عنهن (٥). الا انه يظهر

١- تاريخ بغداد ٩ / ٤٨٦.

٢- العبر ١ / ٤٠٦.

٣- من موالى العباسيين نشأ فى البادية و احسن قول الشعر. له عدد من كتب اللغه و الشعر. توفى سنة ٢٤٠.

٤- راجع عن بعض الاصوات التى نسبت اليه: الاغانى ١٢ / ١٠٦ - ١١٢.

٥- الاغانى ١٢ / ١١٢.

مما رواه ابنه عبيد الله انه لم يكن يحب ان يشيع عنه شىء من ألحانه، أو ان ينسب اليه، لأنه كان يترفع عن الغناء، وانه ماجس و
ترا بيده قط(١). و يقول الذهبي انه تاب قبل موته و كسر آلات الملاهى(٢).

و قد مدح عبد الله بن طاهر عددا من الشعراء على رأسهم أبو تمام الطائي الذي قصده الى خراسان. فلما وصل الى قومس، و
كان قد طالت به الشقه و عظمت عليه المشقه، فقال(٣):

يقول فى قومس صحبى و قد اخذت منا السرى و خطا المهريه القود

أ مطلع الشمس تنوى أن تؤم بنافقلت: كلا و لكن مطلع الجود

و عند ما دخل عليه انشده قصيده التي مدحه فيها، و مطلعها(٤):

هن عوادى يوسف و صواحيه فعزما فقدا ما ادرك السؤل طالبه

و يقول فيها:

و ركب كأطراف الأسنه عرسوا على مثلها و الليل تسطو غياهبه

لأمر عليهم أن تتم صدوره و ليس عليهم أن تتم عواقبه

١- نفس المصدر ١٢ / ١١١.

٢- العبر ١ / ٤٠٦.

٣- ديوان ابى تمام ٢ / ١٣٢.

٤- كامل القصيده فى ديوان ابى تمام ١ / ٢١٦ - ٢٣٣.

فقد بث عبد الله خوف انتقامه على الليل ما تدب عقاربه

يقولون ان الليث ليث خفيهنواجذه مطوره و مخالفه

و يختمها بقوله:

بحسبك من نيل المناقب أن ترى عليما بأن ليست تنال مناقبه

إذا ما امرؤ القى بربحك رحلهفقد طالته بالنجاح مطالبه

فاعجب الحاضرون في مجلس عبد الله بن طاهر بشعره، و استحسنا قوله في الأمير. حتى ان أحد الشعراء من الحاضرين تنازل لأبي تمام عن جائزه قد أمر له بها الأمير، فقال له عبد الله:

بل نضعفها لك، و نقوم بالواجب له جزاء عن قوله.

و قد استمر عبد الله في أيام الخليفه الواثق بالله، أميراً على خراسان و أقاليم الري و جرجان و طبرستان و كرمان، و ظل يحكمها محتفظاً باستقلاله الداخلي. الا ان علاقته بالخليفه كانت وديه.

و توفي عبد الله بنيسابور في ربيع الأول من سنه ٢٣٠ هـ و عمره ثمان و أربعون سنه(١).

و عند ما توفي عبد الله استعمل الواثق بالله ابنه طاهر بن عبد الله على أعمال أبيه كلها، و ذلك عملاً بمشوره قاضي القضاة أحمد بن أبي دواد. اذ عند ما ورد الخبر بموت عبد الله أشار الوزير محمد بن عبد الملك الزيات على الخليفه أن يخرج اسحاق بن ابراهيم،

١- الطبرى ٩ / ١٣١، و تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٨ و فيه انه مات و هو ابن سبع و اربعين سنه، و الكامل ٧ / ١٣، و وفيات الاعيان ٢ / ٢٧٥ و فيه انه مات في مرو.

نائب الخليفة ببغداد و رئيس شرطته، و هو من آل طاهر أيضا، الى خراسان واليا، و يظهر ان ابن الزيات كان يهدف بذلك الى اضعاف نفوذ الطاهريين، و ضمان ولاء الوالى الجديد، و قد اقترح ان يضم اليه خمسه آلاف من الجند و يطلق ارزاقهم، و ان يمنحه الخليفه خمسه آلاف درهم معونه. و لما استطلع الواثق بالله رأى ابن أبى دواد بما اقترحه الوزير ابن الزيات قال ابن ابى دواد: ان اسحاق رهينه القوم- يقصد الطاهريين- عندك يا أمير المؤمنين، فان اخرجته لم يكن فى يدك أحد منهم، و أما الجند فانك محتاج الى الزيادة منهم فكيف تفرقهم و لا سيما مع ما ينفق عليهم، و اخراج هذه الاموال لا وجه له، و هناك ما هو خير من ذلك. قال الواثق بالله: ما هو؟ قال: طومار ورق بدرهمين تكتب فيه الى طاهر بن عبد الله بالتعزیه عن أبيه، و بتجديد الولايه له، و تريح ما عزمت على انقاذه، و تكون قد اتممت الصنيعه عند عبد الله و ولده، و احسنت الخلافه فيه. فاستصوب الواثق بالله رأيه، و أمر ابن الزيات ان يكتب بموجه(١).

و قد اقام طاهر بن عبد الله واليا على خراسان طيله خلافه الواثق بالله، و استمر بعده حتى توفى بنيسابور فى رجب سنه ٢٤٨ هـ و له من العمر أربع و أربعون سنه(٢). فعين الخليفه المستعين بالله ابنه محمدا واليا مكانه. و قد جابه محمد بن طاهر كثيرا من المتاعب فى خلال فتره ولايته. و فى أيامه انتهت اماره بنى طاهر فى خراسان.

٣- نهايه الاماره:

كانت نهايه اماره بنى طاهر على يد يعقوب بن الليث الصفار الذى اطعمه ما لمسه من ضعف محمد بن طاهر أمير خراسان. و قد

١- الديارات / ١٤٠-١٤١.

٢- تاريخ يعقوبى ٢ / ٤٩٤.

بدا ضعف محمد واضحا عند ما عجز عن مقاومه الحسن بن زيد العلوى الذى استفحل أمره فى طبرستان و استولى على الرى و جرجان، و كلها أقاليم تابعه لولايه خراسان. و كذلك فشله فى القضاء على عبث الشراه الذين خرجوا فى امارته و لم يستطع دفعهم. فانتهمز يعقوب الصفار الذى خرج فى سجستان و استولى على كرمان و بلخ و هرات و ولايه فارس، فرصه هروب عبد الله السجزي الذى نازعه على ولايه سجستان، و التجائه الى محمد بن عبد الله بن طاهر الذى رفض تسليمه الى يعقوب. فسار ابن الليث نحوه الى نيسابور.

و لما شعر محمد بخطر ابن الليث حاول ان يترضاه، فلم يرض، بل دخل المدينه و قبض عليه و على أهل بيته. و أرسل ابن الليث كتابا الى الخليفه يبرر فيه استيلاؤه على خراسان و دخوله نيسابور و انهاء اماره الطاهريين، بتفريط محمد فى عمله، و ان أهل خراسان هم الذين سألوه المسير اليهم(١).

و يقال ان بعض أصحاب محمد بن عبد الله و بعض أفراد عائلته لما رؤا اديار أمره مالوا الى ابن الليث فكاتبوه و شجعوه على الاستيلاء على خراسان. و بنفس الوقت هونوا على محمد أمر ابن الليث و انه لا خوف عليه منه، فثبطوه من الاحتراز منه و الاستعداد لحربه(٢). و اذا صح هذا فهو دليل على ضعف محمد و قصر نظره.

و لما دخل يعقوب ابن الليث نيسابور فى شوال ٢٥٩ هـ و قبض على محمد و جميع أهل بيته استولى على أموالهم و ما تحويه منازلهم، و حملهم فى الأصفاذ الى قلعه بم بكرمان(٣). فانتهمز ولايه محمد بن عبد الله بن طاهر التى دامت احدى عشره سنه و شهرين، و بذلك انتهت ما عرفت باماره الطاهريين.

١- الكامل ٧ / ٢٦٢.

٢- نفس المصدر.

٣- كتاب البلدان / ٣٠٨.

الفصل الثالث اماره بنى طولون

١- ولاية مصر:

كانت علاقته مصر بالدولة العربية خلال عهد خلفاء سامرا قد مرت بدورين، أولهما الدور الذى مر منذ أن اتخذت سامرا حاضره للدولة فى سنة ٢٢٢ هـ فى عهد المعتصم بالله، حتى أواخر عهد المعتز بالله سنة ٢٥٤ هـ. و كانت مصر خلال هذا الدور احدى ولايات الدولة العربية خاضعه للخلفاء العباسيين الذين كانوا يعينون عليها الولاة و القضاة و عمال الخراج و يتولون شؤون امنها الداخلى و المدفاع عنها، و يجبى خراجها لبيت المال فى سامرا. و يبدأ الدور الثانى منذ ان تولى القائد التركى أحمد بن طولون ولايتها فى سنة ٢٥٤ هـ و تأسيسه اماره شبه مستقلة فيها استمرت حتى سنة ٢٨٢ هـ عند ما عادت مصر ولاية من ولايات الدولة العربية كما كانت.

و سنستعرض فيما يأتى احداث كل من هذين الدورين.

و كانت أحوال مصر السياسيه و الاداريه قد اضطرت فى عهد الخليفة المأمون، فقد انتقض أسفل البلاد- الوجه البحرى- كله، عربيه و أقباطه «و أخرجوا العمال و خلعوا الطاعه بسبب سوء سيره

العمال فيهم»^(١). مما اضطر المأمون الى ان يقدم الى مصر بنفسه في مطلع سنة ٢١٧ هـ فسخط على عيسى بن منصور و عزله عن الولاية، و نسب ما وقع في البلاد الى سوء ادارته، اذ قال له «لم يكن هذا الحدث العظيم الا عن فعلك و فعل عمالك، حملتم الناس ما لا يطيقون و كتمتموني الخبر حتى تفاقم الأمر و اضطربت البلاد»^(٢).

و عين بدلا عنه الأمير التركي أبا مالك كيدر الصغدِي، و اسمه نصر بن عبد الله. كما عين هارون بن عبد الله الزهري على قضاء مصر.

فقدم اليها هارون في أواخر رمضان من تلك السنة، و «كان محمود السيره عفيفا محبوبا من أهل البلد»^(٣) و قد اعتنى بشؤون الاوقاف، فثبت غلاتها و أوجه انفاقها، كما رعى شؤون الأيتام و عاقب من يتهاون بأموالهم من الأوصياء عليهم. و قد رفض أن يحضر ممثل صاحب البريد مجلس قضائه ما لم يكن ذلك بأمر الخليفة.

و لما كتب أبو اسحاق، و كان المأمون قد عينه على ولاية مصر، الى خليفته كيدر بأمر المحنة، استجاب القاضي هارون و وافقه على ذلك عامه الشهود و أكثر الفقهاء^(٤).

و عند ما تولى أبو اسحاق المعتصم بالله الخلافة ورد كتابه الى كيدر يقره على امارته، و يخبره ببيعته، و يأمره باسقاط من في الديوان من العرب و قطع اعطياتهم. و يبدو انه اتخذ هذا الاجراء تأديبا للقواد و الجند العرب الذين ايدوا المناداه بالعباس خليفه غداه موت أبيه المأمون، و تنفيذاً لسياسته في تتركب جيش الدوله، ففعل كيدر ذلك. و كان من نتائج قطع الاعطيات عن العرب خروج

١- كتاب الولاة و كتاب القضاة / ١٩٠، و الخطط المقرينيه / ١ / ٣١١.

٢- كتاب الولاة و كتاب القضاة / ١٩٢.

٣- فتوح مصر / ٢٤٦ - ٢٤٧.

٤- كتاب الولاة و كتاب القضاة / ٤٤٥.

يحيى بن الوزير الجروى فى جمع من لخم و جذام(١). و قد استنكروا قطع أعطياتهم و اعتبروا ذلك انتزاعا لحقوقهم.

و لما ورد كتاب المعتصم بالله بالتشدد بالمحنة استعفى القاضى هارون من ذمك. فكلف قاضى القضاة أحمد بن أبى داود محمدا بن ابى الليث، و كان من رؤوس القائلين بخلق القرآن، ان يتولى القضاء. فقال هارون اللهم لك الحمد على معافاتي مما بلوت به غيرى(٢). فرفع ذلك الى ابن أبى دواد فأمر هارون بالتوقف عن الحكم، ثم ما لبث ان عزله و عين ابن أبى الليث قاضيا على مصر بدلا عنه. كان ابن أبى الليث وراقا يقيم بمصر، و هو فقيه على مذهب الكوفيين. فوضع يده على جميع الاموال المحبوسه. و حاول أن يسىء الى سلفه هارون الزهرى، فحاسبه على بعض أحكامه، فكان يحضره الى مجلس القضاء و يوقفه مع الخصوم و يحاول ان يهينه و كاد أن يحبسه. و قد بقى ابن ابى الليث على قضاء مصر طيله أيام الخليفه المعتصم بالله.

مات كيدر قبل أن يتمكن من القضاء على تمرد الجروى، فتولى ابنه المظفر و لايه مصر باستخلاف أبيه و اقرار الخليفه. و قد استطاع ان يقضى على الجروى و اتباعه بعد قتالهم فى وقائع عديده.

و كان المعتصم بالله أنعم على القائد التركى اشناس بولايه مصر، فصرف أشناس بن كيدر عن ولايتها و عين موسى بن ابى العباس واليا على الصلاه(٣). فوصل فى مستهل رمضان سنة ٢١٩ هـ و نزل بالعسكر. و كان موضع العسكر يعرف فى صدر الاسلام بالحمراء القصى، و هو خطه نزل بها بعض القبائل العربيه عند فتح مصر،

١- نفس المصدر / ١٩٤، و الخطط المقريزيه ٣١١ / ١.

٢- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ٤٤٨.

٣- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ١٩٥ و النجوم الزاهره ٢ / ٢٣٢، و جاء فيه: و جمع له الخراج فى بعض الاحيان.

ثم دثر حتى صار صحراء. ونزلت عساكر العباسيين التي تعقبت مروان بن محمد آخر الخلفاء الامويين، في هذا الموضع عند جبل يشكر و اخذوا بينون فيه. و لما ولي مصر موسى بن عيسى الهاشمي - وقد تولاه ثلاث مرات في عهد الخليفة هارون الرشيد آخرها في سنة ١٧٩ هـ - ابنتى فيه دارا انزل فيها أهله و عبيده، ثم اذن للناس فابتنوا فيه، و اتصل بناؤه ببناء الفسطاط. ثم بنيت فيه دار للاماره، و مسجد جامع عرف بجامع العسكر، فسمى ذلك الموضع منذ ذلك الوقت بالعسكر، و صار أمراء مصر ينزلون به (١).

و قد طالت أيام موسى بن أبى العباس، و كانت أياما حسنه، اذ استطاع القضاء على الفتن الداخليه، و امتحن فقهاء مصر و علماءها فاجاب أكثرهم (٢). الا انه عزل و عين مالك بن كيدر بدلا عنه، فقدم الى مصر فى أواخر ربيع الآخر سنة ٢٢٤ هـ و سكن العسكر. و كانت له ولايه الصلاه فقط. أما الولايه على الخراج فكانت للخليفه يولى عليها من يشاء (٣). و كان مالك اداريا حازما الا انه صرف عن عمله بعد سنتين. و وليها القائد على بن يحيى الارمنى و قد ولاه أشناس على الصلاه فقط. فقدم اليها فى أوائل ربيع الآخر سنة ٢٢٦ هـ، و استمر فى ولايته حتى وفاه المعتصم بالله. فأقره الواثق بالله على ولايته. و كان أبو الحسن قد سكن العسكر على عادته الولاة الذين سبقوه، و جدّ فى اصلاح أحوال البلاد و قمع الفتن و الفساد. و اقام واليا عليها حتى ورد الأمر عليه بعزله عن غير سخط عليه، فى أوائل ذى الحجه سنة ٢٢٨ (٤).

فتوجه الى العراق و قدم على الواثق بالله بسامرا فآكرمه (٥).

١- الخطط المقريزيه ١ / ٣٠٤.

٢- النجوم الزاهره ٢ / ٢٣٢.

٣- نفس المصدر ٢ / ٢٣٩.

٤- كتاب الولاة و كتاب القضاء / ١٩٥ - ١٩٦، و النجوم الزاهره ٢ / ٢٤٥.

٥- النجوم الزاهره ٢ / ٢٤٥، و كتاب الولاة و كتاب القضاء / ١٩٦، و يقول الكندى ان عيسى بن منصور سجن على بن يحيى و ضيق عليه، ثم اطلقه.

و ولى بعده عيسى بن منصور للمره الثانيه. و كان القائد أشناس قد توفى فعهد الخليفه بولايه مصر الى القائد ايتاخ، فأقر ايتاخ عيسى بن منصور على امارته، فاستمر فيها حتى وفاه الواثق بالله، فصرف عنها فى أول خلافه المتوكل على الله. و قد استطاع عيسى فى خلال ولايته الثانيه ان يمهد الامور و يقضى على الفتن.

و لما ورد أمر الواثق بالله فى سنه ٢٣١ هـ بامتحان العلماء و الفقهاء و الناس بخلق القرآن و التشدد فى ذلك، وقف الوالى الى جانب القاضى المتمزم محمد بن أبى الليث فى ارهاق الناس فى أمر المحنه. و قد استمرت سياسه ارغام الناس فى مصر على القول بخلق القرآن الى ان استخلف المتوكل على الله و ابطال المحنه.

لقد اكتسب عيسى بن منصور خيره فى الاداره و السياسه بحيث كانت أيام ولايته الثانيه فى مصر هادئه، عدا ما تعرض له الناس من أمر المحنه. و قد استمر فى ولايته هذه أربع سنوات و ثلاثه أشهر. و لم تطل أيامه بعد عزله غير فتره يسيره اذ مرض و لزم الفراش حتى مات فى منتصف ربيع الآخر سنه ٢٣٣ (١).

و عند ما صرف عيسى عين ايتاخ هرثمه بن النضر الجبلى، من أهل الجبل، واليا على الصلاه فقط، و فى عهده ورد كتاب المتوكل على الله بترك الجدل فى القرآن و الرجوع الى اراء أهل السنه فى الامور الشرعيه (٢). و لما توفى هرثمه فى أواخر رجب سنه ٢٣٤ هـ أعاد ايتاخ على بن يحيى الى الولايه على مصر، الا- انه ما لبث ان صرفه بعد بضعه أشهر، و استصفيت أمواله (٣). و لما قتل ايتاخ جعل المتوكل على الله ولايه مصر لأبنه محمد المنتصر، فولى هذا اسحاق بن

١- النجوم الزاهره ٢ / ٢٥٠.

٢- الخطط المقريزيه ١ / ٣١٢، و كتاب الولاه و كتاب القضاء / ١٩٧، و النجوم الزاهره ٢ / ٢٧٤، و جاء لقبه فيه: الجبلى.

٣- الخطط المقريزيه ١ / ٣١٢، و كتاب الولاه و كتاب القضاء / ١٩٧.

يحيى بن معاذ على الصلاه و الخراج (١). فورد اليه كتاب الخليفه باخراج الطالبين من مصر الى العراق، ففرض لهم الأموال ليستعينوا بها على السفر، فاعطى الرجل منهم ثلاثين ديناراً و المرأه خمسه عشر ديناراً، و فرق فيهم الثياب. فخرجوا من الفسطاط الى العراق، و منها أمروا بالخروج الى المدينه و الاقامه بها (٢). و يقال ان اسحاق عزم على أن يثور بمصر الا انه عزل، و لم يلبث يسيرا حتى مات (٣). و كان اسحاق من خبره الولاه، عادلاً و ادارياً قديراً، و شجاعاً ممدوحاً قصده بعض الشعراء و مدحوه، و قد رفق بالناس أيام ولايته (٤).

و عين المنتصر فى سنه ٢٣٨ هـ عنبسه بن اسحاق الضبى على ولايه الصلاه و جعله شريكاً لأحمد بن خالد صاحب الخراج.

فحاسب عنبسه العمال و أقامهم للناس و انتصف منهم، و اظهر من العدل ما ارتاح الناس اليه (٥). و فى أول ولايته نزل الروم فى دمياط فى يوم عرفه، فلم يتمكن أهلها من مقاومتهم، فدخلوا المدينه و قتلوا كثيراً من رجالها و سبوا النساء و الاطفال. فخرج اليهم عنبسه يوم النحر فى جيشه و كثير من المتطوعين فلم يدر كهم، اذ هربوا الى تنيس. و كان عنبسه قد أمر الجند من حاميه دمياط ان يحضروا الى مصر فساروا اليها. فلما نزلها الروم لم يكن فيها من يدافع عنها، فنهبوا و سبوا و احرقوا جامع المدينه، و أوقروا سفنهم بما اخذوه من سلاح و متاع، ثم ساروا الى تنيس شرقى دمياط و كان عليها سور له بابان حديدان بنى فى أيام المعتصم بالله، فنهبوا ما فيها و اخذوا البابين و رجعوا (٦).

١- كتاب الولاه و كتاب القضاة / ١٩٨، و النجوم الزاهره / ٢ / ٢٨٣.

٢- كتاب الولاه و كتاب القضاة / ١٩٨.

٣- نفس المصدر / ١٩٩.

٤- النجوم الزاهره / ٢ / ٢٨٣.

٥- كتاب الولاه و كتاب القضاة / ٢٠٠.

٦- الطبرى / ٩ / ١٩٣-١٩٥، و الكامل / ٧ / ٦٨-٦٩.

و عند ما بلغ الخبر الخليفه المتوكل على الله أمر ببناء حصن دمياط فابتدىء فى بنائه فى أوائل رمضان سنه ٢٣٩ هـ (١)، كما أمر عنبسه ان يبني حصن تنيس أيضا، و حصنا لمدينه الفرما (٢).

و صرف عنبسه عن ولايه مصر فى رجب سنه ٢٤٢ هـ، و كانت ولايته أربع سنوات و نصف سنه تقريبا.

و خلف عنبسه على ولايه مصر أبو خالد يزيد بن عبد الله بن دينار و قد ولاه المنتصر فقدم الى البلاد فى أواخر رجب من السنه المذكوره. و قام ببعض الاصلاحات الاجتماعيه، فأمر باخراج المؤنثين من مصر بعد أن ضربوا و طيف بهم، و منع من النداء و الصراخ خلف الجنائز، و عين المختارين فى الكور ليمثلوا فيها السلطه، و الغى سباق الخيل و باع الخيل التى كانت للوالى لغرض السباق (٣).

و من الاعمال المهمه التى انجزت فى أيامه بناء المقياس الهاشمى لنهر النيل بجزيره الروضه، فى سنه ٢٤٧ هـ بأمر من الخليفه المتوكل على الله، و هو المقياس الكبير المعروف بالمقياس الجديد.

و قد بناه المهندس محمد بن كثير الفرغانى الذى بعث به الخليفه من سامرا، و بطل بعمارته كل مقياس آخر كان بنى قبله فى الوجه البحرى أو الوجه القبلى (٤). و ولى أبا الرداد الفقيه عبد الله ابن عبد السلام الاشراف على المقياس و يقال انه من أهل البصره قدم الى مصر و حدث بها، و بقى مقياس النيل بأيدى أولاده و أحفاده مده طويله (٥).

١- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ٢٤٢، و الخطط المقريزيه / ١ / ٢١٤.

٢- الخطط المقريزيه / ١ / ٢١١.

٣- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ٢٠٣، و النجوم الزاهره / ٢ / ٣٠٨.

٤- النجوم الزاهره / ٢ / ٣١٠ - ٣١١.

٥- نفس المصدر / ٢ / ٣١١، و وفيات الاعيان / ٢ / ٢٩٦.

بقى يزيد واليا على مصر طيله أيام المنتصر بالله و المستعين بالله، و كذلك أقره المعتز بالله لما بويع له بالخلافه. الا ان ثوره قامت فى الاسكندريه و امتدت الى الجيزه و الفيوم، فى ربيع الاخر سنه ٢٥٢ هـ فى خلال فتره اضطراب الخلافه، و قد تزعمها جابر بن الوليد المدلجى و انضم اليه كثير من الناس و خاصه الانتهازيون منهم.

و يظهر ان يزيد عجز عن القضاء على ثوره جابر و عبث اتباعه، فاستنجد بالخليفه المعتز بالله فبعث اليه القائد مزاحم بن خاقان معيناً له، فقدم مزاحم الى مصر بجيش كبير. الا ان الاضطراب استمر فى البلاد مما دل على عجز يزيد، فصرفه المعتز بالله عن الولايه و عين القائد المذكور بدلا عنه، بعد ان دامت ولايته عشر سنوات و نصف السنه.

فصرف مزاحم جهوده فى اخماد الثوره و اعاده الأمن و الاستقرار الى البلاد، و قد استطاع بعد معارك عديده أن يقضى على اتباع جابر، و اضطره الى طلب الأمان، فأمنه مزاحم مع نفر من أصحابه، و بعث بهم الى حاضره الخلافه (١).

و كان مزاحم بن خاقان قد عين على شرطه مصر ارخوز بن طرخان التركى، فحاول هذا ان يحتدى بيزيد بن عبد الله، فمنع النساء من الخروج الى الحمامات و المقابر، و منع الحصر و المساند التى كانت تتخذ للمجالس فى الجوامع، و نهى عن أن يشق ثوب على ميت أو يسود وجهه أو يحلق شعره أو تصيح امرأه، و سجن النوائح، و اشتد فى هذه الامور (٢).

١- كتاب الولاة و كتاب القضاء / ٢٠٥ - ٢١٠.

٢- النجوم الزاهره ٣٣٧ / ٢، و كتاب الولاة و كتاب القضاء / ٢٠٨ و يسميه ازجور و الخطط المقريزيه ٣١٣ / ١ و جاء اسمه فيه ارجوز، و فضلنا ما جاء فى النجوم الزاهره لانه يتفق مع ما جاء فى الطبرى ٥٤٤ / ٩.

و بقى مزاحم على ولايه مصر حتى توفى فى أوائل المحرم سنه ٢٥٤ هـ فوليه ابنه أحمد باستخلاف ابيه، الا انه لم يلبث سوى شهرين فتوفى، فخلفه فى الولايه ارخوز صاحب الشرطه لبضعه أشهر، ثم صرف عنها بتعيين القائد التركى أحمد بن طولون الذى وصل مصر فى شهر رمضان سنه ٢٥٤ فبدأ بوصوله عهد جديد فيها.

٢- أحمد بن طولون و تأسيس الاماره:

اشاره

ولد احمد بن طولون فى سنه ٢٢٠ هـ و أمه جاريه تدعى قاسم ابو هاشم(١). و كان أبوه طولون مملوكا تركيا أهداه نوح بن أسد عامل بخارى الى الخليفه المأمون سنه ٢٠٠ هـ فى جمله ما كان موظفا عليه من المال و الرقيق و غير ذلك(٢). و قد تقدمت الحال به فصار من قواد الجيش العربى، و تولى رئاسه حرس المأمون. و قيل ان أحمد لم يكن ابنه و انما تبناه، و هو ابن شخص آخر يدعى يلبخ، و يروى أبو المحاسن قصه لطولون مع أحمد و هو صبى صغير فحظى عنده و تبناه(٣). الا ان من يقول انه ابن طولون انما يستدل على ذلك بأن الموفق لما اختلف معه و أمر بلعنه على المنابر نسبه الى طولون(٤).

نشأ أحمد بن طولون بسامرا نشأ جميلا و ربي تربيته دينيه فحفظ القرآن و سماع الحديث، و كان حسن الترتيل، و عرف بالصلاح، و وصف بعلو المهما. و قد تميز على أبناء جلدته من الأتراك، و صار ممن يوثق به و يؤتمن على الأموال و الاسرار. و لما توفى طولون فى سنه ٢٤٠ هـ فوض الخليفه المتوكل على الله الى أحمد

١- الخطط المقرئيه ٣١٣/١، و النجوم الزاهره ٣/١.

٢- وفيات الاعيان ١/١٥٦، و الخطط المقرئيه ٣١٣/١.

٣- وفيات الاعيان ١/١٥٦، و النجوم الزاهره ٣/٢.

٤- النجوم الزاهره ٣/٣.

ما كان لأبيه من الأعمال (١). و تزوج أحمد ابنه أماجور أحد كبار القواد الاتراك، و ولدت له ابنه العباس (٢).

كان أحمد يستاء من تصرفات الجند الاتراك، فطلب الى الوزير عبيد الله بن يحيى أن يكتب رزقه فى الثغور، فكتب له بذلك و خرج الى طرسوس و أقام بهامده، ثم ما لبث ان عاد الى سامرا بناء على الحاح أمه بأن يكون الى جانبها (٣). و قد استفاد أحمد من اقامته بطرسوس اذ التقى بها بعدد من المحدثين، و جالس بعض العلماء فيها، فكتسب من علمهم و تأثر بهم. و عند عودته من طرسوس مع القافلة المتوجهه الى العراق انقذ القافلة من قطاع الطريق الذين تعرضوا لها، و كان فى القافلة خادم للخليفة المستعين بالله و معه ثياب و أمتعه ثمينه جلبها من بلاد الروم و كانت قد صنعت للخليفة، فلما وصل الخادم الى الخليفة بالثياب و الامتعه أعجب بها، فاخبره الخادم بانه لو لا شجاعه ابن طولون و شهامته لما سلمت القافلة من قطاع الطريق الذين اعترضوها، فاستحسن الخليفة فعل ابن طولون و بعث له مع الخادم ألف دينار، و واصل هباته اليه، فوهبه جاريه اسمها مياس فولدت له ابنه خمارويه فى سنة ٢٥٠ (٤).

و لما تنكر القواد الاتراك للمستعين بالله و احذروه الى واسط اختار أحمد بن طولون لأن يكون بصحبته، فأحسن أحمد معاملته و عشرته، و لما طلبوا اليه ان يقتله رفض و قال: لا رآنى الله قتلت خليفه بايعت له. أبدأ (٥).

١- نفس المصدر ٣ / ٤.

٢- الخطط المقريزيه ١ / ٣١٤، و النجوم الزاهره ٣ / ٤ و فيه انه تزوج بابنه عمه.

٣- النجوم الزاهره ٣ / ٥، و الخطط المقريزيه ١ / ٣١٤.

٤- نفس المصدرين السابقين.

٥- الخطط المقريزيه ١ / ٣١٤، و النجوم الزاهره ٣ / ٦ و فيه ان المستعين بالله هو الذى اختار ابن طولون ليصحبه.

و لما آلت ولايه مصر فى سنه ٢٥٤ هـ فى عهد المعتر بالله الى القائد بايكيال عهد هذا الى أحمد بن طولون بولايه مصر خليفه عنه.

فدخلها فى أواخر شهر رمضان من السنه المذكوره(١). و عند ما قتل بايكيال فى أيام المهتدى بالله انتقل ما كان اليه من الأعمال الى القائد أماجور، و هو حمو ابن طولون، فكتب اليه بقره على ولايه مصر و يزيده ولايه الاسكندريه(٢). و عهد الخليفه المهتدى بالله فى سنه ٢٥٥ هـ الى أحمد بن طولون اخضاع عيسى بن شيخ عامل فلسطين المتمرد(٣). فاغتنم ابن طولون هذه الفرصه لانشاء جيش مستقل آخذه بنظام صارم رغبه منه فى شد عناصره المتباينه(٤).

و يقول القلقشندى ان ابن طولون أول من جلب المماليك الترك الى الديار المصريه و استخدمهم فى عساكرها(٥).

آقر المعتمد على الله عند توليه الخلافه أحمد بن طولون على اماره مصر و كتب اليه يستحثه على حمل الأموال. فأجاب انه لا يطيق ذلك و الخراج بيد غيره، فانفذ المعتمد على الله نفيسا الخادم الى ابن طولون بتقليده خراج مصر و الولايه على الثغور الشاميه(٦) و بذلك تسنى للأمير أحمد بن طولون أن يقيم فى مصر اماره مستقلة بشؤونها استقلالاً يكاد يكون تاماً عن الخلافه. و قد تولى امارتها بعده أبناؤه و أحفاده، الا ان مدتهم لم تدم طويلاً كما سنرى.

١- الطبرى ٩ / ٣٨١، و الكامل ٧ / ١٨٧.

٢- الخطط المقريزيه ١ / ٣١٤ - ٣١٥، و تاريخ يعقوبى ٢ / ٥٠٦ و فيه ان المعتمد على الله صير اعمال مصر بعد ياكيان الى يارجوخ و كتب هذا الى ابن طولون باقراره على ولايته.

٣- تاريخ يعقوبى ٢ / ٥٠٥، و الخطط المقريزيه ١ / ٣١٥ و فيه ان المعتمد على الله كتب الى ابن طولون ان يتأهب لحرب ابن شيخ.

٤- تاريخ الشعوب الاسلاميه ٢ / ٦٣.

٥- صبح الاعشى ٣ / ٤٢٤.

٦- كتاب الولاه و كتاب القضاة / ٢١٧، و الخطط المقريزيه ١ / ١٠٣ - ١٠٤.

القضاء على الاضطرابات و الفتن الداخليه:

صرف ابن طولون جهودا بالغه فى اخضاع الفتن و العمل على تهدئه الأوضاع الداخليه و توفير الأمن و الاستقرار فى ربوع البلاد. و استطاع ان يقضى بحزم على ما قام منها فى بدايه امارته. و كان أهمها فتنان اثارهما العلويون الذين كانوا ينقمون على الولاة الا-تراك لما يلقونه على أيديهم من التعسف و القسوه. و قد تزعم الاولى أحمد بن محمد بن عبد الله بن طبا طبا العلوى المعروف ببغا الأصغر، و قد خرج غربى مصر فى سنه ٢٥٥ هـ فى منطقه الكنائس بين الاسكندريه و برقه، ثم سار الى صعيد مصر. فوجه ابن طولون حمله عسكريه لمحاربه و قد استطاعت تشتيت اتباعه، و قتل العلوى، و جىء برأس العلوى الى الفسطاط، فقضى على فتنته(١). أما الفتنه الثانيه فقد تزعمها ابن الصوفى العلوى و هو ابراهيم بن يحيى بن عبد الله، و قد خرج فى الصعيد أيضا و دخل مدينه أسنا فى سنه ٢٥٦ هـ فنهبا و قتل كثيرا من أهلها. و استطاع أن يهزم الحمله التى وجهها اليه ابن طولون، و ظفر بقائدها فصلبه بعد أن قطع يديه و رجليه. الا ان الحمله الثانيه التى وجهت اليه تمكنت منه فاضطر على الهرب الى الواحات. ثم ضعف أمره عند ما اصطدم فى سنه ٢٥٩ هـ بخارج اخر على السلطه هو أبو عبد الله العمرى و هزم أمامه. و لما وجه ابن طولون اليه جيشا آخر لم يصمد أمامه ففر هاربا، فعبر البحر الاحمر الى مكه فأقام بها. فعلم به و اليها فقبض عليه و حمله الى ابن طولون فسجنه مده، ثم اطلقه فخرج الى المدينه فمات فيها(٢).

و أعلن أهل برقه التمرد فى سنه ٢٦١ هـ و طردوا عامل ابن طولون فبعث اليهم غلامه لؤلؤا فقضى على تمردهم. و قبض لؤلؤ

١- كتاب الولاة و كتاب القضاء/ ٢١٢، و الخطط المقرنيه ٢/ ٣٣٩.

٢- كتاب الولاة و كتاب القضاء/ ٢١٣-٢١٤، و الكامل ٧/ ٢٣٨-٢٣٩.

على جماعه من رؤسائهم و ضربهم بالسياط، و استصحب بعضهم معه الى مصر، فطيف بهم فى المدينه. فخلع ابن طولون على لؤلؤ خلعه و طوقه بطوقين (١).

كما قامت فتنه أخرى فى أعلى الصعيد و قد تزعمها أبو عبد الله العمرى و هو عبد الله بن عبد الحميد بن عبد الله من نسل عمر بن الخطاب (٢) و كان العمرى قد خرج غضبا لله و للمسلمين، اذ آلمه ما ارتكبه أبناء قبيله البجه الذين كانوا يهاجمون صعيد مصر و يقتلون و ينهجون ثم يعودون سالمين. فكمن لهم مع عدد من اصحابه فلما عادوا خرج اليهم و قتل قائدهم فولوا منهزمين فتبعهم الى بلادهم فنهبا و قتل منهم كثيرا، و لم يسلموا منه حتى أدوا له الجزية.

و اشتدت شوكة العمرى و كثر اتباعه، فسير اليه ابن طولون جيشا فحاول العمرى أن يقنع قائد الحمله بأنه ليس خارجا على السلطه و انما خرج للجهاد ضد البجه و ان الامير ابن طولون اذا عرف ذلك فسوف يتركه و شأنه. الا ان القائد لم يجبه الى ذلك فقاتله فانهمز جيش ابن طولون. فلما اخبروه بحال العمرى لامهم لأنهم لم يعلموه بأمره و انه نصر عليهم لبغيهم عليه. الا ان اثنين من غلمان العمرى و ثبا به و قتلاه و حملا رأسه الى أحمد بن طولون تقربا اليه. الا انه اسف على مقتله و قتلها به. و أمر برأس العمرى فغسل و كفن و دفن (٣).

و كان خروج العباس بن أحمد بن طولون فى سنه ٢٦٤ هـ اخطر ما واجه أحمد. اذ كان قد خرج فى السنه المذكوره الى بلاد الشام و استخلف ابنه العباس، و هو أكبر أبنائه، على مصر، و ابقى معه كاتبه أحمد بن محمد الواسطى ليعاونه فى اداره شؤون الاماره.

١- الكامل ٧ / ٢٨٣.

٢- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ٢١٤، و الكامل ٧ / ٢٦٤ و فيه: هو ابو عبد الرحمن العمرى و اسمه عبد الحميد بن عبد العزيز بن عبد الله.

٣- الكامل ٧ / ٢٦٤ - ٢٦٥.

فزین للعباس بعض قواده التغلب على مصر و القبض على الواسطی.

و قد بلغ الواسطی ما عزم علیه العباس و أتباعه فكتب الى الأمير أحمد يخبره بالأمر و يستعجله العوده الى مصر، فزاد ذلك في وحشه العباس من أبيه و خوفه منه. فأشار علیه أصحابه ان يتعد عن أبيه فيخرج من مصر. فقبض على الواسطی و قيده، و خرج الى الاسكندريه على رأس جيش كبير فيه ثمانمائه فارس و عشره آلاف راجل من سودان أبيه. و حمل معه مالا كثيرا. ثم توجه منها الى برقه، و قد راودته فكره تأسيس دوله في أفريقيه لكي يستطيع مهاجمه أبيه. فكتب بعض زعماء القبائل فيها فاجابه قسم منهم، فأقدم على مغامرته عسكريه. اذ كتب الى أمير بنى الأغلغ ابراهيم الثاني بان الخليفه قد قلده أمر أفريقيه و أعمالها و انه متوجه اليها. و قيل حمل معه من بيت مال مصر (٨٠٠) حمل من الدنانير الذهبيه، و مبلغها ألف ألف دينار و مائتا ألف دينار(١). فلما دخل بجيشه مدينه لبدته اساء الى أهلها، و اضطر عاملها على الالتجاء الى اطرابلس التي استنجد أهلها بأبي منصور الاباضی المتغلب على مدينه تفوسه، فزحف هذا لنجدتهم. و كان الأمير ابراهيم قد بعث جيشا الى اطرابلس لحرب ابن طولون، و قد اشرنا الى ذلك عند الكلام عن الامير الأغلبى ابراهيم الثاني. و قد هزم العباس أقبح هزيمه و كاد ان يقع فى الأسر، مما اضطره على العوده فقبض عليه أبوه و سجنه و قتل عددا من اتباعه ممن زينوا له الخروج على أبيه(٢).

ان قضاء أحمد بن طولون على الاضطرابات و الفتن المذكوره، و على تمرد ابنه ساعد على استتباب الأمن الداخلى مما اتاح له فرصه للبناء و التعمير و العمل على تحسين أحوال البلاد. فاهتم بشؤون الرى و الزراعه مما أدى الى زياده الانتاج الزراعى فى مصر فبلغ خراجها أربعه آلاف ألف و ثلاثمائه ألف دينار، بعد أن كان قبله ثمانمائه ألف دينار(٣). و قد ساعده زياده خراج البلاد على

١- البيان المغرب ١/ ١١٨.

٢- الطبرى ٩/ ٥٤٥، و الكامل ٧/ ٣٢٤-٣٢٥ و البيان المغرب ١/ ١١٨-١١٩، و الخطط المقرئيه ١/ ٣٢٠.

٣- الخطط المقرئيه ١/ ٩٩.

ان يستغنى عن بعض الرسوم التي كانت مفروضة على بعض المرافق. فقد كان احمد بن المدبر لما ولى خراج مصر، و كان من دهاه الكتاب، ابتدع بدعا صارت سنه من بعده. فاحاط بالنظرون و حجر عليه بعد ما كان مباحا لجميع الناس، و قرر على الكلاً الذى ترعاه الماشيه رسما سماه «المراعى» و قرر مثله على ما يصاد من البحر و سماه «المصايد» و عرفت هذه الرسوم ب «المرافق و المعاون» فقرر أحمد بن طولون الغاءها و كانت عائداتها السنويه تبلغ مائه ألف دينار(١).

الخلافة بين الموفق و ابن طولون:

نشأ خلاف حاد بين الموفق المهيمن على شؤون الخلافة فى سامرا و امير مصر أحمد بن طولون. و سبب الخلاف الرئيس كما يقول المقريزى ان الحرب الطويله مع صاحب الزنج دعت الموفق ان يكتب الى أحمد من حمل ما يستطيع من المال الى حاضره الخلافه للاستعانه به فى الحرب المذكوره. فبعث اليه ابن طولون ألف و مائتى ألف دينار(٢)، الا ان الموفق استقل المبلغ، و غضب على ابن طولون و كتب اليه بذلك. فاجاب ابن طولون جوابا فيه كثير من التحدى مما لم يرتح له الأمير الموفق، فعزم على ان يبعث واليا الى مصر بدلا من أحمد بن طولون، فالتمس شخصا ذا كفايه و درايه يبعث به، فلم يرشح له أحد لأن هدايا ابن طولون لقواد الدوله و ارباب

١- الخطط المقريزيه ١/ ١٠٣-١٠٤.

٢- الخطط المقريزيه ٢/ ١٧٩، و تاريخ اليعقوبى ٢/ ٥٠٨ و فيه ان حمل الى الخليفه ألفى ألف درهم.

المناصب العليا فى سامرا كانت متصله(١). فطلب الموفق الى كبير القواد موسى بن بغان يصرف ابن طولون عن ولايه مصر و يقلدها اماجور والى دمشق. الا- ان اماجور احجم عن مقاتله ابن طولون للقربى التى بينهما و لقوه جيش ابن طولون. و لذلك اضطر موسى ان يخرج بنفسه على رأس جيش كثيف. فنزل الرقه و اقام بها عدّه أشهر لم تتوفر له خلالها الأموال اللازمه للجيش لىسير الى حرب بن طولون. فاضطرب عليه اصحابه و ملوا الاقامه و طالبوا بأرزاقهم.

على ان موسى مرض و اشتدت عليه علته فمات(٢).

و لما علم ابن طولون بمسير موسى بن بغان بجيش يريد حربه و اقصاءه عن ولايه مصر استعد لملاقاته. فأخذ على الجند و سائر الناس البيعه لنفسه على أن يعادوا من عاداه و يوالوا من والاه و يحاربوا من حاربه من الناس جميعا(٣). و هذا ما معناه انهم بايعوه على ان يحاربوا الى جانبه و لو كان يحاربه جيش الخليفه.

و يمكن الاستنتاج من هذا ان ابن طولون كانت تساوره فكره الانفصال التام عن الدوله العربيه. فشرع بتحسين المدينه، فبنى حصنا فى الجزيره، و هى جزيره الروضه بين الفسطاط و الجيزه، ليكون معقلا لماله و حرمة و ذخائره، و اجتهد فى بناء المراكب الحريه و احاطتها بالجزيره زياده فى تحصينها(٤).

و حينما بلغ ابن طولون نبأ موت أما جور فى دمشق، و كان قد استخلف ابنه فى الولايه بعده، اغتتم الفرصه لضم بلاد الشام اليه.

فخرج بجيش كبير و استطاع ان يستولى دون حرب على الرمله و دمشق و حمص، ثم اضطر على محاصره انطاكيه، لأن و اليها سيما

١- الخطط المقرزيه ٢ / ١٧٩، و الكامل ٧ / ٣٠٥.

٢- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ٢١٨، و الكامل ٧ / ٣٠٥ و فيه ان موسى اضطر الى العوده الى سامرا.

٣- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٥١٠.

٤- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ٢١٨، و الخطط المقرزيه ٢ / ١٨٠ و جاء فيه انه احاطها بمائه مركب.

الطويل امتنع عليه. فحاربه ابن طولون و استولى على المدينه عنوه، فقتل سيما و استباح أمواله. ثم سار الى طرسوس فنزلها بجنوده، فضاقت بهم و غلت الاسعار فيها، مما سبب نقمه اهلها فطلبوا اليه الخروج منها. فأمر ابن طولون جنده ان يتظاهرا بالهزيمه من المدينه ليوهم الروم بقوه حاميتها و انها استعصت عليه رغم قوه جيشه و كثافته(١). فعاد منها الى دمشق فبلغه خبر خروج ابنه العباس عليه فعاد مسرعا الى مصر لمعالجه الامر.

خرج أهل طرسوس على عامل ابن طولون خلف الفرغانى و طردوه و ولوا عليهم القائد يا زمان الخادم. مما اضطر ابن طولون ان يخرج ثانيه الى دمشق لمحاربه أهل طرسوس. و كان الخليفه المعتمد على الله حينذاك قد ضاق ذرعا باستبداد أخيه الموفق بأمر الدوله دونه فاتصل بأبن طولون بدمشق يستنصره على أخيه، و بعث اليه يعلمه بانه خارج اليه. و قد رحب ابن طولون بالتجاء الخليفه اليه لأن ذلك سيجعل مصر حاضره الخلافه(٢). مما يدعم مركزه تجاه الامير الموفق و يزيد فى استقلال امارته، و انه لمكسب عظيم لمصر و لأميرها. الا ان محاوله المعتمد فى الهرب الى دمشق فشلت.

اذ استطاع عامل الموصل اسحاق بن كنداج الخزرى، بايعاز من الموفق، ان يحتال على الخليفه و حاشيته فمنعهم من السفر و ردهم الى سامرا حيث أصبح المعتمد على الله محجوزا عليه.

و لما بلغ ابن طولون ما فعله الموفق بالخليفه، أمر بكتاب وجهه الى مصر خلع فيه الموفق من ولايه العهد لمخالفته الخليفه و حجزه اياه، جاء فيه ان أبا أحمد الموفق خلع الطاعه و برىء من الذمه فوجب جهاده على الأمة(٣). و اشهد على ذلك الحاضرين من القواد

١- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ٢٢٠.

٢- نفس المصدر / ٥١٢.

٣- الخطط المقرنيه / ١ - ٣٢٠ - ٣٢١.

و القضاء، فامتنع عن الشهاده قاضى مصر بكار بن قتيبه، مما سبب غضب ابن طولون عليه فأمر بسجنه.

و كان بكار بن قتيبه قد ولاه المتوكل على الله قضاء مصر فى سنة ٢٤٦ هـ و أجرى عليه مائه و ثمانيه و ستين ديناراً فى الشهر. و كان غيفاً عن أموال الناس، محموداً فى ولايته، عارفاً بالفقه، يكثر وعظ الخصوم و نصحهم و بخاصه عند اليمين، و يحاسب أمناءه و يتحرى عن الشهود. و كان ابن طولون يعظمه و يحترمه، و كثيراً ما كان يتردد على مجلسه فى الحديث ليستمع اليه. و من مظاهر احترامه له ان كان من عادته اذا حضر جنازه لا يصلى عليها غيره الا اذا كان بكار حاضراً فيقدمه للصلاه. الا انه لما امتنع بكار عن لعن الموفق حبسه و نقم عليه. و يقال ان بكاراً قال: ألا لعنه الله على القوم الظالمين. فقيل لابن طولون انه انما قصدك بهذا القول.

مما زاد فى غضبه عليه. و كان من عادته ابن طولون ان يبعث الى بكار فى كل سنة بألف دينار، فلما غضب عليه أرسل اليه يستردها منه.

فاحضرها بكار من منزله بخواتيمها. و قد طال حبس بكار فطلب أصحاب الحديث الى ابن طولون أن يأذن لهم فى السماع منه فأذن لهم، فكان يحدثهم من طاقه فى السجن. و عند ما مرض ابن طولون حاول أن يسترضى بكاراً، الا انه رفض ذلك. و قد توفى بكار فى أواخر ذى الحجه سنة ٢٧٠ هـ، بعد وفاه أحمد بن طولون بأربعين يوماً، و كان قد تولى القضاء أربعاً و عشرين سنة (١).

لقد قطع ابن طولون الخطبه للموفق و اسقط اسمه من الطراز، فلما بلغ الموفق ما عمله ابن طولون طلب الى الخليفة أن يأمر بلعنه، ففعل المعتمد على الله ذلك مكرهاً، لان هواه كان مع ابن طولون (٢).

و كتب الموفق الى عمال الولايات يأمرهم بلعن ابن طولون على

١- لمزيد من التفصيلات راجع: كتاب الولاه و كتاب القضاء / ٥٠٧-٥١٢.

٢- الكامل ٧ / ٣٩٧.

المنابر، و كانت صيغه اللعنه هي اللهم العنه لعنا يفل حده، و يتعس جده، و اجعله مثلاً للغابرين، انك لا- تصلح عمل المفسدين(١).

و توجه ابن طولون الى أهل طرسوس ليحاول استمالتهم بالحسنى، فوجد يازمان الخادم قد تحصن بالمدينه، مما اضطره على محاصرتها. الا ان اشتداد البرد و كثرة الامطار و الثلوج اضطرته على الرحيل عنها فعاد الى مصر مريضاً.

تأسيس مدينه القطائع:

عند ما جاء ابن طولون الى مصر سكن دار الاماره في العسكر، الا- ان مماليكه و رجاله ازداد عددهم كثيرا بحيث ضاق بهم العسكر.

فقرر ان يخطط مدينه في سفح الجبل، فأمر بحرث قبور اليهود و النصارى و بنى في موضعها القصر و الميدان. و تقدم الى قواده و غلمانه بان يخطوا لأنفسهم حول القصر، فاختطوا و بنوا حتى وصل البناء الى الفسطاط. و قد تم البناء بشكل قطائع، أى حارات، و سميت كل قطيعه باسم من سكنها. فكان للجنود النوبيين قطيعه منفرده سميت بهم، و للروم قطيعه عرفت بهم أيضا، كما كان لكل صنف من غلمانه قطيعه خاصه. و بنى القواد في مواضع متفرقه. فعمرت القطائع و تفرقت فيها السكك و الأزقه. و بنيت فيها المساجد و الاسواق و الطواحين و الحمامات و الأفران. و سميت الاسواق بحسب حرف شاغليها و مهنهم، كسوق العطارين و سوق البزازين و سوق الصيارفه ..

و هكذا صارت القطائع مدينه كبيره عامره، و بنى الأمير أحمد قصره و جعل له ميدانا كبيرا يستعرض فيه الجيش و يلعب كره الصولجان. و سمى القصر كله الميدان، و قد عملت له عده أبواب لكل منها اسم خاص، أهمها باب الميدان و منه يدخل و يخرج معظم

١- كتاب الولاه و كتاب القضاة / ٢٢٩، و الخطط المقرينيه / ١ / ٣٢١.

الجيش، و باب الخاصه لا يدخل منه الا خاصه ابن طولون، و باب الصلاه و منه يذهب الأمير الى الجامع الكبير الذى شيده، و عرف هذا الباب بباب السباع لأنه كان عليه صوره سبعين من الجبس، و باب خاص بمرور الحرير. و كان الطريق الذى يمر فيه ابن طولون واسعاً قطع بحائط فيه ثلاثه أبواب كبيره. و كانت هذه الابواب تفتح كلها فى أيام الأعياد، أو فى يوم عرض الجيش، أو يوم الصدقه، و ما عدا هذه الايام لا تفتح الا بترتيب فى أوقات معينه.

و اتخذ ابن طولون للقصر مجلس يشرف منه يوم العرض و يوم الصدقه. كما كان على باب السباع مجلس آخر كان يجلس فيه ليله العيد ليشرف على القطائع و يطلع على أحوال غلمانه فيرى حركاتهم و تصرفهم فى حوائجهم، فاذا رأى فى حاله أحدهم نقصاً أو خللاً أمر له بما يتسع به، و كان هذا المجلس يشرف على البحر أيضاً(١).

و هكذا كانت القطائع مدينه خاصه لغلمان الأمير ابن طولون و جنده، و القصر و الميدان خاص به(٢).

جامع ابن طولون:

شكا أهل مصر الى الأمير أحمد بن طولون ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة من كثره جنوده و سودانه، فأمر بعماره الجامع الذى عرف باسمه. و قد شيده على جبل يشكر، و يشكر هو اسم قبيله عربيه اختطت عند الفتح بهذا الجبل فعرف بها(٣). و هناك من يقول ان يشكر هو اسم رجل صالح كان يسكن بيتا عند هذا الجبل فسمى باسمه، و قد ادخل هذا البيت فى بنايه الجامع(٤).

١- راجع عن مدينه القطائع: الخطط المقريزيه ٢ / ٣١٥-٣١٦.

٢- الانتصار / ١٢٢.

٣- الخطط المقريزيه ١ / ١٢٥.

٤- الانتصار / ١٢٣.

و حينما قرر بناء الجامع طلب ان يبنى مقاوما للغرق و الحريق فقبل له يبنى بالجير و الرماد و الآجر الأحمر القوى النارى الى السقف و لا يجعل فيه اساطين الرخام فانها لا صبر لها على النار، فبناه هذا البناء(١). و يظهر مما ذكره المقرئى انه قدر لسقف الجامع ثلاثمائة عمود من الرخام فقبل له لا يتوفر هذا العدد من الاعمده الا اذا جمعت من الكنائس المهجوره فى الأرياف و الضياع، فانكر ذلك و لم يوافق عليه. و شغل باله فى كيفية توفير هذه الأعمده الضرورية لقيام سقف الجامع. فتقدم اليه مهندس نصرانى كان يعمل عنده، و قد سبق أن غضب عليه و أمر بسجنه(٢)، بانه يستطيع بناء الجامع دون أعمده سوى عمودى القبله. و لكى يقنع الأمير ابن طولون باقتراحه صور الجامع على قطع من الجلود، فاعجب ابن طولون بذلك و استحسنته، فاطلقه من سجنه و خلع عليه و وضع تحت تصرفه مائه ألف دينار و قال له أن ينفق على تشييد الجامع وفق اقتراحه، و اذا ما احتاج الى زياده فى المال زاده له. فبوشر فى بنائه فى سنة ٢٦٤ هـ و تم فى سنة ٢٦٦ هـ و صلى فيه أحمد أول جمعه، فطالبه المهندس النصرانى بالأمان و الجائزه، فقال له: لقد أمنك الله و لك الجائزه. و أمر له بعشره آلاف دينار و أجرى عليه الرزق الواسع الى أن مات(٣).

و يرى الآثارى «قيوليه» ان هذه القصة أقرب الى أن تكون مختلفه لتظهر ان استخدام الأعمده فى بناء الجامع ابتكار مصرى، بينما كان قد بنى جامعان كبيران باستخدام الاعمده قبل سنوات قليله فى سامرا التى قدم منها ابن طولون، و كان و لا شك اطلع عليهما و تعرف على طريقه بنائهما(٤).

١- نفس المصدر، و الخطط المقرئيه ٢ / ٢٦٦.

٢- بين المقرئى سبب غضبه عليه و سجنه- الخطط المقرئيه ٢ / ٤٥٧.

٣- راجع عن تفصيلات أخرى عن بناء الجامع- الخطط المقرئيه ٢ / ٢٦٥-٢٦٦.

٤- . ٣٠٣ Creswell, E. M. A. P.

و تتميز مناره هذا الجامع بان مراقبيها من ظاهرها و يطلع اليها بدرج ظاهره عريضه تسع جملين يصعدان اليها. و قد اقيمت خارج الجامع فوق قاعده مربعه، و بمصعد داخلي يتمشى حلزونيا، اضافه الى الدرج الخارجى (١). و يقال ان سبب عمارتها على هذه الصوره ان احمد بن طولون أخذ يوما و هو فى مجلسه درج ورق و عبث به باصابعه فخرج بعضه و بقى بعضه. فاستغرب الحاضرون منه، فقال لهم: انى أريد أن أبني مناره مسجدى الجامع كذلك، و أمر المهندسين أن يبنوها على ذلك الشكل (٢). و لعله كان بعثه بدرج الورق يحاول أن يصف لهم مناره سامرا الملويه التى كان يعرفها جيدا. و يقول المقرئى انه بناه على غرار جامع سامرا و كذلك المناره (٣). و يؤيد ذلك الاستاذ مارتن بريكنز Martin S. Briggs فى الفصل الذى كتبه عن «فن العماره» فى كتاب تراث الاسلام، عند كلامه عن جامع ابن طولون بقوله «ان أهميته فى تاريخ العماره الاسلاميه قد نقصت بعض النقص لأننا نلاحظ ان بعض الظواهر المعماريه فيه موجوده فى بعض أبنيه عراقيه أقدم عهدا منه. و جامع ابن طولون مسجد جامع كبير يكاد يكون مربع الشكل، و فيه صحن تحيط به أروقه ذات بوائك.

و رواق القبلة أكبر بكثير من الأروقه الأخرى. و بين جدران الجامع و سورہ الخارجى أروقه خارجيه مكشوفه ... و السور الخارجى ضخم جدا، و عليه شرفات زخرفيه ... و فى أسفل شرفات السور صف من طاقات على شكل أقواس مدببه، و على هذه الطاقات ركبت شبايك من الجص مخرمه، و تفصل كل طاقه منها عن التى تليها حنيات مدببه و رؤوسها ذات فصوص عديده، أو فيها زخارف بارزه ... و يمكننا ان نقول فى ثقہ و اطمئنان ان الجامع الطولونى (٧٢) الانتصار/ ١٢٤، و ذكر الجميلين هنا لتصوير سعه الدرج.

١- الفن الاسلامى / ٣٤.

٢- الانتصار / ١٢٤، و صبح الاعشى ٣ / ٢٤٠.

٣- الخطط المقرئيه ٢ / ٢٦٦.

عراقي الطراز من كل الوجوه وانه مأخوذ عن نماذج في سامرا و بغداد كانت مألوفه لابن طولون في شبابه. و هناك فوق الظواهر المعماريه التي مر ذكرها عناصر أخرى جديده منها كتابات بالخط الكوفي محفوره بالخشب يتجلى فيها الحدق و المهاره في استخدام حروف الكتابه في أغراض زخرفيه. و من هذه العناصر أيضا الزخارف الملونه و نكاد نراها فوق كل السطوح الظاهره، و هي أكثر ما تكون مصنوعه من الجص الابيض، و لكننا نراها فوق ألواح من الخشب في السقف»(١).

كما ان مؤلف كتاب «الفن الاسلامي» ارنست كولن Ernst Kuhnel يؤيد ان هذا الجامع قد شيد على طراز جامع سامرا(٢). كما اثبت الاثاريان المعماريان فيوليه و باتريكولو بالبرهان القاطع ان مناره جامع ابن طولون قد بنيت أول الأمر على شاكله ملويه سامرا، و ان القاعده المربعه الشكل التي تؤلف الطابق الأول من المناره قد اضيفت فيما بعد، و ذلك بعد أن أصاب الخراب الجامع في أواخر القرن السابع و قام الأمير المملوكي لاجين الملقب بحسام الدين المنصوري بتجديده في سنه ٦٩٦هـ(٣).

و كانت قد بنيت في مؤخره الجامع ميضأه و خزانه فيها جميع الشربات و الأدوية، و عليها خدم و فيها طيبب يجلس يوم الجمعه لما قد يحدث للحاضرين للصلاه(٤). كما انشأ ابن طولون الى جوار الجامع تجاه القصر و الميدان دارا لها باب من جدار الجامع يخرج منه الى المقصوره بجوار المحراب و المنبر، و اثت هذه الدار بما يحتاج اليه من الفرش و الستائر و كان يجلس بها اذا ذهب الى صلاه

١- تراث الاسلام (لجنه الجامعيين لنشر العلم) ٢ / ١٣٥ - ١٣٧.

٢- الفن الاسلامي / ٣٤.

٣- ٣١٦ - ٣١٥ . E. M. A. P. Crewell.

٤- الانتصار / ١٢٣، و الخطط المقرزيه ٢ / ٢٦٦ و ٤٠٥.

الجمعه فيجدد و ضوءه و يغير ثيابه، و كان يقال لها دار الاماره(١).

و بلغت النفقه على الجامع مائه و عشرون ألف دينار(٢). و قد طالت الايام بجامع ابن طولون حتى أصابه الخراب فى أواخر القرن السابع. فأمر بتجديد عمارته حسام الدين المنصورى. و أوقف املاكا خصص ريعها لنفقات الجامع، و من طريف ما جاء فى باب النفقات ما يختص بالديكه التى تكون بسطح الجامع فى مكان مخصص لها لتعين المؤذنين على الأوقات، و ضمن ذلك كتاب الوقف(٣).

المارستان:

يقول ابن دقماق لم يكن بمصر قبل أحمد بن طولون مارستان لمعالجه المرضى، فأمر أحمد ببناء المارستان الذى عرف باسمه، ثم سمي فيما بعد بالمارستان العتيق أو الاعلى(٤). و قد بنى فى سنة ٢٥٩ هـ و يقال فى سنة ٢٦١ هـ، و لعله كمل بناؤه فى السنه الأخيره.

و قد بنى فيه اضافه الى القاعات و الغرف حمامان أحدهما للرجال و الآخر للنساء. و لما فرغ من بنائه حبس عليه ايرادات بعض الاملاك كالقيساريه و سوق الرقيق. و بلغ مجموع ما انفق على المارستان و مستغله ستين ألف دينار. و كان ابن طولون اشترط ان لا يعالج فيه جندى و لا مملوك، اى أنه خصص لعامة الناس. و كان اذا جىء بالعليل تنزع ثيابه و يؤخذ ما عنده من المال و يحفظ ذلك عند امين المارستان، ثم يلبس ثيابا و يفرش له، و يفدى عليه و يراح بالادويه و الاغذيه و الأطباء حتى يشفى فيأمر بالانصراف بعد أن يعطى ماله و ثيابه. و كان الأمير أحمد يتفقد أحوال

١- الخطط المقريزيه ٢ / ٢٦٩.

٢- نفس المصدر ٢ / ٢٦٦، و الانتصار / ١٢٢، و النجوم الزاهره ٣ / ٨.

٣- الانتصار / ١٢٤.

٤- نفس المصدر / ٩٩.

المارستان فيركب اليه في كل يوم جمعه و يطلع على خزائن المارستان و ما فيها، و على أحوال الأطباء، و ينظر سائر المرضى و المحبوسين فيه من المجانين. و يذكر المقريزي حادثه وقعت للأمير مع مجنون من نزلاء المارستان، ترك ابن طولون بعدها زيارته (١).

وفاه أحمد بن طولون:

مرض أحمد بن طولون حينما خرج الى طرسوس و سار منها الى أذنه و المصيصة و كان البرد شديدا. و يقال انه اقام في انطاكية لبضعه أيام أكثر فيها من شرب لبن الجاموس، فأصيب بالاسهال.

و قد فشل طبيبه الخاص سعيد بن توفيل الذي كان يصحبه في سفره، في معالجته لأنه لم يكن يلتزم بالحميه التي فرضها عليه.

و لما اشتدت عليه علته اراد العوده الى مصر، فثقل عليه ركوب الدواب، فعملت له عجله كانت تجر بالرجال و طئت له. فلما وصل الى الفرما ركب الماء الى الفسطاط (٢). و يقول ابن الأثير ان ابن طولون اصابته هيضه من أكل لبن الجاموس، و اتصلت حتى صار منها ذرب، و كان الأطباء يعالجونه و هو يأكل سرا، فلم ينجع الدواء (٣).

و لما وصل ابن طولون مصر اشتدت عليه علته فأمر الناس بالدعاء له، فغدا الناس بالدعاء بما فيهم النساء و الأطفال، و حضر اليهود و النصرارى كذلك للدعاء له (٤). و ما لبث ان مات ليلاه الأحد

١- للاطلاع على مزيد من التفصيلات عن المارستان الطولوني، راجع: الخطط المقريزيه ٢ / ٤٠٥-٤٠٦، و الانتصار / ٩٩.

٢- عيون الانباء / ٥٤٢، و النجوم الزاهره ٣ / ١٧-١٨ و جاء فيه انه نقل في محفه يحملها الرجال.

٣- الكامل ٧ / ٤٠٩.

٤- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ٢٣١، و شذرات الذهب ٢ / ١٥٧.

العشر خلون من ذى القعدة سنة ٢٧٠هـ (١). و لما بلغ نبأ وفاته الخليفة المعتمد على الله جزع و حزن عليه.

كان أحمد بن طولون، كما تصفه المصادر، شجاعاً جواداً متواضعاً، حسن السيره، يتفقد أحوال رعاياه، صادق الفراسه، ذا حدس ثاقب. يباشر الامور بنفسه، و يحب رجال الدين و العلم.

و كان اذا جرت منه اساءه استغفر و تضرع بالدعاء. الا انه مع ذلك كان قاسياً طائش السيف. و يقال انه احصى من قتلهم صبراً و من ماتوا فى حبسه فكان عددهم ثمانيه عشر ألفاً. و كان كثير الصدقات و راتبه لذلك ألفاً دينار فى كل شهر. كما كانت مطابخه مفتوحه لعامه الناس يذبح فيها البقر و الكباش، و يغرف الطعام للناس فى القدور و القصاع. و يقال ان المشرف على صدقاته قال له انه قد تمتد اليه الكف الناعمه فيها الخاتم و المعصم فيه السوار، فقال له: هؤلاء المستورون الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، فاحذر ان ترد يدا امتدت اليك و اعط كل من يطلب منك (٢).

و خلف أحمد بن طولون من الأولاد ثلاثه و ثلاثين، منهم سبعة عشر من الذكور اشتهر منهم العباس، و خمارويه، و مضر، و شيبان، و أبو العشائر (٣). و خلف فى خزائنه من الذهب عشره آلاف دينار، و من المماليك سبعة آلاف مملوك، و من الغلمان أربعة و عشرون ألف غلام، و من الخيل سبعة آلاف فرس، و من مراكبه الجياد مائه، و من البغال و الحمير ستة آلاف رأس (٤).

١- كتاب الولاه و كتاب القضاة / ٢٣١، و الخطط المقريزيه ١ / ٣٢١. و الطبرى ٩ / ٦٦٦ و جاء فيه انه توفى يوم الاثنين لثمان عشره خلت من ذى القعدة.

٢- للمزيد من التفاصيل راجع: الخطط المقريزيه ١ / ٣١٦، و النجوم الزاهره ٣ / ١ - ٢١.

٣- النجوم الزاهره ٣ / ٢٠، و شذرات الذهب ٢ / ١٥٧.

٤- النجوم الزاهره ٣ / ٢١.

٣- خمارويه بن أحمد بن طولون و النزاع مع الخلفاء:

إشارة

عند ما توفي الأمير أحمد بن طولون بايع الجند ابنه خمارويه بالولاية على مصر خلفاً له. وقد امتنع أخوه العباس، وهو أكبر أخوته - عن مبايعته فأمر بحجزه، و كان ذلك آخر العهد به، و يقال انه أمر بقتله (١). و قد ولى خمارويه الفقيه محمد بن عبده بن حرب البصرى القضاء، و كانت مصر قد بقيت بعد موت بكار بن قتيبة بغير قاض زهاء سبع سنوات. نظر خلالها ابن عبده فى المظالم، و كان سخياً مهيباً، يرهبه الشهود، و يجله الامير خمارويه و يعظمه و يجرى عليه كل شهر ثلاثة آلاف دينار، و قد فوض اليه مع القضاء النظر فى المظالم و الموارث و الاوقاف و الحسبه. و امتاز ابن عبده بالجرأه و قوه الحجج بحيث لما اختلف الامير خمارويه مع بعض كبار قواده توسط بينهم و أصلح الحال، فشكر له الأمير سعيه. و كان لابن عبده مجلسان أحدهما للفقه يحضره الفقهاء، و الآخر للحديث يحضره الحفاظ. و لم يزل بنظر فى القضاء و غيره مما فوض اليه ان قتل أبو الجيش خمارويه. فلما تولى ابنه جيش اماره مصر أقره على عمله، فاستمر حتى خلع الأمير، فرجع الى داره و استتر خوفاً من الفتنة. و عند ما تولى محمد بن سليمان الكاتب امره مصر من قبل الخليفه المكتفى بالله اعاد ابن عبده الى منصب القضاء. فلبث فيه يسيراً ثم سار الى العراق صحبه محمد بن سليمان و اقام فيه الى ان مات فى سنه ٣١٣هـ (٢).

أما علاقه خمارويه بالخلفاء فقد استمرت القطيعه التى حدثت فى أيام أبيه مع الموفق بسامرا. فاستغل والى الموصل اسحاق بن كنداج و والى أرمينية ابن ابى الساج الفرصه و كاتباً الموفق يستمدانه على محاربه خمارويه، فامرهما بمحاربتة و وعدهما

١- نفس المصدر ٣/ ٤٩، و كتاب الولاة و كتاب القضاء/ ٢٣٣.

٢- كتاب الولاة و كتاب القضاء/ ٥١٦- ٥١٨.

بالمساعدته و انفاذ الجيوش اليهما(١). فقصد ما يجاورهما من البلاد فاستوليا عليها. و اعانتهما والى ابن طولون فى دمشق فاعلن عصيانه على خمارويه، مما سهل لهما الاستيلاء على حلب و حمص و انطاكيه. فبلغ الخبر خمارويه فسير جيشا الى بلاد الشام فدخل دمشق ثم سار لمقابله جيش ابن كنداج و ابن ابى الساج فى شيزر.

فطاوله اسحاق حتى وصله المدد من العراق بقيادة ابى العباس أحمد بن الموفق، فاشتبك الطرفان و تغلب الجيش العراقى، و جلا جيش ابن طولون عن دمشق الى الرمله.

ان هزيمه جيش خمارويه اضطرته على ان يخرج بنفسه على رأس جيش كبير. فالتقى بجيش أبى العباس عند الماء الذى عليه الطواحين قرب الرمله، فدارت معركه عرفت بمعركه الطواحين، هزم بها خمارويه و عاد هاربا الى الفسطاط. الا ان قسما من جيشه بقيادة سعد الأيسر ثبت فى القتال و استطاع ان يهزم أبا العباس و يطارده حتى استرجع دمشق منه. و يظهر ان سعدا لما رأى خمارويه يهرب من ميدان المعركه استخف به فعصى بدمشق، مما اضطر خمارويه على العوده ثانيه اليها فدخلها و قبض على سعد و قتله(٢).

و يقول ابن الاثير ان خمارويه عامل اسرى جيش ابى العباس معاملة لم يسبقه الى مثلها أحد من القواد قبله. فقال لاصحابه ان هؤلاء أضيافكم فأكرمهم، و قال للاسرى من اختار المقام عندى فله الاكرام و المواساه و من اراد الرجوع جهزناه و سيرناه، فمنهم من أقام و منهم من سار مكرما(٣).

١- الكامل ٧ / ٤١٠.

٢- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ٢٣٥-٢٣٦، و الطبرى ٨ / ١٠ و يسميه سعد الاعسر، و الكامل ٧ / ٤١٥ و يسميه سعيد الايسر.

٣- الكامل ٧ / ٤١٥.

و كان اسحاق بن كنداج قد سار بجيشه ثانيه نحو الشام لاسترجاعها من الطولونيين، فعاد خمارويه على رأس جيشه، فالتقى بجيش اسحاق فهزمه حتى عبر الفرات، كما استطاع التغلب على جيش ابن ابي الساج الذي كان يسير نحو دمشق فهزمه حتى عبر نهر الفرات كذلك(١).

و استطاع خمارويه ان يستميل اليه يا زمان الخادم المتغلب على طرسوس، فعاد الى طاعته و دعا له بعد ان كان خرج على أبيه، فانفذ اليه ثلاثين ألف دينار و خمسمائه مطرف و سلاحا(٢). و يبدو ان تغلب خمارويه على القائدين ابن كنداج و ابن ابي الساج كان له تأثيره على يازمان و قدر انه لن يقوى على الصمود أمام جيش خمارويه اذا ما هاجم طرسوس، فآثر الصلح على الهزيمة.

و يظهر ان معركة الطواحين و المعارك التي تلتها اقنعت كلا من أبي العباس أحمد بن الموفق و خمارويه بن أحمد بن طولون بأن استمرار النزاع بينهما غير مجد، فمال كل منهما نحو المصالحة.

فكتب خمارويه الى ابي أحمد الموفق يسأله الصلح على مال يبذله عن ما فى يده من البلاد. فاجابه أبو احمد الى ذلك، و كتب اليه كتابا قدم به فائق الخادم الى الفسطاط فى رجب سنة ٢٧٣ هـ يذكر فيه ان الخليفة المعتمد على الله و أبا أحمد الموفق و ابنه أبا العباس كتبوه بايديهم، بولايه خمارويه و ولده مدته ثلاثين سنه على مصر و الشامات. فأمر خمارويه بالدعاء لأبي أحمد و ترك الدعاء عليه(٣).

و عند وفاه الموفق فى سنة ٢٧٨ هـ تولى ابنه أبو العباس أحمد ما كان يتولاه أبوه، و استحوز على عمه الخليفة المعتمد على الله،

١- نفس المصدر ٧/ ٤٢٧-٤٢٨.

٢- كتاب الولاة و كتاب القضاة/ ٢٣٩، و الطبرى ١٠/ ١٨، و الكامل ٧/ ٤٣٩.

٣- كتاب الولاة و كتاب القضاة/ ٢٣٧-٢٣٨، و النجوم الزاهرة ٣/ ٥١-٥٢.

و أصبح وليا للعهد. و توفي الخليفة في السنه التاليه فبويج لأبى العباس بالخلافه و لقب بالمعتضد بالله. فبعث اليه خمارويه بن أحمد بن طولون بهدايا و تحف، اذ قدم الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصاص من مصر «و معه هدايا من العين عشرون حملا على بغال و عشره من الخدم و صندوقان فيهما طراز و عشرون رجلا على عشرين نجيبا بسروج محلاه بحليه فضه كثيره، و معهم حراب فضه، و عليهم أقيبه الديباج و المناطق المحلاه و سبع عشر دابه، بسروج و لجم منها خمسه بذهب و الباقي بفضه، و سبع و ثلاثون دابه بجلال مشهره، و خمسه بغل بسروج و لجم، و زرافه، يوم الاثنين لثلاث خلون من شوال، فوصل الى المعتضد، فخلع عليه و على سبعة نفر معه. و سفر ابن الجصاص في تزويج ابنه خمارويه من على بن المعتضد، فقال المعتضد: أنا أتزوجها، فتزوجها»(١). و لما تصاهر خمارويه مع المعتضد بالله زالت الوحشه التي كانت بينهما، فولده خمارويه مع المعتضد بالله زالت الوحشه التي كانت بينهما، فولاه المعتضد بالله من الفرات الى برقه و جعل اليه الصلاه و الخراج و جميع الاعمال على ان يحمل خمارويه الى المعتضد بالله في كل عام مائتي ألف دينار عما مضى و ثلاثمائة ألف دينار عن كل عام للمستقبل، ثم قدم رسول الخليفة الى خمارويه بالخلع و كانت اثنتي عشره خلعه و سيفا و تاجا و وشاحا(٢).

اهتمام خمارويه بالبناء و التعمير:

بعد ان انهى خمارويه مشاكله مع الخلافه و استقر حكمه على مصر و بلاد الشام و الثغور انصرف الى البناء و التعمير، و يظهر انه

١- الطبرى ٣٠ / ١٠، و النجوم الزاهره ٣ / ٥٢ - ٥٣.

٢- كتاب الولاه و كتاب القضاء / ٢٤٠، و النجوم الزاهره ٣ / ٥٣، و الطبرى ١٠ / ٤٢ و جاء فيه ان المعتضد بلغه نبأ وفاه خمارويه فأمر الرسول بالرجوع اليه.

كان شغوفاً بذلك، وقد ساعده ما وجدته في بيت المال من ذهب و أموال طائله على ان ينفق ببذخ و اسراف على ما انشأه من القصور و الحدائق و المنتزهات. و قد اسهب المقریزی فی تعداد و وصف منشآتہ و ما انفقہ علیها من الاموال مما يدل على ميله للبذخ و حبه الترف. فزاد في في قصر أبيه و وسعه كثيرا بما اضافہ اليه، فعمل فيه مجلسا برواق سماه «بيت الذهب» طلى حيطانه كلها بالذهب المزين باللآزورد بأحسن النقوش، و جعل فيه صورا بارزه من الخشب تمثله مع الحظايا و المغنيات و على رؤوسهن الأكاليل من الذهب مرصغه باصناف الجواهر، و لونت أجسامها بما يشبه الثياب بالاصباغ العجيبه(١).

و جعل بين يدي بيت الذهب فسقيه ملاءها زئبقا لأنه شكا الى طبيبه الأرق فأشار عليه بعمل برکه من الزئبق. فعمل برکه مربعه طول ضلعهما خمسون ذراعا و ملاءها بالزئبق، و جعل في أركان البرکه سكا من الفضة الخالصه و جعل في السكاك زنانير من حرير محكمه الصنع في حلق من الفضة و عمل فراشا من الجلد يحشى بالهواء حتى ينتفخ فيحكم شده و يلقي على تلك البرکه و يشد بزنانير الحرير التي في حلق الفضة ليثبت في مكانه، فينام على هذا الفراش، و لا يزال الفراش يرتج و يهتز بحركة الزئبق مادام عليه. و كانت هذه البرکه من أعظم ما سمع به، فكان يرى لها في الليالي المقمره منظر عجيب اذا تألق نور القمر بنور الزئبق. و انفق على ذلك مالا طائلا. و قد أقام الناس بعد خراب القصر مده يحقرون لجمع الزئبق من شقوق البرکه(٢).

أما الميدان الذي انشأه أبوه فقد جعله بستانا زرع فيه أصناف الاشجار و أنواع النخيل، و حمل اليه من مختلف البلدان أصنافا من

١- الخطط المقريزيه ١/ ٣١٦-٣١٧، و النجوم الزاهره ٣/ ٥٤، و فيه انه بنى دار الذهب في البستان.

٢- الخطط المقريزيه ١/ ٣١٧، و النجوم الزاهره ٣/ ٥٥، و الانتصار/ ١٢٢.

الشجر المطعم، و غرس فيه أنواع الورود، و زرع الريحان على شكل نقوش و كتابات يتعهد بها البستاني بالمقراض حتى لا تزيد ورقه على ورقه. و زياده فى البذخ كسا جذوع النخيل نحاسا مذهبا حسن الصنعه، و جعل بين النحاس و أجسام النخل أنابيب الرصاص يجرى فيها الماء ليخرج من تضاعيف جذع النخل فينحدر الى فساقى يفيض منها الماء الى مجارى تسقى البستان. و بنى فى البستان برجا واسعا من خشب الساج المنقوش بالنقر، ليقوم مقام الأفصاص، و بلط أرضه و زوقه بأصناف الأصباغ. و سرح فيه أصناف القمارى و الطيور الجميله. و جعل فيه أوكارا مثبته فى جوف الحيطان لتفرخ فيها. و سرح فى البستان الطواويس و دجاج الحبش و نحوه(١).

و شيد فى القصر فيه شاهقه الارتفاع سماها «الدكه» كانت من أجمل مبانى القصر بزخارفها و نقوشها و ألوانها، و جعل على نوافذها الستائر التى تقى الحر و البرد، فتسبل اذا شاء، و ترفع اذا أحب. و فرش أرضها بالفرش النادر الثمين، و عمل لكل فصل من فصول السنه فرشا يليق به. و كان خمارويه كثيرا ما يجلس فى هذه الدكه ليفرج منها على جميع ما فى داره من البستان و غيره، و يشرف على الصحراء و النيل و الجبل و جميع المدينة(٢).

و بنى للوحوش التى كانت عنده دورا مفرده لكل صنف من الحيوان كالنمور و الفهود و السباع و الفيله و الزرافات. و كان يحب الاسود كثيرا فبنى لها دارا خاصه فى قصره، فيها قاعات تسع كل منها أسد و لبوته. و لتلك البيوت أبواب تفتح من أعلاها و منفذ صغير يدخل منه الرجل الموكل بخدمه ذلك البيت. و فى كل بيت حوض من رخام بميزاب من نحاس يصب فيه الماء. و أمام هذه

١- الخطط المقريزيه ١/ ٣١٦، و النجوم الزاهره ٣/ ٥٣-٥٤.

٢- الخطط المقريزيه ١/ ٣١٧، و النجوم الزاهره ٣/ ٥٦.

البيوت قاعه فسيحه فرش فيها الرمل، فاذا أراد سائس سبع من تلك السباع تنظيف بيته أو وضع اللحم المعين لغذائه رفع الباب بحيله من أعلى البيت و صاح بالسبع فيخرج الى القاعه المذكوره، فيرد السائس الباب و ينزل الى البيت من المنفذ الصغير فيبدل الرمل بغيره مما هو نظيف، و يضع اللحم فى مكانه المعين، و يغسل الحوض و يملؤه ماء ثم يخرج و يرفع الباب من أعلاه. و قد عرف السبع ذلك فحالما يرفع السائس باب البيت يدخل اليه السبع. و هناك أوقات معينه تفتح فيها سائر البيوت فتخرج السباع الى القاعه الفسيحه و تتمشى فيها و تمرح و تلعب و يهارش بعضها بعضا، و تقيم على ذلك حتى يصيح بها السواس فيدخل كل سبع الى بيته لا يتخطاه الى غيره(١).

و كان عند خمارويه سبع أزرق العينين سماه «زريق» قد أنس بسيده و صار مطلقا فى الدار لا يؤذى أحدا. فاذا نصبت المائده أقبل زريق معها و ربض بين يدي خمارويه فيرمى اليه الدجاجه و الفضله الصالحه من الجدى و نحو ذلك مما على المائده فيتنفكه بها.

و كان زريق يحرس خمارويه اذا نام، فاذا كان قد نام على سرير و ربض بين يدي السرير و جعل يراعيه مادام نائما، و ان كان نائما على الأرض بقى قريبا منه، و انتبه لمن يدخل و يقصد خمارويه و لا يغفل عن ذلك لحظه. و قد ألف ذلك و درب عليه، و كان فى عنقه طوق من الذهب(٢).

وفاه خمارويه:

دام حكم خمارويه اثنتى عشره سنه، و كانت نهايته انه قتل فى دمشق فى منتصف ذى الحجه سنه ٢٨٢ هـ على أيدي بعض خدمه،

١- الخطط المقرئيه ٣١٧ / ١، و النجوم الزاهره ٣ / ٥٦ - ٥٧.

٢- الخطط المقرئيه ٣١٧ / ١، و النجوم الزاهره ٣ / ٥٧.

و هناك عده روايات عن سبب و كيفية قتله^(١). فحمل فى تابوت من دمشق الى مصر. كان خمارويه جوادا الى حد الاسراف، متلافا للمال، انفق أموالا طائلة فى تزيين قصوره و مجالسه. شغوبا بالصيد و سباق الخيل، و قد بنى ميدانا للسباق أكبر من ميدان أبيه، و كانت حلبه السباق فى أيامه تقوم مقام الأعياد لكثرة ما يتخذ فيها من الزينه، و ركوب سائر الغلمان و العاكو على كثرتهم بالسلاح التام و العدد الكامله، فيخرج الناس للتفريخ عليهم. و كان عرض الخيل هذا يعتبر من عجائب الاسلام الأربع التى منها هذا العرض و رمضان بمكه و العيد بطرسوس و الجمعه ببغداد^(٢).

و كان خمارويه شديد الاهتمام بجيشه فلا يؤخر أرزاقهم، و قد بلغت فى أيامه تسعمائه ألف دينار فى السنه، و قد سار على نهج أبيه فى فتح مطبخه للناس و سماه بمطبخ العامه و بلغت نفقته على عهده ثلاثه و عشرين ألف دينار فى كل شهر^(٣).

وصف خمارويه بأنه كان طويل القامه مهيبا ذا سطوه، اذا سار فى موكبه لا يسمح من أحد كلمه، و لا عطسه و لا سعله و لا نحنه البته، كأن الناس على رؤوسهم الطير، لما وقع فى أذهانهم انه متى اشار اليه أحد بيده أو قرب منه لحقه مكروه عظيم، و قد اتخذ لنفسه حرسا خاصا من أبناء الحرف المعروفين بالشجاعه و البأس و ضخامه الجسم، و ادر عليهم الارزاق و العطاء، و ألبسهم الأقبية و جواشن الديقاج، و صاغ لهم المناطق العراض الثقال، و قلدهم السيوف المحلاه يضعونها على أكتافهم، اضافه الى ألف من السودان لهم درق الحديد و عليهم أقبية و عمائم سود فيخال الناظر اليهم بحرا

١- كتاب الولاه و كتاب القضاة / ٢٤١، و الخطط المقيزيه / ١ - ٣٢١ - ٣٢٢ و الكامل ٧ / ٤٧٤ - ٤٧٥.

٢- الخطط المقيزيه / ١ / ٣١٨.

٣- الخطط المقيزيه / ١ / ٣١٨، و النجوم الزاهره / ٣ / ٥٩.

أسود يسير لسواد لونهم و ثيابهم، و يصير لبرق درقهم و سيوفهم و البيض تلمع على رؤوسهم تحت العمائم، منظر بهيج (١).

٤- نهاية اماره بنى طولون:

لم تدم اماره بنى طولون بعد وفاه خمارويه الا يسيرا. فقد تولى الاماره بعده ابنه أبو العساكر جيش الذى خلعه أخوه هارون و تولى الاماره مكانه. و فى عهد هارون عاث القرامطه فى بلاد الشام و حاصروا عامل الطولونيين عليها و هزموا جيشه مما اضطر الخليفه المكتفى بالله أن يرسل فى سنه ٢٩٠ هـ جيشا من العراق بقياده محمد بن سليمان الكاتب لحرب القرامطه فهزمهم و شت شملهم (٢). و حينئذ رأى الخليفه ان لا مبرر لبقاء الأمير الطولونى الضعيف، فبعث القائد المذكور واليا على مصر و أمره بازاله آل طولون من مصر و الشام. فدخل محمد بن سليمان مصر فى أواخر ذى الحجه سنه ٢٩١ هـ فبرز هارون لقتاله و حاربه أياما الا انه استسلم أخيرا فقبض ابن سليمان على بنى طولون و هم بضعه عشر رجلا و حبسهم و استصفى أموالهم، ثم اشخصهم الى بغداد (٣).

و بذلك انتهى عهد الاماره التى اسسها أحمد بن طولون فى مصر.

و لعل أهم أسباب ضعف اماره بنى طولون بعد مؤسسها، و سقوطها بهذه السرعة ان أمراءها كانوا غرباء عن مصر، و قد اتخذوا لحراستهم أقواما مأجورين و أغلبهم من الأجانب. كما ان

١- نفس المصدر، و النجوم الزاهره ٣ / ٥٩ - ٦٠.

٢- الطبرى ١٠ / ١٠٧، و تاريخ ابن خلدون ٣ / ٧٤٧ - ٧٤٨.

٣- الطبرى ١٠ / ١١٥ - ١١٦ و ١١٨ / ١١٩، و تاريخ ابن خلدون ٣ / ٧٤٨.

جيشهم كان فى أغلبيته و بخاصه قواده من الأتراك. و من الطبيعى ان مثل هذا الحكم لا يستقيم الا اذا كان على رأسه رجل ذو شخصيه قويه و كفايه عاليه كأحمد بن طولون مؤسس الاماره، و الا فسرعان ما يدب الضعف فيه و ينهار. و مما سرع فى نهايه هذه الاماره النزاعات التى قامت بين أفراد الاسره منذ أيام خمارويه و بعده للاستحواذ على السلطه، ثم انصراف الأمراء الى اللهو و حياه البذخ و الترف.

الفصل الرابع اماره الصفارين

١- تأسيس الاماره:

نشأت هذه الاماره فى ولايه سجستان فى القسم الشرقى من الدوله العربيه. أسسها يعقوب بن الليث الذى كان أول أمره يعمل فى صنع الصفر، و لهذا عرفت باماره الصفارين. و يظهر ان يعقوب كان شجاعا طموحا ذا حيله و دهاء. فقد عمل هو و أخوته مع المتطوعين فى مقاومه الخوارج الذين استفحل أمرهم فى تلك الولايه.

و استطاع بتدبيره و حسن سياسته أن يتولى رئاسه هؤلاء المتطوعين، و قد اكسب عمله صفه الشرعيه باعتبار ان المتطوعين يعملون لنصره الخلافه فى مقاومه المارقين. وجد فى محاربه الخوارج حتى اقتاهم، فاشتدت شوكته و اطاعه أصحابه، و رأى انه يستطيع توجيههم لامتلاك سجستان. فاستغل ضعف الطاهريين الذين انهمكوا فى حياه الترف و ركنوا الى الراحة، و كانت سجستان احدى الولايات التابعه لهم. فثار يعقوب مع اتباعه يعاملهم عليها فى سنه ٢٥٣ هـ، و انتزع الولايه منه، و انفرد بحكمها متظاهرا بطاعه الخليفه و مدعيا بانه هو الذى أمره بقتال الخوارج(١).

يقول اليعقوبى ان الشراه كادوا ان يتغلبوا على سجستان، فسأل يعقوب ابن الليث الصفار محمد بن عبد الله بن طاهر أمير خراسان، و كانت سجستان تابعه له، بأن يأذن له فى جمع المتطوعين و الخروج اليهم، فاذن له بذلك. فقاتل يعقوب الشراه حتى أبادهم فى سجستان و كرمان فعظم شأنه. فكتب الخليفه المستعين بالله الى محمد بن عبد الله ان يوليه كرمان(١). و يرجح ان اليعقوبى أوهم فيما يتعلق بكرمان لأن يعقوب دخلها فى سنه ٢٥٥هـ (٢) و كان قد استولى على فارس فى نفس السنه و دخل شيراز(٣). و لما عاد الى سجستان بادر الخليفه المعتر بالله بارسال عماله الى أعمال فارس، مما يدل على عدم رضائه عن اعمال يعقوب، رغم انه كتب اليه بطاعته و وجه اليه بدواب و بزاه و مسك هديه، كما سنشير اليه فيما بعد.

على ان طموح يعقوب الصفار لم يقف عند حدود سجستان، بل اخذ يعمل على توسيع رقعته سلطانه. و حاول ان يظهر بمظهر من يجاهد فى سبيل الاسلام تحت رايه الخليفه. فهاجم ممالك الترك المتاخمه لحدود سجستان و حارب ملوكها و قتل بعضهم فهابه الآخرون و اذعنوا له. فأمن بذلك الحدود الشرقيه لولايته، و اخذ يتطلع الى الولايات المحيطه به، و كانت ضمن سلطان الطاهريين الذين طمع يعقوب باملاكهم. ان الأمعان فى تتبع خطوات يعقوب الصفار فى توسيع سلطانه يظهر انه كان قد اتخذ طريقه جديده للقضاء على الدوله العرييه، و ذلك باقتطاع أجزائها من ولايتها بحجه الانتصار للخلافه. و بدلا من أن يعلن الخروج على الدوله يسيطر عليها بأن يجعل الخليفه تحت حمايته. و قد استطاع ان يحقق ذلك الى حد بعيد مستفيدا من ضعف الطاهريين من جهه،

١- تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤٩٥.

٢- الطبرى ٩ / ٣٨٢، و الكامل ٧ / ١٩١.

٣- الطبرى ٩ / ٣٨٦، و الكامل ٧ / ١٩٤.

و انشغال جيوش الدوله بحرب الزنج من جهه أخرى. و تنفيذاً لسياسته هاجم يعقوب فى سنه ٢٥٣ هـ هراه من خراسان، فخرج اليه محمد بن أوس الانبارى عامل الطاهريين عليها لرد هجومه، الا انه هزم، و استولى يعقوب على مدينتى هراه و بوشىخ(١).

٢- توسع الاماره:

الاستيلاء على فارس و كرمان:

بعث يعقوب الصفار الى الخليفه المعتر بالله هديه سنويه من جملتها مسجد من الفضه يتسع لخمسه عشر شخصا، و سألته الولايه على فارس. و قبل أن يصل اليه جواب الخليفه شخص بجيشه نحو كرمان(٢). و كان عامل الطاهريين على فارس على بن الحسين بن سبل قد كتب الى الخليفه يطلب الولايه على كرمان. فكتب اليه الخليفه بولايه كرمان، و كتب بنفس الوقت الى يعقوب الصفار بولايته ايضا. و كان يهدف الى اغراء كل منهما بالآخر ليتخلص من أحدهما، لعلمه بان طاعتهما للخلافه ظاهرية و انهما يريدان التوسع على حسابها. فارسل على بن الحسين الى كرمان جيشا على رأسه طوق ابن المغلس، فسار اليها و استولى عليها. فاقبل يعقوب على رأس جيشه و أقام قريبا من المدينه، فلم يخرج طوق الى محاربتة. فعمد يعقوب الى الخداع فأظهر الارتحال عن المدينه، و عاد بجيشه مرحلتين عنها. فظن طوق انه عاد ادراجه عاجزا عنه، فركن الى الراحة و اللهو. ففكر يعقوب راجعا بسرعه و طوى المسافه فى يوم واحد، و أحاط بطوق و أصحابه الذين بادروا الى الهرب، فأسر طوقا و استولى على المدينه. و يقال ان يعقوب لما نزع خفه من رجله تناثرت منه كسر خبز يابسه، فقال: يا طوق هذا خفى لم

١- الكامل ٧ / ١٨٥، و وفيات الاعيان ٥ / ٤٤٦.

٢- وفيات الاعيان ٥ / ٤٤٧.

أنزعه منذ شهرين، وخبزي في خفي منه آكل، ولا أظأ فراشا، و انت جالس في الشرب و الملاهي، بهذا التدبير أردت حربى و قتالى(١)؟

و لما بلغ على بن الحسين ما فعله يعقوب بطوق ايمن بانه سيهاجم شيراز للاستيلاء عليها، فجمع جيشه و استعد لملاقاته، و تحرك نحو مضيق و اقام على رأسه، و هو ضيق لا- يمكن اجتيازه طالما كان الجيش عليه. فعبر يعقوب النهر باصحابه و صار خلف جيش على و قطع عليه طريق الرجعه، و بذلك أسر عليا و هزم جيشه. فقيده يعقوب و احتوى على جميع ما فى عسكره، و دخل شيراز فنهب جيشه دور على و أصحابه، و استولى هو على ما فى بيت المال، و جبي الخراج ثم عاد الى سجستان ظافرا(٢). و يقال ان يعقوب لما عبر النهر اشتبك بحرب شديده مع جيش على و هزمه و دخل مدينه شيراز و كان يظن ان أهلها سيقاومونه فيستحل دماءهم و أموالهم. الا انهم ركنوا الى المسالمة و أقاموا فى بيوتهم، مما اضطره على أن ينادى بالأمان. فأطمأن الناس و خرجوا الى أعمالهم. و أخذ يعقوب من أموال على ألف بدره و يقال اربعمائه، و من السلاح و الخيول و غير ذلك مما لا يعد(٣). و عذب على بن الحسين بأنواع العذاب فاستخرج منه أربعة آلاف ألف درهم. و كان يعقوب و عد أصحابه بان يسمح لهم بنهب مدينه شيراز، فعوضهم عن نهبها بثلاثمائه درهم لكل رجل(٤).

كتب الصفار الى الخليفه يعلمه بانتصاره و يتقدم اليه بالطاعه، و بعث مع رسالته هديه من البزاه و المسك و طرائف أخرى، ثم عاد الى سجستان و معه أسيريه على بن الحسين و طوق بن المغلس، و لما

١- الطبرى ٩ / ٣٨٤، و الكامل ٧ / ١٩٢.

٢- الطبرى ٩ / ٣٨٥-٣٨٦، و الكامل ٧ / ١٩٣.

٣- الكامل ٧ / ١٩٤.

٤- وفيات الاعيان ٥ / ٤٥٢.

فارق يعقوب فارس أرسل الخليفة عمالها عليها(١). ثم تحرك يعقوب في سنة ٢٥٧ هـ للاستيلاء على فارس مجدداً. فأرسل اليه الخليفة المعتمد على الله ينكر عليه عمله. الا ان الموفق أخوا الخليفة و المهيمن على شؤون الدوله رأى ان يهادن ابن الليث حتى يستطيع ان يتفرغ لحرب صاحب الزنج، فكتب اليه بالولاية على طخارستان و سجستان و السند و بلخ، فسار يعقوب الى بلخ ثم الى كابل. و لما عزم على العوده رأى أحد قواده قد حمل بعض أنقاله، فغضب و قال:

أترحلون قبلى؟ و أقام و جيشه سنه كامله فى مدينه بست، عاد بعدها الى سجستان(٢).

الاستيلاء على خراسان:

كان يعقوب الصفار، كما ذكرنا، يطمع بالاستيلاء على خراسان، و هو يعرف ان محمد بن عبد الله أعجز من ان يستطيع رده عنها. الا انه لم يكن هناك ما يسوغ له مهاجمتها. و قد سئحت له هذه الفرصه حينما هرب عبد الله السجزي الذى كان ينازعه على سجستان و التجأ الى محمد بن عبد الله فى نيسابور. فأرسل يعقوب الى الطاهرى يطلب اليه ان يسلمه السجزي. و لما رفض محمد طلب يعقوب سار هذا نحوه بجيشه فى سنة ٢٥٩ هـ. و لما رأى الأمير محمد أن جيش الصفار صار على مقربه منه و انه لا قبل له به حاول ان يسترضيه، فوجه اليه يستأذنه فى تلقيه، فلم يأذن يعقوب له، فبعث محمد بعمومته و رجال من أهل بيته فتلقوه. فدخل يعقوب نيسابور فى شوال، فزاره محمد فى مضربه الا- انه اساء مقابله و وبخه على تفريطه فى عمله، ثم حبسه و اهل بيته(٣). و يقال انه القى القبض عليه و قيده و قبض على نحو مائه و ستين رجلا من أهل

١- الطبرى ٣٨٦ /٩، و الكامل ١٩٤ /٧ -١٩٥.

٢- الكامل ٢٤٧ /٧.

٣- الطبرى ٥٠٧ /٩، و الكامل ٢٦١ /٧ -٢٦٣.

بيته و حملهم الى سجستان(١). و يرى ابن الاثير ان سبب عدم استعداد الأمير محمد لمقابله جيش يعقوب ان بعض أهل محمد و حاشيته لما رأوا ضعفه و ادياره مالوا الى يعقوب و كاتبوه بدعوته من جهه، و هو نوا أمره على محمد و أقنعوه بان لا خوف على ولايته منه من جهه أخرى، فركن محمد الى أقوالهم و لم يتحرز و يستعد لمقابله(٢).

و هكذا استولى يعقوب الصفار على خراسان دون قتال. فرتب نوابه فى أعمالها، و كتب الى الخليفة يذم محمد بن عبد الله بن طاهر و يصفه بالتقصير فى عمله، و ان العلويين تغلبوا فى طبرستان لضعفه عن مقاومتهم. و ادعى بأن أهل خراسان خرجوا اليه يسألونه المسير اليهم. الا ان الخليفة المعتمد على الله لم يقر تصرف يعقوب. اذ اجتمع جعفر بن المعتمد على الله و الموفق فى ديوان الجوسق و حضر القواد، فذكر رسل يعقوب ان الشراه و المخالفين قد غلبوا على خراسان و ضعف محمد عنهم، و ذكروا مكاتبه أهل خراسان و مساءلتهم يعقوب ان يقدم عليهم، و انه لما صار الى نيسابور أهلها و ادخلوه المدينة. فتكلم أبو أحمد الموفق و الوزير عبيد الله بن يحيى و قالوا- للرسول ان أمير المؤمنين لا- يقر يعقوب على ما فعله و انه يأمره بالانصراف الى العمل الذى ولاه اياه، و انه لم يكن له ان يفعل ذلك بغير أمره، فان رجع كان من الأولياء، و الا لم يكن له الا ما للمخالفين(٣).

الاستيلاء على طبرستان و فارس:

عند ما دخل يعقوب الصفار نيسابور هرب عبد الله السجزي الى الحسن بن زيد فى طبرستان، فسار يعقوب فى أثره. فلما صار قرب

١- الكامل ٧ / ٢٦٣، و كتاب البلدان و فيه ان يعقوب حملهم فى الاصفاد الى قلعه يم يكرمان.

٢- الكامل ٧ / ٢٦٢.

٣- الطبرى ٩ / ٥٠٧.

مدينه ساريه كتب الى الحسن يسأله ان يبعث اليه بعبد الله السجزي فينصرف عنه و انه جاء الى طبرستان من أجله و ليس للحرب، فابى الحسن تسليمه. فقامت الحرب بين الطرفين قرب ساريه و هزم جيش الحسن، فدخلها يعقوب كما دخل مدينه آمل، و جبي خراجهما لسنة. و اخذ جيشه يعقب الحسن فى جبال طبرستان. الا ان كثره الأمطار اعاقته عن الاستمرار فى ملاحقته، لا سيما و ان الحسن افلت و دخل أرض الديلم. و كتب يعقوب الى الخليفه بما فعله بالحسن بز زيد من الهزيمة(١). ثم سار الى الرى التى التجأ اليها السجزي، و كان الصلابى عاملا عليها فسارع الى القبض على السجزي و تسليمه، فتسلمه يعقوب و قتله و عاد راجعا عن الرى(٢).

و كان ابن واصل قد تغلب على فارس و قتل عاملها الحارث بن سيماء، فاضاف الخليفه فارس الى القائد موسى بن بغا مع الأهواز و البصره و البحرين و اليمامة مع ما كان اليه. فوجه موسى قائده عبد الرحمن بن مفلح واليا على فارس و الأهواز. فلم علم ابن واصل بذلك زحف للقائه، فالتقيا برامهرمز و اقتتلا فانهمز جيش عبد الرحمن و وقع هو اسيرا بيد ابن واصل الذى غنم ما فى عسكره من العدد و الاموال، ثم قتله، رغم ان الخليفه ارسل اليه يأمره باطلاق سراحه(٣).

و لما اتصل بيعقوب الصفار خبر انتصار ابن واصل على عبد الرحمن بن مفلح تجدد طموحه فى الاستيلاء على فارس و ان يغنم ما أخذه ابن واصل من أموال و سلاح. فقصدتها فى سنة ٢٦١ هـ بجيش كبير و كتب الى ابن واصل يطلب اليه الدخول فى طاعته.

فحبس ابن واصل رسل الصفار، و توجه فى يوم شديد الحر لملاقاه

١- الطبرى ٩ / ٥٠٨ - ٥٠٩، و الكامل ٧ / ٢٦٨.

٢- الطبرى ٩ / ٥١٠، و الكامل ٧ / ٢٦٩ و فيه جاء اسم الصلابى: الصلاتى.

٣- الطبرى ٩ / ٥١٢ - ٥١٣، و الكامل ٧ / ٢٧٥.

جيشه، و كان قد عزم على مباغتته. الا ان يعقوب علم بخروج ابن واصل بجيشه نحوه فقصده. و كان التعب و العطش قد ارعقا جنود ابن واصل بحيث لم يستطيعوا مقابله هجوم يعقوب فانهمزوا أمامه من غير قتال. فتبعهم عسكر الصفار و استحوذوا على جميع ما كانوا غنموه من ابن مفلح. و مضى ابن واصل منهزما، و استولى يعقوب على قلعتة و احتوى على ما فيها من الأموال، و كانت اربعين ألف ألف درهم(١).

٣- حرب الصفار مع الخليفة و هزيمته:

أقام يعقوب الصفار بعد انتصاره على ابن واصل، بجرجان يعسف أهلها بالخراج و يأخذ أموال الناس. فأتى جماعه من أهلها الى حاضره الخلفه فستلوا عن سياسته فيهم فاشتكوا من جبروته و تعسفه و اخذه أموالهم بالباطل. و كان الخليفة قد ادرك خطر يعقوب لمطامحه الواسعه و جشعه، فأمر أمير بغداد عبيد الله بن عبد الله أن يجمع من كان ببغداد من حجاج خراسان و الرى و طبرستان و جرجان و يقرأ عليهم كتابه بانه لم يول يعقوب الصفار خراسان و لم يكن دخوله اليها و أسره محمد بن عبد الله بأمره و يأمرهم بالبراءه منه(٢). فلما نمت الخبر الى يعقوب و انكشف له رأى الخليفة فيه خرج على رأس جيشه فى المحرم سنة ٢٦٢ هـ الى الأهواز، و لما وصل عسكر مكرم بعث كتابا الى الخليفة يسأله ان يوليه خراسان و فارس و طبرستان و جرجان و الرى و أمر الشرطه فى سامرا و بغداد. أى أن يعترف الخليفة بتجاوز الصفار و استيلائه

١- الطبرى ٩/ ٥١٤، و الكامل ٧/ ٢٧٧.

٢- الطبرى ٩/ ٥١٢، و وفيات الاعيان ٥/ ٤٥٤-٤٥٥ و جاء فيه ان عبيد الله عمل ثلاثين نسخه من الكتاب و دفع الى أهل كل بلد نسخه منه ليذيعوا ما جاء فيه.

على هذه الولايات و ان ذلك كان يأمر منه. فحاول الموفق ان يكسب بعض الوقت ليستعد لحربه فأجابه الى ما طلب، و امر باطلاق من كان فى الحبوس من أصحاب يعقوب، و أحضر جماعه من التجار، و يظهر انهم كانوا من تجار الولايات المذكوره، ممن كانوا حينذاك بسامرا و بغداد، و أعلمهم ان أمير المؤمنين الخليفه أمر بتوليّه يعقوب خراسان و طبرستان و جرجان و فارس و الرى و الشرطه بمدينه السلام. و بعث الخليفه رسولا بذلك الى يعقوب. فعاد الرسول يقول ان يعقوب لا يرضيه الا ان يسير الى باب المعتمد على الله، و انه سيتابع سيره عازما على دخول حاضره الخلافه(١).

يظهر مما تقدم ان يعقوب الصفار عازم على اجتياح عاصمه الدوله العربيه و وضع الخليفه تحت حمايته، لأنه اعتبر موافقته على طلباته دليلا على ضعف الدوله من ان ترده، لا سيما و ان جيوشها تحارب صاحب الزنج فى جنوبي البلاد، و اراد أن لا تفوته الفرصه من تحقيق احلامه بالاستيلاء على مقر الخلافه و الاطاحه بالدوله العربيه.

و كان القواد الأتراك و قد ادركوا خطر يعقوب الصفار عليهم، ارتابوا بموقف الخليفه و أخيه من مخالفه يعقوب، و اتهموها بالتواطؤ معه، و انه قدم الى عاصمه الخلافه بأمرهما(٢). فغضب الخليفه من ذلك و من عناد يعقوب و مكابرتة و اصراره على المخالفه، و ادرك انه غدا خطرا يهدد كيان الدوله و الخلافه، فخرج على رأس جيشه من سامرا، اذ كان الموفق قد سحب قسما كبيرا من جيوشه الموجهه الى حرب الزنج، فهياها لمقابله الصفار. و كان يعقوب قد دخل مدينه واسط ثم سار منها الى دير العاقول. فتحرك الجيش

١- الطبرى ٩/ ٥١٦، و الكامل ٧/ ٢٩٠، و وفيات الاعيان ٥/ ٤٥٥.

٢- وفيات الاعيان ٥/ ٤٥٥.

العربى الى سيب كوما و التقى بجيش الصفار فى الموضع المعروف باضطريد بين السيب و دير العاقول. و فى يوم الاحد لتسع خلون من رجب سنه ٢٦٢ هـ اشتبك الجيشان بقتال عنيف فى معركة فاصله. اذ وقف الخليفه فى الميدان و الى جانبه كبار القواد، و كشف الموفق رأسه و حمل أمام جيشه. و سرعان ما هزم يعقوب و جيشه.

و كان بعض اتباعه لما علموا بأن الخليفه على رأس جيشه و ان ادعاءات صاحبهم كاذبه انضموا الى جيش الخليفه. و غنم الموفق ما فى معسكر العدو من الدواب أكثر من عشره آلاف رأس، و من الأموال ما يكمل عن حملته، و من الدنانير و الدراهم مبالغ طائله.

كما انقذ محمد بن عبد الله من أسر يعقوب، و كان مثقلا بالحديد، ففكت قيوده و خلع عليه و ولى شرطه مدينه السلام(١).

و كان من جملة أسباب هزيمة يعقوب و جيشه اضافته الى ما ذكر، ان الموفق أمر ببتق النهر المعروف بالسيب، و ارسلوا الماء على جيشه، مما اربكه و اعاق حركته، و ان أحد قواد الموفق وافى مؤخره جيش يعقوب و طرح النار فى مرابط الأبل و الخيل فشردت و تفرقت فى العسكر، فاضطرب أصحاب يعقوب و ظنوا انهم اخذوا من المؤخره، فكانت الهزيمة(٢).

و قد برر يعقوب هزيمته بأنه لم يكن فى تقديره ان بإمكان الخليفه محاربتة و جيشه مشغول بحرب الزنج، و ان الرسل ستردد بينهما للمفاوضه على ما يتم عليه الاتفاق، اما و قد واجهه الموفق بجيشه فانه لم ير بدا من الاشتباك معه دون تنظيم و اعداد. و لكن ما غنمه الموفق من أموال و عدد و دواب يدل على انه جاء مستعدا للحرب.

و يظهر ان كلا من الطرفين كان يحاول خداع الطرف الآخر.

فان الخليفه لما توجه الى حربه كانت كتبه لم تزل ترد الى يعقوب يأمره بالانصراف و يحذره من سوء عاقبه فعله. و كانت أجوبه يعقوب تنطوى على التظاهر بالطاعه و انه قدم ليكون فى خدمه أمير

١- الطبرى ٥١٧/٩، و الكامل ٢٩١/٧، و مروج الذهب ٢٠٠/٤.

٢- مروج الذهب ٢٠٠/٤، و وفيات الاعيان ٤٥٩/٥.

المؤمنين و التشرف بالمثول بين يديه، و ان يموت فى ركابه. الا ان المعتمد على الله أعتبر ذلك من مخاريق الصفار، و قال: اعلموه انه ماله عندى الا السيف(١).

و جاء فى الطبرى انه قرىء على الناس كتاب بعد هزيمه يعقوب الصفار و انتصار الجيش العربى عليه جاء فيه: «و لم يزل الملعون المارق يعقوب بن الليث الصفار ينتحل الطاعه، حتى أحدث الأحداث المنكره من مصيره الى صاحب خراسان و غلبته اياه عليها ..

و مصيره الى فارس مره بعد مره و استيلائه على أموالها، و اقباله الى باب أمير المؤمنين مظهر المسأله فى أمور اجابه أمير المؤمنين منها ما لم يكن يستحقه استصلاحا له، و دفعا بالتى هى أحسن، فولاه خراسان .. فما زاده ذلك الا طغيانا و بغيا. فأمره بالرجوع فابى، فنهض أمير المؤمنين لدفع الملعون حين توسط الطريق بين مدينه السلام و واسط. و اظهر يعقوب اعلاما على بعضها الصليان.

فقدم أمير المؤمنين أخاه أبا أحمد الموفق بالله ولى عهد المسلمين بالقلب .. فتسرع و اشباعه فى المحاربه فحاربه حتى اتخن بالجراح .. و ولوا منهزمين .. و سلم الملعون كل ما حواه ملكه(٢). و يظهر ان ما ذكره الطبرى انما هو جزء من كتاب أوسع، لأن ابن خلكان ذكر فقرات عديده أخرى اضافه الى ما ذكره الطبرى(٣). فقد ذكر ابن خلكان ان الصفار التمس أشياء أخرى ان رد عنها قصد أبواب الخليفه لاثاره الفتنة و ابتغاء الغلبه. أى انه قدم للقتال و ليس كما جاء فى تبريره هزيمته. و هذا الكتاب بمثابة بيان حربى اذيع فى الناس يبرر سبب محاربه الصفار، و يذف البشرى بهزيمته و الانتصار عليه، و رجوعه مدحورا.

١- وفيات الاعيان ٥ / ٤٥٩.

٢- كامل الكتاب فى الطبرى ٩ / ٥١٨ - ٥١٩.

٣- وفيات الاعيان ٥ / ٤٥٩ - ٤٦٠.

و من الواضح ان قياده الموفق و حسن بلائه في هذه الحرب و اشتراك كبار القواد الا-تراك فيها، كانت أهم أسباب انتصار جيش الخلافة و قد امتدح عدد من الشعراء الموفق على ما أيداه من شجاعه لنصره الخلافة. فقال محمد بن علي بن فيد الطائي في ذلك قصيده منها قوله(١):

و لقد اتى الصفار في عدد لهاحسن فوافتهن نكبه ناكب

جلب القضاء اليه حتفا عاجلا سقيا و رعا للقضاء الجالب

اغواه ابليس اللعين بكيده و اغتره منه بوعد كاذب

الي أن يقول:

و ولي عهد المسلمين موفق بالله أمضى من شهاب ثاقب

و كأنه في الناس بدر طالع متهلل بالنور بين كواكب

قل الجموع بحزم رأى ثاقب منه و افرد صاحبا عن صاحب

لله در موفق ذى بهجهثبت المقام لدى الهياج موائب

يا فارس العرب الذى ما مثله في الناس يعرف آخر للنوائب

١- القصيده في الطبرى ٩/ ٥١٩ - ٥٢٠.

من فادح الزمن العضوض و من لقاجيش لدى غدر خئون غاصب

و مضى يعقوب بعد هزيمته الى واسط يتخطف أصحابه أهل القرى فيأخذون سلاحهم و أسلابهم. و كان الموفق سار الى واسط و قد ازمع على تتبع الجيش المنهزم، الا انه مرض فعاد الى سامرا(١).

و يقول ابن خلكان ابن جيش الخليفة لم يتبع الصفار مخامه رجعته عليهم، و لانشغالهم بالكسب و النهب(٢). فسار يعقوب الى خوزستان و نزل جنديسابور. و ارسل أحد قواده الى الالهواز فطرد منها عامل صاحب الزنج. ثم سار الى فارس فانتزعها من ابن واصل الذي أقره الخليفة واليا عليها، و كان قد دخلها عند ما شغل يعقوب بالحرب مع الموفق. و يظهر ان يعقوب كان يزعم الثأر لهزيمته فى معركة اضطربد. لأنه لما انفذ اليه الخليفة رسولا يستميله، و يقلده اعمال فارس، جلس للرسول و جعل عنده سيفا و رغيفا من الخبز و معه بصل، و احضر الرسول و قال له: قل للخليفة اننى عليل فان مت فقد استرحت منك و استرحت منى، و ان عوفيت فليس بينى و بينك الا- هذا السيف حتى آخذ بثأرى أو تكسرنى و تعقرنى و أعود الى هذا الخبز و البصل، و اعاد الرسول(٣).

و لم يلبث يعقوب الصفار ان مات كمدا فى التاسع من شوال سنة ٢٦٥ هـ و هو بجنديسابور فدفن فيها، و خلف فى بيت ماله خمسين ألف درهم و ثمانمائة ألف دينار. و هناك من يقول انه مات فى الالهواز و حمل تابوته الى جنديسابور فدفن فيها(٤).

١- الكامل ٧ / ٢٩٢.

٢- وفيات الاعيان ٥ / ٤٦١.

٣- الكامل ٧ / ٣٢٥ - ٣٢٦.

٤- الطبرى ٩ / ٥٤٤، و وفيات الاعيان ٥ / ٤٦١ - ٤٦٣ و الكامل ٧ / ٣٢٥ و مروج الذهب ٤ / ٢٠٢، و فيه انه توفى لسبع يقين من شوال.

كان يعقوب رجلاً عصامياً جدياً حازماً، ومغامراً طموحاً، ذا تدبير وكفاية في الحروب. إلا أنه لم يكن رجلاً دولياً بانياً بل هو إلى التخريب والنهب أقرب.. لو تتبعنا فتوحاته وانتصاراته فيها لرأيناها أنها كانت آتية موقته. إذ بعد أن استولى على بلد سرعان ما يخرج منه عائداً إلى مقره في سجستان حاملاً ما جباه من الخراج وما استولى عليه من أموال الناس وما احتواه من الجيش المهزوم أمامه، وكأنه حارب لهذا الغرض. أما التنظيم والبناء، ورعايته مصالح الناس، والاهتمام بالقضاء وشؤون الزراعة، فلم يذكر عنه شيء من ذلك. فانه عند ما هاجم ممالك الترك المتاخمة لسجستان اكتفى بالنهب والعودة. ولما دخل شيراز حمل منها أربعة آلاف ألف درهم. وقد استولى على فارس عدة مرات، وفي كل مرة يجبي أهلها قبل مغادرتها. ولما دخل جرجان و نيسابور أساء إلى أهالي المدينتين يأخذ أموالهم تعسفاً. فكان بهذا سفاكاً للدماء طماعاً بجمع الأموال.

كما كان يتصف بالحذر الزائد فلم يكن يطمئن إلى أحد، وبالزهد والبساطة في حياته، فكان بعيداً عن اللهو والترف. وقد عرف عنه رعايته لجنوده وتفقدته لشؤونهم بحيث كانوا ينقادون لأمره. وقد أفاض المسعودي في ذكر جوانب حياته (١). إن التفصيلات التي يذكرها عنه تعطينا صورة عن شيخ قبيلة أقرب ما يكون إلى البداوة، يعيش على الغزو، ولا يجلس إلا ليتهيأ للحركة والانتقال وما يتطلب ذلك من تخفيف المتاع والأثاث بحيث لا تعوق سرعته حركته وتقله. وهي صفات أبعد ما تكون عن صفات أمير متحضر يحكم عدة ولايات وعليه واجبات العناية بشؤون الناس فيها، ومسؤولية عمرانها ورفاهها.

٤- عمرو بن الليث الصفار:

كان عمرو قد انضم الى أخيه يعقوب و ظل يعمل بمعيته، فلمس منه العسكر حسن السياسه و التدبير، فلما مات يعقوب اجتمعت كلمتهم على توليه عمرو مكانه. فكتب عمرو الى الموفق بالسمع و الطاعه، و طلب ان يتولى ما كان يتولاه أخوه من الولايات. فأجاب الموفق الى طلبه و ولاه خراسان و فارس و اصبهان و سجستان و كرمان و السند، و سير اليه الخلع مع كتاب توليته(١).

فولى عمرو احمد بن عبد العزيز بن ابي دلف على اصبهان و ولى عبيد الله بن عبد الله خلافته على الشرطه ببغداد و سامرا و خلع عليه و بعث اليه بعمود من ذهب(٢).

و لما أرسل أحمد بن عبد العزيز فى سنة ٢٦٨ هـ الى عمرو بن الليث الاموال المترتبه عليه، وجه عمرو الى الموفق منها ثلاثمائه ألف دينار، و خمسين منا من المسك، و مثلها من العنبر، و مائتى من من العود، و ثلاثمائه ثوب و شى و غيره، و آنيه من ذهب و فضه، و غلمانا و دواب بقيمه مائتى ألف دينار(٣). مما يدل على حسن علاقه عمرو بن الليث بالخلافه.

و قد اضطر عمرو بن الليث ان يسير فى نفس السنه الى فارس لحرب عامله عليها محمد بن الليث الذى أظهر المخالفه، فهزمه و استباح عسكره. و ظفر بمحمد بن الليث و أسره، ثم صار عمرو الى شيراز فأقام بها(٤).

ان علاقه عمرو بالخلافه ساءت فى سنة ٢٧١ هـ اذ ادخل الخليفه المعتمد على الله اليه حجاج خراسان و اعلمهم انه عزل عمرو

١- الطبرى ٩ / ٩٤٥، و الكامل ٧ / ٣٢٦ و يضيف و الشرطه ببغداد.

٢- الطبرى ٩ / ٥٤٩، و الكامل ٧ / ٣٣٣.

٣- الطبرى ٩ / ٦٠٦، و الكامل ٧ / ٣٧١.

٤- الطبرى ٩ / ٦٠١، و الكامل ٧ / ٣٧٠.

بن الليث عما كان قلده من الولايات، و لعنه بحضرتهم و أمر بلعنه على المنابر، و اشخص الموفق القائد صاعد بن مخلد الى فارس لحربه(١). و ازدادت علاقته عمرو بالخلافه سوءا بحيث نشبت الحرب بينه و بين جيش الخليفه بقياده أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف فى سنه ٢٧٣ هـ فانهزم جيش عمرو، و كان قوامه خمسه عشر ألفا بين فارس و راجل، و اسر منهم ثلاثه آلاف و استأمن ألف.

و غنم ابن دلف من معسكر عمرو من الدواب و البقر ثلاثين ألف رأس، و ما سوى ذلك كثير(٢).

و فى السنه التاليه سار الموفق بنفسه لمحاربه ابن الليث. فسير عمرو احد قواده العباس بن اسحاق فى جمع كبير من العسكر الى سيراف، و انفذ ابنه الى ارجان، و جعل ابا طلحه شركب صاحب جيشه على مقدمته. فاستسلم أبو طلحه الى الموفق مستأمنا. فلما سمع عمرو بذلك توقف عن المسير الى حرب الموفق. الا ان أبا طلحه عزم على العوده الى جانب ابن الليث، فقبض عليه الموفق بقرب شيراز و جعل أمواله لابنه أبى العباس. ثم سار الموفق بجيشه نحو عمرو الذى عاد الى كرمان و منها الى سجستان. و يظهر ان الموفق لم يكن مستعدا لملاحقته، فكر راجعا(٣).

و قد واجه عمرو بن الليث فى أواخر حكمه خطر السامانيين الذين انشأوا امارتهم فى ما وراء النهر، و كانت نهايته على أيديهم اذ نازعوه السلطه. و لما سار بجيوشه الى ما وراء النهر لمحاربه أحمد بن اسماعيل السامانى هزم جيشه و تمكن أحمد من أسره. و قد خيره بالمقام عنده أو توجيهه الى الخليفه، فاختر عمرو توجيهه الى الخليفه، فوجهه أحمد مقيدا. و قضى بقيه أيامه فى

١- الطبرى ٧/١٠، و الكامل ٧/٤١٤، و المنتظم ٨/٥.

٢- الطبرى ١٠/١٢، و الكامل ٧/٤١٦ و فيه ان هذه الحرب كانت فى سنه ٢٧١.

٣- الطبرى ١٠/١٣، و الكامل ٧/٤٢٦.

سجن المعتضد بالله (١) و ظل سجيناً حتى قتل في سنة ٢٨٩ هـ و دفن بالقرب من القصر الحسنى بمدينة السلام (٢).

٥- نهاية اماره بنى الصفار:

استمرت اماره الصفارين قائمه حتى أيام الخليفه المقتدر بالله. و كانت نهايتها على أيدي السامانيين. و ذلك عند ما دخل أحمد بن اسماعيل السامانى سجستان فى سنة ٢٩٩ هـ و اخرج من كان بها من أصحاب بنى الصفار. و قد استأمن اليه آخر أمرائهم المعدل بن على بن الليث الصفار و من معه من اتباعه. فوجه بهم السامانى الى هراه (٣). و بذلك طويت صفحة اماره الصفارين بعد أن عاشت زهاء ست و أربعين سنة.

١- الطبرى ١٠/٨٣ و ٨٨، و الكامل ٧/٥٠٠-٥٠٢.

٢- الطبرى ١٠/٨٨، و الكامل ٧/٥٠٢، و وفيات لاعيان ٥/٤٧٣.

٣- الطبرى ١٠/١٤٥، و وفيات الاعيان ٥/٤٧٦ و فيه: المعدل بن على.

الباب العاشر مجالس خلفاء سامرا

اشاره

- ١- مجالس المعتصم بالله.
- ٢- مجالس الواثق بالله.
- ٣- مجالس المتوكل على الله.
- ٤- مجالس خلفاء سامرا الآخرين.

الفصل الأول مجالس المعتصم بالله**١- المعتصم بالله و الندماء:**

كان الخليفة المعتصم بالله يهتم بعض الفرص أحيانا لينفرد بأحد المقربين اليه، ليتعرف منه على أحوال الناس. فقد كان يبحث عن أحوالهم غاية البحث، و يتلطف في الاطلاع على أمورهم(١). او ليفضي اليه بما يشغل باله، أو ليستشيره في أمر من الامور. و كان هؤلاء عادة من رجال دولته أو ممن اعتادوا مجالسته و منادته.

و قد أوردت بعض كتب التاريخ و الأدب حكايات و اخبارا عن المعتصم بالله و حاشيته و قدمائه. و سنورد بعض هذه الاخبار التي تكشف لنا بعض الصور عن حياته الاعتيادية، و ما كان يشغل باله أحيانا من المهام و المشاكل.

يذكر اسحاق بن ابراهيم المصعبى ان المعتصم بالله اختلى به ذات يوم و قال له: يا اسحاق في قلبى أمر أنا مفكر فيه منذ مده

طويله، و انما بسطتلك فى هذا الوقت لافشيه اليك. فقلت: قل يا سيدى. قال: نظرت الى أخى المأمون و قد اصطنع أربعة انجبوا، و انا اصطنعت أربعة لم يفلح منهم أحد. قلت: و من الذين اصطنعهم أخوك؟ قال: طاهر بن الحسين، فقد رأيت و سمعت، و عبد الله بن طاهر، فهو الرجل الذى لم ير مثله، و انت، فانت و الله الذى لا يعتاض السلطان عنك أبدا، و أخوك محمد بن ابراهيم، و اين مثل محمد؟ و أنا اصطنعت الأفشين فقد رأيت ما صار أمره، و اشناس فشل، و ايتاخ فلا شىء، و وصيف فلا مغنى فيه. فقلت: يا أمير المؤمنين، جعلنى الله فداك، أجيب على أمان من غضبك؟ قال:

قل. قلت: يا أمير المؤمنين أعزك الله، نظر اخوك الى الأصول فاستعملها فنجبت فروعها، و استعمل أمير المؤمنين فروعها لم تنجب اذ لا أصول لها. قال: يا اسحاق، لمقاسات ما تربي فى طول هذه المده اسهل على من هذا الجواب(١).

يفهم من اشاره المعتصم بالله الى ما صار اليه أمر الأفشين، ان هذا الحديث جرى، ان كان قد جرى حقيقه، بعد محاكمته و قتله.

و لا يستبعد ان المعتصم بالله كان متألما من غدر الأفشين و محاولته الانتقاض عليه، بعد أن قربه كثيرا و اعتمد عليه و أوكل اليه مهام الامور، مما ترك فى نفسه حزنا فاض على لسانه فتشكى منه و من بقيه قواده الى اسحاق المذكور. كما يحتمل انه كان قد ضاق ذرعا بهؤلاء القاده الأتراك، فأراد أن يعبر بشكواه عن ندمه لانه اصطنعهم و قدمهم.

و للمقارنه بين رجال المأمون و رجال المعتصم بالله، الذين ورد ذكرهم، نرى ان فى رجال المعتصم بالله من هو من أولاد الملوك و هو الافشين حيدر بن كاوس ملك أشروسنه. و لم يكن الافشين فاشلا فى حياته العامه، و قد صار قائدا عاما لجيوش الخليفه. و كذلك

١- كامل الخبر فى الطبرى ٩/ ١٢١-١٢٢، و الكامل ٦/ ٥٢٦-٥٢٧.

أشناس فهو من كبار القاده أيضا، شديد الولاء للخليفه، و كان له دور مهم فى كشف مؤامره العباس بن المأمون و القضاء عليها. و قد سبق للمعتصم بالله ان تعرضت حياته للخطر عند ما انتد به عمه ابراهيم بن المهدي، أيام خلافته ببغداد، لحرب ابن علوان الخارجى فحامى عنه أشناس. و عند ما قرر تشييد سامرا اعتمد عليه فى تشييد قسم منها. و خير دليل على تقدير المعتصم بالله له انه توجه و البسه الوشاح تكريما له و تقدير لخدماته. أما ايتاخ فقد كان موضع سر المعتصم بالله و اعتماده، فمن اراد قتله أو حبسه فانما يتم ذلك على يد ايتاخ. كما انه كان من مقدمى قواده. و كان وصيف حاجب المعتصم بالله و أحد كبار قواده. و ان جميع هؤلاء قد سمت بهم قابلياتهم الى أرفع المراتب فى الدوله. و لذا فلا مجال لاعتبارهم فاشلين بحيث يندم المعتصم بالله على اصطناعهم و الاعتماد عليهم.

أما الذين امتدحوا على لسان المعتصم بالله فانهم لم يكونوا كلهم بدرجه قواده الذين اشرفنا اليهم همه و كفايه. فان طاهر بن الحسين كان كبير قواد المأمون، و قد قاد جيشه فى حربته مع أخيه الأمين، و تولى ابنه عبد الله اماره خراسان بعده بسلطات واسعته يسرت له حكمها بنجاح. هذا مع العلم بان المعتصم بالله و ان أقر عبد الله بن طاهر على اماره خراسان التى كان المأمون عينه لها، فانه كان سىء الرأى فيه (١). و هذا ما لا ينسجم و مدحه اياه. كما ان أباه طاهرا لم يكن خالص الولاء للمأمون، فانه حينما ولاه خراسان كان يخامره الشك فى ولائه و يخشى غدره و خلعه الطاعه، و بالفعل فانه لم يلبث الا يسيرا حتى قطع الخطبه للمأمون الذى بادر الى التخلص منه (٢). أما اسحاق بن ابراهيم، و هو صاحب الشرطه، فلم يكن غير أداء بيد السلطه ينفذ ما يؤمر به. و لم يعرف عن أخيه محمد من الاعمال ما يميزه و لم يكن سوى قائد اعتيادى فى الجيش. الا ان ما يجمع هؤلاء الاربعه انهم من عائله واحده

١- الديارات / ١٣٩.

٢- الفخرى / ٢٠٥.

فارسيه الاصل. كما يجمع القواد الاربعه الذين تشكى منهم المعتصم بالله انهم من الاتراك. و هذا ما يدفع الى الاستنتاج بان القصة وضعت بهذا الشكل للتقليل من اهميه الاتراك الذين اصبحت لهم السلطه و الغلبه فى عهد المعتصم بالله، و الانتقاص من شأنهم برفع شأن آخرين من العنصر الفارسى و من أسره لها أنصارها و اتباعها، و لاعلاء مقامهم على مقام القواد الاتراك الذين ورد ذكرهم و الذين كان لكل منهم اتباع و انصار كذلك، و كانت منزلتهم فى الدوله عاليه جدا.

و هناك قصه يرويها القاضى التنوخى عن محمد بن عبد الملك الزيات، خلاصتها(١): ان المعتصم بالله مر فى أحد الايام، بعد أن تولى الخلافه، برحبه الجسر ببغداد، و معه وزيره محمد بن عبد الملك الزيات، و كبير قضاته أحمد بن أبى دواد، فتوقف قليلا و أمر أحد أفراد حاشيته أن يستفسر عن منجم كان يجلس هناك على قارعه الطريق. فعاد اليه و اخبره انه قد مات منذ عهد قريب. و لما سأله ابن أبى دواد عن قصته معه، ادعى المعتصم بالله بانه كان قصد ذلك المنجم فى أيام غلبه ابراهيم بن المهدي على الامور، و سأله ان يخبره عن طالعه. فتنبأ له المنجم بانه سيتولى الخلافه و يفتح الآفاق و يبنى البلدان، و ان أكابر دولته سيكونون من أصول دنيه سافله، و التمس اليه أن يتذكره عند ما يتولى الامر و يحسن اليه فوعده المعتصم بالله بذلك. قال: و لما بلغت الرحبه وقعت عيني على مكانه الذى اعتاد أن يجلس فيه، فتذكرته و ذكرت كلماته، و تأملت كما حولى و انتما أكبر أهل مملكتى و احدكما ابن زيات و الآخر ابن قيار، و هكذا صح جميع ما قال.

و قد اسف المعتصم بالله لوفاه المنجم لأنه فاتته الاحسان اليه.

ان نظره بسيطه الى هذه القصة تكشف عن انها موضوعه لغرض معين. و رغم شيوع الالتجاء الى المنجمين فى ذلك العهد للكشف عما يخبئه المستقبل، و ان المعتصم بالله كان يتطلع الى الخلافه فى

فتره خلافه عمه ابراهيم بن المهدي، و هي فتره اضطراب و قلاقل، باعتباره أقرب الناس الى الخليفة المفتول و الخليفه المتغلب، و هما أخواه، و قد قصد المنجم المذكور ليكشف له عما يخبئه له القدر.

و بعد ان عرف المنجم هويه السائل أجابه بما يطمئن تساؤله.

فاضيف الى ذلك ما جاء عن كبار دولته بما يوحى بضالته اصولها.

و الغرض من ذلك واضح اذا علمنا ان وزير المعتصم بالله و كبير قضاته عربيان، لا يروق للفرس ان يتبوءا مثل هذه المناصب في الدوله.

و يروى الشابشتي ان المعتصم بالله سأل جلساءه يوما عن معنى تسميه طاهر بن الحسين بذي اليمينين. فقال محمد بن عبد الملك الزيات: معناه ذو الاستحقاقين، استحقاق بجدده و دنوه في الدوله و كان أحد النقباء، و استحقاق بما له في دوله المأمون، و قد قال الله تعالى «لَاخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ»^(١)، و قال الشاعر^(٢):

اذا ما رايه رفعت لمجد تلقاها عرابه باليمين

و يورد الثعالبي ما يشبه هذا، الا انه يضيف، و قال غيره:

انما سمي ذا اليمينين لأن المأمون كتب اليه لما فرغ من أمر المخلوع:

يا أبا الطيب يمينك يمين أمير المؤمنين، و شمالك يمين، فباع بيمينك يمين أمير المؤمنين، ففعل فلزمه هذا الاسم^(٣).

١- سورة الحاقه، الايه: ٤٥.

٢- الشعر للشماخ بن ضرار الغطفاني، و عرابه رجل من الانصار. و كامل القصة في كتاب الديارات / ١٤٢.

٣- ثمار القلوب / ٢٩١.

و من مشاهير الأعلام الذين كانوا يحضرون مجلس المعتصم بالله الفيلسوف العربى الكبير يعقوب بن اسحاق بن الصباح الكندى.

و كان عظيم المنزله عند الخليفه مقربا اليه، و قد اوكل اليه تأديب ابنه أحمد. نشأ الكندى ببغداد و كان أبوه أميرا على الكوفه أيام المهدي و الرشيد. و قد عاصر المأمون و المعتصم بالله و ابنه الواثق بالله و المتوكل على الله، و كان مقربا اليهم و له عندهم منزله ساميه.

و قال عنه ابن النديم انه فاضل دهره و واحد عصره فى معرفه العلوم القديمه، و هو فيلسوف العرب، و كتبه فى علوم مختلفه، و عدد له ٢٣١ ه كتابا(١). و قد برع الكندى فى الفلسفه و المنطق و الهندسه و الحساب و الفلك، و له فى أكثر هذه العلوم تواليف مشهوره من المصنفات الطوال و من الرسائل القصار(٢). و لم يكن فى الاسلام فيلسوف غيره احتذى فى تواليفه حذو ارسطاطاليس، و ترجم من كتب الفلسفه الكثير، و اوضح منها المشكل، و لخص المستعصى(٣).

و من كتبه «كتاب الفلسفه الاولى فيما بعد الطبيعيات و التوحيد» و قد صنفه للخليفه المعتصم بالله. و بحث فيه عن الفلسفه و غايتها، و ما يجب أن يكون عليه الفيلسوف الكامل الفلسفه و عن غايتها منها. و هو يفتتح الكتاب باهدائه الى المعتصم بالله بقوله(٤):

«اطال الله بقاءك يا ابن ذرى السادات و عرى السعادات الذين من استمسك بهم سعد فى دار الدنيا و دار الأبد، و زينك بجميع ملابس الفضيله، و طهرك من جميع طبع الرذيله ..».

و كان ممن يحضر مجالس المعتصم بالله عدد من الادباء منهم كبير ادباء عصره أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، عند ما يكون فى سامرا. قال الجاحظ فى أول رسالته (فى صناعات القواد):

١- الفهرست / ٣٧١.

٢- تاريخ الحكماء / ٣٦٧.

٣- عيون الانباء / ٧٣.

٤- رسائل الكندى / ٩٧.

دخلت على أمير المؤمنين المعتصم بالله فقلت له: يا أمير المؤمنين في اللسان عشر خصال: اداه يظهر بها البيان، و شاهد يخبر عن الضمير، و حاكم يفصل في الخطاب، و ناطق يرد به الجواب، و شافع تدرك به الحاجه، و واصف تعرف به الاشياء، و واعظ ينهى عن القبيح، و معز يرد به الاحزان، و خاصه يزهى بالضيعة، و مله يوتق الاسماع. و سمع عمر بن عبد العزيز رجلا يتكلم فأبلغ في حاجته، فقال عمر: هذا و الله السحر الحلال. و قال الشاعر:

و كائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلم

لسان الفتى نصف و نصف فؤاده فلم يبق الا صوره اللحم و الدم

فخذ يا أمير المؤمنين أولادك بان يتعلموا من كل فنون الأدب، فانك ان افردتهم بشىء واحد ثم سئلوا عن غيره لم يحسنوه.

و ضرب له أمثله عن قواده و حرسه، دلل بها عن ضحالتهم لأنهم لم يحسنوا سوى عملهم. فضحك المعتصم بالله حتى استلقى، ثم دعا مؤدب ولده فأمره ان يأخذهم بتعليم جميع العلوم (١).

٢- المعتصم بالله و الشعراء:

كان المعتصم بالله يحاول أن يقول الشعر أحيانا، و يظهر انه لم يكن يحسن قوله.

على انه كان يستحسن الشعر الجيد و يجب سماعه، و خاصه اذا كان فى مدحه و الاشاده بكرمه و فتوحاته. و كان الشعراء يجتمعون ببابه، فبعث اليهم مره يسألهم ان كان بينهم من يحسن ان يقول

١- رسائل الجاحظ ١/ ٣٧٩-٣٩٣، و فى تاريخ بغداد، ١٢/ ٢١٨ مع بعض التغيير.

فيه كما قال منصور التمرى فى أبيه هارون الرشيد، و كان قد استحسن ذلك الشعر و هو:

خليفه الله ان الجود اوديهأحلك الله منها حيث تجتمع

من لم يكن بأمين الله معتصما فليس بالصلوات الخمس ينتفع

ان اخلف القطر لم تخلف مخايله أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع

فليدخل، و الا فلينصرف. و كان بين الشعراء محمد بن وهيب الحميرى، و هو شاعر بصرى، و له شعر كثير يذكر فيه البصره و يتشوق اليها، و كان يستمنح بشعره و يتكسب بالمديح، فقام و قال: فينا من يقول مثله، ثم اندفع ينشد:

ثلاثه تشرق الدنيا ببهجتهم شمس الضحى و أبو اسحاق و القمر

تحكى أفاعيله فى كل نائبالليث و الغيث و الصمصامه الذكر

فأمر المعتصم بالله بادخاله، و احسن جائزته(١).

و قد امتدحه أبو تمام الطائى بعدد من القصائد فى مناسبات مختلفه. و لعل أروع ما مدحه به شعره الذى قاله فيه مسجلا انتصاره فى غزو الروم و فتح عموريه التى ذكرنا بعض أبياتها.

و قد مدحه بقصيده مطلعها(٢):

١- الاغانى ١٩ / ٧٤ - ٧٥.

٢- كامل القصيده فى ديوان ابى تمام ٢ / ١٩١ - ١٩٧.

رقت حواشى الدهر فهى تمر مرو غدا الثرى فى حليه يتكسر(١)

و يقول فيها واصفا الربيع:

أربيعنا فى تسع عشره حجهحقا لهنك للربيع الأزهر

ما كانت الايام تسلب بهمسهلو ان حسن الروض كان يعمر

أو لا ترى الأشياء ان هى غيرت سمجت و حسن الأرض حين تغير

ثم ينتقل الى مدح الخليفه، فيقول:

فى الأرض من عدل الامام وجوده و من النبات الغض سرج تزهر

تنسى الرياض و ما يروض فعله أبدا على مر الليالى يذكر

ان الخليفه حين يظلم حادث عين الهدى و له الخلافه تحجر

و مدحه بقصيده طويله اشاد فيها بعدله و كرمه منها(٢):

جلا ظلمات الظلم عن وجه أمهأضاء له من كوكب الحق آفله

و لاذت بحقويه الخلافه و التقت على خدرها ارماحه و مفاصله

١- تمرمر: تموج و تضطرب لينا ورقه.

٢- كامل القصيده فى ديوان ابى تمام ٣/ ٢١ - ٣٠.

آتته معدا قد اتاها كأنهاو لا شك كانت قبل ذاك تراسله

بمعتصم بالله قد عصمت به عرا الدين و التفت عليها وسائله

رعى الله فيه للرعيه رأفترايله الدنيا و ليست ترايله

فاضحوا و قد فاضت اليه قلوبهم و رحمته فيهم تفيض و نائله

و قام فقام العدل فى كل بلدهخطيبا و أضحى الملك قد شق بأزله

و جرد سيف الحق حتى كأنه من السل مود عمده و حمائله

رضينا على رغم الليالى بحكمه و هل دافع أمرا و ذو العرش قائله

و مدحه بقصائد أخرى ذكرنا بعضها فى الفصل الخاص بشعراء سامرا.

و كان اسحاق بن ابراهيم الموصلى قد اتصل بالمعتصم بالله الذى كان يأنس به فاتخذه نديما يسامره و ينشده الشعر و يغنيه الألحان.

و لعل أول قصيده مدحه فيها هى التى انشدها مهنتا بتوليه الخلافه.

و يروى عن اسحاق انه قال: لما ولى المعتصم بالله الخلافه دخلت اليه فى جملة الجلساء و الشعراء. فهنأه القوم نظما و نثرا، و هو ينظر الى مستنطقا، فانشدته(١):

لاح بالمقرق منك القتيرو ذوى غصن الشباب النضير

هزئت أسماء منى و قالت أنت يا ابن الموصلى كبير

و رأت شيئا برأسى فصدت و ابن ستين بشيب جدير

لا يرد عنك شيبى فانى مع هذا الشيب حلو مزير

قد يفل السيف و هو جرازو يصول الليث و هو عقير(١)

يا بنى العباس انتم شفاء و ضياء للقلوب و نور

أنتم أهل الخلافه فيناو لكم منبرها و السرير

لا يزال الملك فيكم مدى الدهر مقيما ما أقام ثبير

و أبو اسحاق خير امام ماله فى العالمين نظير

واضح الغره للخير فيه حين يبدو شاهد و بشير

زانه هدى تقى و جلال و عفاف و وقار و خير

١- الجراز: السيف القاطع، و العقير: المجروح.

لو تبارى جوده الريح يومانزعت و هي طليح حسير

و عند ما تولى المعتصم بالله الخلافه كان الشاعر الحسين بن الضحاک يقيم فى البصره منذ أيام الخليفه المأمون الذى جفاه و ابعده عن بلاطه لميله الى أخيه محمد الأمين. فاستقدمه المعتصم بالله الى حاضره الخلافه و اتخذته نديما يرافقه فى نزهاته و رحلاته، و لا يغيب عن مجالسه. و لما دخل عليه أول مره استأذنه فى الانشاد، فأذن له، فقال(١):

هلا سألت تلدد المشتاق و منتت قبل فراقه بتلاق

حتى انتهى الى قوله فى مدحه:

خير الوفود مبشر بخلافهخصت بيهجتها أبا اسحاق

وافته فى الشهر الحرام سليمهمن كل مشكله و كل شقاق

أعطته صفقتها الضمائر طاعهقبل الاكف بأوكد الميثاق

سكن الانام الى امام سلامهعف الضمير مهذب الأخلاق

فحمى رعيته و دافع دونهاو أجار مملقها من الاملاق

فلما اتمها قال المعتصم بالله: اذن منى، فدنا منه، فملاً فمه جوهرًا من جوهر كان بين يديه. ثم أمره بان يخرج من فيه، و أمر

١- الاغانى ٧ / ١٥٢-١٥٣، و معجم الادباء ٤ / ٣١-٣٣، و فيهما: تلذذ المشتاق و التلود: الحيره و الدهشه، و هو أقرب الى المعنى.

أن ينظم و يدفع اليه، و يخرج الى الناس و هو فى يده، ليعلموا موقعه من الخليفه و يعرفوا فعله.

و مدح الشاعر على بن الجهم المعتصم بالله بقصيده أشاد فيها بمآثره، و اقترح عليه ان يولى ابنه هارون العهد من بعده، يقول فيها(١):

و انت خليفه الله المعلى على الخلفاء بالنعمة العظام

و ليت فلم تدع للدين تأراسيوفك و المثقفه الدوامى

نصبت المازيار على سحوق و بابك و النصارى فى نظام

مناظر لا يزال الدين منهاعزيز النصر ممنوع المرام

و قد كادت تزيغ قلوب قوم فأبرأت القلوب من السقام

و عموريه ابتدرت اليهابودر من عزيز ذى انتقام

فقعقت السرايا جانبيهاو الحفت الفوارس بالسهام

رأت علم الخلافة فى دارهافخرت بين أصداء و هام

و قد هجا الشاعر دعبل الخزاعى المعتصم بالله الذى كان يبغضه لطول لسانه. و لما بلغ دعبلا ان الخليفه يتهدده هرب الى الجبل،

و قال يهجوهم و ينكر عليه ان يكون الثامن من خلفاء بنى العباس، و ذلك بقوله(١):

بكى لشتات القلب مكتتب صب و فاض بفرط الدمع من عينه غرب(٢)

و قام أمام لم يكن ذا هدايهفليس له دين و ليس له لب

و ما كانت الأبناء تأتي بمتله يملك يوما أو تدين له العرب

و لكن كما قال الذين تتابعوا من السلف الماضى الذى ضمه الترب

ملوك بنى العباس فى الكتب سبهو لم تأتينا عن ثامن لهم كتب

كذلك أهل الكهف فى الكهف سبهخيار اذا عدوا و ثامنهم كلب

و قد سئل دعبل عن هذه الأبيات فأنكر أن يكون قد قالها. و لما سئل عن قالها، قال: من حشا الله قبره نارا ابراهيم بن المهدي، كافأنى بذلك عن هجائى اياه ليشيط بدمى(٣). الا ان ابا الفرج يقول ان دعبلا اعترف بعد ذلك بأنه قائلها(٤).

١- ديوان دعبل الخزاعى / ٥١-٥٣. ليتكى ء عليها اكراما له (٢٩).

٢- غرب: سيل لا ينقطع من الدموع.

٣- الاغانى ١٠ / ١٣٠.

٤- نفس المصدر ٢٠ / ١٥٥.

و لما مات المعتصم بالله و رثاه وزيره محمد بن عبد الملك الزيات بأبيات من الشعر، قال دعبل يعارضه بالأبيات التاليه(١):

لقد قلت اذ غربوه و انصرفوا في شر قبر لشر مدفون

اذهب الى النار و العذاب فما خلطك الا من الشياطين

ما زلت حتى عقدت بيعه من أضر بالمسلمين و بالدين

٣- المعتصم بالله و مجالس الغناء:

اشاره

كان المعتصم بالله يحب الطرب و سماع الغناء. فقد سافر مره الى مصر قبل توليه الخلافة فذكر جاريه له كانت غلبت عليه بجمالها و دلالتها، و لم يكن استصحابها معه. فدعا مغنيا و ذكر له اشتياقه الى جاريته و طلب اليه ان يغنيه صوتا يشبه ما ذكره له. فاطرق المغنى مليا، ثم اندفع يغنى:

وددت من الشوق المبرح انى أعار جناحي طائر فأطير

فما لنعيم لست فيه بشاشهو ما لسرور لست فيه سرور

و ان امرءا فى بلده نصف قلبه و نصف باخرى غيرها لصبور

١- ديوان دعبل الخزاعي ٩٩-١٠٠.

فقال المعتصم بالله: و الله ما عدت ما فى نفسى، و أمر له بجائزه سنه (١).

و اعتاد المعتصم بالله أن يعقد للغناء و الطرب مجالس خاصه، و يبر المغنين و غيرهم من المطربين و يصلهم بالاعطيات و الهدايا.

و كان بعض المغنين يتبادرون و يتناظرون فى حضرته. روى عن محمد بن احمد المكى المغنى عن ابيه انه قال: ناظر أبى بعض المغنين ذات ليله بين يدى الخليفه المعتصم بالله، و طال تلاحيهم فى الغناء. فقال ابى للخليفه يا أمير المؤمنين، من شاء منهم فليغن عشره أصوات لا أعرف منها ثلاثه، و أنا أغنى عشره أصوات و عشره و عشره لا يعرف أحد منهم صوتا منها. فقال اسحاق الموصلى: صدق يا أمير المؤمنين، و أیده علويه، فأمر له المعتصم بالله بعشرين ألف درهم (٢).

اسحاق الموصلى و المعتصم بالله:

كان اسحاق بن ابراهيم الموصلى، و هو كبير المغنين فى عصره، مختصا بالمعتصم بالله الذى كان يحترمه كثيرا و يقدر فيه موهبته الغنائيه و معرفته الواسعه فى الألحان. و لم يعقد مجلس غناء للخليفه دون ان يحضره الا نادرا. و جاء فى نهايه الأرب ان أول يوم جلس فيه اسحاق يغنى للمعتصم بالله دفع اليه الخليفه مخده ليتكى ء عليها اكراما له (٣).

و ذكر عن اسحاق انه قال: اتيت امير المؤمنين المعتصم بالله يوما و عنده قينه كان معجبا بها و هى تغنيه. فلما سلمت عليه و اخذت مجلسى، قال لها: خذى فيما كنت فيه، فغنت. فقال لى: كيف تراها يا اسحاق؟ قلت: يا أمير المؤمنين أراها تقهره بحذق و تختله

١- العقد الفريد ٦/ ٦٢، و ثمرات الاوراق للحموى ٢/ ١٥٩ مع تغيير طفيف.

٢- الاغانى ١٦/ ٣١١.

٣- نهايه الارب ٨/ ٥.

برفق ولا تخرج من شىء الا الى أحسن منه، و فى صوتها قطع شذر أحسن من نظم الدر على النحور، فقال: يا اسحاق لصفتك لها أحسن منها و من غنائها(١).

و قال اسحاق: دخلت يوما على المعتصم على الله بسر من رأى و ابنه هارون بين يديه، و عنده علويه و مخارق. فغناه مخارق صوتا فلم ينشط له، ثم غناه علويه فاطربه. فلما رأيت طربه لغناء علويه دون غناء مخارق اندفعت فغنيت لحنى:

تجنبت ليلى أن يلج بك الهوى و هيهات كان الحب قبل التجنب

فأمر لى بألف دينار، و لعلويه بخمسائة دينار، و لم يأمر لمخارق بشىء(٢).

و قال محمد بن يزيد المبرد: دخل اسحاق الموصلى على المعتصم بالله يوما فرآه تعس النفس، فقال له: أما ترى يا أمير المؤمنين طيب هذا اليوم و حسنه؟ فقال الخليفة: ما يدعونى حسنه الى شىء مما تريد و لا انشط له. فقال: يا أمير المؤمنين، انه يوم أكل و شرب، فاشرب حتى انشطك. قال: أو تفعل؟ قال: نعم. قال: يا غلمان قدموا الطعام و الشراب، و مدوا الستاره، و احضروا الندماء و المغنين. فآتى بالطعام و الشراب، و حضر الندماء و المغنون، فغنى اسحاق:

سقيت الغيث يا قصر السلام فنعم محله الملك الهمام

لقد نشر الاله عليك نورا و خصك بالسلامه و السلام

١- الطبرى ٩ / ١٢٢.

٢- الاغانى ٥ / ٣٩٩.

فطرب المعتصم بالله و شرب كثيرا. و لم يبق أحد بحضرته الا وصله و خلع عليه و خمله، و فضل اسحاق على جميع الحاضرين في ذلك(١).

و يروى أبو الفرج عن القائد عجيف بن عنبسه انه حضر يوما مجلسا للأمير المؤمنين المعتصم بالله و عنده جماعه من المغنين بينهم عمه ابراهيم بن المهدي و اسحاق الموصلي و مغنون آخرون، فغناه اسحاق:

قل لمن صد عاتبوا نأى عنك جانبا

فاستحسنه الخليفة و أمره باعادته ثلاث مرات. و لما رأى ابراهيم بن المهدي شده طرب المعتصم بالله على هذا الصوت سأله ان يأمر المغنين الحاضرين بأن ياخذوه. فأمر الخليفة اسحاق ان يلقيه عليهم ليتعلموه. فاعاده عليهم أكثر من خمسين مره فلم يستطع واحدا منهم اداءه على وجه الصواب. فقال محمد بن الحارث، و هو أحد المغنين الذين عجزوا عن تعلم الصوت: و من يقدر ان يأخذ من ذلك الشيطان شيئا(٢). و ذلك و لا ريب دليل على براعه اسحاق و مهارته في الغناء و تفوقه على غيره من المغنين.

المغنون الآخرون:

من كبار المغنين الذين غنوا للمعتصم بالله أبو المهنا مخارق الذي يعتبر من أجود المغنين في أيامه. حدث موسى بن هارون الهاشمي قال: كنت واقفا بين يدي المعتصم بالله و هو جالس على حير الوحش، و الخيل تعرض عليه، و هو يشرب، و بين يديه علويه

١- نفس المصدر ٥ / ٣٢٩.

٢- الاغانى ٥ / ٣١٥ - ٣١٦.

و مخارق يغنيان. فعرض عليه فرس كميث أحمر، فتغامز علويه و مخارق، فغناه مخارق:

و اذا ما شربوها و انتشواوهبوا كل جواد و طمر

فتغافل الخليفه عنه، فانبرى مخارق فغنى:

يهب البيض كالظباء و جرداتحت اجلالها و عيس الركاب

فضحك المعتصم بالله و قال: اسكتا يا ابني الزانيتين، فليس يملكه و الله واحد منكما. ثم دار الدور فغنى علويه:

و اذا ما شربوها و انتشواوهبوا كل بغال و حمر

فضحك المعتصم بالله و قال: أما هذا فنعيم. و أمر لأحدهما جبغل و للآخر بحمار(١).

و عرض علويه على الخليفه المعتصم بالله رقعه فى أمر رزقه و اقطاعه، و هو يشرب، و دفعها اليه من يده، فلما أخذها اندفع علويه يغنى:

انى استحييتك ان أفوه بحاجتى فاذا قرأت صحيفتى فتفهم

و عليك عهد الله ان خبرته أحدا و لا أظهرته بتكلم

فقرأ الخليفه الرقعه و هو يضحك، ثم وقع له بما أراد(٢).

١- نفس المصدر ٥ / ٣٥٢ - ٣٥٣.

٢- نفس المصدر ١١ / ٣٥١.

و من المغنين الذين غنوا للمعتصم بالله عبد الله بن العباس الربيعي، و هو حفيد الفضل بن الربيع وزير الخليفة محمد الأمين، و كان مغنيا مجيدا. و قد حلف الا يغنى الا لخليفه أو ولي عهد.

و اذا ما اراد أحد أولاد الخلفاء ان يعرف من الخليفه بعد أبيه، هو و الا عرف انه غيره.

أم غيره، دعا عبد الله بن العباس و أمره بالغناء، فيعرفه بيمينه، فيستأذن الخليفه في ذلك. فان أذن له بالغناء علم انه ولي عهده، و الا عرف انه غيره.

قال عبد الله الربيعي: دعاني الواثق أيام المعتصم بالله، و سأل اباه ان يأذن لي بالغناء، فأذن لي. الا ان الخليفه دعاني من الغد، فقال لي: لا يبلغني انك امتنعت من الغناء عند احد، فوالله لو امتنعت لأضربن عنقك، فاعتق من كنت تملكه يوم حلفت و طلق من كان عندك يومئذ. و ارحنا يمينك هذه المشؤومه. ففقت و انا لا أعقل جزعا منه. فاعتقت جميع ما كان بقى عندي من ممالكي الذين حلفت يومئذ و هم في ملكي، ثم تصدقت بجملة مال، و استفتيت في يميني أبا يوسف القاضي حتى خرجت منها(١).

و غنيت بعد ذلك لاخواني جميعا حتى اشتهر أمرى، و بلغ المعتصم بالله أمرى(٢).

و غنى للمعتصم بالله كذلك المغنى الطنبورى محمد بن أميه المعروف بأبى حشيشه، و هو من المغنين الطنبوريين المجيدين، و قد تقدم بصنعه على كل طنبورى آخر(٣). و قد غنى أبو حشيشه لخلفاء سامرا جميعا، و كان كل منهم معجبا بلحن معين من الحانه يغنيه اياه اذا حضر مجلس غنائه. و له كتاب الفه في اخبار مراتب

١- المعروف ان ابا يوسف قد توفى سنة ١٨٢، و ذلك مما يرجح ان هذه الفقره مضافه على الخبر.

٢- الاغانى ١٩ / ٢٢٤.

٣- نهايه الارب ٥ / ٣٥.

الطنبوريين و الطنبوريات. و قال أبو حشيشه: كان المعتصم بالله يحب ان اغنيه هذا الصوت(١):

أسرفت في سوء الصنيع و فتكت بي فتك الخليع

و ولعت بي متمرساو العذر في طرق الولوع

صيرت حبك شافعا فتيت من قبل الشفيح

و حدث عمرو بن يانه المفضي قال: خرجنا مع المعتصم بالله الى الشام فمررنا بدير مران، و هو على قلعه مشرفه عاليه تحتها مروج و مياه حسنه، فنزل فيه الخليفه، فأكل و نشط للشرب، و دعا بنا.

فلما شربنا أقداحا قال لحسين بن الضحاك: أين هذا المكان من ظهر بغداد؟ فقال له: يا أمير المؤمنين و الله لبعض الغياض و اجام هناك أحسن من هنا. قال: صدقت و الله، فقل أبياتا يغني بها عمرو.

فقال: اما أن أقول شيئا في وصف هذه الناحيه بخير فلا احسب لساني ينطق به، و لكن أقول متشوقا الى بغداد، فضحك الخليفه و قال له: قل ما شئت، فقال(٢):

يا دير مريان لا عريت من سكن هيجت قلبي سقما يا دير مريانا(٣)

هل عندك قسك من علم فيخبرنا أم كيف يسعف وجه الصير من بانا

١- الاغانى ٢٣ / ٧٩.

٢- الاغانى ٧ / ١٩٣-١٩٤.

٣- دير مريان بالقرب من بغداد على نهر كرخايا- الديارات / ٣٣.

حث المدام فان الكأس مترعهما يهيج دواعى الشوق أحيانا

سقيا و رعيا لكرخايا و ساكنهاو للجنيه بالروحاء من كانا

فاستحسنها المعتصم بالله و أمرنى و مخارقا فغنينا فيها.

و شرب على ذلك، و أمر للجماعه بجوائز.

و تعتبر متيم الهشاميه من المغنيات المجيدات فى أيامها. و هى من مولدات البصره و بها نشأت و تأدبت، و كانت من أحسن الناس وجهها و أدبا و غناء. أخذت الغناء عن اسحاق الموصلى، و ادركت اياه و اخذت عنه بعض الأصوات. و غنت للمعتصم بالله. قالت:

بعث الى المعتصم بالله بعد قدومه بغداد- أى فى أول خلافته- فذهبت اليه، فأمرنى بالغناء، فغنيت هذا الصوت:

هل مسعد لبكائى بعبره أو دماء

و ذا لفقد خليل لساده نجباء

فقال لى: أعدلنى عن هذا الصوت الى غيره. فغنيت غيره من معناه، فدمعت عيناه، و قال: غنى غير هذا. فغنيت:

أولئك قومى بعد عز و منعتهفانوا و الا تذررف العين أكمد

فبكى و قال: ويحك لا تغينى فى هذا المعنى شيئا البته. فغنيت فى لحنى:

لا تأمن الموت فى حل و فى حرم ان المنايا تغشى كل انسان

و اسلك طريقك هونا غير مكترث فسوف يأتيك ما يمى لك المانى

فقال: و الله لو لا انى أعلم انك انما غنيت بما فى قلبك لصاحبك- و هو على بن هشام الذى قتله المأمون و انك لم تريدنى لمثلت بك.- و لكن خذوا بايديها فاخرجوها. فاخذوا بيدي و أخرجت(١).

و لما انتقل المعتصم بالله الى سامرا أرسل الى متيم يستدعيها.

فجاءت و انزلها فى الجوسق فى دار كانت تسمى الدمشقى. و كانت بين حين و آخر تستأذنه فى الذهاب الى بغداد لزياره أولادها ثم تعود(٢).

و كانت متيم الهشاميه أول من عقد من النساء فى الازار زنارا و خيط أبريسم ثم تجعله فى رأسها، فيثبت الازار و لا يتحرك أو يزول(٣).

و غنت متيم يوما بين يدي المعتصم بالله، و عنده عمه ابراهيم بن المهدي، اللحن الآتى:

لزيب طيف تعترينى طوارقه هدوا اذا ما النجم لاحت لواحقه

فاشار اليها ابراهيم ان تعيده. فقالت للمعتصم بالله: يا سيدى ان ابراهيم يستعيدنى الصوت لأنه يريد أن يأخذه. فقال لها الخليفه: لا تعيده(٤).

ان المعتصم بالله تنكر للمغنيه عريب، التى كانت أديبه شاعره و مغنيه من اعلام العارفات بالغناء و الضرب على العود. أعجب بها

١- الاغانى ٧ / ٣٠٣-٣٠٤.

٢- الاغانى ٧ / ٢٩٤.

٣- نفس المصدر ٧ / ٣٠٢.

٤- نفس المصدر ٧ / ٢٩٥.

المأمون فاشتراها و ذهبت به كل مذهب، ميلا اليها و محبه لها، حتى انها نسبت اليه فعرفت بعريب المأمونية. و كان المعتصم بالله قد اشتراها لما بيعت في ميراث المأمون و اعتقها(١). الا انه غضب عليها. و يرى النويرى ان سبب غضبه انه وجد كتابا وجهته الى العباس بن المأمون، عند ما كان المعتصم بالله يحارب في بلاد الروم، تقول فيه: اقتل أنت العليج حتى أقتل أنا الأعور الليلي هاهنا(٢).

و تعنى بالأعور الليلي هارون بن المعتصم بالله، و كان أبوه قد استخلفه لما خرج في حملته على البيزنطيين. و يضيف النويرى ان هذا من الامور التي لا-تحتمل، و لو لم يكن لها عندهم من المكانه العظمى و المحل الكبير لما ابقوها بعد الاطلاع من باطن حالها على هذه الطويه(٣).

و من المطربين الذين اشتهروا على عهد المعتصم بالله زنام الزامر، و هو يعتبر أول من اشتهر من العرب باستعمال الناي، و يقال انه أول من أحدثه، و كان يضرب بزمره المثل. و ذكر زنام ان المعتصم بالله وجد في علته التي توفى فيها افاقه فطلب ان يهبوا له مركبه الزلال ليركب فيه، فركبت معه و طلب الى أن أزمر له هذا الصوت:

يا منزلا لم تبل اطلاله حاشا لأطلالك ان تبلى

لم ابك أطلالك، لكننى بكيت عيشى فيك اذ ولى

١- نفس المصدر ٢١/٦٧، و نهايه الارب ٥/١٠١.

٢- نهايه الارب ٥/١٠٦.

٣- نفس المصدر.

و العيش أولى ما بكاه الفتى لابد للمحزون ان يسلى

فما زلت أزمر الصوت المذكور، حتى دعا برطليه فشرب منها قدحا. و جعلت أزمرة و أكرره. و قد تناول منديلا بين يديه، و ما زال يبكى و يمسح دموعه فيه و ينتحب، حتى رجع الى منزله، و هو لم يستتم شرب الرطليه(١).

١- الطبرى ٩/ ١١٨-١١٩، و الفخرى / ٢١٢، و جاء صدر البيت الاخير فيه: و العيش أحلى ما بكاه الفتى.

الفصل الثانى مجالس الواثق بالله

مقدمه:

كان الواثق بالله محبا للنظر مكرما لأهله، مبغضا للتقليد، محبا للاشراف على علوم الناس و آرائهم، ممن تقدم و تأخر من الفلاسفه و غيرهم (١). و الى جانب مجالس اللهو التى اعتاد ان يعقدها لسماع الغناء و الموسيقى و مناقشه الالحن، فقد كان يعقد مجالس خاصه يحضرها رجال الادب و العلم و الفلسفه و الطب، لبحث ما يثار من القضايا الادبيه و اللغويه و التاريخيه و المواضيع العلميه و الفلسفيه المختلفه، و لسماع الشعر و الاخبار، و تفهم فحوى و معانى ما يعرض من ذلك. فاذا ما ورد لفظ غريب مثلا تحرى الواثق بالله مع جلسائه عن معناه و الشواهد الداله عليه من شعر و غيره. و كذلك مناقشه آراء و قضايا علميه قد تعرض على المجتمعين. و من المعتاد ان يشترك الخليفه فى المناقشات التى تدور بين الحاضرين، أو انه يوجه سؤالا معينيا يطلب الى أحد الحاضرين الأجابه عليه، و يدعو الاخرين الى مناقشه تلك الاجابه. أو أن أحد الجلساء يسأل سؤالا معينيا فيجيب عليه أحد الحاضرين.

و الواثق بالله يستمع الى ما يورده السائل و المجيب، و ما يدور حول

ذلك من جدل و مناقشه. و يترك للجميع الحريه التامه فى ابداء آرائهم و ملاحظاتهم.

و كثيرا ما كان الواثق بالله يجيز من يحضر هذه المجالس من الادباء و المتطبيين و غيرهم جوائز سننيه تشجيعا لهم. و لا ينكر ان قيام الخليفه بعقد مثل هذه المجالس و حضوره فيها و تشجيعه من يحضرها، و مناقشه ما يدور فيها، يعتبر حافزا مهما للعلماء و الادباء على السعى لتقديم خير ما يتوصلون اليه من معلومات و آراء. و ان المناظرات التى كانت تقوم حول تلك الآراء و الأفكار التى تعرض فى أى موضوع من مواضيع الشريعه أو العلم أو اللغه أو الأدب مما يغنى المعرفه الانسانيه فى هذه الحقول.

و كان الواثق بالله يطلب أحيانا ممن يجيب على اسئله معينه أن يضيف أجوبته فى كتاب. و لا ينكر ان شخصيه الواثق بالله و شغفه بالعلم و الأدب، و اعتناقه آراء المعتزله، و ايمانه بحريه الرأى، كان لها تأثير مهم فى تنشيط الحركه العلميه و الادبيه على عهده.

١- من مجالسه العلميه:

اعتاد الواثق بالله، كما أشرنا، ان يتساءل فى هذه المجالس عن قضايا و مواضيع علميه تتناول الطب و شؤون الصحه، و مواضيع فلكيه و فلسفيه و غيرها. و كان فى بعض الاحيان يخص باسئله كبار الحاضرين من الفلاسفه و الأطباء. و قد احتفظ لنا المؤرخ المسعودى بنماذج لما كان يدور من المناقشات فى هذه المجالس(١). فقد سأل الواثق بالله يوما جلساءه من المتطبيين و الفلاسفه عن كيفيه ادراك الطب، و هل ان أصوله من الحس أم من القياس، أم انه يدرك بالعقل أو السمع. فأجاب الحاضرون اجابات مختلفه(٢). و من

١- مروج الذهب ٧٧ / ٤ - ٨٣.

٢- نفس المصدر / ٧٧ - ٨٠.

الأسئلة التي وجهها في أحد مجالسه ان يخبر كل واحد منهم عما حضره من الزهد في هذا العالم الذي هو عالم الدثور و الفناء. فذكر كل واحد منهم ما سنع له من الاخبار عن زهد الفلاسفة من اليونانيين و الحكماء المتقدمين مثل سقراط و ديوجانس. فقال الواثق بالله: قد اكثرتم فيما و صفتم و قد احستتم الحكاياه فيما ذكرتم، فليخبرني كل واحد عن أحسن ما سمع من نطق الحكماء الذين حضروا وفاه الاسكندر. فقال بعضهم: كل ما ذكروه حسن، و احسن ما نطق به من حضر ذلك المشهد من الحكماء ما قاله ديوجانس ان الاسكندر أمس انطق منه اليوم، و هو اليوم أوعظ منه أمس، و قد قيل انه لبعض حكماء الهند(١).

و يظهر مما رواه المسعودي ان حنين بن اسحاق العيادي كان أبرز من يحضر مجالس الواثق بالله من علماء الأطباء، و كان حنين أمام وقته في الطب(٢). و هو يتقن أربع لغات: العربية و السريانيه و الفارسيه و اليونانيه، مما ساعده على أن يكون حاذقا في الترجمة.

و قد ترجم عددا من نفائس الكتب اليونانيه الى اللغه العربيه و اللغه السريانيه. كما وضع عددا من الكتب الطبيه التي نالت شهره واسعه. و كان الخليفه المأمون قد اعجب به فعينه رئيسا لبيت الحكمة، و شجعه على ترجمه الكتب اليونانيه. و قد تقدمت منزلته عند الخليفه الواثق بالله، الذي يخدم العلماء و يجالسهم.

سأل الواثق بالله في أحد مجالسه حنين بن اسحاق عن أول آلات الغذاء، فقال حنين: أول آلات الغذاء في الانسان الفم و فيه الاسنان، و الاسنان اثنتان و ثلاثون سنا، منها في اللحي الاعلى ستة عشر سنا. و في اللحي الاسفل كذلك. و من ذلك أربعة في كل واحد من اللحيين عراض محدوده الأطراف تسميها الأطباء من اليونانيين

١- نفس المصدر / ٨٣.

٢- وفيات الاعيان ١ / ٤٥٥.

القواطع، و ذلك ان بها يقطع ما يحتاج الى قطعه من الاطعمه اللينه، كما يقطع هذا النوع من المأكول بالسكين، و هى الثنايا و الرياعيات. و عن جنبى هذه الاربعه فى كل واحد من اللحين سنان رؤوسهما حاده و أصولها عريضه، و هى الأنياب و بها يكسر كل ما يحتاج الى تكسيره من الاشياء الصلبه مما يؤكل. و عن جنبى النابين فى كل واحد من اللحين خمس اسنان آخر عوارض خشن، و هى الأضراس. و يسميها اليونانيون الطواحن لانها تطحن ما يحتاج الى طحنه مما يؤكل. و كل واحد من الثنايا و الرياعيات و الانياب له أصل واحد، أما الاضراس فما كان منها فى اللحي الاعلى فله ثلاثه أصول خلا الضرسين الاقvisين، فانه ربما كان لكل واحد منهما أصول أربعه. و ما كان من الاضراس فى اللحي الاسفل فلكل واحد منها أصلان خلا الضرسين الاقvisين فانه ربما كان لكل واحد منهما أصول ثلاثه. و انما احتيج الى كثره أصول الاضراس دون سائر الاسنان لشده قوه العمل بها. و خصت العليا منها بالزياده فى الاصول لتعلقها بأعلى الفم.

فاستحسن الواثق بالله ما ذكره حنين بن اسحاق و طلب اليه أن يصنف له كتابا يذكر فيه جميع ما يحتاج الى معرفته من ذلك.

فصنف له كتابا جعله ثلاث مقالات، يذكر فيه الفرق بين الغذاء و الدواء و المسهل و آلات الجسد (١).

و كان من جمله ما سأل الواثق بالله حنين بن اسحاق و اجاب عنها، انه سأل عن الاشياء المغيره للهواء. قال حنين: خمس، و هى أوقات السنه، و طلوع الكواكب و غروبها، و الرياح، و البلدان، و البحار. قال السائل: فكم هى أوقات السنه؟ قال حنين: أربعه:

١- مروج الذهب ٤ / ٨٠ - ٨١. و يلاحظ انه لم يرد بين كتب حنين كتاب بهذا الاسم. بل هناك كتاب بعنوان « كتاب الاغذيه ثلاث مقالات » و قد يكون هو نفس الكتاب - تاريخ الحكماء / ١٧٣.

الربيع و الصيف و الخريف و الشتاء. فمزاج الربيع معتدل الحرارة و الرطوبه، و مزاج الصيف حار يابس، و مزاج الخريف بارد يابس. و مزاج الشتاء بارد رطب.

قال السائل: أخبرني عن كيفية تغيير الكواكب للهواء. قال حنين: ان الشمس متى قربت منها أو قربت هي من الشمس الهواء أزيد سخونه، و خاصه كلما كانت اعظم. و متى بعدت الشمس أو بعدت هي عن الشمس، كان الهواء أزيد برودا.

قال: أخبرني عن كيفية اعداد الرياح، قال حنين: اربع، الشمال و الجنوب و الصبا و الديوور. أما قوه الشمال فبادره يابسه، فان الجنوب فحاره رطبه، و أما الصبا و الديوور فمعتدلتان.

قال: فإخبرني عن أحوال البلدان في ذلك. قال حنين: هي أربع، الأول الارتفاع، و الثاني الانخفاض، و الثالث مجاوره الجبال و البحار، و الرابع طبيعه تربه الارض. و النواحي هي أربع: الجنوب و الشمال و المشرق و المغرب فناحيه الجنوب اسخن و ناحيه الشمال أبرد، و أما ناحيتا المشرق و المغرب فمعتدلتان. و اختلاف البلدان بارتفاعها و انخفاضها، لان ارتفاعها يجعلها ابرد، و انخفاضها يجعلها اسخن. و البلدان تختلف بحسب مجاوره الجبال لها. لأن الجبل متى كان من البلد في ناحيه الجنوب جعل ذلك البلد أزيد بردا لأنه يستره من الرياح الجنوبيه، و انما تهب فيها الرياح الشماليه فقط. و متى ما كان الجبل من البلد في ناحيه الشمال جعل ذلك البلد اسخن.

قال: فأخبرني عن اختلاف البلدان عند مجاورتها البحار، كيف اختلفت؟ قال حنين: ان كان البحر من البلد من ناحيه الجنوب فان ذلك البلد يسخن و يرطب، و ان كان من ناحيه الشمال كان ذلك البلد أبرد.

قال السائل: فاخبرني عن البلد كيف اختلفت بحسب طبيعه تربتها؟ قال حنين: ان كانت أرضها حجريه جعلت ذلك البلد أبرد و أخف. و ان كانت ترابه البلد حصيائيه جعلت ذلك البلد أخف و أسخن، و ان كانت طينا جعلته أبرد و أرطب.

قال: فلم اختلف الهواء من قبل البحار؟ قال حنين: اذا جاورت نقائع الماء أو جيفا أو بقولا عفنه، أو غير ذلك مما يتعفن، تغير هواؤها.

فلما كثر الكلام من السائل و المجيب ضجر الواصل، فقطع المحاوره، و اجاز كل واحد ممن حضر المجلس(١).

و يتضح مما ذكره المسعودي عن مجلس الواصل بالله ان حنين بن اسحاق كان قد أجاب على عديد من أسئله الخليفه في علم الطب، فصنف ذلك في كتاب أسماه «المسائل الطبيه» ذكر فيه أنواعا من العلوم(٢). و يقول ابن أبي أصيبعه ان كتاب المسائل هذا هو المدخل الى صناعه الطب، لانه جمع فيه جملا- و جوامع تجرى مجرى المبادىء و الأوائل لهذا العلم، و ليس جميع الكتاب لحنين بل ان تلميذه حبيش الاعسم تممه، و لذلك يعنون هذا الكتاب بكتاب المسائل لحنين بزيادات حبيش الاعسم، و قيل ان حنين بن اسحاق شرع في تأليف هذا الكتاب في أيام الخليفه المتوكل على الله(٣).

و يغلب على الظن ان حنين بن اسحاق جمع أجوبته في مجالس الواصل بالله، و جعلها كتابا واحدا في عهد المتوكل على الله، و ان ابن أخته حبيش ساعده في جمعه و اضاف اليه بعض المواضيع. على انه

١- و قيل ان الواصل بالله كلف أحد الحاضرين في المجلس ان يسأل حنين بن اسحاق بحضرتة و هو يسمع ما يدور من المناقشه. مروج الذهب ٤ / ٨١ - ٨٣.

٢- مروج الذهب ٤ / ٨١، و جاء فيه اسم الكتاب «المسائل الطبيه».

٣- عيون الانباء / ٢٧١.

مما تجدر ملاحظته ان اجوبه حنين بن اسحاق فيما يتعلق بالاسنان من حيث أنواعها و وظائفها، أو فيما يتعلق بالعوامل المؤثره فى جو بلد ما و مناخه، لا تكاد تختلف عما نعرفه اليوم. و ذلك من الدلائل الواضحه على تقدم العلم و المعرفة حينذاك.

٢- من مجالسه الأدبيه:

غنت احدى المغنيات فى مجلس الواثق بالله يوما من شعر العرجى قوله:

أظلم ان مصابكم رجلاهدى السلام اليكم ظلم

فاختلف من فى المجلس من رجال اللغه فى اعراب «رجل» فمنهم من نصبه باعتباره اسم ان، و منهم من رفعه على انه خبرها.

و الجاربه المغنيه مصره على ان شيخها أبا عثمان المازنى لقنها اياه بالنصب. فأمر الواثق بالله باشخاص المازنى الى سر من رأى. قال أبو عثمان: فلما مثلت بين يديه، قال: ممن الرجل؟ قلت من مازن. قال: أى الموازن؟ قلت: مازن ربيعه. فكلمنى بكلام قومى و قال باسمك؟ لأنهم يقبلون الميم باء و الباء ميمما، فكرهت أن أجيبه على لغه قومى لثلا- أواجهه بالمكر، فقلت: بكر يا أمير المؤمنين.

ففظن لما قصدته و أعجب به، ثم قال: ما تقول فى قول الشاعر:

أظلم ان مصابكم رجلا- أترفع رجلا- أم تنصيه؟ فقلت: بل الوجه النصب. قال: و لم ذاك؟ قلت: ان مصابكم مصدر بمعنى اصابتكم. فعارضنى اليزيدى. فقلت: هو بمنزله قوله ان ضربك زيدا ظلم. فالرجل مفعول مصابكم منصوب به و الدليل عليه ان الكلام معلق الى ان تقول ظلم فيتم. فاستحسن الواثق بالله ذلك.

ثم سأل الواثق بالله أبا عثمان، هل لك من ولد؟ قال: نعم، بنه يا أمير المؤمنين، و قد انشدت عند مسيرى اليك قول الأعشى:

إذا غبت عنا و خلفتنا فانا سواء و من قد يتم

أيا أبتا لا ترم من عندنا فانا بخير اذا لم ترم

أرانا اذا اضمرتك البلاد نجفى و يقطع منا الرحم

قال: فما قلت لها؟ قلت: قول جرير:

ثقى بالله ليس له شريك و من عند الخليفة بالنجاح

قال الواثق بالله: انت على النجاح انشاء الله، ثم أمر لى بألف دينار، وردنى مكرما(١).

و حضر أبو عثمان المازنى مجلس الواثق بالله، و كان ابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن اسحاق حاضرا. فقال الواثق لأبى عثمان: سله عن مسأله. فقال المازنى: ما وزن نكتل من الفعل؟

قال ابن السكيت: نفعل. فقال الواثق بالله: غلطت، ثم طلب الى المازنى أن يفسره. فقال: نكتل تقديره نفعل واصله نكتيل، فانقلبت الياء ألفا لفتحها ما قبلها فصار لفظها نكتال، فاسكنت اللام للجزم لانه جواب الأمر، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين.

فقال الواثق بالله: هذا هو الجواب، لا جوابك يا يعقوب(٢).

و حضر المازنى يوما مجلس الواثق بالله و عنده نحاء الكوفه، فقال له الخليفة: يا مازنى هات مسأله. فقال: ما تقولون فى قوله تعالى «وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا» لم لم يقل بغيه، و هى صفة لمؤنث؟

١- دره الغواص / ٧٢-٧٤ و العقد الفريد ٢ / ١٠١، و عيون الاخبار ٣ / ٣٢-٣٣، و اخبار النحويين البصريين / ٥٧-٥٨ و وردت فيه الابيات ببعض التغيير، و ان الواثق بالله أمر له بثلاثين ألف درهم. و جاء فى وفيات الاعيان ٥ / ٤٤٠-٤٤١، و فى البصائر و الذخائر ٣ / ٥٧٢ ان المناظره جرت فى مجلس المتوكل على الله.

٢- معجم الادباء ٥ / ٤٤٠-٤٤١.

فاجابوا باجابات غير مرضيه. فقال الواثق بالله: هات ما عندك.

قال: لو كانت بغى على تقدير فعيل بمعنى فاعله لحقتها الهاء، مثل كريمه و ظريفه، و انما تحذف الهاء اذا كانت مفعوله، نحو المرأه قتيل، و كف خضيب. و بغى هنا ليس بفعيل و انما هو فعول، و فعول لا تلحقه الهاء فى وصف التأنيث، نحو امرأه شكور بئر شطون- أى بعيده الرشا- و تقدير بغى بغوى قلبت الواو ياء، ثم ادغمت فى الياء فصارت ياء ثقيله نحو سيد و ميت فاستحسن الخليفه الجواب(١).

و غنى أحد المغنين مره فى مجلس الواثق بالله بشعر الأخطل:

و شارب مربع بالكأس نادمنى لا بالحصور و لا فيها بسوار

فسأل الواثق بالله جلساءه: أسوار او سئار؟ فاختلفوا فى الاجابه. فوجه الى ابن الاعرابى محمد بن زياد اللغوى و هو يومئذ بسر من رأى، يسأله فى ذلك. فقال: سوار، و ثاب، يقول لا يثبت على ندمائه. و سئار مفضل فى القدح سؤرا، و قد رويها جميعا.

فأمر له الواثق بالله بعشره آلاف درهم(٢).

و دخل ابن الاعرابى يوما على الواثق بالله و هو فى أحد مجالسه الأدبيه، و كان الحسين بن الضحاك الشاعر موجودا. فقرأ الفتح بن خاقان شعرا لطرفه، فقال:

أشجاك الربع أم قدمه أم رماد دارس حممه

كسطور الرق رقصه بالضحى مرقش يشمه

١- نفس المصدر ٢ / ٣٨٥ - ٣٨٦.

٢- نفس المصدر ٧ / ٧.

تذكرون اذ نقاتلكم اذ لا يضر معدما عدمه

فقال ابن الاعرابي: زد الفاء في أول البيت و اجعله أتذكرون.

فقال له الحسين بن الضحاك: قد خزم مره بقوله: اذ لا- يضر معدما، فهل يخزم بالت أخرى في أوله؟ أجاب ابن الاعرابي: ان العرب تخزم أول الشعر اذا احتاجت ان تصله بما قبله، تخزمه بالحرف أو الحرفين، و قد خزمه طرفه في اذ أواسطه و في الألف الاولى، و انشد قول امرىء القيس:

فلعمر ك ما سعد بخله آثم و لا تأتأ يوم الحفاظ و لا حصر

فخزم بالفاء، و انشد قول قد بن مالك الوالبي:

تعالوا نجمع الأموال حتى نجحدل من قبيلتنا المئينا

و الا فتعالوا نجتلد بمهندات نشق بها الحواجب و الشؤونا

فخزم بقوله و الا، و لم يقل تعالوا نجتلد، و خزم بالفاء في تعالوا، فخزم مرتين، فاعجب الواثق بالله بذلك. و شهد الحاضرون ان ابن الاعرابي أعلم الجميع. فأمر له الخليفة بعشره آلاف درهم(١).

و يقال ان الواثق بالله رأى في منامه كأنه يسأل الله الجنه، و ان قائلا يقول له: لا يهلك على الله الا من قلبه مرت. فسأل في اليوم الثاني جلساءه عن المرت، فلم يعرفوا معناه. فوجه الى أبي محلم فحضر و سأله عن الرؤيا و المرت. فقال أبو محلم: المرت القفر الذى لا ينبت شيئاً، و المعنى على هذا لا يهلك على الله الا من قلبه

خاليا من الايمان خلو المرت من النبات. فطالبه الواثق بالله بشاهد من الشعر، فبادر أحد الحاضرين فانشد:

مرت مرتاوه يحار بها القطاو يصبح ذو علم بها و هو جاهل

فقال أبو محلم: و الله لا ابرح حتى انشده مائه قافيه معروفه لمائه شاعر معروف في كل بيت ذكر المرت. فأمر له الواثق بالله بمائه ألف دينار(١). و يلاحظ ان الخبر ممعن في المبالغه من قدره أبي محلم على انشاد مائه بيت لمائه شاعر و في كل منها ذكر المرت، و في المبلغ الذى منحه الواثق اياه، و يرجح انه بالدرهم لا بالدنانير اذا سلمنا بصحه مقداره.

و تلا-حى الحسين بن الضحاك الشاعر و مخارق المغنى في مجلس الواثق بالله في أبي نواس و أبي العتاهيه، ايهما أشعر من الاخر.

فقال الواثق بالله: اجعلا بينكما خطرا يكون للغالب منكما، فجعلوا بينهما مائتى دينار. فسأل الواثق بالله من هاهنا من العلماء.

فقيل أبو ملح، فاحضروه فسل عن ذلك. فقال: أبو نواس اشعر و اذهب في فنون العرب، و اكثر افتنانا من افانين الشعر.

فأمر الواثق بالله بدفع الخطر الى الحسين بن الضحاك(٢).

٣- عناية الواثق بالله باخبار الأولين:

أصحاب الرقيم (أصحاب الكهف):

كان الواثق بالله كثير العناية بتتبع اخبار الأولين، و من ذلك ما يرويه ابن خردادبه من ان الواثق بالله وجه محمد بن موسى المنجم الى بلاد الروم ليتحرى عن أصحاب الرقيم الذين يقال انهم يرقدون

١- تاريخ الخلفاء / ٣٤٣.

٢- الاغانى ١٧ / ١٧٦.

فى أحد الكهوف هناك. و كتب الى ملك الروم ميخائيل الثالث ليساعده فى مهمته. و يقول ابن خرداذبه ان ابن المنجم حدثه بان عظيم الروم وجه معه من صار به الى الموضوع الذى فيه أصحاب الرقيم، و هو يقع بين عموريه و نيقية(١). و يقول ياقوت الحموى ان بين الموضوع و بين طرسوس عشره أيام أو أحد عشر يوماً(٢).

و يلاحظ ان المسافه بين عموريه و نيقية القريه من القسطنطينيه بعيده، و كذلك هى بين نيقية و طرسوس الواقعه جنوبى شرقى آسيا الصغرى. و المعروف ان الكهف المذكور يقع فى مدينه افسوس على بحر ايجه جنوبى مدينه ازمير. و يغلب على الظن ان ابن خرداذبه و الحموى اتخذا المدين المذكوره دليلا على موقع الكهف لشهرتها و معرفتهما بها، أو لأن الطريق بين هذه المدين هى التى كانت مألوفه للسير حينذاك.

يصف محمد بن موسى الطريق التى سلكوها حينما و صلوا الى جبل صغير فصعدوا الى ذروته، ثم نزلوا الى سرب ينفذ الى الموضوع الذى يرقد فيه اصحاب الرقيم. فمشوا مقدار ثلاثمائه خطوه فصاروا الى موضع فيه رواق على اساطين منقوره، و فيه غرفه مرتفعه عليها باب حجري يرقد فيها الموتى، و على الغرفه رجل مكلف بحفظهم. و يقول ابن المنجم: ان الرجل كان يحيد عن ان نراهم أو نفتشهم، و يزعم انه لا يأمن أن يصيبنا من ذلك آفه، يريد التمويه ليدوم كسبه بهم. ثم يذكر كيف انه غامر بالصعود الى الغرفه و ما قاساه من تعب و مشقه حتى وصلها، فرأى الموتى فى مسوح باليه تفرك باليد، و ان اجسادهم مطليه بالصبر و المرد و الكافور لحفظها، و جلودهم لا صقه بعظامهم. و لما لمس صدر أحدهم وجد خشونه فى

١- المسالك و الممالك / ١٠٦-١٠٧.

٢- معجم البلدان ٣ / ٦١، و الاثار الباقية / ٢٩٠، و فيه ان اصحاب الكهف فى مدينه افسيس و ان المعتصم بالله وجه موسى بن شاکر الى ملك الروم، و ان على بن المنجم زار الكهف فى أحد غزواته.

شعره. و قدم الموكل بحفظ الموتى الى محمد بن موسى و غلامه طعاما انكرا طعمه. و يقول ابن موسى انما أراد أن يقتلنا أو يعضنا، فيصح ما يدعيه عند ملك الروم من انهم اصحاب الرقيم. فقلنا له:

انما ظننا انك ترينا موتى يشبهون الأحياء و ليس هؤلاء كذلك(١).

من الواضح مما بينه ابن المنجم، ان هؤلاء الموتى ليسو هم الفتيه الذين آووا الى الكهف، و انما هم أموات آخرون جاء بهم الموكل المدعى ليوهم من يراهم، و يتكسب بذلك.

على ان ابن خردادبه يشير فى مكان اخر من كتابه الى ما يعرف بهوته الرقيم(٢). و هى أشبه ما تكون بكهف أصحاب الرقيم.

فيقول: «و بعد لؤلؤه تسلك الى قلعه ثم تأتى هوته الرقيم، و هى خسف فى الارض بطول مائتى ذراع و عرض مائه ذراع، فى وسطها بحيره حولها أشجار، و حول الاشجار فى أصل الجبل بيوت و مساكن .. و لها باب فى الجبل تحت الارض يخرجك الى الوادى .. و قال الساكنون هناك: نحن ضعفى الروم لا نقاتل، انما نخدم هؤلاء القوم الذين جعلهم الله هاهنا، و هم فى مغاره يصعد اليها من أرض الهوته بسلم لعله أن يكون ثمانيه أذرع أو نحو ذلك. فاذا هم ثلاثه عشر رجلا و فيهم غلام امرد، عليهم جياب صوف و اكسيه صوف، و عليهم خفاف و نعال، و قد تناولت شعرات فى جبهه أحدهم فمددتها فما تبغنى منها شىء»(٣).

و يذكر المقدسى ان فى مدينه طرسوس تلالا عليه مسجد يقال انه مقام على الكهف، ثم يذكر الهويه - الهوته - و يقول «هى جوف جبل، فذكر لنا ان بها أمواتا لا يدرى ما هم، و عليهم حراس ..

فانطلق بنا الى كهف مما يلى الجنوب من الهوته طوله نحو عشرين

١- المسالك و الممالك / ١٠٧.

٢- الهونه: الارض المنخفضه أو الطريق المنحدر الى الماء.

٣- المسالك و الممالك / ١١٠ - ١١١.

ذراعا، و اذا فيه ثلاثه عشر رجلا- رقادا على اقفيتهم .. فسألناهم عن أمرهم فزعموا انهم لا علم لهم بشىء من أمرهم .. و يظن انهم أصحاب الكهف»(١).

و يقول القزوينى عند كلامه عن مدينه افسوس «ان مدينه افسوس مشهوره بأرض الروم، و هى مدينه دقيانوس الجبار الذى هرب منه أصحاب الكهف، و بين الكهف و المدينه فرسخان. و الكهف مستقبل بنات نعش لا تدخله الشمس، فيه رجال موتى لم يتغيروا، و عددهم سبعة، سته منهم نيام على ظهورهم، و واحد فى آخر الكهف مضطجع على يمينه و ظهره الى جدار الكهف، و عند ارجلهم كلب لم يسقط من أعضائه شىء .. و على الكهف مسجد يقصده الناس»(٢).

لقد وردت قصه اصحاب الكهف فى القرآن الكريم فى الآيات (٨-٢٦) من سوره الكهف. و قد ذهب المفسرون الى ان المدينه التى كان الكهف قريبا منها هى طرسوس، و قد لخص الزمخشري قصتهم فى تفسيره(٣). و جاء فى التفسير المذكور ان معاويه بن أبى سفيان غزا الروم فمر بالكهف، فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم.

فقال له ابن عباس: ليس لك ذلك، فقد منع الله تعالى من هو خير منك، فقال «لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا»(٤). فقال معاويه: لا- انتهى حتى أعلم علمهم، فبعث اناسا و قال لهم: اذهبوا فانظروا. ففعلوا، فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فاحرقتهم(٥).

١- أحسن التقاسيم / ١٥٣-١٥٤.

٢- اثار البلاد / ٤٩٨.

٣- تفسير الكشاف ٧١١ / ٢ - ٧١٢.

٤- سوره الكهف، الآية: ١٨.

٥- تفسير الكشاف ٧٠٩ / ٢.

سد ياجوج و ماجوج و رحله سلام الترجمان:

يذكر ابن خردادبه عند اشارته الى ردم ياجوج و ماجوج و صنع السد الذى بناه ذو القرنين، ان الخليفه الواثق بالله رأى فى منامه كأن السد قد انفتح، فطلب رجلا يخرج الى موضع السد ليكشف خبره. فاشار عليه كبير قواده اشناس بان يبعث لهذا الغرض سلام الترجمان لأنه يتكلم عدده لغات. فألف الخليفه بعثه تضم خمسين من أشداء الرجال يرأسهم سلام، و قال له: أريد أن تخرج الى السد فتعاينه و تجيئنى بخبره. و جهزت البعثة بلوازم سفرها من اللبايد و الفرو و بمائتى بغل لحمل الزاد و الماء.

و اعطى ابن سلام عشره آلاف درهم، كما اعطى أفراد البعثة ألف درهم و رزق سنه لكل منهم. و زودهم الخليفه بكتاب توصيه الى اسحاق بن اسماعيل صاحب ارمينيه و هو بتفليس يوصيه فى انفاذهم الى ما بعثوا من أجله فكتب لهم اسحاق كتاب توصيه الى صاحب بلاد السرير.

و هكذا اخذ صاحب كل ولايه يمرون به يزدهم بكتاب توصيه الى صاحب البلد الذى يليه لانقاذهم و تزويدهم بما يحتاجون اليه من زاد و غيره. حتى وصلت البعثة الى بلاد الخزر، فاستقبلهم ملكها و وجه معهم خمسة أدلاء، فساروا بهم سته و عشرين يوما فدخلوا أرضا نتته الرائحه. و كانوا قد تزودوا بخل يشمون له للتخلص من تلك الرائحه الكريهه. و ساروا فى تلك الأرض عشره أيام فوصلوا أرضا خربه ساروا فيها عشرين يوما. و هى الأرض التى كان ياجوج و ماجوج خربوها. فوصلوا الى الحصون القريبه من الجبل الذى فيه السد.

و يقول سلام انهم وجدوا فى تلك الحصون أقواما يتكلمون العربيه و هم مسلمون، و فيها مساجد. و لما علموا انهم جاءوا من سر من رأى موقدين من أمير المؤمنين الخليفه الواثق بالله، تعجبوا

وقالوا انهم لم يسمعوا بذلك. و كانت المسافه بين كل حصن و آخر فرسخا الى فرسخين. ثم وصلوا مدينه ايكه و هى مسوره و لها أبواب حديديه و فيها مزارع و ارحاء. و هى المدينه التى نزلها ذو القرنين بعسكره، و بينها و بين السد مسيره ثلاثه أيام. و فى الطريق حصون و قرى عديده.

و موضع السد كما وصفه سلام جبل مستدير ذكروا ان ياجوج و ماجوج فيه و هما صنفان و ان ياجوج أطول قامه من ماجوج، و طول أحدهم ما بين ذراع الى ذراع و نصف. و السد الذى بناه ذو القرنين هو فج بين جبلين عرضه مائتا ذراع. و هو الطريق الذى يخرجون منه فيتفرقون فى الارض. فحفر ذو القرنين هناك أساسا بعمق ثلاثين ذراعا و بناه بالحديد و النحاس حتى بلغ وجه الارض.

و يسهب سلام فى وصف تفصيلات السد و ضخامه بابه. و وصف الحصنين اللذين عند الباب. و يقول انه رأى فى أحدهما الآلات التى استخدمت فى بناء السد من القدور و المغارف الحديديه الضخمه و بقايا اللبن الحديد قد التصقت ببعضها بفعل الصدأ. و يقوم على الحصنين رئيس يتولى عمله بالوراثه، و وظيفته أن يتفقد فى كل يوم اثنين و خميس باب السد و يتأكد من أن ياجوج و ماجوج لم يحدثوا فيه حدثا، ثم يقرع الباب عدده مرات لسمع من وراءه من ياجوج و ماجوج و يعلموا ان عليه حفظه.

و يقول سلام انه تحرى عما اذا قد حصل بالباب شق أو غيره، فلم يجد سوى شق دقيق كالخيط لا تأثير له بالنسبه لسمك الباب، و انه حك موضع الشق فجمع مقدار نصف درهم و شده فى منديل ليريه الخليفه. كما يقول انه سأل من هناك ما اذا كانوا قد رأوا من ياجوج و ماجوج أحدا، فذكروا له انهم رأوا مره عددا منهم فوق الجبل فهبت ريح القتهم الى جانبهم، و كان طول الواحد منهم شبرا و نصف الشبر فى رأى العين.

و بعد ان اتمت البعثه تحريها عادت راجعه الى عاصمه الخلافه.

و قد اتبع الادلاء فى العوده بهم طريق خراسان. فوصلوا الى نيسابور حيث استقبلهم أمير خراسان عبد الله بن طاهر و أكرمهم.

و قد مات أكثر أفراد البعثه و لم يبق منهم سوى أربعة عشر رجلا و ثلاثه و عشرين بغلا. فلما وصلت البعثه الى سر من رأى قدم سلام الترجمان تقريراً مفصلاً الى الخليفه الواثق بالله، فسر و حمد الله، و أمر بصدقه، و منح رجال البعثه ألف دينار لكل رجل.

و يقول ابن خرداذبه، حدثنى سلام الترجمان بجمله هذا الخبر، ثم أملاه على من كتاب كان كتبه للواثق بالله(١).

لقد استغرقت البعثه فى ذهابها ستة عشر شهر او فى اياها اثنى عشر شهرا و بضعه أيام. الا ان القزوينى و ياقوت الحموى يقولان ان الرحله استغرقت ثمانية عشر شهرا(٢). و يلاحظ ان الطريق الذى سلكته البعثه فى ذهابها الى موقع السد بدأ من تفليس قاعده ارمينيه، و منها الى بلاد السريز، ثم بلاد اللان، فبلاد الخزر التى بعث ملكها معهم ادلاء اجتازوا بهم أرضاً منتنه حتى وصلوا الى مدينه ايكه و يرجح انها باكه التى تدعى اليوم باكو. و هى منطقه نفطيه و ان الروائح الكريهه كانت رائحه الغاز المنبعث من تلك الارض.

و يلاحظ كذلك ان وصف طريق العوده بمرور البعثه بخراسان فيه شىء من الاضطراب فى ذكر المدن التى مرت بها، حيث يقول سلام انهم وردوا سمرقند ثم ساروا الى اسبيشاب (اسبيجاب) و منها عبروا نهر بلخ (جيحون) فصاروا الى اشروسنه و منها الى بخارى و ترمذ ثم نيسابور فالرى و منها الى سامرا. فمن المستغرب ان تصل البعثه من اقليم اذربيجان و هو غربى بحر الخزر الى سمرقند و هى من مدن ماوراء النهر، ثم تعود البعثه شمالاً الى مدينه اسبيجاب التى

١- المسالك و الممالك / ١٧٠، و كامل الروايه فى الصفحات ١٦٢ - ١٧٠. و تجد خلاصه و افيه لها فى معجم البلدان ٣ / ١٩٩ - ٢٠٠.

٢- اثار البلاد / ٥٩٦ - ٥٩٧، و معجم البلدان ٣ / ٢٠٠.

تقع على أعالي نهر سيحون و تنحدر ثانيه جنوبا الى اشروسنه بعد ان تعبر نهر بلخ. بينما تقع كل من اسبشباب و اشروسنه غربى نهر سيحون و هما بعيدتان عن نهر بلخ. كذلك من المستغرب ان يستغرق طريق العوده كما ذكر سلام مده أقصر من المده التى استغرقتها رحله الذهاب. لان طريق خراسان المشار اليه أطول كثيرا. و يظهر ان سلاما لم يحالفه الحظ فى وصف طريق العوده، و انه خلط كثيرا فى المدن التى قال ان البعته مرت بها، و انه لم يسجل مشاهداته فى حينها، و انما اعتمد على ذاكرته التى تشوشت فيها صور الرحله الطويله المتعبه و احداثها، فكان هذا الاضطراب الذى ذكرناه.

على ان هذا الاضطراب قد شكك فى صحه روايه ابن سلام عن رحله بعثته. فقد شك بصحتها أبو الريحان البيرونى اذ يقول ما خلاصته: ان الكتب المشتمله على ذكر البلاد و المدن، و كتب المسالك و الممالك تبين ان ياجوج و ماجوج هم صنف من الاتراك يسكنون فى مبادىء الاقليمين الخامس و السادس، و ان فى القصه ما يزيل الثقه بها من صفه أهل تلك البلاد من التدين بالاسلام و التكلم بالعربيه مع انقطاعهم عن العمران و انهم لم يكونوا يعرفون الخليفه و لا الخلافه. و هو ينكر وجود أمه مسلمه منقطعه عن بلاد الاسلام، لان البلغار الذين هم بالقرب من منقطع العمران و نهايه الاقليم السابع لا يجهلون الخلافه، و انهم لا يعرفون من أمر هذا السد شيئا، حتى يقول: و اذا كانت شواهد هذا الخبر على هذه الهيئه لم يطمع منها فى تعرف الحقيقه(١).

و كذلك طعن ابن رسته فى صحه روايه سلام اذ يقول: و كتبناه نحن لنقف على ما فيه من التخليط و الترييد، لان مثل هذا لا تقبل صحته(٢).

١- الاثار الباقية / ٤٢.

٢- الاعلاق النفيسه / ١٤٩.

أما المقدسى البشارى فانه ينقل ما جاء فى كتاب ابن خرداذبه عن قصه سد ياجوج و ماجوج دون ان يعلق عليها سوى انه يتخذ منها دليلا على رد من زعم ان السد فى بلاد الاندلس(١).

كما شك بها ياقوت الحموى الذى لخص فى معجمه رحله سلام الترجمان، و قال فى آخرها: قد كتبت من خبر السد ما وجدته فى الكتب، و لست أقطع بصحه ما اورده لاختلاف الروايات فيه، و الله اعلم بصحته(٢).

لا يستطيع القارىء ان يقرر ما اذا كان الارتباك فى روايه سلام الترجمان يعود الى عدم دقته فى تقريره الذى رفعه الى الخليفه و قد تشوشت فى ذهنه أحداث الرحله، أم أن ابن خرداذبه لم يكن دقيقا أمينا فى نقل الروايه. فقد قال أبو الفرج الاصبهاني فيه: و هو ممن لا يحصل قوله و لا يعتمد عليه(٣).

لقد ورد فى آخر سوره الكهف من القرآن الكريم، فى الايات (٨٤-٩٩) خبر ذى القرنين و بنائه السد، دون ان يذكر اسم ذى القرنين و المكان الذى بنى فيه السد. و قد بقى ذلك موضع تساؤل المفسرين و المؤرخين المسلمين و ذهابهم الى ان ذا القرنين هو الاسكندر المكدونى، باعتبار انه كان صالحا و قد ملك قرنى الدنيا، أى جانبيها شرقا و غربا. و قد فسرت تسميته بذى القرنين بعده تفسيرات ذكرها الزمخشري فى تفسيره(٤). و لخص قدامه بن جعفر رأى قدامى المؤرخين المسلمين فى ذى القرنين و السد الذى بناه.

و ذلك ان الاسكندر وصل فى فتوحاته الى الصين فهادته ملكها. ثم سار لاختضاع القبائل التركيه، فبلغه عن قوم كثيرى العدد من

١- أحسن التقاسيم / ٣٦٥.

٢- معجم البلدان ٣ / ٢٠٠.

٣- الاغانى ١١ / ٣٣٣.

٤- تفسير الزمخشري ٢ / ٧٤٣.

هؤلاء الاتراك مفسدين فى الارض. فاستشار ملك الصين فى أمرهم، فاخبره انهم رعاه يحيط بارضهم من الشمال البحر الاخضر الذى لا مجاز فيه، و من الغرب و الجنوب جبال شاهقه لا مسلك فيها و لا منفذ لهؤلاء الاتراك الا من درب واحد ضيق، و انهم فى زاويه من الارض، لو سد عليهم هذا المنفذ لبقوا فيه، و كفى الناس شرهم و فسادهم.

فعلم الاسكندر وجه الصواب فيما اشار به ملك الصين. فبنى سدا على ذلك الوادى، و هو السد الذى وصفه القرآن الكريم(١).

و يقول البيرونى ان صاحب اذربيجان أيام فتحها وجه انسانا الى السد من ناحيه الخزر، فشاهده و وصفه بانه بناء باسق سام أسود وراء خندق وثيق منيع(٢).

و جاء فى كتاب مختصر كتاب البلدان انه لما انتهى ذو القرنين الى موضع السد و بينه و بين الخزر شهران، اجتمع اليه خلق كثير و قالوا ان خلف هذا الجبل أمما لا- يحصيهام الا الله عز و جل، و قد اخرجوا علينا بلادنا و زروعنا. و ان ياجوج و ماجوج كانوا يخرجون أيام الربيع الى أراضيهم فلا- يدعون شيئا أخضر الا- أكلوه، و لا شيئا يابس الا حملوه. و ان ذا القرنين طلب اليهم ان يعينوه على أن يجعل لهم دونهم سدا. ثم أمر بالحديد فضرب منه لبنا عظاما، و اذاب النحاس ثم جعل ملاط اللبن النحاس، و بنى به الفج و سواه مع قلتي الجبل. فلما فرغ منه أمر بالنحاس فأذيب و أفرغ عليه من فوقه فصار شبيها بالمصمت(٣).

و من الابحاث الحديثه عن سد ذى القرنين الدراسه التى قام بها العالم الهندى مولانا أبو الكلام آزاد، و خلاصتها ان ذا القرنين هو الملك الفارسى كورش الذى حكم فى منتصف القرن السادس قبل

١- الخراج و صناعه الكتابه / ١٩٩.

٢- الاثار الباقية / ٤١.

٣- مختصر كتاب البلدان / ٢٩٨ - ٢٩٩.

الميلاد، و ليس الاسكندر المكدونى. فقد توسع كورش فى فتوحاته شرقا و غربا. و ان اسارى اليهود الذى جاء بهم الملك العراقى بختنصر الى بابل بعد أن أزال دويلتهم، كانت تراودهم فكره ظهور منقذ يخلصهم من الأسر و يعيدهم الى أورشليم و يساعدهم فى اعاده بناء هيكل سليمان. و قد وصفوه على طريق الرمز بصوره كبش له قرنان، أو عقاب له جناحان، و كلا الوصفين يتضمنان معنى القوه و البأس. و اعتبرت التوراه كورش بانه مسيح الله، و قد اضيفت عليه كثيرا من المدح و الثناء. و مما برهن على ان كورش هو المدعو بذى القرنين العثور على تمثال له بحجم الانسان الطبيعى و على جانبيه جناحان كجناحى العقاب و على رأسه قرنان يحملان التاج.

و هذا التمثال سواء قد تم صنعه فى عهد كورش نفسه أو انه صنع فى عهد خلفائه يدل على ان تصور ذى القرنين الذى أوجده اليهود للملك الذى سينقذهم قد رسخ فى ذهن كورش. و لهذا فقد حقق لهم آمالهم فى اعادتهم الى أورشليم بعد ان استولى على مدينه بابل و ساعدهم على اعاده بناء هيكل سليمان.

أما ياجوج و ماجوج فهم من القبائل المنغوليه الرحاله. و كان موطنها الاصلى سهول منغوليا فى شمالى شرقى قاره آسيا. و قد انتشرت فى خلال القرن السادس قبل الميلاد على سواحل البحر الاسود فى المناطق الممتده بين بحر الخزر و البحر الاسود شمالى سلاسل جبال القوقاز التى تكاد تفصل بين الشمال و الجنوب الا فى ممر ضيق، كانت هذه القبائل تنحدر منه لتغير على المناطق الواقعه جنوبى تلك البلاد. فلما وصل كورش فى فتوحاته شرقى البحر الاسود اشتكى اليه السكان من هجمات قبائل ياجوج و ماجوج عليهم، و توسلوا اليه ان يجعل بينهم و بين تلك القبائل سدا يحول دون انحدارهم اليهم. فاستعان بهم و بنى السد الحديدى الذى

عرف باسمه، في الممر المذكور، و انقذهم من هجمات تلك القبائل البربريه.

أما الاسكندر المكدوني فقد ظهر بعد كورش بمائتي سنه، و كانت فتوحاته قد امتدت شرقا حتى حدود الصين، و شملت جميع ارجاء أمبراطوريه فارس، الا ان جيوشه لم تصل جبال القوقاز(١).

و ثمة دراسه أخرى عن سد ذى القرنين جاءت في «ترجمه معانى القرآن الكريم الى اللغه الانكليزيه» قام بها الاستاذ عبد الله على من العلماء المسلمين فى الهند و عميد الكليه الاسلاميه بمدينة لاهور، و ذلك فى معرض تفسيره سوره الكهف. و هو لا يقر القول بان ذا القرنين هو الملك الفارسى كورش، و ان السد يقع فى جبال القوقاز بين البحر الاسود و بحر الخزر، كما توصل اليه مولانا أبو الكلام آزاد. و يستند عبد الله على فى دحضه هذا الرأى على أن الوصف القرآنى يشير الى ان السد قد اقيم بين جبلين، بينما هو يقع حسب الرأى المذكور بين جبل و بحر. و ان الاسكندر كان تلميذا لارسطو الباحث عن الحقيقه، و انه كان فاضلا ذا اخلاق عاليه مما يضىف عليه صفه الصلاح التى وردت فى الوصف القرآنى عن ذى القرنين.

و يقول ان فى القصص الاثيوبيه التراثيه ما يفيد بان الاسكندر يعتبر من أعظم الانبياء. و على هذا فهو يرى ان السد موضوع البحث يقع فى أواسط آسيا قرب موضع اسمه (در بند) على بعد ١٥٠ ميلا جنوبى شرقى بخارى، حيث يوجد ممر ضيق على الطريق الرئيسى بين تركستان و الهند، على خط العرض ٣٨ شمالا و خط الطول ٦٧ شرقا، و يسمى الآن بالتركيه بيت الماعز. و كان يعرف سابقا بباب الحديد باللغات العربيه و الصينيه و الفارسيه. علما ان البوابه المذكوره لا وجود لها اليوم الا انها كانت موجوده فى القرن السابع للميلاد و قد شاهدها الرحاله الصينى «هيون سيانك» فى طريقه الى الهند، حيث رأى بوابتين مغلفتين بالحديد و عليها أجراس. و كانت بجوارهما بعيره تسمى «اسكندر كول». و ان ما

تعرفه تاريخيا ان الاسكندر بعد ان غزا بلاد فارس و قبل ان يتوجه الى الهند مر ببخارى و سمرقند. و ان البعثه التى أوفدها الواثق بالله من سامرا كانت قد ذهبت الى اواسط آسيا و وجدت هذا المضيق البالغ عرضه ١٥٠ يارده، و عليه ضلفتين مصنوعتين من طابوق من الحديد الملحوم بالرصاص، و انهما مغلقتان دائما، فاطمأنت الى سلامته و عادت لتخبر الخليفه بذلك(١).

و على هذا يرى الاستاذ عبد الله على ان المقصود بذى القرنين هو الاسكندر المكدونى، و ان السد الذى بناه يقع فى تركستان فى اواسط آسيا، و ذلك استنادا الى ان الوصف القرآنى أكثر انطباقا على الاسكندر و على المضيق المذكور. و يلاحظ ان هذا يطابق ما ذهب اليه المفسرون و المؤرخون المسلمون مما اشرنا اليه آنفا من ان ذا القرنين هو الاسكندر. بل لقد ذهب بعضهم الى القول بان ذا القرنين عربى من اليمن، اذ يقول المقرئى ان اسمه الصعب بن ذى مرثد و انه من ملوك حمير، و قد غلط من ظن ان الاسكندر بن فليس هو ذو القرنين الذى بنى السد، فان لفظه «ذو» عربيه، و ذو القرنين من القاب العرب ملوك اليمن(٢).

ان الذى يستنتج من رحله سلام الترجمان، مع ما اكتنفها من الخلط و الاشتباه و ما اعتورها من الشك، و مهما تضمنت من مبالغه فى وصف السد و بنائه و آثاره، ان البعثه كانت قد وصلت الى المنطقه التى يقع فيها السد، سواء كانت نفس المنطقه التى توصل اليها أبو الكلام آزاد فى تحقيقه أو التى توصل اليها بحث عبد الله على. و هذا ما يوضح ان مكان السد كان معروفا فى أيام الواثق بالله. و يلاحظ التشابه فى وصف المنطقه فى تحقيق أبى الكلام آزاد و بحث عبد الله على و فى تقرير بعثه سلام، حيث يؤكد التقرير على وجود الفجوه أو الممر فى الجبل الذى شيد فيه السد، و هى الممر

١- ترجمه معانى القرآن الكريم الى اللغة الانكليزيه / ٧٥٣-٧٥٧.

٢- الخطط المقرئيه ١ / ١٥٣.

الذى كان يهبط منه المغيرون من الشمال الى الجنوب. و فى هذا المكان بنى ذو القرنين سده بحجاره الحديد، و بارتفاع و سمك يعجز المغيرون عن اجتيازه أو اجتياحه، و بذلك أمن أهل الجنوب من غارات القبائل الشماليه عليهم.

٤- الواثق بالله و الشعر و الشعراء:

الواثق بالله و الشعر:

كان الواثق بالله أديبا فصيحاً و سمى المأمون الأصغر لسعه علمه و غزاره أدبه. كما كان شاعرا و يروى الشعر و الاخبار بحيث لم يكن فى خلفاء بنى العباس أكثر روايه للشعر منه، و له شعر جيد.

و مما نسب اليه قوله(١):

تنح عن القبيح و لا ترده و من اوليته حسنا فزده

ستلقى من عدوك كل كيداذا كاد العدو و لم تكده

و قوله(٢):

دع المقادير تجرى فى أعتتها و اصبر فليس لها صبر على حال

تريك يوما و ضيع القدر مرتفعالى السماء و يوما تخفض العالى

و هى أبيات عاديه فى لغتها و بسيطه فى معانيها المألوفه. الا انه له أشعارا أخرى تمتاز بعذوبه ألفاظها ورقه معانيها، تلك التى

١- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٤.

٢- نفس المصدر.

قالها فى التغزل بالخدم و الجوارى لمن كان يتعشقهم. فقد قال يصف أحد الخدم و قد ناوله وردا و نرجسا(١):

حياك بالنرجس و الورد معتدل القامه و القد

فألهبت عيناه نار الهوى و زاد فى اللوعه و الوجد

أملت بالملك له قربه فصار ملكى سبب البعد

و رنحته سكرات الهوى فمال بالوصل الى الصد

ان سئل البذل ثنى عطفه و اسبل الدمع على الخد

غر بما تجنيه الحاظه لا يعرف الانجاز للوعد

مولى تشكى الظلم من عبده فانصفوا المولى من العبد

و قد اجمعوا ان ليس لأحد من الخلفاء مثل هذه الايات.

و قال فى خادم كان يهواه(٢):

سأمنع قلبى من موده غادرتعبدنى خيئا بمكر مكاشر

خطبت اليه الوصل خطبه راغب فلا حظنى زهوا بطرف مهاجر

١- تاريخ الخلفاء / ٣٤٥.

٢- الاغانى / ٩ / ٢٩٨.

و روى انه كان يحب جاريه حملت اليه من مصر هديه، فغضبت يوما فجلست مع صاحبات لها و قالت لهن: لقد هجرته، و منذ أمس و هو يروم ان أكلمه فلم أفعل، فخرج الواثق بالله على غفله فسمع قولها فأنشأ يقول(١):

يا ذا الذى بعدابى ظل مفتخراما انت الا مليكك جار اذ قدرا

لولا الهوى لتجارينا على قدرو ان أفق منه يوما فسوف ترى

و للواثق بالله أبيات من الشعر قالها و صنع فيها الحانا غنائيه.

و قد اورد أبو الفرج فى كتابه بعضا منها. فقد قال(٢):

ألا أيها النفس التى كادها الهوى أفانت ان رمت السلو غريمى

أفيقى فقد أفنيت صبرى أو اصبرى لما قد لقيته على و دومى

و من ذلك قوله(٣):

أيا عبره العينين قد ظمى ء الحدفما لكما من ان تلما به بد

و يا مقله قد صار يبغضها الكرى كأن لم يكن من قبل بينهما ود

لئن كان طول العهد أحدث سلوهفمعد بين العين و العبره الوجد

١- شذرات الذهب ٧٧ / ٢، و تاريخ الخلفاء / ٣٤٢ و فيه انه قال هذا الشعر فى خادم له اهدى اليه من مصر، و ليست جاريه.

٢- الاغانى ٢٩٣ / ٩.

٣- نفس المصدر ٢٩٦ / ٩.

و ما أنا الا كالذين تخرموا على ان قلبى من قلوبهم فرد

و كان الواثق بالله الى جانب روايته الشعر يضرب الأمثال بما يحفظه منه، فى بعض المناسبات، و يحسن اختياره ليطابق المناسبه.

قال ابن حمدون: كان بين الواثق بالله و بعض جواريه شر فخرج كسلان، فلم ازل انا و الفتاح بن خاقان نحتال لنشاطه. فرآنى أضاحك الفتاح، فقال: قاتل الله ابن الاحنف حيث يقول(١):

عدل من الله ابكاني و اضحكها فالحمد لله عدل كل ما صنعا

اليوم أبكى على قلبى و أندبه قلب الح عليه الحب فانصدعا

فقال الفتاح: انت و الله يا أمير المؤمنين فى وضع التمثل موضعه أشعر منه و أعلم و أظرف.

و قالت جاريه للواثق بالله، و كان يهواها، و قد جرى بينهما عتاب: ان كنت تستطيل علينا بعز الخلافه، فانا ادل بعز الحب، أتراك لم تسمع بخليفه عشق قبلك قط فاستوفى معشوقه حبه، و لكنى لا أرى لى نظيرا فى طاعتك. فقال الواثق: لله در ابن الأحنف اذ يقول(٢):

أما تحسبى أرى العاشقين بلى، لست أرى لى نظيرا

لعل الذى بيديه الأمور سيجعل فى الكره خيرا كثيرا

١- الاغانى ٨ / ٣٥٧ - ٣٥٨، و تاريخ بغداد ١٤ / ١٨ - ١٩ مع زياده بيت ثالث، و اضحكهم بدلا من اضحكها فى صدر البيت الاول.

٢- الاغانى ٨ / ٣٥٨.

الواثق بالله و الشعر:

أما الشعراء الذين عاصروا الواثق بالله فقد اتصل به أشهرهم.

فقد مدحه أبو تمام الطائي بعدد من القصائد قالها في مناسبات مختلفه. و من أولى قصائده في ذلك هي التي قالها يمدحه و يرثي المعتصم بالله، و منها(١):

ما للدموع تروم كل مرام و الجفن تاكل هجعه و منام

يا حضره المعصوم تربك مودع ماء الحياه و قاتل الاعدام

ان الصفائح منك قد نضرت على ملقى عظام لو علمت عظام

فتق المدامع ان لحدك حلهسكن الزمان و ممسك الأيام

الى ان يقول في مدح الواثق بالله:

مادام هارون الخليفه فالهدى في غبطه موصوله بدوام

انا رحلنا واثقين بوائق بالله شمس ضحى و بدر تمام

لله أى حياه انبعثت لنايوم الخميس و بعد أى حمام

أودى بخير أمام اضطربت له شعب الرجال و قام خير امام

و لما استخلف الواثق بالله صارت علاقته اسحاق الموصلى به مثل علاقته بأبيه. فقد اتخذته الواثق بالله نديما و مجالسا و مغنيا.
و كان يقدر فيه علمه بالشعر و اللغه و الفقه و الموسيقى. و لم يكن مجلسه يخلو منه. قال اسحاق: قدمت على الواثق بالله فى
بعض قدماتي، فقال لى: أما اشتقت الى؟ فقلت: بلى و الله يا امير المؤمنين، و انشدته(١):

أشكو الى الله بعدى عن خليفته و ما أعالج من سقم و من كبر

لا أستطيع رحىلا اذ هممت به يوما و لا أقوى على السفر

أنوى الرحيل اليه ثم يمننى ما أحدث الدهر و الايام فى بصرى

ثم استأذنته فى انشاد قصيده مدحته بها، فاذن لى، فانشدته(٢):

ضفت سعاد غداه الين بالزاد و اخلفتك فما توفى بميعاد

ما أنس لا انس منها اذ تودعناو الحزن منها و ان لم تبده باد

لما أمرت باشخاصى اليك هفاقلى حينا الى أهلى و اولادى

ثم اعترمت و لم احفل بينهم و طابت النفس عن فضل و حماد

١- الاغانى ٥ / ٣٧١ - ٣٧٢.

٢- نفس المصدر ٥ / ٣٧٢، و كررها فى ٩ / ٢٨٤ مع تغيير طفيف ببعض الكلمات.

كم نعمه لأبيك الخير افردني بها و عم باخرى بعد افراد

فلو شكرت أياديكم و أنعمكم لما احاط بها وصفى و تعدادى

لأشكرنك ما ناح الحمام و ما حدا على الصبح فى اثر الدجى حادى

و حظى الشاعر الحسين بن الضحاک عند الخليفه الواثق بالله، اذ اتخذه نديما لا يكاد يفارقه، و اول قصيده للحسين فى الواثق بالله قالها يهتوه بالخلافه و يرثى المعتصم بالله، منها قوله(١):

ألم يرع الاسلام موت نصيره بلى حق أن يرتاع من مات ناصره

سيسلبك عما فات دوله مفضل أوائله محموده و أواخره

ثنى الله عطفيه و ألف شخصه على البر مذ شدت عليه مآزره

يصب ببذل المال حتى كأنما يرى بذله للمال نهيا يبادره

و ما قدم الرحمن الا مقداموارده محموده و مصادره

جرى لك من هارون بالسعد طائره أمام اعتزام لا تخاف بوادره

هو الملك المجبول نفسا على التقى مسلمه من كل سوء عساكره

لتعمد سيوف الحرب فالله وحده ولى أمير المؤمنين و ناصره

فقال الواثق بالله: ان الحسين لينطق عن حسن طويته، و يمدح بخلوص نيه، ثم أمر بأن يعطى لكل بيت قاله من هذه القصيده ألف درهم.

و ممن مدح الواثق بالله من الشعراء على بن الجهم، فقد دخل اليه بعد أن بويع بالخلافه، و انشده(١):

قد فاز ذو الدنيا و ذو الدين بدوله الواثق هارون

أفاض من عدل و من نائل ما أحسن الدنيا مع الدين

قد عم بالاحسان من فعله فالناس فى خفض و فى لين

ما أكثر الداعى له بالبقا و أكثر التالى بآمين

٥- الواثق بالله و الغناء و الموسيقى:

ولع الواثق بالله بالغناء:

كان الخليفه الواثق بالله حاذقا بالغناء و الموسيقى و الضرب على العود، الى جانب اطلاعه الواسع و أدبه الوافر و روايته الشعر.

و عند ما يبحث أبو الفرج الاصبهاني فى غناء الخلفاء و أولادهم فى كتابه، يفرد فصلا طويلا لغناء الواثق بالله(٢). يشير فيه الى أهم

١- ديوان على بن الجهم / ١٨٨.

٢- الاغانى ٩ / ٢٧٦ / ٣٠٠.

الالحان التي صنعها من اشعاره التي نظمها و لحنها بنفسه، و عددها خمسة عشر صوتا. و يقول انه كان أعلم الخلفاء بالغناء، و بلغت صنعته مائه صوت، كما كان أحذق من غنى بضرب العود(١).

و كانت عريب أشهر و احذق مغنيات عصرها تكايدته في ألحانه، و مع ذلك قالت: صنع الواثق بالله مائه صوت ما فيها صوت ساقط(٢).

و قد اعتاد الواثق بالله ان يستطلع رأى نديمه اسحاق الموصلى في الالحان التي يصنعها، بعد ان ينسبها الى غيره، و ذلك قبل ان يظهرها. و كان اسحاق يأخذ نفسه في ذلك بقول الحق أشد أخذ(٣).

فاذا رأى اللحن جيدا امتدحه و اوصى باظهاره، و ان كان فاسدا أو متوسطا ذكر ما فيه من مآخذ. فاذا كان للواثق بالله رغبة بذلك اللحن عمل على تقويمه و اصلاح فساده، و الا تركه حسبما يوصى اسحاق بشأنه. كما اعتاد الواثق بالله ان يقلد بعض أصوات اسحاق. و قد سئل اسحاق أى اللحنين أجود في «خلى عوجا» لحنه أم لحن الواثق بالله، فقال: لحنى أجود قسمه و أكثر عملا، و لحن الواثق بالله أطرب لانه جعل رده من نفس قسمته و ليس يقدر على أدائه الا متمكن من نفسه(٤).

و كثيرا ما كان الواثق بالله يجمع بعض غلمانته ممن يتوسم فيهم جمال الصوت و حسن الاداء، و يدر بهم على انشاد الاصوات التي يصنعها. قال احد غلمانته: دعا بنا الواثق بالله مع صلاه الغداه فقال: هذا صوت خذوه، و نحن عشرون غلاما كلنا يغنى و يضرب، ثم ألقى علينا:

١- نفس المصدر ٩/ ٢٩٣.

٢- نفس المصدر ٩/ ٢٧٧.

٣- نفس المصدر ٩/ ٢٨٧.

٤- نفس المصدر ٥/ ٣٦٤.

أشكو الى الله مالقى من الكمدحسبى برى فلا أشكو الى أحد

و ما زال يردده علينا حتى أخذناه(١).

وقال مخارق المغنى: صنع الواثق لحنين، فأمرنى و علويه و عربيا ان نعارض صنعتة فيهما، ففعلنا و اجتهدنا، ثم غنينا، فضحك و اطمأن الى اننا لم نبلغ شأوه فى التلحين(٢).

و روى يزيد المهلبى انه دخل على الواثق بالله يوما و هو خليفه، فرأى صبيه اسمها رباب جالسه فى حجره و هو يلقي عليها قوله:

ضيعت عهد فتى لعهدك حافظنى حفظه عجب و فى تضييعك

و هى تغنيه و يردده عليها، و ما زال يردده حتى حفظته(٣).

و للواثق بالله رأى طريف يرر فيه عدم تحرجه من الغناء و ضرب العود. فهو يرى ان الغناء «انما هو فضله أدب و علم مدحه الاوائل و اشتهاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم و رحمهم و التابعون بعدهم، و كثر فى حرم الله و مهاجر رسوله»(٤). و قد ألف محمد بن عمران بن موسى المرزبانى، و هو الراويه الاخبارى، كتابا عن الواثق بالله فى وصف أحوال الغناء و نعوته و ضروبه و طرقه، و اخبار المغنين و المغنيات الأحرار و الأماء و العبيد(٥).

و من مظاهر اهتمام الواثق بالله بالغناء و الموسيقى انه لما علم بأن جده هارون الرشيد قد أمر ابراهيم الموصلى و اسماعيل بن جامع و فليح بن العوراء، ان يؤلفوا كتابا فى الأغاني و يضمونه

١- نفس المصدر ٩ / ٢٩٩.

٢- الاغانى ٧ / ٢٩٩ - ٣٠٠.

٣- نفس المصدر ٢٠ / ٨٣ - ٨٤.

٤- نفس المصدر ٩ / ٢٧٦.

٥- الفهرست / ١٩٨، و معجم الادباء ٧ / ٥٢.

المائه صوت المختاره، اطلع على هذا الكتاب و امر اسحاق بن ابراهيم الموصلى بتهذيبه و توسيعه(١).

و قد سبق ان اشرنا فى البحث السابق الى بعض الاشعار التى قالها الواثق بالله و صنع فيها الحانا.

مجالسه الغنائيه:

الواثق بالله و المغنون:

و لحب الواثق بالله فن الغناء و الموسيقى فقد كان يكرم اسحاق الموصلى غايه الاكرام، مقدرافيه موهبته فى التلحين و قدرته على الغناء. و كان يميزه على غيره من المغنين و الموسيقيين. و قد قال مره «ما غنائى اسحاق الا ظننت انه قد زيد فى ملكى، و لا سمعته يغنى غناء ابن سريج الا ظننت ان ابن سريج قد نشر، و انه ليحضرنى غيره، اذا لم يكن حاضرا، فيتقدمه عندى و فى نفسى يطيب الصوت، حتى اذا اجتمعا عندى رأيت اسحاق يعلو و رأيت من ظننته يتقدمه ينتقص. و ان اسحاق لنعمه من نعم الملك، لم يحظ أحد بمثلها، و لو ان العمر و الشباب و النشاط مما يشتري لاشريتهن له بشرط ملكى»(٢). اذ كان اسحاق كثير الشكوى من شيخوخته و تقدم عمره.

و كان اسحاق يحضر مجالس الواثق بالله منذ ان كان أميرا فى عهد أبيه المعتصم بالله و لما خرج المعتصم بالله فى حملته على بلاد الروم استخلف ابنه هارون بسر من رأى. فعزم هارون على أن يقضى نهارا كاملا بين المغنين. فوجه الى جلسائه و ندمائه و مغنيه أن يبكروا فى يوم حدده لهم فحضر الجميع. فلم يأخذ مكانه على سريره، بل جلس على الارض. و طلب اليهم ان يجلسوا حلقه

١- التاج / ٢٣.

٢- الاغانى ٥ / ٢٨٥ - ٢٨٦.

حواله، و الى جانب كل واحد منهم مغن، ليكون أكثر اختلاطا بهم.

و بدأ هر نفسه فتناول عودا و غنى فشرّبوا. ثم غنى من بعده حتى وصل الدور الى اسحاق الموصلى فلم يغن. فغنوا دورا اخر و لم يغن اسحاق، و كذلك فعل فى الدور الثالث. فغضب هارون و نهض فجلس على السرير، فقام الجميع وقفا بين يديه. فدعا باسحاق و شتمه، و قال له: أنتزل لك و اغنى و ترتفع عنى، و أمر بضربه ثلاثين مفرعه. و حلف الا يغنى بقيه اليوم غير اسحاق. فاعتذر اسحاق و اعتذر الجلساء، فعاد هارون الى مجلسه بينهم، و أخذ اسحاق العود و ما زال يغنى حتى انقضى ذلك اليوم(١).

كان الواصل بالله يغدق على اسحاق الموصلى الأموال. و قد قال اسحاق: ما وصلنى أحد من الخلفاء بمثل ما وصلنى به الواصل بالله، و ما كان أحد منهم يكرمنى اكرامه(٢). و كان اسحاق يحضر مجالس الخلفاء اذا جلسوا للشرب و اللهو فى جملة المغنين و عوده معه، الى ايام الواصل بالله فانه كان اذا قدم عليه يحضر مع الجلساء بغير عود، و لا يغنى حتى يطلب اليه الواصل بالله. و اذا طلب منه أن يغنى جاؤه بعود فغنى به، و اذا فرغ رفع العود من بين يديه(٣). و ذلك اكراما له و اعلاؤه لشأنه.

و طلب الواصل بالله فى بعض العشايا الا يبرح أحد من المغنين المجلس لانه عزم على الصبوح فى اليوم التالى. فامسك الجميع عن معارضته الا- اسحاق فانه اعتذر عن المبيت، فرجاه الواصل بالله ان يبكر فى الحضور غدا. و عند ما التأم المجلس فى اليوم التالى حضر اسحاق فجلس مع الندماء. و كان اذا امره الواصل ان يغنى خرج عن صفهم قليلا و غنى الصوت الذى يأمره به، فاذا فرغ من القدح

١- نفس المصدر ٢٩٨ / ٩.

٢- نفس المصدر ٢٨٣ / ٩.

٣- نفس المصدر ٢٨٦ / ٩.

قطع الصوت و لم يتمه و رجع الى صف الجلساء(١). و هذا لا شك أيضا من مظاهر تكريم اسحاق و تقدير فنه و عبقريته.

قال اسحاق الموصلى: انشدتني أم محمد الأعرابية لنفسها هذين البيتين و أنا حاج فاستحسنتهما و صنعت فيهما لحنا غنيته الواثق بالله فاستحسنه و استعاده منى حتى تعلمه، و أمر لى بثلاثين ألف درهم، و البيتين هما(٢):

عسى الله باظمياء ان يعكس الهوى فتلقين ما قد كنت منك لقيت

ثراء فتحتاجى الى فتعلمى بأنى به أجزيك حين غنيت

و قال اسحاق: دخلت على الواثق بالله يوما فرأيته خائر النفس كسلان، فاخذت عودا و وقفت بين يديه فغنيته:

من الظباء ظباء همها السخب ترعى القلوب و فى قلبى لها عشب

لا يغتربن و لا يسكن باديهو ليس يعرفن ما حر و ما حلب

يا حسن ما سرقت عيني و ما انتهبت و العين تسرق أحيانا و تنتهب

اذا يد سرقت فالقطع يلزمهاو القطع فى سرق العينين لا يجب

١- الاغانى ٩ / ٢٩٥ - ٢٩٦.

٢- نفس المصدر ٥ / ٣٥٣.

فهش الواثق لى و نشط، و دعا بطعام خفيف فاكلنا، و اصطحب، و أمر لى بمائه ألف درهم (١).

و غنى اسحاق الواثق بالله يوما فى شعر كان قاله و هو عنده بسامرا، و قد طال مقامه و اشتاق الى أهله، و هو:

يا حبذا ريح الجنوب اذا بدت فى الصبح و هى ضعيفه الأنفاس

قد حملت برد الندى و تحملت عبقا من الجثجات و البسباس

فشرب الواثق بالله عليه و استحسنته، و قال له: يا أبا محمد لو قلت مكان «يا حبذا ريح الجنوب» يا حبذا ريح الشمال، ألم يكن أرق و أعذى و أصح للأجساد و أقل و خامه و أطيب للأنفاس؟ قال اسحاق: ما ذهب على ما قاله أمير المؤمنين، و لكن التفسير فيما بعد، فقال: قل، فقلت:

ماذا تهيج من الصبابة و الهوى للصب بعد ذهوله و الياس

فقال الواثق بالله: انما استطبت ما تجىء به الجنوب من نسيم أهل بغداد، لا الجنوب، و اليهم اشتقت لا اليها. فقال: أجل يا أمير المؤمنين. فضحك و قال: قد اذنت لك بعد ثلاثه أيام فامض راشدا، و أمر له بمائه ألف درهم (٢).

١- نفس المصدر ٣٨٩ / ٥ - ٣٩٠. و قد ذكر الخبر نفسه فى ص: ٣٥٥ من الجزء نفسه. و خاثر النفس: ثقلها. و السخب جمع

السخاب و هى القلاده من قرنفل و نحوه، أو القلاده بصوره عامه. و الصر: شد ضرع الناقه لثلا ترضع ولدها.

٢- الاغانى ٤٠٦ / ٥ - ٤٠٧. و الجثجات: شجر اصفر طيب الرائحه، و مثله البسياس.

و اصطحب الواثق بالله فى يوم مطير و معه اسحاق الموصلى و مغنون اخرون. و اتصل شربهم و قد اسرفوا فيه حتى سقطوا صرعى فرقدوا فى أماكنهم. و أمر الخليفة خدمه بأن لا يحركوا أحدا من موضعه. و عند ما افاق أمر بانباهم فقاموا و اصلحوا من شأنهم. فجاء اسحاق الى الواثق بالله و هو جالس و فى يده كأس و هو يروم شربها و الخمار يمنعه، فقال له: يا اسحاق انشدنى فى هذا المعنى شيئا. فانشده اسحاق قول الاشجع السلمى:

و قد طغنت الليل فى اعجازه بالكأس بين غطارف كالأنجم

يتمايلون على النعيم كأنهم قضب من الهندى لم تتلم

و سعى بها الطبى الغرير يزيدها طيبا و يغشمها اذا لم تغشم

و الليل منتقب بفضل ردائه قد كان يحسر عن أغر أرثم

و اذا ادارتها الأكف رأيتها تثنى الفصيح الى لسان الأعجم

فطرب، و قال: أحسن و الله أشجع، و احسنت أنت يا أبا محمد، أعد بحياتى. فاعدتها و شرب كأسه، و أمر لى بألف دينار(١).

و تناظر المغنون يوما فى مجلس الواثق بالله، فذكروا الضراب على العود و خدقهم، و قدم اسحاق زلزلا على ملاحظ الذى كانت له الرياسه على جميعهم. فقال له الواثق بالله: هذا حيف و تعد منك.

١- نفس المصدر ١٨ / ٢٢١ - ٢٢٢. يغشمها: يغتصبها. و الفرس الارثم: الذى فى طرف أنفه بياض.

فقال اسحاق: يا أمير المؤمنين نجمع بينهما و نمتحنهما، و سينكشف الامر، فاحظرا. فاستأذن اسحاق في ان يمتحنهما، فوافق الواصل بالله. فسمى اسحاق ثلاثه أصوات كان أولها:

علق قلبى ظيبه السيب جهلا فقد أغرى بتعديى

فتقدم زلزل و قصر عنه ملاحظ. فعجب الواصل من مهاره اسحاق و سرعته في كشفهما. فطلب ملاحظ ان يضرب اسحاق الصوت ليروا مهارته. فقبل اسحاق التحدى، و طلب الى ملاحظ ان يشوش عوده، ففعل ذلك. و قال اسحاق: ان ملاحظا قد خلط الأوتار تخليط متعنت بحيث افسدها. ثم أخذ العود منه و جسه حتى عرف موقعه، و طلب الى ملاحظ ان يغنى أى صوت يشاء.

فغنى ملاحظ صوتا غريبا، و ضرب عليه اسحاق بذلك العود الفاسد التسويه، و لم يخرج عن لحنه في موضع واحد حتى استوفاه. فقال له الواصل بالله: لا- و الله ما رأيت مثلك و لا- سمعت به، و طلب اليه ان يطرح ذلك على الجوارى. فقال: هيهات يا أمير المؤمنين، ان هذا لا تعرفه الجوارى و لا يصلح لهن. قال له الواصل بالله: صدقت، و لئن مت لتموتن هذه الصناعه معك، و أمر له بثلاثين ألف درهم(١).

و دخل اسحاق مره على الواصل بالله يستأذنه في الانحدار الى بغداد، فوجده مصطبحا فطلب اليه الواصل بالله أن يغنيه:

ألا ان أهل الدار و دعوا الداروا ان كان أهل الدار فى الحى اجوارا

و قد تركوا قلبى حزيننا متيما بذكركم لو يستطيع لقد طارا

فتطير اسحاق من اقتراحه، الا انه غناه اياه، فشرب عليه مرارا، و أمر له بثلاثين ألف درهم، و اذن له بالانصراف، و كان آخر عهده به (١). فقد توفي الواثق بالله بعد ذلك بقليل.

و ذكر أبو الحسن الصابى هذا الخبر على الشكل الآتى: ذكر اسحاق بن ابراهيم الموصلى قال: دخلت يوما على الواثق بالله و هو مصطبج، فقال: غن يا اسحاق صوتا غريبا لم اسمعه منك حتى أكون عليه بقيه يومى مسرورا. فكأن الله انساني الغناء كله الا هذا الصوت:

يا دار ان كان البلى قد محاك فانه يعجبني ان أراك

أبكى الذى قد كان لى تألقايك فأتى الدار من أجل ذاك

قال: فتبني الكراهيه فى وجهه، و ندمت على ما فرط منى، و تجلدت. و شرب رطلا كان فى يده، و عدلت عن الصوت الى غيره. فكان و الله ذلك اليوم آخر جلوسى معه (٢).

و كان الشاعر الحسين بن الضحاك يلازم الواثق بالله فى مجالسه الغنائيه و ينادمه فى شرايه. قال الحسين: شهدت الواثق بالله بعد موت المعتصم بالله بأيام فى أول مجلس يجلسه. فغنته شاريه جاريه ابراهيم بن المهدي:

ما درى الحالون يوم استقلوانعشه للثواء أم للبقاء

فبكى و بكينا معه، حتى شغلنا البكاء عن جميع ما كنا فيه.

ثم تغنى بعض الحاضرين فقال:

١- نفس المصدر ٥ / ٤١٦.

٢- الهفوات النادره / ٣٢.

ودع هريره ان الركب مرتحل و هل تطيق وداعا أيها الرحل

فازداد الواثق بالله بكاء، و قال: ما سمعت كاليوم تعزبه بأب. ثم تفرق المجلس (١).

و حضر الحسين مجلسا للواثق بالله، فشرّبوا الى أن انقضى أكثر الليل. فأمر الواثق بالله جلساءه بأن يبيتوا في مكانهم. فلما أصبح خرج اليهم و هم مقيمون، فقال للحسين: هل و صفت ليلتنا الماضيه و طيبها؟ فقال: لم يمض شىء و أنا أقول الساعه، و فكر قليلا ثم قال:

حثت صبوحي فكااهه اللاهى و طاب يومى بقرب اشباهى

فاستثر اللهو من مكانه من قبل يوم منغص ناهى

بابنه الكرم من كف منتطق مؤزر بالمجون تياه

يسقيك من طرفه و من يده سقى لطيف مجرب داهى

كأسا فكأسا كأن شاربها حيران بين الذكور و الساهى

فأمر الواثق بالله برد المجلس كهيتته، و اصطحب يومه ذاك معهم، و قال: نحقق قولك يا حسين و نقضى لك كل أرب و حاجه (٢).

و حدث الحسين بن الضحاک قال: دخلت ذات يوم على الواثق بالله، و فى السماء لطح غيم. فقال لى: ما الرأى عندك فى هذا

١- الكامل ٧ / ٣١ - ٣٢.

٢- الاغانى ٧ / ١٦٠.

اليوم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين ما حكم به و اشار اليه قبلى أحمد بن يوسف، فانه اشار بصواب لا يرد و جعله فى شعر لا يعارض.
قال:

و ما قال؟ فقلت لقد قال:

أرى غيما تؤلفه جنوب و احسبه سيأتينا بهطل

فعين الرأى ان تدعو برطل فتشربه و تدعو لى برطل

فقال الواصل بالله: أصبتما. و دعا بالطعام و الشراب و المغنين و الجلساء، و اصطبحننا(١).

و طلب الواصل بالله يوما الى الحسين بن الضحاك ان يرتجل أبياتا من الشعر. فسأله فى أى معنى يريد هذه الابيات. فقال:

امدد طرفك و قل فيما شئت مما ترى بين يديك وصفه. و كان حولهما بساط من الخضره محفوف بازهار تفتحت أنوارها.

فارتج على الحسين ساعه، و ضاق ذرعا و خجل من موقفه. فتداركه الواصل بالله قائلا: ويحك مالك، ألت ترى نور الصباح و نور أقاح؟ فكان ذلك مما فتح القول على الحسين فاندفع يقول(٢):

ألت ترى الصبح قد اسفراو مبتكر الغيث قد أمطرا

و اسفرت الأرض عن حلتهضاحك بالأحمر الأصفرا

و وافاك نيسان فى ورده و حثك فى الشراب كى تسكرا

١- نفس المصدر ٧/ ١٥٩ - ١٦٠.

٢- الاغانى ٧/ ١٩٦ - ١٩٧.

و تعمل كأسين فى فتهتطارد بالأصغر الأكبرا

بحث كؤوسهم مخطف تجاذب اردافه المئزرا

فلما تمازج ما شذرت مقاريض أطرافه شذرا

فكل ينافس فى بره ليفعل فى ذاته المنكرا

فضحك الواثق بالله و قال: سنستعمل كل ما قلت يا حسين الا الفسق الذى ذكرته. ثم أمر باحضار الطعام فأكلوا جميعا. ثم قال: قوموا بنا الى حانه الشط، فقاموا اليها. فشرب و طرب، و ما ترك يومئذ أحدا من الجلساء و المغنين و الخدم الا أمر له بصله. قال الحسين: فلما كان الغد غدوت الى الواثق بالله، فطلب الى أن أنشده شيئا ان كنت قلته فى اليوم السابق الذى كان من الأيام المعدودة، فانشدته:

يا حانه الشط قد اكرمت مثوانا عودى بيوم سرور كالذى كانا

لا تفقدينا دعايات الامام و لا طيب البطاله اسرارا و اعلانا

و لا تخالطنا فى غير فاحشها اذا يطربنا الطنبور أحيانا

و هاج زمر زنام بين ذاك لنا سجدا فاهدى لنا روحا و ريحانا

حفت رياضك جنات مجاوره فى كل مخترق نهرا و بستانا

لا زلت آهله الأوطان عامرهابأكرم الناس اعراقا و اغصانا

و كان الواثق بالله يميل الى الفتح بن خاقان و يأنس به. و قد اعتل يوما عله شديده، ثم افاق و تعافى. فقال للحسين: يا حسين اكتب عنى الى الفتح تدعوه الى الصبوح معى، و كان قد عزم على أن يصطحب. فكتب الحسين الى الفتح يقول(١):

لما اصطحبت و عين اللهو ترمقنى قد لاح لى باكرا فى ثوب بذلته

ناديت فتحا و بشرت المدام به لما تخلص من مكروه علتة

ذب الفتى عن حريم الراح مكرمه اذا رآه امرؤ ضدا لنحلته

فاعجل الينا و عجل بالسرور لناو خالس الدهر فى أوقات غفلته

فلما قرأها الفتح بادر الى الحضور، فاصطحب مع الواثق بالله و حاشيته.

الواثق بالله و المغنون الآخرون:

مخارق:

اعجب الخليفة الواثق بالله بغناء مخارق كثيرا. و قال وزيره محمد بن عبد الملك الزيات: ان الواثق بالله قال له: ما غناني مخارق قط الا قدرت انه من قلبى خلق(٢). و يبدو انه كان شديد

١- نفس المصدر ٧ / ٢١٥ - ٢١٦.

٢- الاغانى ١١ / ٣٣٤ و ١٨ / ٣٤٥.

الشغف بغنائه، حتى انه خصص له حجره فى قصره ليكون قريبا منه دائما. و لا يسمح له بالذهاب الى منزله الا يوما واحدا فى الاسبوع.

و كانت جوارى الواثق بالله اذا اختلفن فى لحن ما، أمرهن ان يعرضنه على مخارق ليقرر اللحن الصحيح. و يروى هارون ابن مخارق ان اباه انصرف مره فى نوبته الى منزله فصلى الغداه مع الفجر فى صحن الدار فى يوم صائف. فدخل خدم الواثق بالله، و كان بعث بهم اليه ليصحح لهم صوتا كان قد طرحه عليهم فاختلفوا فى ادائه. فاندفع مخارق يردد الصوت عليهم. و يبدو ان غناءه كان شجيا بحيث تجمع حوله جوارى الدار و غلمانه، كما بكى ابنه من فرط تأثره. فلما قطع مخارق الصوت حين استوفاه انفض الجمع من حوله(١).

و غنى مخارق يوما بحضره الواثق بالله:

حتى اذا الليل خبا ضوءه و غابت الجوزاء و المرزم

خرجت و الوطاء خفى كما ينساب من مكمنه الأرقم

فاستلمح الواثق بالله الشعر و اللحن فصنع على نحوه(٢).

قالت اذا الليل دجا فأتنافجتتها حين دجا الليل

خفى و طء الرجل من حارس و لو درى حل بى الويل

و كان مخارق يلهى بغنائه أحيانا غلمان الخليفة عن اداء واجباتهم. فقد روى ابن حمدون انه كان مع عدد من الندماء

١- نفس المصدر ١٨ / ٣٥٢ - ٣٥٣.

٢- نفس المصدر ٩ / ٢٨٩ - ٢٩٠.

و المغنين فى مجلس الواثق بالله، و كانت أمه عليه، فدخل اليها و امرهم ان لا- يرحوا مجالسهم، فأبطأ عليهم. و كانت الليله مقمره، فاندفع مخارق يغنى. فاجتمع حوله غلمان القصر.

و عند ما خرج الواثق بالله نادى على غلام فلم يجبه أحد، فتوسط الدار و اخذ ينادى الغلمان بصوت عال. فبادر اليه ابن حمدون و اخبره ان مخارقا يغنى و ان الغلمان تجمعوا يستمعون اليه، و ليس فيهم فضل ليسمعوا غير ما يسمعون من الغناء. فقال الواثق بالله: عذر و الله لهم يا ابن حمدون، و أى عذر. ثم شاركهم فى الاستماع الى غناء مخارق(١).

ان تجمع عدد كبير من المغنين و الموسيقيين فى مجالس لهو الواثق بالله كان يثير فى بعض الاحيان شيئاً من التنافس بينهم. و قد يصل الى درجه الحقد يدفع بعضهم الى أن يكيّد لدى الخليفه على البعض الآخر. فقد ذكر ان الواثق بالله كان يستشير اسحاق الموصلى فيما يصنعه من الأصوات. فحاول مخارق ان يكيّد لاسحاق عند الخليفه، فقال له يوماً: ان اسحاق يعرف ان الصوت الذى تعرضه من صنعتك فيقول لك ما يوافق هواك، فاذا خرج عنك قال لنا ضد ذلك. فاراد الواثق بالله أن يتأكد من ذلك. فتبرع مخارق بأن يغنى صوتاً للواثق بالله بحضور اسحاق، و تعمد ان يغير فيه بمواضع تخفى على الواثق بالله. فلما سأل الواثق بالله اسحاق عن رأيه فى الصوت. قال اسحاق انه فاسد غير مرضى. فغضب الخليفه و تحقق له قول مخارق. فأمر فسحب اسحاق من المجلس حتى اخرج منه مطروداً، و أمر بنفيه الى بغداد. ثم جرى ذكره يوماً، فقالت فريده جاريه الواثق بالله: يا أمير المؤمنين ان اسحاق كما تعلم يأخذ نفسه بقول الحق، و ان مخارقاً قد كاده عندك اذ أفسد الصوت من حيث أو همك انه زاد فيه نغماً وجوده، فاحضر اسحاق و اغنيه اياه على صحته و اسمع ما يقول. فأمر الواثق بالله باحضاره الى سامرا

و اظهر الرضا عنه. فغنته فريده الصوت كما صنعه الواثق بالله، فلما سمعه قال: هذا صوت صحيح الصنعه، و لم اسمعه هكذا فى المره الاولى، و ابان المواضع الفاسده، و اخبر بافساد مخارق اياها. فسكن غضب الواثق بالله عنه، و تنكر لمخارق مده لما فعله (١).

علويه:

هو على بن عبد الله بن سيف و اصله من الصغد. كان مغنيا مبدعا، و صانع ألحان متفننا، و ضارب عود متقدما. و قد تخرج على ابراهيم الموصلى المغنى القدير الذى عنى به جيدا فبرع فى صنعه. و غنى للخليفه محمد الأمين و لعدد من الخلفاء بعده، و عاش الى أيام المتوكل على الله.

و كان اسحاق الموصلى يتعصب فى أكثر الأحيان لعلويه على مخارق المغنى، و يقول عنه: ان علويه أعرف بما يخرج من رأسه و اعلم بما يغنيه و يؤديه لأنه محكم الغناء و الصنعه (٢). الا ان ياقوتا الحموى يقول عنه: رغم ان علويه كان واحد الناس فى الغناء روايه و حكايه و درايه و صنعه وجوده ضرب، و حسن خلق، الا انه اذا رأى مخارقا ذاب كما يذوب الرصاص على النار (٣).

غنى علويه يوما بحضره الواثق بالله هذا الصوت (٤):

من صاحب الدهر لم يحمد تصرفه عناد الدهر احلاء و امراء

١- نفس المصدر ٥ / ٣٦٠ - ٣٦١ و ٩ / ٢٨١ - ٢٨٢.

٢- الاغانى ١١ / ٣٣٣.

٣- معجم الادباء ٧ / ٢٦٢، و الاغانى ١٨ / ٣٧.

٤- الاغانى ١١ / ٣٤٥.

فاستحسنه و طرب عليه. فقال علويه: و الله لو شئت لجعلت الغناء فى أيدى الناس أكثر من الجوز، و كان اسحاق الموصلى حاضرا فى المجلس فتضحك، و قال له: يا أبا الحسن اذا تكون قيمته مثل قيمه الجوز، ليتك اذا قلته صنعت شيئا، فكيف اذا كثرته؟ فخرج علويه.

و غنى يوما بين يدي الواثق بالله، و اسحاق الموصلى حاضر:

خليل لى سأهجره لذنب لست اذكره

و لكنى سأرعاه و اكنمه و استره

و اظهر اننى راض و أسكت لا أخبره

لكى لا يعلم الواشى بما عندى فأكسره

فطرب الواثق بالله طربا شديدا و استحسن اللحن و استجاده، و أمر لعلويه بألف دينار. ثم سأله ما اذا كان هذا اللحن له، قال:

لا- يا أمير المؤمنين، هو لهذا الهزبر، يعنى اسحاقا. فضحك الواثق بالله، و قال: قد ظلمناه اذن، و أمر لاسحاق بثلاثين ألف درهم(١).

اعجب الواثق بالله بغناء علويه و قال عنه: علويه أصح الناس صنعه بعد اسحاق، و أطيّب صوتا بعد مخارق، و أضرب الناس بعد ربرب، و هو مصلى كل سابق قادر، و ثانى كل أول واصل متقدم، و كان يصف غناءه انه مثل نقر الطست يبقى ساعه فى السمع بعد سكوتة(٢). و مما يشبه هذا انه تساءل فى أحد مجالسه من أحذق

١- الاغانى ٤٠ / ٥.

٢- نفس المصدر ٣٣٧ / ١١، و المصلى فى السباق هو التالى.

الناس بالصنعه؟ قالوا: اسحاق، قال: ثم من؟ قالوا: علويه.

قال: فمن أطيب الناس صوتا؟ قالوا: مخارق، قال: ثم من؟ قالوا:

علويه. قال: أعرفتم بانه مصلى كل سابق، وقد جمع الفضائل كلها، و هي متفرقه فيهم(١).

و أراد الواصل بالله يوم كان أميرا أن يضرب بين اسحاق و مخارق و علويه، ففعل ذلك في أحد مجالسه حتى تهاوتوا فيما بينهم. ثم سأل اسحاقا كيف يرى مخارقا و علويه، فقال: أما مخارق فمناذ طيب الصوت، و أما علويه فهو خير حمارى العبادى و هو شيبى ء- يريد تصغيره- فوثب علويه مغضبا، و طلب الى الواصل بالله أن يستحلف اسحاقا بان يصدق فما سيسأله عنه، فحلف اسحاق، فقال علويه: من أحسن الناس اليوم صنعه بعدك؟ قال: انت، قال: فمن اضرب الناس بعد ثقيف؟ قال: انت، قال: فمن أطيب الناس صوتا بعد مخارق؟ قال: انت(٢).

و كانت هناك منافسه شديده بين علويه و مخارق الذى كان أعلى منه شأنا. فقد غنى علويه يوما بين يدى اسحاق الموصلى هذا الصوت:

هجرتك اشفاقا عليك من الأذى و خوف لأعادي و اتقاء النمائم

فقال له اسحاق: أحسنت يا أبا الحسن أحسنت. فقال علويه: أين أنا الآن من صاحبى - يعنى مخارقا- مع قولك هذا لى؟ قال: اذا غنيما ملكا اختاره عليك و اعطاه الجائزه دونك.

فضجر علويه و قال: أف من رضاك و غضبك(٣).

١- الاغانى ١١ / ٣٥٥.

٢- نفس المصدر ٥ / ٣٥١- ٣٥٢، و« هو خير حمارى العبادى» مثل يضرب فى خلتين احدهما شر من الاخرى.

٣- الاغانى ١٨ / ٣٦٩.

و كان علويه أعسر، و لذا كان عوده مقلوب الاوتار: البم اسفل الاوتار كلها، ثم المثلث فوق المثنى، ثم الزير. و كان اذا ضرب اخذه بيده اليمنى و ضرب باليسرى، فيكون مستويا فى يده مقلوبا فى يد غيره(١).

عبد الله بن العباس الربيعي:

من المغنين الذين كانوا مقرين الى الواثق بالله، الشاعر المغنى عبد الله بن العباس، حفيد الفضل بن الربيع. حضر يوما مجلس الواثق بالله، و كان الجو ملبدا بالغيوم، فلاح برق و استطار.

فقال الخليفة لجلسائه: قولوا فى هذا شيئا. فبادر عبد الله فقال هذين البيتين:

أعنى على لامع بارق خفى كلمحك بالحاجب

كأن تألقه فى السماء يدا كاتب أو يدا حاسب

و صنع فيهما لحنا غناه. فشرب الواثق بالله بقيه يومه عليه، و استحس شعره معنى و صنعه و وصله بصله سنه(٢). و غنى فى حضره الواثق بالله فى يوم نوروز صوتا صنعه فى بيتين من الشعر للمعلى الطائى هما:

باكر صبوحك صبحه النوروزو أشرب بكأس مترع و بكوز

ضحك الربيع اليك عن نواره آس و نسرين و مرما حوز

١- نفس المصدر ١٨ / ٣٣٨.

٢- الاغانى ١٩ / ٢٢٣.

فاستعاده الواثق بالله و طرب كثيرا، و أمر له بثلاثين ألف درهم(١).

و قال عبد الله بن العباس: دعانا الواثق بالله في يوم نوروز، فلما دخلت عليه غنيته بشعر مدحته فيه، و صنعت فيه لحنًا، و هو:

هين للنيروز جاما و مدا ما و ندامى

يحمدون الله و الواثق هارون الأماما

ما رأى كسرى انوشرو ان مثل العام عاما

نرجسا غضا و وردا و بهارا و خزامى

فطرب الخليفة و استحسّن الغناء و شرب عليه حتى سكر، و أمر لى بثلاثين ألف درهم(٢).

كان عبد الله يتخذ سببا لمعرفة أولياء العهد برأى الخلفاء فيهم.

و سبق أن أشرنا الى غنائه للواثق بالله عند ما كان أميرًا، لكى يعرف ما اذا كان أبوه المعتصم بالله سيوليه العهد بعده. فلما تيقن من ذلك أمر ابراهيم بن رباح فاقترض له ثلاثمائة ألف درهم، ففرقها على الجلساء من الندماء و المغنين و الموسيقيين. و لما علم الواثق بالله بغضب أبيه على عبد الله و اطراحه اياه، اطرحه هو أيضا. و عند ما ولى الخلافة كان لا يزال على جفائه، فقال عبد الله:

١- نفس المصدر ١٩ / ٢٣٠.

٢- نفس المصدر ١٩ / ٢٤٢.

مالي جفيت و كنت لا أجفى أيام اربطه السيف

ادعو الهى ان أراك خليفهين المقام و مسجد الخيف

و دس من غناه الواثق بالله، فلما سمعه سأل عنه، فعرف قائله فتذمم و دعا عبد الله فبسطه و اكرمه و نادمه الى ان مات (١).

و جمع الواثق بالله المغنين يوماً، و فيهم عبد الله، ليصطحب، فقال له: بحياتي الا صنعت هزجا حتى أدخل و اخرج اليكم الساعه. فدخل الى جواريه. فقال عبد الله هذه الابيات و صنع فيها هزجا قبل ان يخرج عليهم الخليفه:

بأبى زور أتانى بالجلس قمت اجلالا له حتى جلس

فتعانقنا جميعا ساعه كادت الأرواح فيه تختلس

فقلت: يا سؤلى و يا بدر الدجى فى ظلام الليل ما خفت العسس

قال: قد خفت و لكن الهوى آخذ بالروح منى و النفس

زارنى يخطر فى مشبته حوله من نور خديه قبس

فلما خرج الواثق بالله من دار الحرم، قال: يا عبد الله ما صنعت؟ فاندفع عبد الله يغنيه الهزج الذى صنعه. فشرى حتى

سكر، و أمر له بخمسه آلاف درهم، و أمره ان يطرحه على الجوارى(١).

و قال عبد الله: جمعنا الواثق بالله يوما بعقب عله غليظه المت به و عوفى منها و صح جسمه. فدخلت اليه مع المغنين و عودى فى يدي. فلما وقعت عينى عليه من بعيد و صرت بحيث يسمع صوتى، ضربت و غنيت فى شعر قلته فى طريقى اليه و صنعت فيه لحنًا، و هو:

اسلم و عمر ك الاله لامهيك اصبحت قهرت ذوى الالحد

لو تستطيع وقتك كل اذيهبالنفس و الأموال و الأولاد

فضحك و سر و قال: احسنت يا عبد الله و سررتنى، و تيمنت بابتدائك، ادن منى، فدنوت منه حتى كنت أقرب المغنين اليه. ثم استعادنى الصوت فاعدته ثلاث مرات. و شرب عليه ثلاثه أقداح، و أمر لى بعشره آلاف درهم و خلعه من ثيابه(٢).

محمد بن الحارث:

كان أبوه الحارث رفيع القدر و من وجود قواد الهادى و الرشيد. و كان محمد من أصحاب ابراهيم بن المهدي و من المتعصبين له على اسحاق الموصلى. و قد أخذ الغناء عن ابراهيم و جرى فيه على نهجه. و يعتبر محمد بن الحارث من أحسن المغنين اداء و أسرعهم أخذًا للغناء. فقال اسحاق بن ابراهيم المصعبى للخليفة الواثق بالله ان اسحاق الموصلى قال لى: ما قدر احد قط

١- الاغانى ١٩ / ٢٥٠.

٢- نفس المصدر ١٩ / ٢٥٤.

أن يأخذ منى صوتا مستويا الا محمد بن الحارث، فانه أخذ منى عده أصوات كما اغنيها. فاستفسر الواثق بالله من محمد عن ذلك فقال: قد قال لى اسحاق الموصلى ذات مره. فسأله عن احسن لحن اخذه من صنعته، قال محمد: يزعم اسحاق انه لم يأخذ منه أحد قط هذا الصوت كما اخذته منه:

إذا المرء قاسى الدهر و ابيض رأسه و ثلم تثليم الأناء جوانبه

فليس فى العيش خير و ان بكى على العيش أو رجبى الذى هو كاذبه

فامرہ الواثق بالله ان يغنيه، فغناه اياه و احسن و اجاد.

فاستحسنه الواثق بالله و أمره ان يردده، فردده مرارا كثيره حتى أخذه الواثق بالله عنه، و اخذته جواريه كذلك (١).

و غنى اسحاق الموصلى يوما بحضره الواثق بالله لحنه الآتى:

ذكرتك اذ مرت بنا أم شادن أمام المطايا تشرئب و تسنح

من المؤلفات الرمل ادماء حره شعاع الضحى فى متنها يتوضح

فأمره الواثق بالله ان يعيده على الجوارى، و احلفه بحياته ان ينصح فيه. فقال اسحاق: لا تستطيع الجوارى أن يأخذنه منى، و لكن يحضر محمد بن الحارث فيأخذه، و تأخذه الجوارى منه.

فأحضر محمد و القاه اسحاق عليه فاخذه منه، و اخذته الجوارى عن محمد (٢).

١- الاغانى ١٢ / ٤٨ - ٤٩.

٢- نفس المصدر ١٢ / ٥٠ - ٥١.

و غنى محمد بن الحارث الواثق بالله بيت من الشعر مدحه به، و قد نظمه و لحنه و هو:

أمنت باذن الله من كل حادث بقربك من خير الورى يا ابن حارث

فاستحسنه الواثق بالله، و امر بالفى دينار(١).

أبو حشيشه:

محمد بن أميه، و أبو حشيشه لقب غلب عليه، كان من المتصلين بابراهيم بن المهدي، و يعتبر من المغنين الطنبوريين المجيدين.
و قد قال: كنت أغنى للواثق بالله، و كان يختار من غنائى هذا الصوت(٢):

يا تاركى متلدد العوادجدلان العداه

انظر الى بعين راض نظره قبل الممات

خليتنى بين الوعيد و بين ألسنه الوشاه

ماذا يرجى بالحياه منغص روح الحياه

عمرو بن بانه:

و هو أحد المغنين المشهورين فى أيام الواثق بالله، و سنتعرف عليه عند الكلام على مجالس المتوكل على الله الغنائيه. و قد غنى

١- نفس المصدر ٢٣ / ١٧٧.

٢- نفس المصدر ٢٣ / ٧٩، و نهايه الارب ٣٧ / ٥ و جاء البيت الاول فيه: يا تاركى متلذذ العذال جدلان العداه.

يوما بين يدي الواصل بالله بحضور اسحاق الموصلي بلحن أبيه ابراهيم الموصلي:

بلوت أمور الناس طرا فأصبحت مذقمه عندي براء من الحمد

و أصبح عندي من وثقت يغييه بغيض الايادي كل احسانه نكد

فغناه على ما أخذه من ابراهيم بن المهدي وقد غيره. فقال الواصل بالله لاسحاق: أتعرف هذا اللحن؟ قال: نعم هذا لحن أبي و لكن ابراهيم بن المهدي زعم انه اصلحه فافسده. فطلب اليه الخليفه ان يغييه. فغناه اسحاق و اداه على حقيقته، فاستحسنه الواصل بالله جدا. فغم ذلك عمرو بن بانه فقال لاسحاق: أفأنت مثل ابراهيم بن المهدي حتى تقول هذا فيه؟ قال: لا والله ما أنا مثله، و اما الغناء فما دخولك انت بيننا فيه، ما احسنت قط ان تأخذ فضلا من ان تغني، و لا قمت باداء غناء، فضلا عن ان تميز بين المحسنين، و الا فغن أي صوت شئت مما أخذته عنه و عن غيره، فان لم أو ضح لك و لمن حضر انه لا يسلم لك صوت من نقصان أجزاء و فساد صنعه، فرمى به رهن. فاساء عمرو الجواب و اغلظ في القول، فأمضه الواصل بالله و طرده من مجلسه(١).

الواصل بالله و المغنيات:

قلم الصالحيه:

قلم الصالحيه(٢):

احدى الجوارى البصريات المولدات، صفراء، حسنه الغناء، حاذقه بالضرب على العود. اخذت الغناء عن ابراهيم الموصلي و ابنه

١- الاغانى ٥ / ٣٩٤ - ٣٩٥.

٢- هكذا ورد اسمها فى الطبرى ٩ / ١٥٣، و فى الاغانى ١٣ / ٣٤٧، الا انه جاء فى الكامل ٧ / ٣٢: علم الصالحيه.

اسحاق، و عن يحيى المكي، و هم رؤساء هذا الفن في عصرهم.

برعت في الغناء و في صنع الألحان و لها نحو عشرين صوتا. و كانت جاريه لصالح بن عبد الوهاب و اشتراها الواثق بالله منه. و لشرائها قصه أوردها ابن الاثير مختصره. فقد كان أحمد بن عبد الوهاب قال في الواثق بالله (١):

أبت دار الاحبه ان تبينأجدك ما رأيت لها معينا

تقطع حسره من حب ليلي نفوس ما أثبن و لا جزينا (٢)

فصنعت فيه قلم لحننا غناه زرزور الكبير للواثق بالله فاعجبه، و لما علم انه لقلم الصالحيه احضر مولاها و طلب منه شراءها، فاهداها اليه، فقبلها و عوضه خمسه آلاف دينار. فمأطله الوزير ابن الزيات في دفع المبلغ. فاعادت قلم الصوت على الواثق بالله، فقال لها: بارك الله عليك و على من رباك. فقالت: و ما ينفع من رباني، أمرت له بشيء فلم يصل اليه. فكتب الى ابن الزيات يأمره بايصال المال الى صالح و ان يضعفه له، فدفعت اليه عشره آلاف دينار (٣). و يقول أبو الفرج ان الواثق بالله لما اشتراها سماها احتياطا (٤).

و كان الشاعر علي بن الجهم انشد الواثق بالله عند ما تولى الخلافه قوله:

١- الكامل ٧ / ٢٢.

٢- ورد هذا البيت في الاغانى ١٣ / ٣٤٨ كما يلي تقطع نفسه من حب ليلي و نفوسا ما أثبن و لا جزينا

٣- مفصل الخبر في الاغانى ١٣ / ٣٤٧ - ٣٤٩، و في نهايه الارب ٥ / ٧١ - ٧٢.

٤- الاغانى ١٣ / ٣٤٨.

قد فاز ذو الدنيا و ذو الدين بدوله الواثق هارون

و انشده أيضا قوله يمدحه:

وثقت بالملك الواثق بالله النفوس

فلحنت قلم الصالحيه هذين الشعرين و تغنت بهما، و كان الواثق بالله يستحسن هذين الصوتين و غناءها(١).

فريده:

كانت فريده جاربه لعمر بن بانه أحد كبار المغنين في عهده، و قد تولى تثقيفها و تدريبها على الغناء(٢). و اهداها الى الواثق بالله، فكانت أثيره عنده، حظيه لديه، لما امتازت به من جمال الوجه و حسن الغناء، الى جانب حده الذكاء و سرعه الفهم. و كانت تغنى الأصوات التي يصنعها الواثق بالله، فتجيد اداءها.

و قد كلف الواثق بالله المغنيه شاربه جاربه ابراهيم بن المهدي و من احسن مغنيات أيامها ان تتم تعليم فريده فنون الغناء و الضرب على العود. فتولت تعليمها لفترة قصيره ثم تركتها لخلاف قام بينهما(٣).

لقد استطاعت ان تتقن جميع الاصوات التي أخذتها عن كبار المغنين. قال محمد بن عبد الملك الزيات: سمعت فريده تغنى هذا الصوت(٤):

١- نفس المصدر ١٣ / ٣٥٠.

٢- نفس المصدر ٤ / ١١٤.

٣- نفس المصدر ١٦ / ١٢-١٣.

٤- نفس المصدر ٤ / ١١٨.

أخلاقى بى شجو و ليس بكم شجو و كل امرى ء مما بصاحبه خلو
اذاب الهوى لحمى و جسمى و مفصلى فلم يبق الا الروح و الجسد النضو
فما سمعت قبله و لا بعده غناء احسن منه.

و غنى عمرو بن بانه الخليفه الواثق بالله يوما:

قلت حلا فاقبلى معذرتى ما كذا يجزى محب من أحب

فامرہ ان يتقدم الى الستاره و ان يلقى هذا الصوت على جاريتہ فريده. فلما ألقاه عليها تساءلت: هل حل أو خل؟ فعلم عمرو انها
تسأله عن صاحبته «خل» فى خفاء من الواثق بالله(١). و كانت حل جاريتہ ربيت مع فريده عند عمرو بن بانه.
و غضب الواثق يوما على فريده لكلام اخفته عنه، فجلس فى يومه للصباح. فغناه عبد الله بن العباس الربيعى:

لا تأمنى الصرم منى ان ترى كلفى و ان مضى لصفاء الود اعصار

ما سمي القلب الا من تقلبه و الرأى يعرف و الالهواء اطوار

كم من ذوى مقه قبلى و قبلكم خانوا فاضحوا الى الهجران قد صاروا

فاستعاده الواثق بالله مرارا، و شرب عليه، و اعجب به، و امر لعبد الله بألف دينار و خلع عليه(٢).

١- الاغانى ١١٥ / ٤.

٢- نفس المصدر ٢٥١ / ١٩.

و يروى محمد بن الحارث قصه عن غيره الواثق بالله من أخيه جعفر لما كان بينهما من نفره و تباغض. اذ غضب ذات ليله على جاريتته فريده و هى تغنيه و قد سحرته بجمالها و دلالتها، فتبادر الى ذهنه انها ستؤول بعد موته الى أخيه جعفر فألمه ذلك مما دفعه الى ضربها و طردها من حجرته، ثم ما لبث ان صالحها(١).

شاريه:

أما شاريه جاريه ابراهيم بن المهدي الذي دربها على الغناء، فقد اصبحت فى أيام الواثق بالله احسن و اشهر مغنيه، بحيث اخذت تنافس المغنيه الشهيره عريب المأمونيه، و غدا الناس بسر من رأى متحازبين، قوم مع شاريه و قوم مع عريب(٢).

و كان الواثق بالله يقدر فنها و يحترمها و يسميها «ستى» و قد أوكل اليها تعليم جاريتته فريده، فلم تأل جهدا فى تعليمها أصول الغناء و الضرب على العود حتى وقع بينهما خلاف، فحلفت أن لا تطرح عليها بعد ذلك صوتا الا نقصت من نعمته(٣).

عريب:

لم تكن عريب مقربه من الواثق بالله، رغم براعتها فى الغناء.

لأنها كانت من مؤيدى العباس بن المأمون ضد المعتصم بالله. و قد سبق ان كشفت علاقتها بذلك أيام كان المعتصم بالله يحارب فى بلاد الروم. و كانت تعرض بالواثق بالله منذ ان كان أميراً و تسميه الأعور الليلي(٤)، لأنه كان كثير السهر. كما كانت تكايدته فيما

١- مفصل الخبر فى الاغانى ١١٥ / ٤ - ١١٨.

٢- الاغانى ١٤ / ١٦، و نهايه الارب ٨٧ / ٥.

٣- الاغانى ١٢ / ١٦ - ١٣.

٤- نفس المصدر ٧٧ / ٢١.

يصوغه من الالحن، فتصوغ فى نفس الشعر لحنا و تسعى ان يكون أجود من لحنه(١). فقد لحن الواثق بالله البيت الاتى(٢):

لم آت عامده ذنبا اليك بلى أقر بالذنب فاعف عن زللى

فصنعت فيه لحنا فكان أجود من لحنه، و صنع الواثق بالله لحنا فى البيت الآتى:

أشكو الى الله ما ألقى من الكمد حسبى بربى و لا أشكو الى أحد

فصنعت فيه لحنا على غرار لحن الواثق بالله، الا ان لحنها جاء أجود من لحنه كذلك ١٢٥.

١- نفس المصدر ٧٦ / ٢١، و نهايه الارب ١٠٦ / ٥.

٢- نفس المصدر ٧٦ / ٢١.

الفصل الثالث مجالس المتوكل على الله

١- المتوكل على الله والندماء:

أكثر المتوكل على الله من اصطناع الندماء، فقرب اليه الادباء والشعراء والرواه. و كانت مجالسه لا تخلو من المناظرات الادبيه التي كان يثيرها بين جلسائه و مناديه. و كان نديمه الاول الذي لا يكاد يغيب عن ناظره و لا يصبر على فراقه هو الفتح بن خاقان أحد كبار القواد الاتراك و ممن اوقف نفسه لخدمه الخلفه. و قد كان فطنا ذكيا، غايه فى الجود، زكى النفس، حسن العشره متوددا محببا الى كل من يكلمه(١). و يقول المسعودى انه صار أغلب الناس على المتوكل على الله و أقربهم منه(٢). فكان يحضر جميع مجالس المتوكل على الله سواء للشرب و السماع، أو للمناظرات الادبيه أو للفكاهه و التندر، حتى انه قتل معه فى مجلس انسه. و قد اتخذه المتوكل أخا لما لمس فيه من موده و اخلاص، و كان يقدمه على سائر ولده و أهله(٣). و لما سافر الى دمشق كان الفتح معادلا له على

١- معجم الادباء ٦ / ١١٩.

٢- مروج الذهب ٤ / ٨٦ - ٨٧.

٣- الفهرست / ١٧٥.

جمازه (١). و مدحه البحترى بعديد من القصائد، سماه فيها «أمين بنى العباس» و «حسام أمير المؤمنين» و «طود الخلافه» (٢). لما كان يرى فيه من ولاء صادق للخليفه و الخلافه.

كان الفتح بن خاقان أديبا كثير المطالعه، حتى قيل ثلاثه لم ير أكثر منهم محبه للكتب و العلوم، و منهم الفتح، فكان يحضر لمجالسه الخليفه، فاذا خرج الخليفه لحاجه ما، اخرج الفتح كتابا من كمه أو خفه و اخذ يطالع فيه الى حين عودته (٣). و كانت له خزانه كتب أشرنا اليها فى البحث الخاص بدور الكتب. كما كانت له تصانيف حسنه منها كتاب اختلاف الملوک، و كتاب الصيد و الجارح، و كتاب الروضه و الزهر، و كتاب البستان الذى يقول ابن النديم ان الذى ألفه هو محمد بن عبد ربه الملقب برأس البغل و نسبه الى الفتح (٤).

و كان الادباء و العلماء يتقربون اليه و يهدونه مؤلفاتهم. فقد قدم اليه الجاحظ كتاب التاج، و قدم اليه العالم اللغوى محمد بن حبيب كتاب القبائل الكبيره و الايام (٥). و ذلك اعترافا برعايته لهم و عنايته بهم.

و للفتح شعر رقيق منه قوله يصف الورد (٦):

أما ترى الورد يدعو الشاربين الى حمراء صافيه فى لونها حيب

مراهن من يواقيت مركبهعلى الزمرد فى أجفانها ذهب

١- فوات الوفيات ٢ / ٢٤٦.

٢- راجع ديوان البحترى - طبعه صادر: ١ / ١٠٣ - ١٠٦ و ١ / ١١١ - ١١٣ و ١ / ١٩٠ - ١٩٣.

٣- الفهرست / ١٧٥، و معجم الادباء ٦ / ٥٦.

٤- الفهرست / ١٧٥ - ١٧٦.

٥- كتاب التاج / ٤، و معجم الادباء ٦ / ٤٧٦.

٦- معجم الادباء ٦ / ١١٨ - ١١٩.

خاف الملأل اذا طالت اقامته فصار يظهر أحياناً و يحتجب

و حدث المبرد قال: انشدنى الفتح بن خاقان لنفسه(١):

و انى و اياها لكا الخمر و الفتى متى يستطع منها الزيادة يزدد

اذا ازددت منها أزددت وجدا بقربها فكيف احتراس من هوى متجدد

و قال ابن حمدون: لما قال الفتح هذه الايات انشدتها المتوكل على الله فسألنى عن قائلها، فعرفته انه الفتح، فاستحسنها(٢).

و حدث على بن الجهم قال: انى لعند المتوكل على الله، و الفتح بن خاقان حاضر، اذ ادخل عليه نخاس و معه جاريه، فقال له أمير المؤمنين: ما صناعه هذه الوصيفه؟ قال: تقرأ بالألحان. فقال الفتح: اقرأى لنا خمس آيات. فاندفعت تقول(٣):

قد جاء نصر الله و الفتح و شق عنا الظلمه الصبح

خدين ملك و رجا دولهو همه الاشفاق و النصح

الليث الا انه ماجدو الغيث الا انه سمح

و كل باب للندى مغلق فانما مفتاحه الفتح

١- نفس المصدر ٦/ ١٢٢.

٢- نفس المصدر.

٣- نفس المصدر ٦/ ١٢٣-١٢٤.

قال: فو الله دخل على المتوكل على الله من السرور ما قام الى الفتح فوق عليه يقبله. و وثب الفتح فقبل رجله. فأمر الخليفة بشرائها، و بعث بها الى الفتح.

و قال الفتح: دخلت يوما الى المتوكل على الله فرأيتة مطرفا متفكرا، فقلت: يا أمير المؤمنين ما هذا الفكر؟ فو الله ما على ظهر الأرض أطيب منك عيشا و لا انعم منك بالا. فقال: يا فتح، أطيب عيشا منى رجل له دار واسعة و زوجه صالحه و معيشه حاضره، لا يعرفنا فنؤذيه، و لا يحتاج الينا فنزدريه(١).

قال البحترى: قال لى المتوكل على الله: قل فى شعرا و فى الفتح، فانى أحب أن يحيا معى و لا- افتقده فيذهب عيشى و لا يفتقدنى فيذل. فقلت(٢):

سیدی انت كيف اخلفت و عدى و تناقلت عن وفاء بعهدى

لا ارتنى الأيام فقدك يا فتح و لا عرفتك ما عشت فقدى

أعظم الرزء ان تقدم قبلى و من الرزء ان تؤخر بعدى

حسدا أن تكون الفا لغيرى اذ تفردت بالهوى قبل وحدى

و قال البحترى: قد كنت عملت هذه الايات فى غلام كنت اكلف به، فلما أمرنى المتوكل بما أمر تنحيت فقلت الايات و اريته اننى

١- تاريخ الخلفاء / ٣٥٣.

٢- معجم الادباء ١٢٠ / ٦، و فوات الوفيات ٢ / ٢٤٧، و جاء فى عجز البيت الاخير (نيل) بدلا من (قيل).

عملتها في وقتي، و ما غيرت فيها الا لفظه واحده، فانني قد قلت:

لا ارتنى الايام فقدك ما عشت، فجعلتها يا فتح.

و بلغ من وفاء الفتح بن خاقان للمتوكل على الله انه رمى بنفسه عليه لما اغتالوه ليحميه من ضربات السيوف فقتل معه (١).

و كان من خاصه المتوكل على الله على بن يحيى بن أبي منصور المنجم، و كان أديبا راويه للاشعار و الاخبار، و شاعرا محسنا، اخذ الأدب و صنعه الغناء عن اسحاق الموصلي (٢). و كان قد اتصل بالفتح بن خاقان و عاونه في تأسيس خزانه كتبه. كما كانت لعلي نفسه خزانه كتب عامه ذكرنا عنها في موضوع دور الكتب. و له عدد من التصانيف، منها كتاب الشعراء القدماء و الاسلاميين، و كتاب اخبار اسحاق بن ابراهيم، و كتاب فن الطبخ (٣). و قد قرب المتوكل على الله عليا اليه، و كان قد قدمه اليه الفتح بن خاقان، فاعدق عليه الهبات و اجزل له الارزاق، حتى قال علي: احصيت ما وصل الي من أمير المؤمنين المتوكل على الله من رزق وصله، فكان مبلغه ثلاثمائة ألف دينار (٤).

و ممن نادى المتوكل على الله أبو عبد الله أحمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن حمدون، و كان اديبا شاعرا و من شيوخ اللغه و قد درس عليه العالم اللغوي ثعلب. غضب عليه المتوكل على الله مره فنفاه الي تكريت، ثم بعث من قطع اذنه (٥)، و لكنه ما لبث ان اعاده الي مجلسه. و لما رضى عنه و هبه جاريه يقال لها صاحب، و كانت حسنه كامله الأدب، الا ان احد الخدم صدع ثنيتها فاسودت فشانها

١- الطبري ٩/ ٢٢٧، و مروج الذهب ٤/ ١٢١.

٢- الفهرست / ٢١١، و تاريخ بغداد ٢/ ١٢١-١٢٢.

٣- الفهرست / ٢١١.

٤- معجم الادباء ٥/ ٤٦٥.

٥- الديارات ٦- ٧.

ذلك عند المتوكل على الله، فارسها اليه و حمل معها كل ما كان لها، و كان شيئاً كثيراً(١).

و نادى المتوكل على الله كذلك الأديب الاخبارى أبو العنقاء محمد بن القاسم خلاد. و كان قد نشأ بالبصرة فطلب الحديث و درس الادب على علمائها. و كان من احفظ الناس و افصحهم لسانا و اسرعهم جوابا و احضرهم نادره، و كف بصره و قد بلغ أربعين سنة(٢). و كان يحضر مجلس الخليفة و قلما غاب عنه، و قد روى عنه انه قال: قال لى المتوكل على الله قد اردتك لمجالستي. فقلت:

لا أطيق ذلك، و ما أقول هذا جهلا بما لى فى هذا المجلس من الشرف، و لكنى رجل محجوب، و المحجوب تختلف اشارته و يخفى عليه ايماءه، و يجوز على ان اتكلم بكلام غضبان و وجهك راض، و بكلام راض و وجهك غضبان، و متى لم أميز هذين هلكت. فقال: صدقت و لكن تلمنا. فقلت: لزوم الفرض الواجب، فوصلنى بعشره آلاف درهم(٣).

و عرضت جاريه على المتوكل على الله، فقال لأبى العنقاء: هذه عرضت على انها شاعره، فقل شيئاً لتجيزه. فقال أبو العنقاء:

أحمد الله كثيراً. فقالت الجارية: حين انشاك ضريرا. قال: يا أمير المؤمنين قد احسنت فى اساءتها(٤).

و قال المتوكل على الله لأبى العنقاء و قد دخل اليه: يا محمد ما بقى فى المجلس أحد الا اغتابك غيرى. فاجاب قائلاً(٥):

إذا رضيت عنى كرام عشيرتى فلا زال غضباناً على لثامها

١- الديارات / ٩.

٢- تاريخ بغداد ٣ / ١٧٠.

٣- نفس المصدر ٣ / ١٧٤.

٤- البصائر و الزخائر ٢ / ٢٦٥.

٥- الديارات / ٩١.

و قال له مره: يا محمد الى كم تمدح الناس و تذمهم؟ قال: ما اساءوا و احسنوا(١).

و كان ممن يحضر مجلس المتوكل على الله أيضا حسن بن موسى النصبى البغدادى الأديب المتوفى سنه ٢٥٠ هـ، و قد صنف عددا من كتب الغناء و المغنين، منها «كتاب الاغانى فى أسماء المغنين و المغنيات» و قد الفه للخليفه المتوكل على الله، و كتاب الاغانى على حروف المعجم، و كتاب مجردات المغنيات(٢).

ذكرنا جانبا من ندماء المتوكل على الله ممن كانوا يحضرون مجالسه الادبيه، أو للشعر و السماع. على انه كان له الى جانب ذلك ندماء يحيا معهم حياه لهو و مجون و عبث، و عند ما يكون معهم يطلق لنفسه العنان. و قد اشتهر من هؤلاء أبو العبر، و هو أبو العباس محمد بن احمد العباسى، كان أدبيا شاعرا يحضر مجالس الخلفاء منذ أيام الخليفه محمد الأمين، فمال فى أيام المتوكل على الله الى العبث و المجون لأنه رأى ان شعره لا ينفق بوجود البحترى و أمثاله، و رأى الحماقه انفق، و انفع له فاخذ فى الحمق و المجون فى الشعر و الكلام(٣). و كسب بالحمق و المجون اضعاف ما كسبه كل شاعر كان فى أيامه بالجد، و حصل من المتوكل على الله على أموال جليله(٤).

و كان المتوكل على الله يرمى بأبى العبر فى المنجنيق الى الماء و عليه قميص حرير، فاذا علا فى الهواء صاح: الطريق، الطريق، ثم يقع فى الماء، فيخرجه السباحون. أو يجلسه على زلاقه فينحدر فيها

١- نفس المصدر / ٨١.

٢- الفهرست / ٢١٤، و هديه العارفين ١ / ٢٦٣ و معجم الادباء ٣ / ٥، و جاء اسمه فيهما حيش بن موسى الضبى.

٣- تاريخ بغداد ٥ / ٤٠، و طبقات الشعراء / ٢٤٢-٢٤٣.

٤- الاغانى ٢٣ / ١٩٧.

حتى يقع في البركه ثم يطرح الشبكه فيخرجه كما يخرج السمك و في ذلك يقول أبو العبر في بعض حماقاته(١):

و يأمر بي الملك فيطرحني في البرك

و يصطادني بالشبك كأنى من السمك

و قد نحا نحو أبي العبر نديم آخر للمتوكل على الله هو أبو العجل الذي كان من آدب الناس و احكمهم و اكملهم عقلا، عالما بالنحو و الشعر، عارفا بايام الناس و اخبارهم، و كان مع هذا مقترا عليه. فلما رأى ذلك تحامق و تجاهل، و هو الذي يقول(٢):

أيا عاذلى فى الحمق دعنى من العذل فانى رضى البال من كثره الشغل

فاصبحت فى الحمقى أميرا مؤمراو ما أحد فى الناس يمكنه عزلى

و صير لى حمقى بفالا و غلمهو كنت زمان العقل ممتطيا رجلى

و لما صار المتوكل على الله الى دمشق تلقاه أبو العجل راكبا على قصبه و فى احدى رجليه خف و فى الاخرى نعل، و عليه دراعه و على رأسه قلنسوه. فنظر اليه المتوكل على الله فتبسم و قال: ويحك جنت بعدنا. فانشأ يقول(٣):

شه شه على العقل ما هو من شكللى

١- نفس المصدر ٢٣ / ٢٠١.

٢- طبقات الشعراء / ٣٤١.

٣- نفس المصدر / ٤٥٣.

صاحبه مفلولس قليل ذى الحيلل

قد استرحت من اللوام و العذلل

فما ابالى ما الذى قلت و ما قيل لى

و حمقى قد صير ذا العالم خولا للى

آمل ان يحملنى حمقى على بغل

من عند ذا السيدو المنعم المفضل

أمير دين المؤمنين المتوكل للى

فاستفرغ المتوكل على الله ضحكا و امر له بخلعه و حملة، و وصله بعشره آلاف درهم.

و ثمه نديم آخر للمتوكل على الله غلب عليه خبث اللسان و الهزل هو محمد بن اسحاق الصميرى الملقب بأبى العنيس، و قد هاجى أكثر شعراء زمانه(١). كان قاضيا فى الصميره فنسب اليها.

و كان مع استعماله الهزل عارفا باحكام النجوم و له فيه كتاب يمدحه المنجمون. و عدد له ابن النديم عددا من الكتب فى مواضيع مختلفه(٢). و للصميرى مع البحترى خبر طريف ماجن بين يدى المتوكل على الله. اذ كان البحترى يوما ينشد المتوكل على الله قوله:

١- تاريخ بغداد ١/ ٢٣٨.

٢- الفهرست / ٢٢٢-٢٢٣.

عن أى ثغر تبسم و بأى طرف تحتكم

و كان من عاده البحتري اذا انشد تشدن و تراور فى مشيه مره جائيا و مره القهقرى، و يهز رأسه مره، و منكبه اخرى، و يشير بكمه و يقول احسنت و الله لا يحسن احد ان يقول مثله. فضجر الخليفه من ذلك و قال للصميرى، اهجه على نفس الروى، فقال أبو العنيس ارتجالا:

فى أى سلح ترتطم و بأى كف تلتقم

ادخلت رأسك فى الحرم و علمت انك تنهزم

فغضب البحتري و خرج. الا ان المتوكل على الله ضحك كثيرا و أمر لأبى العنيس بعشره آلاف درهم(١).

و يظهر من روايه أبى الفرج ان البحتري عزم اثر هذه الحادته على الخروج الى منبج بغير اذن الخليفه، اذ رأى ان العلم ضاع و ان الأدب هلك. فنصحه أحد أخوانه الا يفعل من هذا شيئا لأن الملوک تمزح باعظم مما جرى، و اخذه الى الفتح بن خاقان، فشكا البحتري اليه، فقال له نحوا من ذلك و خلع عليه فسكن الى ذلك(٢).

و كان المتوكل على الله أظهر فى مجالسه اللعب و المضاحك و الهزل. فاحضر أصحاب السماجه- المثلون الهزليون- و استأنس بحركاتهم. و يقول المسعودى لم يكن احد ممن سبقه من خلفاء بنى العباس ظهر فى مجلسه اللعب و المضاحك و الهزل، فانه

١- معجم الادباء ٦/ ٤٠٤-٤٠٦.

٢- الاغانى ٢١/ ٥٣.

السابق الى ذلك، و اتبعه وزراؤه و المتقدمون من كتابه و قواده فى الطرب و المجون(١). دخل اسحاق بن ابراهيم صاحب الشرطه يوما على المتوكل على الله و السماجه بين يديه، و قد قربوا منه للقط الدراهم التى ينثرها عليهم. فلما رأى اسحاق ذلك ولى مغضبا.

و لما سأله المتوكل على الله عما اغضبه، قال: عساك تتوهم ان هذا الملك ليس له من الأعداء مثل ما له من الأولياء، تجلس فى مجلس يتذلك فيه مثل هؤلاء الكلاب يتجذبون ذيلك و كل واحد منهم متنكر بصوره منكره، فما يؤمن ان يكون فيهم من احتسب نفسه ديانته أو نيه فاسده و طويه رديه، فيثب بك. فقال له: لا تغضب، فو الله لا ترانى على مثلها أبدا. و بنى للخليفه بعد ذلك مجلس مشرف ينظر منه الى السماجه و حرقاتهم(٢).

٢- من مجالسه الأديبه:

كان المتوكل على الله يجلس فى بعض الأحيان الى ندمائه و جلسائه من أهل الأدب، ليستمع الى اخبار الاولين و بخاصه الخلفاء السابقين، و الى بعض الطرف و المناظرات الأديبه أو اللغويه و النحويه. و قد ورد ذكر الخليفه المأمون فى أحد المجالس، اذ ذكر القاضى يحيى بن اكنم فضائله و وصف علمه و معرفته و نباهته. فسأله المتوكل على الله: كيف كان يقول فى القرآن؟ قال يحيى: كان يقول ما مع القرآن حاجه الى علم فرض، و لا مع سنه الرسول صلى الله عليه و سلم وحشه الى فعل أحد، و لا مع البيان و الأفهام حجه لتعليم، و لا بعد الجحود للبرهان و الحق الا السيف لظهور الحجه. فقال المتوكل على الله: لم ارد منك ما ذهبت اليه من هذا المعنى. قال يحيى: القول بالمحاسن فى المغيب فريضه على ذى النعمه. قال له: فما كان يقول خلال

١- مروج الذهب ٤ / ٨٦.

٢- الديارات / ٣٩ - ٤٠.

حديثه؟ فان المعتصم بالله كان يقول وقد انسيته. فقال يحيى: كان يقول: اللهم انى أحمدك على النعم التى لا يحصيها أحد غيرك، و استغفرك من الذنوب التى لا يحيط بها الا عفوك. قال: فماذا كان يقول اذا استحسن شيئاً أو يشر بشئ؟ قال يحيى: كان يقول:

ان ذكر الاء الله و نشرها و تعداد نعمه و الحديث بها فرض من الله على اهلها، و طاعه لأمره فيها، و شكر له عليها، فالحمد لله العظيم الآلاء السابغ النعماء بما هو اهله. فقال المتوكل على الله: صدقت هذا هو الكلام بعينه، و هذا كله حكم ذى حنكه و علم(١).

و كان المتوكل على الله معجبا بالامام محمد بن ادريس الشافعى و كان يتمنى لو انه ادرك ايامه ليتعلم منه. و سمع عنه انه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم فى المنام و هو يقول: يا أيها الناس ان محمد بن ادريس المطلبى قد صار الى رحمه الله و خلف فيكم علما حسنا فاتبعوه تهذوا. ثم قال المتوكل على الله: اللهم ارحم محمد بن ادريس رحمه واسعه، و سهل على حفظ مذهبه و انفعنى بذلك. و يقول السيوطى: استفدنا من هذا ان المتوكل كان متمذبا مذهب الشافعى، و هو أول من تمذهب من الخلفاء(٢).

و ذكر العالم النحوى أبو عثمان بكر بن محمد المازنى للمتوكل على الله، و كان أخوه الواثق بالله معجبا بعلمه و قد اكرمه كثيرا، فأمر بأشخاصه من البصره الى سامرا. يقول المازنى: لما دخلت اليه رأيت من العدد و السلاح و الاتراك ما راعنى، و الفتح بن خاقان بين يديه. و خشيت ان سئلت عن مسأله الا أجيب فيها. فلما مثلت بين يديه و سلمت قلت: يا أمير المؤمنين أقول كما قال الاعرابى:

لا تقلوها و ادلواها دلوان مع اليوم أخاه غدوا(٣)

١- الطبرى ٩ / ٢٣٣.

٢- تاريخ الخلفاء / ٣٥٢.

٣- القلو: السير العنيف، و الدلو السير الرفيق.

فلم يفهم عنى ما اردت، و استبردت فأخرجت. ثم دعانى بعد ذلك و طلب الى ان أنشده أحسن مرثيه قالت العرب، فانشدته قول
ابى ذؤيب:

امن المنون و ريبها تتوجع ..

و قصيده متمم بن نويرة: لعمري و ما دهري بتأبين هالك ..

و قول كعب الغنوى: تقول سليمان ما بجسمك شاحبا ..

و قصيده محمد بن منذر: كل حى لاقى الحمام فمودى ..

و كلما انشدته قصيده يقول ليست بشى ء. ثم قال: من شاعركم اليوم بالبصره؟ قلت: عبد الصمد المعذل. قال: فانشدنى له.
فانشدته أبياتا قالها فى القاضى ابن رباح، و هى:

يا قاضيه البصره قومي فارقصى قطره

و قومي بروشك فماذا البرد و الفتره

أراك قد تثيرين عجاج القصف يا حره

بتحذيفك خديك و تجعيدك للطره

فاستحسنها و استطار لها، و أمر لى بجائزه. فجعلت أحفظ أمثالها فانشده اذا وصلت اليه فيوصلنى(١).

قال المبرد: حين فارقت البصره و اصعدت الى سامرا وردتها فى أيام المتوكل على الله. فاتصلت ببندار بن عبد الحميد الكرخى،

و كان واحد زمانه فى روايه شعر العرب، و اصح الناس معرفه باللغه. و له فى كل أسبوع يوم يحضر فيه مجلس المتوكل على الله.

فرفع امرى الى الفتح بن خاقان فوصفنى للمتوكل على الله فأمر باحضارى الى مجلسه. و كان المتوكل على الله تعجبه الاخبار، و يروى صدرا منها يمتحن بها من يراه بما يقع فيها من غريب اللغه. فلما دنوت من طرف بساطه استدانانى حتى صرت الى جانب بندار. فاقبل علينا و قال: يا بندار و يا ابن يزيد ما معنى هذه الاحرف التى جاءت فى هذا الخبر «ركبت الدجوجى و امامى قبيله فنزلت ثم شربت الصباح فمررت و ليس امامى الا نجيم فرقصت أمامى فمنحت النحوص الخ ..»؟ فبقيت متحيرا. فقال بندار:

يا أمير المؤمنين فى هذا نظر و رويه. قال: اجلتكما الى الغد فانصرفا و باكرانى غدا. فخرجنا من عنده، فقال بندار: ان ساعدك الجدد ظفر بهذا الخير فاطلب فانى طالبه. فانقلبت الى منزلى و قلبت الدفاتر ظهرا لبطن حتى وقفت على هذا الخبر فى اثناء اخبار الاعراب فحفظته. و باكرت بندار فانهضته معى و ذهبنا الى مجلس المتوكل على الله. فرويت الخبر ثم فسرت الفاظه. فالتفت الى بندار و قال: ابن يزيد فوق ما وصفتم، و امر باحضار الخازن، و امره بأن يقول للحاجب يسهل دخولى عليه(١).

و اعتاد المتوكل على الله ان يتخير لتأديب ولده مشاهير رجال اللغه و الادب. فقد اختار لتأديب ابنه طلحه الملقب بالموفق عالم الأنساب و الاخبار الزبير بن بكار. و لما ارسل يطلبه أمر له بعشره آلاف درهم، و عشره تخوت من الثياب، و عشره بغال يحمل عليها رحله الى سامرا(٢).

و طلب مره الى قائده ايتاخ ان يتخذ بعض المؤدبين لولده.

فأمر ايتاخ كاتبه سليمان بن وهب ان يتولى ذلك. فبعث سليمان

١- نفس المصدر ٢/ ٣٩١-٣٩٢.

٢- نشوار المحاضر ٤/ ٢٧٧-٢٧٨.

الى عدد من أدباء العصر فاحضرهم مجلسه. فجاء أبو جعفر النحوى أحمد بن عبيد الله بن ناصح و يعرف بابى عصيده، و ابن قادم و الأحمـر و غيرهم. فقعد ابو عصيده فى آخر الناس. فلما اجتمعوا قال لهم سليمان بن وهب: لو تذاكرتم وقفنا على موضعكم من العلم و اخترنا. فألقوا بينهم بيت ابن عنقاء الفزارى:

ذرينى انما خطأى و صوتى على و انما انفقت مال(١)

فقالوا: أترفع مال بانما اذا كانت بمعنى الذى، ثم سكتوا.

فقال احمد بن عبيد: هذا الاعراب، فما المعنى؟ فاحجموا عن القول. فقيل له: فما المعنى عندك؟ قال: اراد مالومك اياى انما انفقت مالا- و ليس عرضا و المال لا ألام عليه. فجاءه خادم من صدر المجلس فاخذ بيده حتى تخطى به الى أعلاه، و قال ليس هذا موضعك. فقال: لأن أكون فى مجلس أرفع منه الى اعلاه أحب الى من ان أكون فى مجلس أحط عنه. فاختر هو و ابن قادم(٢).

٣- المتوكل على الله و الشعراء:

كان المتوكل على الله يحب سماع الشعر كثيرا و لا سيما اذا كان فى مدحه و مدح أولاده، و يجزل العطاء لمن يمدحه من الشعراء.

و قد اتصل به من الشعراء الذين كانوا على أيامه عدد من كبارهم و على رأسهم البحترى و على بن الجهم و مروان بن ابى الجنوب، و اخرون غيرهم. و يظهر انه كان يعجبه ان يقول الشعر فى بعض المناسبات و لكنه لم يحسن ذلك. قال جعفر بن عبد الواحد الهاشمى:

١- جاء البيت فى نزهه الالباء / ١٢٧: ذرينى انما خطأى و صوبى على و ان ما انفقت مال و انه لابي غلفاء.

٢- معجم الادباء ١ / ٢٢١-٢٢٢.

دخلت على المتوكل على الله لما توفيت امه، فقال لي: يا جعفر ربما قلت البيت الواحد فاذا جاوزته خلطت، و قد قلت(١):

تذكرت لما فرق الدهر بيننا فعزيت نفسي بالنبي محمد

فاجازه بعض من حضر المجلس بقوله:

و قلت لها: ان المنيا سيبلنا فمن لم يمت في يومه مات في غد

و كان أبو عباده الوليد الطائي البحتري عند قدومه الى سامرا اتصل بالفتح بن خاقان و مدحه و اهداه كتاب الحماسه الذي صنفه.

و قدمه الفتح الى الخليفه المتوكل على الله فاعجب بشعره و جعله من ندمائه و اغدق عليه. فكرس البحتري شعره له و لولده و رجال دولته، بحيث أصبح شاعر بلاط سامرا. و اقام في سامرا في رعايه المتوكل على الله و من جاء بعده من الخلفاء. و من أوائل القصائد التي مدح بها المتوكل على الله تلك التي قالها عند ما الغى الخليفه القول بخلق القرآن، منها قوله(٢):

أمير المؤمنين لقد سكننا الى أيامك الغر الحسان

رددت الدين فذا بعد ما قد اراه فرقتين تخاصمان

قصمت الظالمين بكل ارض فاضحى الظلم مجهول المكان

١- تاريخ الخلفاء / ٣٥٢، و بدائع البدائيه / ٦ و جاء فيه صدر البيت الثاني: و قلت لها: ان المنيا ..

٢- القصيده في ديوان البحتري ٤ / ٢٢٩٠ - ٢٢٩٢.

و فى سنه رمت متجبريهم على قدر بداهيه عوان

فما أبقت من «ابن دؤاد» سوى جسد يخاطب بالمعاني

و مدحه بقصيده من غرر شعره وصف بها خروجه الى الصلاه يوم العيد، و مطلعها(١):

أخفى هوى لك فى الضلوع و اظهرو ألام فى كمد عليك و اعذر

و يقول فيها:

اللّٰه مكن للخليفه «جعفر» ملكا يحسنه الخليفه «جعفر»

نعمى من اللّٰه اصطفاه بفضلهاءو اللّٰه يرزق من يشاء و يقدر

فاسلم، أمير المؤمنين، و لا تزل تعطى الزيادة فى البقاء و تشكر

عمت فواضلك البريه فالتقى فيها المقل على الغنى و المكثر

بالبر صمت و انت افضل صائم و بسنه اللّٰه الرضيه تفرط

فانعم بيوم الفطر عينا، انه يوم أغر من الزمان مشهر

أظهرت عز الملك فيه بجحفل لجب يحاط الدين فيه و ينصر

و عند ما قتل المتوكل على الله رثاه بقصيده طويله و صديقه الفتح بن خاقان، جاء فى آخرها قوله (١):

صريع تقاضاه السيوف حشاشهيجود بها و الموت حمر اظافره

أدافع عنه باليدين، و لم يكن ليثنى الاعادى اعزل الليل حاسره

و لو كان سيفى ساعه القتل فى يدي درى القاتل العجلان كيف أساوره

حرام على الراح بعد أو أرى دما بدم يجرى على الارض مائه

و هل يرتجى ان يطلب الدم واتريد الدهر، و الموتور بالدم واتره

أكان ولى العهد أضمر غدرهفمن عجب ان ولى العهد غادره

فلا ملى الباقي تراث الذى مضى و لا حملت ذاك الدعاء منابره

أما الشاعر ابو الحسن على بن الجهم بن بدر السامى فقد قربه المتوكل على الله و اتخذه نديما. و قد مدحه ابن الجهم بعديد من القصائد، منها تلك التى استبشر بها بتولىه الخلافه، و فيها يقول (٢):

قالوا أتاك الأمل الأكبر و فاز بالملك الفتى الأزهر

١- القصيده فى ديوان البحترى ٢ / ١٠٤٥ - ١٠٤٩.

٢- القصيده فى ديوان على بن الجهم / ٢٦ - ٢٧.

و اكنست الدنيا جمالا به فقلت قد قام اذا «جعفر»
ذاك الذى كانت الى ملكه أبصارنا طافحه تنظر
الآن فليهن لذيد الكرى من كان تأميلا له يسهر
يا دارت الارض الدنى أصبحت اقطارها من نوره تزهر
قد كان مشتاقا الى خطبهمك سرير الملك و المنبر
يا شهر ذى الحجه قد اصبحت تشبهك الأيام و الأشهر
و عند ما قتل المتوكل على الله رثاه متفجعا، بقصيده شنع فيها على مغتاليه، و تعتبر من أطول القصائد التى قالها فيه، و قد ختمها
بقوله(١):

عبيد أمير المؤمنين قتلته و اعظم آفات الملوك عبيدها
أما و المنايا ما عمرن بمثله القبور و ما ضمت عليه لحودها
أتتنا القوافى صارخات لفقده مصلمه أرجازها و قصيدها

١- القصيده فى ديوان على بن الجهم / ٥٦-٦٤.

و من الشعراء الذين اشتهروا لتقربهم من الخليفة المتوكل على الله مروان بن ابى الجنوب و عند ما تولى المتوكل على الله الخلفه كان مروان منفيا باليمامة من أيام الواثق بالله، فبعث الى قاضى القضاة أحمد بن أبى داود بقصيده مدحه فيها و هجا ابن الزيات، و كان قد مات فى حبس المتوكل على الله، فلما ذكره ابن ابى دواد للخليفة أمر بأن يحمل الى سامرا. فقدم مروان على المتوكل على الله و انشده قوله (١):

رحل الشباب وليته لم يرحل و الشيب حل وليته لم يحلل

فلما بلغ الى قوله:

كانت خلفه جعفر كنبوهجاءت بلا طلب و لا يتمحل

و هب الا له لك الخلفه مثلما و هب النبوه للنبي المرسل

أمر بخمسين ألف درهم:

و مما مدح به مروان المتوكل على الله قوله (٢):

بدوله جعفر حمد الزمان لنا بك كل يوم مهر جان

جعلت هديتى لك فيه و شياو خير الوشى ما نسج اللسان

و من الشعراء الآخرين الذين امتدحوا المتوكل على الله ابراهيم بن العباس الصولى، الكاتب الشاعر، و كان يتولى ديوان زمام

١- الاغانى ٢٣ / ٢١٠.

٢- العقد الفريد ٦ / ٢٨٦.

النفقات فى عهد المتوكل على الله (١). و كان الخليفه معجبا باسلوبه فى الكتابه و بمعانيه فى الشعر، فشملة برعايته و جعله من ندمائه.

و من بديع شعر ابراهيم الصولى فى المتوكل على الله ما قاله يوم عقد الخليفه ولايه العهد لأوليائه الثلاثه، و قد استأذنه فى الانشاد فاذن له فقال(٢):

أضحت عرى الاسلام و هى منوطهبالنصر و الاعزاز و التأيد

بخليفه من هاشم و ثلاثهكنفوا الخلافه من و لاه عهود

قمر توافت حوله اقماره فحففن مطلع سعده بسعوده

رفعتهم الأيام و ارتفعوا به فسعوا باكرم انفس و حدود

فاستحسن المتوكل على الله ذلك منه و أمر له بمائه ألف درهم.

و كان من الشعراء البارزين فى ايام المتوكل على الله الشاعر الخليل الحسين بن الضحاك بن ياسر. الا انه كان قد تقدم به العمر و ضعف بصره. و كان المتوكل على الله معجبا بشعره، و قال عنه مره: هو عندى أشعر أهل زماننا و املحهم مذهباً و اظرفهم نمطاً(٣). فطلب اليه ان يلازمه و ينادمه، فلم يستطع لكبر سنه.

و قد بلغ الحسين ان أحد جلساء الخليفه قال عنه: هو يطيق الذهاب الى القرى و المواخير و السكر فيها و يعجز عن خدمه الخليفه. فرفع الى ابن حمدون نديم الخليفه بابيات و سأله ان يوصلها اليه. فلما أوصلها ابن حمدون قال للخليفه: ان لو أطاق خدمه امير المؤمنين

١- الطبرى ٩ / ١٦٢.

٢- الاغانى ١٠ / ٦٤-٦٥.

٣- الاغانى ٧ / ١٧٠.

لكان اسعد بها. فقال له الخليفة: صدقت. و امر لابن الضحاك بعشرين ألف درهم حملها ابن حمدون اليه. و كانت الابيات هي (١):

أما فى ثمانين وفيتها عذير و ان انا لم اعتذر
فكيف و قد جزتها صاعدا مع الصاعدين بتسع اخر
الى أن يقول:

قد بسط الله لى عذره فمن ذا يلوم اذا ما عذر
و انى لفى كنف مغدق و عز بنصر ابي المنتصر
يبارى الرياح بفصل السماح حتى تبدل او تنحسر
له أكد الرحي ميراثه و من ذا يخالف وحي السور
و ما للحسود و اشياعه و من كذب الحق الا الحجر
و قال الحسين فى رثاء المتوكل على الله (٢):

١- نفس المصدر ٧/ ٢٢٥-٢٢٦.

٢- اشعار الخليلج / ١١٣، و مروج الذهب ٤/ ١٢٤، و فيه البيتان الاخيران فقط، و الطبرى ٩/ ٢٣٠ و فيه ان ابا الوارث قاضى نصيبين قال: رأيت فى النوم اتيا يقول: يا نائم العين الخ .. مع تغيير فى بعض الكلمات.

يا نائم الليل في جثمان يقظان ما بال عينك لا تبكى بتهتان

ان الليالى لم تحسن الى أحدا الا اساءت اليه بعد احسان

اما رأيت خطوب الدهر ما فعلت بالهاشمى و بالفتح بن خاقان

و كانت فضل جاريه المتوكل على الله شاعره، و قد قالت بعض الشعر فيه. و هى من مولدات البصره، كانت حسنه الوجه و القوام، على جانب كبير من الفصاحه و سرعه البديهه، و قد طبعت على قول الشعر. و قد أهداها الى الخليفه المتوكل على الله أحد أعيان الدوله محمد بن الفرج الرخجى. فلما أدخلت عليه قال لها: أشاعره انت يا فضل؟ قالت: كذا يزعم من باعنى و اشترانى. فضحك و قال:

انشدينا شيئا من شعرك، فقالت على البديهه(١):

استقبل الملك أمام الهدى عام ثلاث و ثلاثينا

خلافه افضت الى جعفر و هو ابن سبع بعد عشرينا

انا لارجو يا امام الهدى أن تملك الناس ثمانينا

فقال الخليفه للشاعر على بن الجهم، و كان حاضرا مجلسه؛ قل بيتا من الشعر لتجيزه. و كان ذلك امتحانا لها. لأن القدره على النظم فى الحال، و الاجازه، أى اكمال الشعر الناقص المعنى، يدل

١- الاغانى ٣٠٢ / ١٩، و المنتظم ٧ / ٥، مع بعض التغيير.

على الموهبه الشعريه و قوه البديهه و سرعه الفهم و الاحاطه بالمعنى.

فقال ابن الجهم(١):

لاذ بها يشتكى اليها فلم يجد عندها ملاذا

فارت فضل هنبهه، ثم قالت:

و لم يزل ضارعا اليها تهطل اجفانه رذاذا

فعاتبوه فزاد عشقافمات وجدا فكان ماذا

فطرب المتوكل على الله و قال: احسنت و حياتى يا فضل، و أمر لها بألفى دينار.

و كانت فضل تساجل الشعراء و الادباء. و مما قالته فى المتوكل على الله(٢):

قد بدا شبهك يا مولاي يحدو بالظلام

قم بنا نقض لبانات اعتناق و التثام

قبل أن تفضحنا عوده أرواح النيام

و مما قالته بعد مقتل المتوكل على الله، و قد سألتها أحدهم صبيحه اغتياله عما نزل بهم البارحه، فقالت و هى تبكى(٣):

١- المنتظم ٧/٥، و الاغانى ١٩/٣١٢-٣١٣ و فيه ان الخليفه اجازها بمائتى دينار.

٢- الاغانى ١٩/٣٠٧، و فوات الوفيات ٢/٢٥٤-٢٥٥، مع بعض التغيير.

٣- الاغانى ١٩/٣١٠، و الزحل: الثأر.

ان الزمان بزحل كان يطلبنا ما كان أغفلنا عنه و اسهاننا

مالي و للدهر قد اصبحت همته مالي و للدهر ما للدهر لا كانا

٤- المتوكل على الله و مجالسه الغنائيه:

نهج المتوكل على الله مع المغنين نهج أبيه و أخيه، فرعى أرباب الموسيقى و الغناء و اغدق عليهم، و شجعهم على الارتقاء بهذا الفن الذى تهفو اليه الأرواح و تطيب له النفوس. و قد ألف له حسن بن موسى النصبى كتاب الاغانى، ذكر فيه أشياء لم يذكرها اسحاق الموصلى و عمرو بن بانه فى كتابيهما، و ضمنه كل طريف و غريب من الأغانى و أسماء المغنين و المغنيات قبل الاسلام و بعده(١). و كان بنان ضارب العود و زنام الزامر لا- نظير لهما فى فنيهما، و اذا ما اجتمعا على الضرب و الزمر احسنا و فطنا و اعجبا، و قد انقطعا الى المتوكل على الله لا يغيبان عن مجلس غنائهما، و كان لا يشرب الا على سماعهما، و فيهما قال البحرى(٢):

هل العيش الا ماء كرم مصفق يقرقه فى الكأس ماء غمام

و عود بنان حين ساعد شدوه على نغم الالحن ناى زنام

و كان المتوكل على الله، رغم سرعه تبدل مزاجه، محبا للغناء مشوقا الى سماعه. و يظهر انه كان يود لو انه يحسن التلحين و الغناء مثل أخيه الواثق بالله، الا انه لم تكن له تلك القابليه. قال

١- الفهرست / ٢١٤.

٢- ثمار القلوب / ١٥٥.

على بن الجهم انصرفت ليله من عند المتوكل على الله، فلما دخلت منزلي جاءني رسوله يطلبني فراعني ذلك. فرجعت اليه وجلا، فادخلت عليه و هو في فراشه. فلما رأني ضحك، فايقت بالسلامه.

فقال: يا على أنا مذ فارقتك ساهر و قد خطر على قلبي هذا الشعر الذي كان يغني فيه أخي قول الشاعر: قلبي الى ما ضرني داعي ..

فحرصت أن أعمل مثل هذا فلا- يجيئني، أو أن أعمل مثل اللحن فما أمكنتي، فوجدت في نفسي نقصا. فقلت: يا سيدي كان أخوك خليفه يغني و انت خليفه لا تغني. فقال: قد و الله أهديت الى عيني نوما، اعطوه ألف دينار. فاخذتها و انصرفت (١).

و دخل المتوكل مره الى احدى جواريه و هى تغني:

أمن قطر الندى نظمت ثغرك أم من البرد

و ريقك من سلاف الكرم أم من صفوه الشهد

أيا من قد جرى منى كمجرى الروح فى الجسد

ضميرك شاهدى فيما أقاسيه من الكمد

فقال لها: ويحك لمن هذا الصوت؟ قالت: أخذته من مخارق.

قال: فالقيه على الجوارى جميعا، ففعلت. فلما اخذته عنها أمر باخراجهن اليه و دعا بالنيذ و أمر بالألا- يغنيه غيره ثلاثه أيام متواليه (٢):

و كان اسحاق الموصلى كبير مغنى عصره قد كف بصره فى أواخر أيام الواثق بالله، و اعتزل فى منزله ببغداد، فطلب المتوكل على الله

١- الاغانى ٨ / ٣٦٣.

٢- الاغانى ٨ / ٣٤٩ - ٣٥٠.

احضاره الى سامرا. فلما دخل عليه رحب به و اجلسه أمام سريره على مخده اكراما له و تقديرا لمنزلته. فغناه اسحاق بشعره(١):

ما عله الشيخ عيناه باربعهتغر ورقان بدمع ثم ينسكب

فطرب المتوكل على الله و أمر له بمائه ألف درهم.

و خرج المتوكل على الله يوما الى رقه بوسرا من قرى بغداد، و كان يستطيها لكثرة طيورها المغرده، و كان معه اسحاق الموصلي فغناه:

أ أن هتفت و رقاء في رونق الضحى على فنن غض الشباب من الرند

بكيت كما يبكي الحزين صبابهو شوقا و تابعت الحنين الى نجد

فسر الخليفة و قال له: يا اسحاق هذه اخت فعلتك مع الواثق بالله لما غنيته:

طربت الى الاحيبه الصغارو ذكرنى الهوى قرب المزار

فكم اعطاك لما اذن لك بالانصراف الى أهلك؟ قال: مائه ألف درهم. فأمر له بمثلها و اذن له بالانصراف. و كان هذا آخر عهده به، اذ توفى اسحاق بعد ذلك بشهرين. و لما بلغ المتوكل على الله خبر نعيه حزن عليه و قال: ذهب صدر عظيم من جمال الملك و بهائه و زينته.

١- الاغانى ٤١٤/٥، و نهايه الارب ٨/٥ - ٩ و فيه ان الخليفة أمر له بمائه ألف دينار.

و كان عبد الله بن العباس الربيعى الشاعر المغنى من المقربين الى المتوكل على الله و قد بره و وصله كثيرا. قال عبد الله: سمع المتوكل على الله لحنى فى شعرى الذى امتدحته فيه(١):

الا اصبحانى يوم السعانيين من قهوه عتقت بكركين

عند اناس قلبى بهم كلف و ان تولوا دينا غير دينى

قد زين الملك جعفر و حكى جود ابيه و بأس هارون

و أمن الخائف البرى كما أخاف أهل الالحاد فى الدين

فدعانى، فلما جلست فى مجلس المنادمه طلب الى أن أغنيه هذا الصوت. فغنيتها، فقال لى: يا عبد الله أين غناؤك فى الشعر فى أيامى هذه من غنائك فى:

أماطت كساء الخز عن حر وجههاو أدنت على الخدين بردا مهلهلا

و من غنائك:

أقفر بعد خله سرف فالمنحنى فالعقيق فالجرف

و من سائر صنعتك المتقدمه التى استفرغت محاسنك فيها.

فقلت له: يا أمير المؤمنين انى كنت اتغنى فى هذه الأصوات ولى شباب و طرب و عشق، و لورد على لغنيت مثل ذلك الغناء. فاستحسن قولى و أمر لى بجائزه(٢).

١- الاغانى ١٩ / ٢٣٦ - ٢٣٧.

٢- الاغانى ١٩ / ٢٣٦ - ٢٣٧.

و غاضبت قبيحه المتوكل على الله و هاجرته. فجلس مجلسا للغناء، و حضر الجلساء و المغنون و فيهم عبد الله بن العباس الربيعي، و كان قد عرف الخبر فقال هذا الشعر و غنى فيه (١):

لست منى و لست منك فدعنى و امض عنى مصاحبا بسلام

لم تجد عله تجنى بها الذنب فصارت تعتل بالأحلام

فاذا شكوت ما بى قالت قد رأينا خلاف ذا فى المنام

فطرب المتوكل على الله و أمر له بعشرين ألف درهم، و قال له:

ان فى حياتك يا عبد الله لأنسا و جمالا و بقاء للمروءه و الظرف.

و فضله على بقيه المغنين عند ما غناه ذات يوم:

أحب الينا منك دلا و ما يرى له عند فعلى من ثواب و لا أجر

فطرب و قال له: أحسنت و الله يا عبد الله، أما و الله لو رآك الناس كلهم كما أراك لما ذكروا مغنيا سواك أبدا (٢).

و دخل عبد الله الى المتوكل على الله فى أواخر شعبان، فانشده:

عللانى نعمتما بمدام و اسقيانى من قبل شهر الصيام

حرم الله فى الصيام التصابى فتركناه طاعه للأمام

١- نفس المصدر ١٩/٢٣٧-٢٣٨.

٢- نفس المصدر ١٩/٢٥٢.

أظهر العدل فاستنار به الدين و احيا شرائع الاسلام

فأمر المتوكل على الله بالطعام فاحضر، و بالندماء و الجلساء، فأتى بهم. فاصطحب فغناه عبد الله في هذه الايات. فأمر له بعشره آلاف درهم(١).

و قال عبد الله الربيعي كنت مقيما بسر من رأى و قد ركبنى دين ثقيل أكثره عينه و ربا، فقلت في المتوكل على الله:

اسقياني سحرا بالكبره ما قضى الله ففيه الخيره

أكرم الله الامام المرتضى و أطال الله فينا عمره

ان اكن أقعدت عنه هكذا قدر الله رضينا قدره

سره الله و أبقاه لنا ألف عام و كفانا الفجره

و بعثت بالأبيات اليه، و كنت مستترا من الغرماء. فقال لعبيد الله بن يحيى: وقع له: من هؤلاء الفجره الذين استكفيت الله شرهم؟ فقلت: المعينون الذين قد ركبنى لهم أكثر مما اخذت منهم من الدين بالربا. فأمر عبيد الله ان يقضى دينى، و أن يحتسب لهم رؤوس أموالهم و يسقط الفضل، و ينادى بذلك في سر من رأى حتى لا يقضى أحد أحدا الا رأس ماله. و سقط عنى و عن الناس من الأرباح زهاء مائه ألف دينار، كانت أبياتي هذه سببها(٢).

١- نفس المصدر ٢٥٦/١٩.

٢- الاغانى ٢٥٧/١٩.

و من المغنين المحسنين الذين غنوا للمتوكل على الله المغنى البغدادي الملقب بالمسدود، لأنه كان مسدود أحد المنخرين و مفتوح الآخر. و قد وهب صوتا شجيا و قدره فائقه على تلحين الأغاني و لا سيما الاهازيج. و كان كثير التباهى على ما وهب من قدره على التلحين و الغناء، و يقول: لو كان منخرى الآخر مفتوحا لأذهلت بغنائى أهل الحلوم و ذوى الألباب، و شغلت من سمعه عن أمر دينه و دنياه و معاشه و معاده(١). و كان بالاضافه الى ذلك حاضر النادره، جريئا فى الاجابه، مما كان يوقعه ببعض المآزق. فقد غضب الواثق بالله عليه لكلمه قالها فيه فأمر بنفيه من سامرا الى عمان. ثم ما لبث أن عفا عنه(٢). و من أجوبته القاسيه انه غنى بين يدي المتوكل على الله مره، فاسكته و قال لمغن آخر أن يغنى، فقال المسدود: أنا أحتاج الى مستمع. فلم يفظن الخليفه الى ما قال، و الا كان عاقبه على قوله(٣).

و كان المسدود من جمله المغنين الذين غنوا فى دعوه اعدار المعتر بن المتوكل على الله(٤). و لما طال حبس ابراهيم بن المدبر، و هو من رؤساء الدواوين فى سامرا، و لم يجد حيله للخلاص، عمل أبياتا من الشعر و انفذها الى المسدود و سأله أن يعمل فيها لحنا و يغنى بها المتوكل على الله، و اذا سأله عن قائلها عرفه انها له. ففعل المسدود ذلك. و لما سأله المتوكل على الله. قال: لعبدك ابراهيم بن المدبر، فذكره المتوكل على الله و اطلقه من سجنه، و الأبيات هى(٥):

بأبى من بات عندى طارقا من غير وعد

١- نفس المصدر ٢٠ / ٢٨٨.

٢- نفس المصدر ٢٠ / ٢٨٩ - ٢٩٠.

٣- نفس المصدر ٢٠ / ٢٩١.

٤- الديارات / ١٥٤.

٥- الفرج بعد الشده ١ / ١٢٣.

بات يشكو شده الشوق و اشكو فرط وجدى

و تجنى فبكى فانهل در فوق ورد

فيد تحت يد طوراً و خد فوق خد

و من المغنين المشهورين فى أيام المتوكل على الله عمرو بن بانه بن سليمان. و بانه اسم أمه و كان ينسب اليها. و أبوه من رجال الدولة و أحد كتابها، فنشأ هو على حب الشعر و الغناء فصار مغنياً مجيداً.

و قد وضع كتاباً فى الأغاني و المغنين (١). و كان منزله ببغداد و يتردد على سامرا.

و قد برع ابن بانه فى محاكاة من يأخذ عنهم و تقليدهم. الا انه كان يذهب مذهب ابراهيم بن المهدي فى تغيير الاصول (٢). و رغم انه أخذ الغناء عن اسحاق الموصلى فقد خالفه فى الأداء و تعصب عليه. و قال له مره فى جدل جرى بينهما: ليس مثلى يقاس بمثلك لأنك تعلمت الغناء تكسباً، و تعلمته انا تطرباً، و كنت أضرب لثلاً أتعلمه، و كنت تضرب حتى تتعلمه (٣).

و اختص عمرو بن بانه بالمتوكل على الله الذى كان يأنس به فى مجالسه الغنائيه، و جعله من ندمائه. و طلب عمرو يوماً من الخليفة أن يأمر له بدار لضيق منزله. فامر الخليفه وزيره عبيد الله بن يحيى بان يبتاع له منزلاً يختاره. و كان هذا فى أواخر شعبان، و قد شغل عبيد الله برمضان، فلم يتم شراء المنزل. و لما

١- وفيات الاعيان ٣ / ١٤٨.

٢- الاغانى ١٥ / ٢٦٩.

٣- نفس المصدر ١٥ / ٢٧٠.

أهل شوال حضر ابن بانه مجلس المتوكل على الله فغناه من شعره و تلحينه:

ملاك ربي الأعياد تخلقها في طول عمر يا سيد الناس

دفعت عن منزل أمرت به فأنى عنه مباحد خاس

فمر بتسليمه الى على رغم عدوى بحرمة الكاس

أعوذ بالله و الخليفه ان يرجع ما قلته عن راس

فدعا الخليفه بعبيد الله و عاتبه لعدم ابتياع المنزل الذى أمره به. فاعتذر عبيد الله بدخول الصوم و تشعب الأعمال. فتقدم اليه ان لا يؤخر ابتياع ذلك اليه. فابتاع له دارا فى سر من رأى، و فيها توفى عمرو(١).

لقد سبقت الاشاره الى المغنى أبى حشيشه الذى غنى لخلفاء سامرا. و كان المتوكل على الله يستخفه و يحب غناه، و كانت الأصوات التى يشتهيها عليه عديده منها(٢):

أطعت الهوى و خلعت العذارا و باكرت بعد القراح العقارا

و نازعك الكأس من هاشم كريم يحب عليها الوقارا

فتى فرق الحمد أمواله يجر القميص و يرخى الازرارا

١- نفس المصدر ١٥/٢٧٤ - ٢٧٥.

٢- الاغانى ٢٣/٧٩ - ٨٠ و نهايه الارب ٥/٣٧.

رأى الله جعفر خير الأنام فملكه و وقاه الحذارا

و كان عثث المغنى الاسود مملوكا لمحمد بن يحيى بن معاذ فظهر منه جوده طبع و حسن أخذ و أداء، فعلمه الغناء و أدبه، فبرع فى صناعته. و صار من المغنين الذين اختص بهم المتوكل على الله. اذ كان أثيرا عنده، يأكل بين يديه، و لا يغيب عن مجالسه الغنائيه.

و كان حاضرا فى المجلس الذى قتل فيه المتوكل على الله، و قد اصابته ضربه فى رأسه، و هو من جمله من يروى عنهم الطبرى كيفيه قتل المتوكل على الله (١).

قال عثث: دخلت يوما على المتوكل على الله و هو مصطحح على البركه و ابن المارقى يغنيه قوله:

أقاتلتى بالجد و القد و الخدو باللون فى وجه أرق من الورد

و قد طرب و استعاد الصوت مرارا و أقبل عليه. فصنعت هزجا فى شعر البحترى فى وصف البركه:

إذا النجوم تراءت فى جوانبهاليليا حسبت سماء ركبت فيها

و ان علتها الصبا ابدت لها حكامثل الجواشن مصقولا حواشيها

و زادها زينه من بعد زينتهاان اسمه اليوم يدعى من أساميهها

و لما سكت ابن المارقى اندفعت بالغناء. فأقبل على و قال لى: أحسنت و حياتى، أعد. فاعدت فشرب قدحا. و لم أزل أغنيه

و يشرب حتى اتكأ، ثم قال للفتح: بحياتي أدفع اليه الساعه ألف دينار، و خلعه تامه، و أحمله على شهري فاره بسرجه. فانصرفت بذلك جميعاً(١).

٥- المتوكل على الله و جواريه المغنيات:

عرف المتوكل على الله بكثرة جواريه، الا- انه اختص ببعضهن ممن امترن بجمال فائق، أو أدب بارع، أو غناء جميل. و كانت محبوبه من جواريه المفضلات لديه. و هي من مولدات البصره و كانت شاعره مطبوعه سريعه الخاطر، و جميله تغنى غناء مقبولاً. و قد أهداها عبد الله بن طاهر الى الخليفه المتوكل على الله فى جمله من الجوارى.

فصارت أقرب جواريه الى نفسه فكان يجالسها أو يجلسها خلف الستاره اذا جلس مجلس شراب.

قال المتوكل على الله يوماً لشاعره على بن الجهم انه دخل على زوجته قبيحه فوجدها قد كتبت اسمه على خدها بغاليه المسك، و طلب اليه ان يصف ذلك شعراً، و كانت محبوبه حاضره. فدعا ابن الجهم بدواه و اخذ يفكر فيما يقول. فانبرت تقول على البدييه:

و كاتبه بالمسك فى الخد جعفرابنفسى محط المسك من حيث أثرا

لئن كتبت فى الخد سطرًا بكفها لقد اودعت قلبى من الحب اسطرًا

فيا من لمملوك لملك يمينه مطيع له فيما أسر و أظهرًا

و يا من مناها فى السريره جعفرسقى الله من سقيا ثناياك جعفرا

فوجم على بن الجهم لا ينطق بحرف. و أمر المتوكل على الله بان تبعث الابيات الى عريب المغنيه لتلحنها حتى يغنى فيها(١).

وقال على بن الجهم: كنت عند المتوكل على الله و هو يشرب، فدفع الى جاريته محبوبه تفاحه مغلفه فقبلتها، و انصرفت من حضرته. ثم بعثت اليه مع جاريه لها رقعه فيها شعر لها فى التفاحه المذكوره، هو:

يا طيب تفاحه خلوت بهاتشعل نار الهوى على كبدي

أبكى اليها و اشتكى دنفى و ما الاقى من شده الكمد

لو ان تفاحه بكت لبكت من رحمتى هذه التى بيدى

ان كنت لا ترحمين ما لقيت نفسى من الجهد فارحمى جسدى

فاستظرفها الحاضرون، و أمر المتوكل على الله أن يغنى فى هذا الشعر صوت شرب عليه بقيه يومه(٢).

و غضب المتوكل على الله مره على جاريته محبوبه و هاجرها.

فحاولت أن تترضاه فقالت الأبيات الآتية و اخذت تغنيها و هى فى حجرتها(٣):

١- الاغانى ٢٢ / ٢٠٠ - ٢٠١.

٢- نفس المصدر ٢٢ / ٢٠١.

٣- نفس المصدر ٢٢ / ٢٠٣.

أدور فى القصر لا أرى أحدا أشكو اليه و لا يكلمنى
حتى كأنى ركبت معصيه ليست لها توبه تخلصنى
فهل لنا شافع الى ملك قد زارنى فى الكرى فصالحنى
حتى اذا ما الصباح لاح لنا عاد الى هجره فصارمنى
فلما سمعها المتوكل على الله صالحها.

و لما قتل المتوكل على الله حزنه عليه محبوبه حزنا شديدا و قالت فيه مرات عديدة، منها قولها (١):

أى عيش يطيب لى لا أرى فيه جعفرا
ملكا قد رأته عينى قتيلاً معفرا
كل من كان ذاهيام و حزن فقد برا
غير محبوبه التى لو ترى الموت يشتري
لأشترته بملكها كل هذا لتصبرا
ان موت الكئيب اصلح من أن يعمرا

و يقال انها غنت القائد و صيف هذا الشعر فاشتد ذلك عليه فأمر بقتلها. الا ان القائد بغا استوهبها منه فوهبها له فاعتقها.

فخرجت من سامرا الى بغداد، ثم حمل ذكرها.

و كانت المغنيه فريده أثيره عند الواثق بالله. فلما مات تزوجها المتوكل على الله. و كان يريد لها ان تغنيه فتأبى و فاء للواثق بالله.

فاقام يوما على رأسها خادما أمره بضربها أو تغنى. فاضطرت على الغناء له، و اندفعت تغنى:

مقيم بالمجازه من قنوني و اهلك بالا جيفر فالثماد

فلا تبعد فكل فتى سيأتى عليه الموت يطرق أو يغادى

ثم ضربت بالعود الأرض، و مرت تعدو و هى تندب الواثق بالله(١).

و تجادلت عريب و خشف الواضحيه فى غناء عليه بنت المهدي بحضره المتوكل على الله. فقالت خشف: ان لها ثلاثه و سبعين صوتا.

فقالت عريب: هى اثنان و سبعون صوتا. فقال المتوكل على الله:

غنيا غناءها. فغنتاه و لم تزالا تغنيان غناءها حتى بلغتا اثنين و سبعين صوتا. و قد انسيت خشف الصوت الثالث و السبعين.

فاسقط فى يدها و تغلبت عريب. فلما كان الليل رأت خشف عليه فى نومها تقول لها ان الصواب معها و ذكرتها بالصوت الذى كانت أنسيت ان تغنيه و هو(٢):

بنى الحب على الجور فلوانصف المعشوق فيه لسمج

١- نفس المصدر ١١٨/٤، و المجاز و قنوني و الاجيفر و الثماد مواضع فى جزيره العرب.

٢- نفس المصدر ١٠/١٧٤-١٧٥.

ليس يستحسن فى حكم الهوى عاشق يحسن تأليف الحجج

لا تعيين من محب ذلهذا العاشق مفتاح الفرغ

وقليل الحب صرفا خالصالك خير من كثير قد مزج

فبكرت خشف الى المتوكل على الله و ذكرت له القصه، فقال:

رحم الله عليه فما تركت ظرفها حيه و ميته. و اجاز المغنيه خشفا جائزه سنيه.

و كان المتوكل على الله يقول: انا ملك السلاطين، و الورد ملك الرياحين، فكل منا أولى بصاحبه. و حرم الورد على جميع الناس و استبد به، و قال انه لا يصلح للعامه، فكان الورد لا يرى الا فى مجلسه. و كان فى أيام الورد يلبس الثياب المورده، و يفرش الفرش المورده، و يورد جميع الآلات. و اراد أن يشرب مره على الورد الا انه لم يكن موسمه. فأمر بان تضرب له دراهم رقيقه وزن كل منها حبتان و صبغت بالحمرة و الصفرة و السواد، و ترك قسم منها على حالها. و تقدم الى الخدم و الحواشى ان يعد كل منهم قباء و قلنسوه على خلاف لون قباء الآخر و قلنسوته، ففعلوا. ثم عمد فى يوم تحركت فيه الريح الى الجلوس فنصبت له قبه واسعاه اصطحب فيها مع ندمائه. و لبس الخدم الكسوه التى اعدوها. فأمر المتوكل على الله بنثر الدراهم كما ينثر الورد، فنثرت بالتدرج، فكانت الريح تحملها فتقف بين السماء و الارض، و يكون لها منظرا جميل مبهج.

فكان ذلك اليوم من أحسن أيام أنسه و أظرفها.

(١)

الفصل الرابع مجالس خلفاء سامرا الآخرين

١- المنتصر بالله و الشعر و الغناء:

المنتصر بالله و الشعراء:

لم يكن المنتصر بالله يحسن قول الشعر، و ما قاله منه على قلته كان ركيكا في تركيبه، سطحيا في معناه، و مما ينسب اليه قوله(١):

متى ترفع الأيام من قد و ضعنه و ينقاد لي دهر على جموح

أعلل نفسي بالرجاء و اننى لأغدو على ما ساءنى و اروح

و يظهر من معنى هذين البيتين انه قالهما في أواخر أيام أبيه المتوكل على الله، عند ما أخذ يسيء معاملته و يهينه و يسمعه ما يكره، بحيث بات يتمنى الخلاص منه و ان يصير الأمر اليه.

و كان يزيد المهلبى أقرب الشعراء الى الخليفة المنتصر بالله، و هو شاعر مجيد من بنى المهلب بن ابي صفره. و قد صاحب

١- خلاصه الذهب المسبوك / ٢٢٧.

المنتصر بالله منذ ان كان أميراً و كان منقطعا اليه. و صادف أن رآه المتوكل على الله عند ابنه و سمع كلامه و شعره فاعجب به و استحسنته و جعله من جلسائه. و اراد المنتصر بالله من المهلبى ان يلازمه كما كان، فلم يقدر على ذلك لملازمته مجلس الخليفة، فعتب عليه. فلما افضت اليه الخلافة استأذنه المهلبى فحجبه أول الامر، ثم ما لبث ان اذن له. فدخل عليه و سلم، فامرته بالجلوس. ثم التفت المنتصر بالله الى بنان بن عمرو المغنى و كان حاضرا، و قال له غن:

غدرت و لم أغدر و خنت و لم أخن و رمت بديلا و لم اتبدل

و هو شعر من نظم المنتصر بالله نفسه. فغناه بنان، فعلم المهلبى انه اراده بذلك، فقال: و الله ما اخترت خدمه غيرك و لا صرت اليها الا- بعد اذنك. فقال المنتصر بالله: صدقت، انما قلت هذا مازحا، أترانى اتجاوز حكم الله عز و جل بقوله «و ليس عليكم جناح فيما اخطأتم»^(١). فاستأذنه المهلبى فى الانشاد فاذن له فانشده عده أبيات منها:

ألا يا قوم قد برح الخفاء و بان الصبر منى و العزاء

جفاتي سيد قد كان براو لم أذنب فما هذا الجفاء

حللت بداره و علمت أنى بدار لا يخيب بها الرجاء

أمنتصر الخلائف جدت فينا كما جادت على الارض السماء

وسعت الناس عدلا فاستقاموا باحكام عليهن الضياء

و ليس يفوتنا ما عشت خير كفانا أن يطول لك البقاء

فاستحسن المنتصر بالله قوله، و أكد له انه لا يزال من ذوى ثقته، و موضع اختياره، و طيب نفسه، و وصله بثلاثه آلاف دينار(١).

و لما هنأ بتوليته الخلافه بقوله:

ليهنك ملك بالسعاده طأثره موارد محموده و مصادره

فأنت الذى كنا نرجى فلم نخب كما يرتجى من واقع الغيث باكره

بمنتصر بالله تمت أمورنا و من ينتصر بالله فالله ناصره

أمر المنتصر بالله عربيا المأمونيه ان تغنى نشيدا فى أول الأبيات، و تجعل البسيط فى البيت الأخير، فعملته و غنته فيه(٢).

و صلى المنتصر بالله صلاه عيد الأضحى سنة ٢٤٧ هـ، فانشده يزيد المهلبى عند انصرافه من الصلاه، قوله:

ما استشرف الناس عيدا مثل عيدهم مع الامام الذى بالله ينتصر

غدا بجمع كجرح الليل يقدمه وجه أغر كما يجلو الدجى القمر

١- الاغانى ٩ / ٣٠٢ - ٣٠٣.

٢- الاغانى ٩ / ٣٠٤.

يؤمهم صادع بالحق أحكمه حزم و علم بما يأتي و ما يذر

لو خير الناس فاختاروا لأنفسهم أخط منك لما نالوه ما قدروا

فأمر له بألف دينار. و طلب من المغنى ابن المكى ان يغنى هذه الأبيات(١).

و من الأدباء الذين كان المنتصر ينادمهم الأديب الضرير أبو العنقاء محمد بن القاسم بن خلاد. و قد سأله المنتصر بالله يوما: ما أحسن الجواب؟ قال: ما اسكت المبطل و صير الحق. فقال له:

أحسنت و الله(٢).

أما الشاعر البحرى فقد ابتعد عن بلاط المنتصر بالله لانه كان يتهمه بالاشتراك فى مؤامره اغتيال أبيه. الا ان سياسه المنتصر بالله الوديه تجاه العلويين جعلت لسان البحرى ينطق بمدحه بقصيده جاء فى أولها قوله(٣):

حججنا البنيه شكرا لماحيانا به الله فى المنتصر

من اللحم عند انتقاض الحلوم و الحزم عند انتقاض المرر(٤).

تطول بالعدل لما قضى و أجمل فى العفو لما قدر

١- نفس المصدر.

٢- تاريخ بغداد ٣/ ١٧٧.

٣- كامل القصيده فى ديوان البحرى ٢/ ٨٤٨- ٨٥١.

٤- المرر جمع مره. و هى اصاله العقل و قوه الخلق.

و دام على خلق واحد عظيم الغناء جليل الخطر

المنتصر بالله و الغناء:

ذكر أبو الفرج الخليفة المنتصر بالله في الفصل الخاص بالمغنين من الخلفاء و أولادهم، و أورد بعضا من ألحانه، و قال عنه: انه كان حسن العلم بالغناء سماعا و انشادا، و قد اولع بذلك منذ ان كان أميرا، فاذا قال شعرا لحنه و طلب الى المغنين ان يغنوه، حتى شاعت بعض ألحانه. و مما اشتهر منها:

سقيت كأسا كشفت عن ناظري الخمر

فنشطني و لقد كنت حزينا خائرا

و رغم ضعف الشعر تركيبيا و معنى فقد غنى به و تداوله الناس (١).

و نسب اليه المسعودي الشعرين التاليين، و قد غناه بهما بنان بن عمرو المغني في ثاني يوم من العيد الاضحى. و كان المنتصر بالله قد صلى بالناس، و هما قوله (٢):

رأيتك في المنام أقل بخلاو أطوع منك في غير المنام

فليت الصبح باد و لا نراه و ليت الليل اخر ألف عام

١- الاغاني ٩ / ٣٠٠.

٢- مروج الذهب ٤ / ١٣١ - ١٣٢.

و لو ان النعاس يباع ببعالغليت النعاس على الأنام

و قوله فى نفس المعنى:

انى رأيتك فى المنام كأنما أعطيتنى من ريق فيك البارد

و كأن كفك فى يدى و كأنما بتنا جميعا فى لحاف واحد

ثم انتبهت و معصماك كلاهما بيدى اليمين و فى يمينك ساعدى

فظللت يومى كله متراقد الأراك فى نومى و لست براقد

الا انه عند ما استخلف ترك الغناء و التلحين، و منع اظهار ما سبق ان صنعه من شعر و الحان، غير انه لم يترك السماع(١).

فكان كثيرا ما يطلب الى المغنين الذين يرتادون مجلس انسه و لهوه كبنان بن عمرو و عريب المأمونيه و ابن المكى، ان يغنوا بعض الاشعار التى تقال فيه و يمتدح بها. كما حدث فى الشعر الذى قاله فى مدحه الحسين بن الضحاك و يزيد المهلبى.

و قد استدعى المنتصر بالله يوما عبد الله بن العباس المغنى الشاعر و طلب اليه ان يصنع لحنا فى شعر كان قاله، و كان عبد الله قد اقسام ألا يغنى فى شعر المنتصر بالله، فأطرق مليا، ثم غنى شعرا قاله للوقت، هو:

يا طيب يومى فى قراح النرجس فى مجلس ما مثله من مجلس

تسقى مشعشعه كأن شعاعها نار تشب لبائس مستقبس

فسمعه المنتصر بالله و لم يصله بشىء (١). و يظهر انه لم يكن مقريا اليه. فقد روى أحمد بن المرزبان، صاحب المنتصر بالله و نديمه، ان عبد الله جاءه مره يسأله فى عرض رقعته له على الخليفة، فعرضها، و تردد المنتصر بالله فى اجابته الى طلبه، حتى كلمه ابن المرزبان فيه، فأمر بقضائها (٢).

و غنى بنان بن عمرو بين يديه شعرا لمروان بن أبى حفصه هو:

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفكم أو تسترون هلالها

فقال له المنتصر بالله: اياك ان تغنى بحضرتى فى هذا الصوت و اشباهه، فما أحب أن أسمع أشعار آل أبى حفصه (٣). و حاول مروان ان يترضى المنتصر بالله فاستأذنه للدخول عليه، فقال: و الله لا اذنت للكافر ابن الزانية، قولوا له لا وصلت الى أبدا. فلما بلغ هذا القول ابن أبى حفصه عمل الشعر الآتى:

لقد طال عهدى بالامام محمدمو ما كنت أخشى أن يطول به عهدى

فاصبحت ذا بعد و دارى قريهفيا عجا من قرب دارى و من بعدى

رأيتك فى برد النبى محمد كبدر الدجى بين العمامه و البرد

١- الاغانى ٢٣٧ / ١٩.

٢- نفس المصدر.

٣- الاغانى ٣٠٥ / ٩.

و سأل بنان بن عمرو فصنع فيه لحنًا و غنى به المنتصر بالله، فلما سمعه سأل عن قائله. فقيل له انه لمروان بن أبي حفصه.

قال: أما الوصول الى فلا سبيل اليه، و لكن أعطوه عشره آلاف درهم يتحمل بها الى اليمامة(١). فكأن ابن أبي حفصه سعى الى حتفه بنفسه، اذ جعل المنتصر بالله يتذكره و يأمر بنفيه الى اليمامة. و كان سبب غضبه عليه ان ابن ابي حفصه كان يتقرب الى المتوكل على الله بما يصنعه من شعر يهجو به آل أبي طالب، و ذلك ما لم يكن يرتضيه المنتصر بالله، مما احفظه عليه.

و روى عن يزيد المهلبى انه قال: غنى بنان بن عمرو يوما فى مجلس المنتصر الصوت الآتى:

يا ربه المنزل بالبرك و ربه السلطان و الملك

تخرجى بالله من قتلنا لسا من الديلم و الترك

فضحكت. فقال لى المنتصر بالله: مم ضحكت؟ قلت: من شرفه قائل هذا الشعر، و شرف من عمل اللحن فيه، و شرف مستمعه.

قال: و ما ذاك؟ قلت: الشعر فيه للرشيد، و الغناء لعليه بنت المهدي، و أمير المؤمنين مستمعه. فاعجبه ذلك، و ما زال يستعيده(٢).

و كان المنتصر بالله يستهتر احيانا فى لهوه و عبثه. فقد أراد أن يشرب يوما فى الزقاق علانيه أمام الناس، فوافوا من كل جهه ليره.

ثم سار الى شاطىء دجله و توقف عنده، فصرف الناس. و اختلى بالندماء و المغنين و من يصلح للأنس و الخدمه(٣). و لعل ما دفعه الى

١- الاغانى ٢٣ / ٢٠٥، و مروج الذهب ٤ / ١٣٠.

٢- الاغانى ١٠ / ١٦٨.

٣- بقيه المسامره فى مروج الذهب ٤ / ١٥٦ - ١٥٨.

مثل هذا السلوك، و هو الشرب و اللهو جهارا أمام الناس هو رغبته فى التنفيس عما كان يقاسيه من آلام نفسه بسبب شعوره بالذنب من جراء اشتراكه فى التآمر على أبيه.

٢- المستعين بالله و الشعراء و الندماء:

كان عهد الخليفة المستعين بالله مفعما بالأحداث. فقد توالى هجمات الروم على الثغور العربيه خلال السنه الأولى من حكمه، و اشتد الصراع و التنافس بين القواد الأتراك انفسهم من جهة، و بينهم و الخليفة من جهة أخرى، لا سيما عند ما قتل القائد او تامش الموالى للخليفة. و خرج فى السنتين التاليتين بعض الزعماء الطالبيين فى الكوفه و طبرستان. و عند ما قتل القائد باغر التركي اشتد الخلاف بين القواد الاتراك، مما اضطر المستعين بالله على مغادره العاصمه سامرا و الانحدار الى بغداد مع مناصريه من القواد الاتراك. و تلى ذلك خلعه و مبايعه المعتز بالله بدلا عنه فى سامرا.

ثم نشوب الحرب بين جيش المعتز بالله و جيش المستعين بالله و انتهائها بتنازل المستعين بالله عن الخلافه.

و هكذا كانت المده التى أمضاها المستعين بالله فى الخلافه مليئه بالاضطرابات و الحروب، مما جعله يصرف كل وقته و جهوده فى مجابهتها. و لم يبق له متسع ليستمع الى المغنين و الشعراء، او يتمتع بمجالسه الندماء، الا فى التزر اليسير.

كان المستعين بالله حسن المعرفه بايام العرب و اخبارهم. قال أبو البيضاء مولى جعفر الطيار، و كان من الرواه: وفدنا فى أيام المستعين بالله من المدينه الى سامرا، و فىنا جماعه من الطالبيين و غيرهم من الانصار. فاقمنا ببابه نحو من شهر، ثم وصلنا اليه.

و تكلم كل منا فأنس الخليفه بنا و ابتدأ يذكر مكه و المدينه و اخبارهما. و كنت أعرف الجماعه بما شرع فيه فقلت: أ يأذن

أمير المؤمنين فى الكلام؟ قال: ذاك اليك. فشرعت معه فيما قصد اليه. و تسلسل بنا الكلام الى فنون من العلم فى اخبار الناس، ثم انصرفنا. و اقيم لنا الانزال و الافصال. فلما كان فى أول الليل جاءنى خادم و معه عده من الأتراك و الفرسان، فحملت على جنبه كانت معهم، و اتى بى الى المستعين بالله. فاذا هو جالس فى الجوسق، فقربنى و ادنانى، ثم أخذ بعد ان آسنى، فى اخبار العرب و أيامها، و انتهى بنا الكلام الى اخبار العذريين و المتيمنين، فقال لى: ما عندك من اخبار عروه بن حزام و ما كان منه مع عفراء؟

فقلت: يا أمير المؤمنين ان عروه بن حزام لما انصرف من عند عفراء بنت عقال توفى و جدا بها و صبابه اليها. فمر به ركب فعرفوه.

فلما انتهوا الى منزل عفراء صاح صائح منهم:

ألا أيها القصر المغفل أهله نعينا اليكم عروه بن حزام

ففهمت عفراء صوته و اشرفت عليه، و قالت:

ألا أيها الركب المجدون و يحكم بحق نعيتم عروه بن حزام؟

فاجابها رجل من القوم:

نعم قد تركناه بارض بعيدهمقيما بها فى سبب و آكام

فقال لهم:

فان كان حقا ما تقولون فاعلموا بأن قد نعيتم بدر كل ظلام

ثم سألتهم أين دفنوه، فاخبروها، فصارت الى قبره فلما رأته نزلت و انسلت اليه فأكبت عليه، فما راعهم الا صوتها، فبادروا

اليها فاذا هي ممتده على القبر و قد ماتت، فدفنوها الى جانب قبره ١٧.

و قد مدح البحترى الخليفه المستعين بالله عند توليه الخلافه بقصيده ذم فيها الوزير أحمد بن الخصيب و استعداده عليه، منها قوله(١):

ما الغيث يهمل صوب اسباله و الليث يحمى خيس اسباله(٢)

كالمستعين المستعان الذى تمت له النعمى بافضاله

تلو رسول الله فى هديه و ابن النجوم الزهر من آله

و يحفظ الملك باشرافه على نواحيه و اطلاله

لابن الخصيب الويل كيف انبرى بافكه المردى و ابطاله

كاد امين الله فى نفسه و فى مواليه و فى ماله

و رام فى الملك الذى رامه بغشه فيه و ادغاله(٣)

فانزل الله به نقمه غيرت النعمه من حاله

١- القصيده فى ديوان البحترى ٣ / ١٦٣٦ - ١٦٣٨.

٢- خيس الاسد: عرينه.

٣- الادغال: ادخال ما يخالف الشىء و يفسده.

ثم يقول:

ففرحه الناس بادباره كغيظهم كان باقباله

يا ناصر الدين انتصر موشكامن كائد الدين و مغتاله

و الرأى كل الرأى فى قتله بالسيف و استصفاء أمواله

و كان المستعين بالله قد استوزر بعد مقتل او تامش و كاتبه شجاع أبا صالح محمد بن يزداد، فمدح البحترى الخليفه بقصيده
أثنى فيها على وزيره الجديد بعد أن اشار الى سوء سيره أو تامش و كاتبه، منها قوله (١):

لقد سرنى أن العواقب روعت عداكم برأسى تامش و شجاع

و كان خبيثى ظاهر و سريرهلكم، و قبيحى رؤيه و سماع

أقاما قرينى غيه و ضلالهوا باتا قتيلى غره و ضياع

و قد أمرا بالرشد حيننا فعاصياو كم أمر بالرشد غير مطاع

فقل للامام المستعين الذى له تراث قصى من علا و مساع

أقم بابن يزداد الامور فانه لها خير و ال تصطفيه و راع

امانه صدر و اضطلاع كفايهو صحه عزم و اتساع ذراع

و عند ما ترك المستعين بالله حاضره الخلافه الى بغداد استصحب معه محمد بن الواثق بالله و غفل عن أن يأخذ معه المعتز و المؤيد ولدى المتوكل على الله. فلما نزل ببغداد على محمد بن عبد الله بن طاهر خليفته فيها، قال له محمد: يا أمير المؤمنين اين المعتز و المؤيد؟

قال: بسر من رأى. قال محمد: فجرى على لسانى ان قلت شعر زهير:

أضاعت فلم تغفر لها غفلاتها فلاقته بيانا عند آخر معهد

دما حول شلو تحجل الطير حوله و بضع لحام و اهاب مقدد

و معنى البيتين: اضاعت البقره ولدها اذ غفلت عنه بالرعى، فلم تغفر لها السباع غفلتها و افترست ولدها، فشهدت دمائه عند آخر موضع فارقتة فيه، و رأت بقيه جسده و جلده و الطيور تحوم حولها(١).

كما تنبأ عن مصير المستعين بالله عند شخوصه الى بغداد، أبو على أحمد بن الحارث اليمامى، فقال(٢):

ما زال الال زوال ملكه و حتفه من بعده و هلكه

و من الشعراء الذين امتدحوا المستعين بالله محمد بن عبد الله بن داود الهاشمى المعروف بترجه، فقد قال(٣):

١- الهفوات النادره / ١٩ - ٢٠.

٢- الطبرى ٩ / ٢٨٢.

٣- تاريخ بغداد ٥ / ٨٥.

غدوت بسعد غره لك باكره فلا زالت الدنيا بملكك عامره

و نال مواليك الغنى بك ما بقواو عزوا و عزت دوله لك ناصره

بعثت علينا غيث جود و رحمهنلنا بدنيا منك فضلا و آخره

فلا خائف الا بسطت امانه و لا معدم الا سددت مفقره

تبين بفضل المستعين - بفضله على غيره - نعماء فى الناس ظاهره

و يقول الشاعر عند ما انشدته الشعر دفع الى خريطه كانت فى يده مملوءه دنانير، و دعا بغاليه و جعل يغلفنى بيده.

و كان أهل بغداد قد احبوه و مالوا اليه. و عند ما علموا بامر خلعه و ثبت العامه بمحمد بن عبد الله بن طاهر و تدمرت عليه (١).

و قال أحد الشعراء البغداديين فى خلعه شعرا يعكس شعور أهل بغداد نحوه، اذ يقول (٢):

انى أراك من الفراق جزوعاً أمسى الأمام مسيراً مخلوعاً

و غدا الخليفه أحمد بن محمد بعد الخلافه و البهاء خليعا

كانت به الأيام تضحك زهره هو هو الربيع لمن أراد ربيعا

١- الطبرى ٩ / ٣٣٨.

٢- الطبرى ٩ / ٣٥٠ - ٣٥١، و مروج الذهب ٤ / ١٦٧.

فازاله المقذور من رتب العلافثوى بواسط لا يحس رجوعا

و قد اكثر الشعراء القول عند ما خلع المستعين بالله نفسه و بايع للمعتز بالله، و كلها تؤكد ضعفه و استسلامه لتسلط الأتراك، و تظهر الارتياح لخلافه المعتز بالله. فقد قال البحترى يمتدح الخليفه المعتز بالله و يهجو المستعين بالله عند نفيه الى واسط بعد ما اضطر على التنازل عن الخلافه، منها قوله(١):

ألا هل اتاها أن مظلمه الدجى تجلت و أن العيش سهل جانبه

و أنا ردنا المستعار مذمأعلى أهله، و استأنف الحق صاحبه

عجبت لهذا الدهر أعت صروفه و ما الدهر الا صرفه و عجائبه

متى أمل الدياك ان تصطفى له عرى التاج أو تشقى عليه عصائبه

فكيف أدعى حق الخلافه غاصب حوى دونه ارث النبي أقاربه

بكى المنبر الشرقى اذ خار فوقه على الناس ثور قد تدلت غباغبه

الى أن يقول:

و لم يكن المعتز بالله اذ سرى ليعجز و (المعتز بالله) طالبه

٣- المعتر بالله و الشعر و الغناء:

بعد ان بويح المعتر بالله بالخلافه دخل فى حرب مع المستعين بالله استمرت ما يقرب من السنه. و ما أن انتهت الحرب حتى بدأ النزاع بينه و بين القواد الاتراك. و كانت الحرب قد استنزفت ماليه الدوله و اضعفت اقتصادها، فلم تعد ايرادات بيت المال تفى بنفقات الجند الأتراك، مما اثارهم عليه فاشتد صراعهم معه. على ان هذه الظروف العسيره لم تمنع المعتر بالله من ان يغتتم الفرصه ليجلس الى ندمائه و يستمع الى شىء من الغناء، و الى اشعار بعض الشعراء.

كان للمعتر بالله بعض المعرفه بصنعه الغناء، و قد ذكر ابو الفرج فى الفصل الذى عقده عن اغانى الخلفاء و اولادهم ان المعتر بالله لحن الشعر التالى و غناه(١).

لعمري لقد اصحرت خيلنا باكاناف دجله للمصعب

فمن بك منا بيت آمناء من يك من غيرنا يهرب

و انه كان ينظم شعرا و يلحنه، أو يتركه لمغنين آخرين. فقد انشد لنفسه يوما بعض الأبيات، منها قوله(٢):

انى قمرتك يا سؤلى و يا أملى أمرا مطاعا بلا مطل و لا علل

١- الاغانى ٣٠٥ / ٩، و الشعر لعدى بن الرقاع قاله فى الوقعه التى كانت بين الخليفه عبد الملك بن مروان و مصعب بن الزبير بطسوج مسكن بالعراق، و قتل فيها مصعب.

٢- الاغانى ٣١٨ / ٩.

حتى متى يا حبيب النفس تمطلنى و قد قمرتك مرات فلم تف لى

و طلب الى عريب المغنيه ان تغنيه، فلحنته و غنته:

و شرب المعتز بالله فى مجلس عقده ببستان مملوء من زهر النمام و بينه شقائق النعمان. فدخل اليه يونس بن بغا، صديقه و ألفه،
و عليه قباء أخضر، فقال(١):

شبهت حمرة خده فى ثوبه بشقائق النعمان فى النمام

و قال لجلسائه و مغنيه: اجيزوا. فانبرى بنان المغنى فقال:

و القد منه اذا بدا فى قرطق كالغصن فى لين و حسن قوام

فأمره المعتز بالله ان يغنى فيه. فصنع فيه لحننا و غناه.

و استدعى المعتز بالله يوما عبيد الله بن عبد الله، و طلب اليه المقام عنده بسامرا، و قال عبيد الله ان المعتز بالله أرسل الى شاربه
المغنيه ان تخرج فتعاللت عليه، فقال: عندى من يحب ان يسمعك، و احب لكك و له ذلك، و لا بد من حضورك. فخرجت
فجلست خلف الستاره، ثم قالت: لو لا الزائر ما جئنا، ثم غنت الصوت الآتى(٢):

غشيت المنازل بالأنعم كمنعرج الوشم فى الأعصم

ثم غنت بعده:

لقد راعنى للبين صوت حمامهعلى غصن بان جاوبتها حمائم

١- الاغانى ٩ / ٣١٨ - ٣١٩.

٢- الديارات / ١١٠ - ١١١.

فقال لى الخليفه: كيف تسمع؟ قلت: اسمع شيئاً حظ العجب منه أكثر من حد الطرب. فاستحسن هذا الكلام منى. ثم اسمعنى زمر زنام الزامر وقد ضعف و ارعش و ازمته النقرس. و ارانى الآله التى عملها أحمد بن موسى المهندس من صفر يرسل فيها الماء فيسمع له زمر السرناى، ثم ادخلنى الى شباك و أمر أن يجمع بين الفيل و السبع فرأيتهما كيف يتواثبان، ثم قال لى: أذكر انى اريتك اليوم أربعه أشياء طريفه فايهما أظرف عندك؟ قلت: غناء شاريه. فقال: صدقت.

و اصطحب المعتر بالله فى أحد الايام و اقترح على عريب صوتا فغنته، فاستحسن غناءها و سر به، فأمر له بثلاثين ألف درهم، و فرق على الجلساء كلهم الجوائز و الخلع و الطيب، و كان الشعر الذى غنته لعلى بن الجهم، و هو(١):

العين بعدك لم تنظر الى حسن و النفس بعدك لم تسكن الى سكن

كأن نفسى اذا ما غبت غائبهحتى اذا عدت لى عادت الى بدنى

و جلس يوماً مجلس غناء و الجلساء و المغنون حوله، و قد أعد الخلع و الجوائز، و كان يونس بن بغا بين يديه يسقيه. فدخل بغا و استأذن لأبيه لأن والدته على فراش الموت، فأذن له فخرج. ففتر المعتر بالله عن السماع و نعس فنام. و قام الجلساء و تفرق المغنون.

فلما عاد يونس مساء و رآه المعتر بالله عاد الى الشرب و عاد الندماء و المغنون، فقال المعتر بالله:

تغيب فلا أفرح فليتك لا تبرح

و ان كنت عذبتنى بانك لا تسمح

فاصبحت ما بين ذين لى كبد تجرح

على ذاك يا سيدى دنوك لى أصلح

ثم قال للمغنين غنوه. فجعلوا يفكرون، فقال السلیمان بن القصار الطنبورى: ويلك ألحان الطنبور أصلح و أخف فغن فيه أنت، فغنائه فيه لحننا. فدفع اليه دنائير الخريطه- و هى مائه دينار مكيه، و مئتان، مكتوب على كل دينار منها «ضرب هذا الدينار بالجوسق لخريطه أمير المؤمنين المعتر بالله(١)».

و خرج المعتر بالله يوما الى دير مرمار تلييه لدعوه راهب الدير الذى قام بما يحتاجه موكب الخليفه و مجلسه. و جاء بأولاد النصرارى فخدموا المجلس أحسن خدمه. فسر المعتر بالله سرورا عظيما، و وصل الراهب صله سنیه. ثم اعتاد الخروج الى هذا الدير بين حين و آخر(٢).

كان المعتر بالله يقول الشعر احيانا، لا سيما فى مجالسه الغنائيه كما أشرنا آنفا. و عند ما تمت له البيعه قال(٣):

توحدنى الرحمن بالعز و العلافأصبحت فوق العالمين أميرا

و يقول أبو الفرج ان بنانا المغنى أضاف الى هذا البيت بيتا آخر، و جعل المخاطبه عن نفسه للمعتر بالله و لحنه و غناه اياه:

١- الاغانى ٩ / ٣١٩ - ٣٢٠، و الديارات / ١٦٧ - ١٦٨.

٢- الاغانى ٩ / ٣٢١ - ٣٢٢، و الديارات / ١٦٥.

٣- الاغانى ٩ / ٣٢٢.

توحدك الرحمن بالعز و العلافانت على كل الأنام أمير

تقاتل عنك الترك و الخزر كلها كأنهم أسد لهن زئير

و نسب الى المعتر بالله قوله (١):

يموت الفتى من عثره بلسانه و ليس يموت المرء من عثره الرجل

و روى له ابنه عبد الله بن المعتر قوله (٢):

ألا حى الحبيب فدته نفسى بكأس من مدامه خانقينا

فانى قد بقيت مع الليالى اقاسى الهم فى يده سنينا

و دخل الزبير بن بكار على المعتر بالله، و هو محموم، فقال له:

انى قلت فى ليلتى هذه أبياتا و قد اعيا على اجازه بعضها، و انشد (٣):

انى عرفت علاج الجسم من وجعى و ما عرفت علاج الحب و الجزع

جزعت للحب و الحمى صبرت لهاانى لأعجب من صبرى و من جزعى

١- تاريخ بغداد ٢/ ١٢٥.

٢- الاغانى ٩/ ٣٢٢.

٣- بدائع البدائى ١٢٩، و جاء بصيغته اخرى فى الديارات / ١٦٦. و الزبير بن بكار راويه و عالم بأنسب العرب و اخبارها توفى سنه ٢٥٦ و كان يؤدب الموفق فى صغره.

من كان يشغله عن حبه وجع فليس يشغلنى عن حبكم وجعى

فقال ابن بكار:

و ما أمل الحبيب، ليتنى أبدامع الحبيب، و يا ليت الحبيب معى

فأمر له على هذا البيت بألف دينار.

و كان جماعه من الشعراء قالوا فى المعترز بالله، حين استقامت له الخلافه، أقوالا كثيره. فمن ذلك ما قاله محمد بن مروان بن أبى

الجنوب من قصيده(١):

قد عادت الدنيا الى حالهاو سرنا الله باقبالها

دنيا بك الله كفى أهلها ما كان من شده أهوالها

و كان قد ملكها جاهل لا تصلح الدنيا لجها لها

قد كانت الدنيا به قفلت فكنت مفتاحا لأفعالها

ان التى فزت بها دونه عادت الى أحسن أحوالها

خلافه كنت حقيقا بها فضلك الله بسر بالها

و قال الشاعر أبو على البصير(١):

آب أمر الاسلام خير مآبه و غدا الملك ثابتا فى نصابه

مستقرا قراره مطمئنا أهلا بعد نأيه و اغترابه

و قد امتدح البحترى الخليفه المعتر بالله كما مدح أباه من قبل، بعديد من القصائد قالها فى مناسبات مختلفه. فقد مدحه عند انتصاره على المستعين بالله بقصيده منها قوله(٢):

لقد أعطى المعتر بالله نعمهم الله جلت أن تحد و تقدرا

تلافى به الورى من عظيمها ناخت على الاسلام حولا و أشهرها

و من فتنه شعواء غطى ظلامها على الافق حتى عاد أقمم أكذرا

الى ان يقول:

أغر من الأملاك اما رأيته رأيت ابا اسحاق و القرم جعفرأ

تقدم فى حق الخلافه سهمه اذا رد عنها غيره فتأخرا

عمرت أمير المؤمنين مسلما فعمر الندى و الجود ان تعمرا

١- مروج الذهب ١٦٩ / ٤.

٢- ديوان البحترى ٩٣١ / ٢ - ٩٣٤.

و عند ما قتل القائد التركي بغا الصغير، و كان عزم على الوثوب بالخليفه، قال البحترى قصيده يشير الى ذلك، و يهنىء المعتزل بالله بفشل بغا و مؤيديه، منها(١):

لدهر عندى منه مشكور هشت فى الصدر من أوغام

و الله ما اسدى مبادئ نعمهالا تغمد أهلها بتمام

طلب العمامه و القضييب و أين لم تبلغ حماقه ذلك الحجام

أتراه و هم انه أهل لهاسفها تعدى هذه الاوهام

قد رام تفريق الموالى بعد ما جمعوا على ملك أغر همام

متعزز بالله، أصبح نعمهالله سابعه على الاسلام

الى أن يقول:

فاليوم عاودت الخلافه عزها و اضاء وجه الملك بعد ظلام

أضحى بغاء و أقربوه و حزيبهم و كأنهم حلم من الأحلام

طاحوا فما بكت العيون عليهم بدموعها، و مضوا بغير سلام

و حدث البحترى انه اتفق مع أبى معشر المنجم على زياره المعتز بالله لما حبسه المستعين بالله، و التودد اليه أملا فى أن يحسن اليهما اذا ما آل الأمر اليه. فتوصلا حتى لقياه فى حبسه، فانشده البحترى أبياتا من الشعر كان قالها فى القائد العربى محمد بن يوسف الثغرى لما حبس. فاخذ المعتز بالله الرقعه التى بها الايات، و طلب الى خادم له ان يحفظها لديه و يذكره بها ان فرج الله عنه ليقتضى حق الشاعر. و أخذ أبو معشر طالع المعتز وقت عقد له بالعهد، و وقت مبايعه المستعين بالله، و نظر فى ذلك، و حكم له بالخلافه بمقتضى الطالع بعد فتنه و حروب، و ان المستعين بالله سيقتل. و لما بويع للمعتز بالله دخل اليه البحترى و ابو معشر، فانشده البحترى قصيده مدحه بها و هنا بالخلافه و هجا المستعين بالله، منها:

يجانبنا فى الحب من لا نجانبه و يبعد عنا فى الهوى من نقاربه

و كيف رأيت الحق قر قراره و كيف رأيت الظلم آلت عواقبه

و هى قصيده طويله ذكرنا بعضا آخر من أبياتها فى فصل سابق.

و قد استعاده المعتز بالله أبياتها مرارا فاعادها. ثم دعا بالخادم الذى كان معه فى الحبس و طلب الرقعه التى فيها الشعر الذى انشده البحترى فى الحبس، و قال للبحترى انه قد أمر له بألف دينار لكل بيت منها، و نصحه بأن يشتري بهذا المال ضيعه ينتفع بغلتها و تبقى لولده من بعده. و أمر لأبى معشر بألف دينار، و جعله رئيس المنجمين فى دار الخلافه، و أجرى له فى كل شهر مائه دينار رزقا و ثلاثين دينارا نزلا(١).

و عند ما خلع المعتر بالله من الخلافه و قتل رثاه بعض الشعراء.

و قد ذكر المسعودى مقاطع من بعض القصائد التى قيلت فى ذلك، منها قول أحدهم(١):

أصبحت مقلتي تسح الدموع اذ رأيت سيد الانام خلوعا

لهف نفسى عليه ما كان اعلا و أسراه تابعا متبوعا

الزموه ذنبا عن غير جرم فتوى فيهم قتيلا صريعا

و بنو عمه و عم أبيه أظهروا ذله، و ابدوا خضوعا

ما بهذا يصح ملكك، و لا يغزى عدو و لا يكون جميعا

٤- المهتدى بالله:

كان المهتدى بالله حين ولى الخلافه قد اطرح الملاهى و حرم الغناء و الشراب. و أمر باخراج المغنين و القيان المغنيات و الراقصات من سامرا(٢). و لم يعقد من المجالس سوى جلوسه لرد المظالم، و قد أشرنا الى ذلك فى سيرته. و جلس المهتدى يوما للمظالم فاستعداه رجل على ابن له. فأمر باحضاره، فاحضر و اقامه الى جنب الرجل.

فسأله عما ادعاه عليه فأقر به، فامر بالخروج له من حقه، و كتب له بذلك كتابا. فلما فرغ قال الرجل: و الله يا أمير المؤمنين ما أنت الا كما قال الشاعر:

١- مروج الذهب ١٧٩ / ٤.

٢- الكامل ٢٣٤ / ٧، و تاريخ بغداد ٣ / ٣٥٠، و الفخرى / ٢٢٣.

حكمتوه ففضى بينكم أبلج مثل القمر الزاهر

لا يقبل الرشوه فى حكمه و لا يبالى غبن الخاسر

فقال له المهتدى بالله: أما أنت أيها الرجل فأحسن الله مقاتلتك، و أما أنا فما جلست هذا المجلس حتى قرأت فى المصحف «و نضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا- تظلم نفس شيئا و ان كان مثقال حبه من خردل اتينا بها و كفى بنا حاسبين»^(١) الا انه لم تطل مدته اذ اشتد الصراع بينه و بين القواد الأ-تراك، فانتهى به الامر الى القتل. و كان البحترى قد امتدحه فى خلافته بعده قصائد، منها تلك التى يشيد فيها بدرعه و تقواه، و قوه عزيمته فى مجابهه المشاكل التى كانت تواجهه، وسعيه ليسود العدل و الأمن فى الدوله العربيه.

منها قوله^(٢):

بارك الله للخليفه فى الملك الذى حازه له المقدار

رتبه من خلافه الله قد طالت بها رقبه له و انتظار

طلبته فقرا اليه، و ما كان ن به ساعه اليها افتقار

أخذ الأولياء اذ بايعوه بيدي مخبت عليه الوقار

و تجلى للناظرين أبى فيه عن جانب القبيح ازورار

١- تاريخ بغداد ٣ / ٣٤٩، و الايه فى سوره الانبياء: ٤٧.

٢- ديوان البحترى ٢ / ٨٥٢-٨٥٦.

و أرتنا السجاد سيما طويل الليل فى وجهه لها آثار
 و لديه تحت السكينه و الأخبات سطو على العدى و اقتدار
 زاد فى بهجه الخلافه نورافهو شمس للناس و هى نهار
 و أجار الدنيا من الخوف و الحيف، فهل يشكر المجير المجار

٥- المعتمد على الله و الشعر و الغناء:

بدأ المعتمد على الله خلافته بالانصراف الى اللهو و الملذات. و قد اشرنا عند الكلام عن سيرته الى ركونه الى أخيه الموفق فى اداره شؤون الدوله، فقام بذلك خير قيام، فوقف اسراف المعتمد على الله و منع عنه المال لحاجه الدوله آنذاك الى الانفاق على تدبير أمور الحرب الداخليه و بخاصه مع الزنج. و مع هذا فقد كان للمعتمد على الله ندماءؤه و جلساؤه، و كانت له بعض مجالس اللهو و الغناء.

و قد اعتبره أبو الفرج ممن له صنعه فى الغناء من الخلفاء، و يروى عن القاسم بن زرور ان المعتمد على الله القى عليه لحنا صنعه فى هذا الشعر للفرزدق(١):

ليس الشفيح الذى يأتيك مؤتزامثل الشفيح الذى يأتيك عريانا

و للمعتمد على الله شعر غنت فيه شاريه جاريه ابراهيم بن المهدي، هو(٢):

١- الاغانى ٩ / ٣٢٣.

٢- الديارات / ١٠٠.

تأثيت بالحب دهرًا طويلا فلم ار في الحب يوما سرورا

و روى عن جحظه النديم انه قال: كنت عند المعتمد على الله فغنت شاريه بشعر مولاها ابراهيم بن المهدي و لحنه:

يا طول عله قلبى المعتاد الف الكرام و صحبه الامجاد

ما زلت آلف كل قدم ماجدمتقدم الآباء و الأجداد

فاستحسن غناءها. فقالت: هذا غنائى و انا عاريه فكيف لو كنت كاسيه. فأمر لها المعتمد على الله بألف ثوب من جميع أصناف الثياب الخاصه، فحمل لها ذلك. و ذلك ما لم يعمله خليفه من قبل (١).

و عرضت على المعتمد على الله جاريه حسنه الغناء سريعه الخاطر، فامتحنها فى الغناء و الكتابه فرضى بما ظهر له من أمرها. ثم قال لأحد ندمائه ان يقارضها الشعر، فقال لها النديم: وهبت نفسى للهوى.

فقالت بداهه: فجار لما أن ملكك.

فقال: فصرت عبدا خاضعا.

فقالت: يسلك بي حيث سلك.

فأمر المعتمد على الله بشرائها، فابتيعت بثلاثين ألف درهم (٢).

و لا شك فى ان صلته من الثياب الخاصه، و شراء هذه الجاريه، كان فى أول عهده، قبل ان تكف يده عن بيت المال.

١- الاغانى ١٤/١٦ - ١٥.

٢- نساء الخلفاء / ١٠٢.

قالت بدعه جاريه عريب، و كانت مثلها أديبه مغنيه، ان المعتمد على الله كان يوجه ما ينظم من الشعر الى عريب لتصوغ له الالحن المناسبه، فكانت تقول: و يلي كم أغنى في حروف ألف، با، تا(١)؟

و يبدو ان المعتمد على الله كان معجبا بغناء عريب و ألحانها، رغم تقدمها في العمر، فأمر أحد ندمائه ان يجمع غناءها. فأخذ هذا منها دفاترها و صحفها، و كانت قد جمعت فيها غناءها، و هو في ألف صوت(٢).

و من المغنين الذين غنوا للمعتمد على الله أبو حشيشه، فقد غنى يوما بين يديه:

حرمت بذل نوالك و اسوءتا من فعالك

لما ملكت وصالى أيستنى من وصالك

فوهبه مائتى دينار. و قال أبو حشيشه: كان المعتمد على الله يشتهى على أن أغنيه هذا الصوت(٣):

قلبي يحبك يا منى قلبي و يبغض من يحبك

لأكون فردا فى هواك فليت شعرى كيف قلبك

١- الديارات / ١٠٠.

٢- الاغانى ٢١ / ٥٥.

٣- نهايه الارب ٥ / ٣٦-٣٧.

و كان المغنى أحمد بن يحيى المكى يحضر مجلس المعتمد على الله مع المغنين و يغنى مرتجلا. فيوقع بقضيب على دواه، أى انه يضبط وزن غنائه بضرب قضيب على دواه، و كلاهما من معدن(١).

و يقال ان المعتمد على الله اصطحب يوما و اقترح ان يغنى بشعر أبى نواس:

يا كثير النوح فى الدمن لا عليها بل على السكن

سنه العشاق واحدهفاذا احببت فاستكن

فلم يزل يغنى به يومه، ثم اشتكى جوفه و مات فى ليلته(٢).

و قد نادى المعتمد على الله عدد من الندماء منهم ابن خرداذبه أبو القاسم عبيد الله بن احمد، و كان قد تولى البريد فى اقليم الجبال، فنادى الخليفه و اختص به(٣). و هو صاحب كتاب المسالك و الممالك.

و كنا ذكرنا شيئا عن سيرته فى موضوع الجغرافيه و اشرنا الى ان تصنيفه كتابه المذكور كان استجابته لسؤال المعتمد على الله عن مسالك الأرض و ممالكها و صفاتها، و بعدها و غامرها(٤).

و نادى المعتمد على الله أيضا أبو الحسن احمد بن جعفر الملقب ب «جحظه» و هو شاعر مطبوع و اديب بارع، حاذق فى صنعه الغناء على الطنبور. ألف كتابا عن المعتمد على الله، اشبه بالمذكرات، سماه «كتاب ما شاهده من أمر المعتمد»(٥). و كان جحظه ينظم الشعر و يلحنه و يغنيه. و كان عظيم الجته فاذا قام الخليفه و رجع،

١- الديارات هامش ص / ١٥٤.

٢- الهفوات النادره / ٥٠.

٣- الفهرست / ٢١٨.

٤- المسالك و الممالك / ٣.

٥- الفهرست / ٢١٤.

قام الندماء، و نام هو، و قال هذا عوض القيام، لأنه لا يقدر عليه(١). و مع قبح منظره و جحوظ عينيه كان أطيّب الناس غناء، و احسنهم مجالسه، و فيه قال ابن الرومي(٢):

نبئت جحظه يستعير جحوظه من فيل شطرنج و من سرطان

يا زحمتى لمناديه تحملوا ألم العيون للذه الآذان

و كان للمعتمد على الله شعر جيد، و شعر غير موزون. و ربما قال الأبيات فيصح بعضها و يفسد باقيها. و ذكر له الشابشتى بعضا من اشعاره(٣). و يبدو ان المعتمد على الله كان يعتز بهذه الابيات القليله التي يقولها من الشعر، اذ اتخذ له وراقا يكتب شعره بماء الذهب(٤). و قد وجدت في عهد المكتفي بالله الذي تولى الخلافة في سنة ٢٨٩ هـ رقاع ملفوفه فيها اشعار للمعتمد على الله مكتوبه بالذهب(٥). و مما ذكره له الشابشتى قوله(٦):

أصبحت لا أملك دفعا لما اسام من خسف و من ذله

تمضى أمور الناس دونى و لا يشعر بى فى ذكرها قله

اذا اشتهيت الشىء و لو به عنى، و قالوا: ها هنا عله

١- الديارات / ٢٦.

٢- الملح و النوادر / ١٩٨.

٣- الديارات / ٩٨-١٠٦.

٤- تاريخ الخلفاء / ٣٦٨.

٥- الديارات / ١٠٠.

٦- الديارات / ١٠١، و يقول الحصرى ان المعتمد على الله قال هذا الشعر او قيل على لسانه- جمع الجواهر / ١٥٧.

و قوله لما ضيق عليه و منع من بيت المال(١):

أ ليس من العجائب ان مثلى يرى ما قل ممتنعا عليه
و تؤخذ باسمه الدنيا جميعا و ما من ذاك شىء فى يديه
اليه تحمل الأموال طرا و يمنع بعض ما يجبى اليه

و قوله فى دير العلت(٢):

يا طول ليلى بفم الصلح أتبعت خسرانى بالربح
لهفى على دهر لنا قد مضى بالقصر و القاطول و الشلح
بالدير بالعلث و رهبانه بين الشعانين الى الدنح
و مما وجد من شعره المكتوب بالذهب قوله(٣):

طال و الله عذابى و اهتمامى و اكتئابى

بغزال من بنى الأصفرلا يعنيه ما بى

أنا مغرى بهواه و هو مغرى باجتنا بى

١- الديارات / ١٠١، و يقول الحصرى ان المعتمد على الله قال هذا الشعر او قيل على لسانه- جمع الجواهر / ١٥٧.

٢- الديارات / ٩٨.

٣- الديارات / ١٠٠.

و اذا ما قلت: صلنى كان (لا) منه جوابى

و كذلك قوله (١):

عجل الحب بفرقه بقلبى منه حرقه

مالك بالحب رقى و أنا أملك رقه انما يستروح الصب

اذا اظهر عشقه

و كان الشاعر البحرى أشهر الشعراء الذين عاشوا فى كنف المعتمد على الله و مدحوه. و حين بويع المعتمد على الله بالخلافه امتدحه ببضعه ابيات هى (٢):

لقد امسك الله الخلافه بعد ما وهت، و تلافى سربها ان ينفرا

بمعتمد فيها على الله أسندت اليه، فالفته الرضا المتخيرا

و لو لم يقم للمسلمين بحقها لغودر معروف العواقب منكرا

و لما بدا من سده الملك طالعا ذكرنا به خير الخلائف جعفرا

شمائل مبسوط اليدى الى الندى و وجه اضاء الجود فيه فاسفرا

١- الديارات / ١٠٠.

٢- ديوان البحرى / ٢ / ١٠٥٥.

أت بركات الارض من كل وجهه واصبح غض العيش فينان اخضرا

و قد خبر الفتح المعجل اننا اقتبلناه ميمون القيام مظفرا

و مدحه بقصيده اشاد فيها بورعه و يقظته و علمه و عفوه عن المسيئين اليه. علما ان المعتمد على الله، كما أشرنا، كان قد انصرف الى ملاذه و لهوه تاركا شؤون الدوله الى أخيه. و من هذه القصيده قوله (١):

ان الخلافه أحمدت من احمدشما اناف بها على الأحما

ملك تحييه الملوک، و دونه سيما التقى و تخشع الزهاد

متهجدا يخفى الصلاه و قد ابى اخفاءها أثر السجود البادى

سمح الیدین اذا احتبى فى مجلس كان الندى صفه لذاک النادى

متيقظ عصمت بوادر أمره بعرى من الرأى الأصيل شداد

ينسى الذنوب و ما تقادم عهدهما ملقى الضغائن دارس الاحقاد

تعفو لعفو الله عنك تحريا و العفو خير خلائق الامجاد

١- نفس المصدر ٢/ ٧٣١-٧٣٤. راجع تفصيلات هذا المجلس فى مروج الذهب ٤/ ٢٢٠-٢٢٦.

و يقول المسعودى ان المعتمد على الله كان شغوفاً بالطرب، و الغالب عليه المعاقرة و محبه أنواع الملاهى. و كان يعقد مجالس للهو و المنادمه ٧٢ و اكثر الاحاديث التى تدور فيها كانت عن الطرب و آلاته، و أنواع اللهو عند مختلف الامم. و يقول ابن خرداذبه ان المعتمد على الله سأل فى أحد مجالسه عن أول من اتخذ آله العود. و قد حاول ابن خرداذبه ان يوضح البدايه لهذه الآله و تطورها عند مختلف الأمم القديمه. فخلص الى ان العود يونانى صنعه أصحاب الهندسه على هيئة طبائع الانسان، فان اعتدلت او تاره جانس الطبائع و اطرب. و ان الطرب انما هو رد النفس الى الحاله الطبيعيه دفعه. ثم تطرق الى أنواع الملاهى عند تلك الامم. فذكر آلات الطرب عند الروم و الهند و أوصافها. و تكلم بعد ذلك عن الغناء عند العرب و كيف بدأ بالحداء. و كان نشوءه ان مضر بن نزار بن معد سقط عن بعيره فى بعض اسفاره فكسرت يده فجعل يتأوه من الألم و يقول: يا يداه. يا يداه. و يكرر ذلك بنغمه خاصه، و كان حسن الصوت، فلاحظ ان الأبل قد استوسقت و طاب لها السير.

فأخذ ذلك برجز الشعر، و جعلوا كلامه أول الحداء، و من قول الحادى: يا هاديا يا هاديا، و يا يداه يا يداه. ثم اشتق الغناء من الحداء. و كان الغناء ثلاثه اجناس: الركبان، و السناد الثقيل، و الهزج الخفيف.

و اشار ابن خرداذبه الى ان اول من غنى من العرب الجرادتان و هما قيتتان لمعاويه بن بكر. و كانت العرب تسمى القينه الكربنه، و العود المزهر، ثم تطرق الحديث الى اختلاف الغناء باختلاف الأصقاع العربيه. فكان غناء أهل اليمن بالمعازف و ايقاعها على جنسين: حنفى و حميرى، و الحنفى احسنهما. أما قریش فلم تعرف من الغناء الا النصب. و كانت الحيره تعرف ضرب العود و الغناء عليه، و منها انتقل ذلك الى أهل مكه.

و الغناء على رأى ابن خرداذبه يرقق الذهن، و يلين العريكة، و يبهج النفس و يسرها، و يشجع القلب، و يسخى البخيل. و فضل الغناء على المنطق كفضل النطق على الخرس، و البرء على السقم.

و ان المرأه العربيه كانت لا- تنوم وليدها و هو يبكى خوف ان يسرى الهم فى جسده و يدب فى عروقه. و لذا فهى تنازعه و تضاحكه حتى ينام و هو فرح مسرور. فينمو جسده و يصفو لونه و دمه، و يشفى عقله. و الطفل يرتاح الى الغناء و عند سماعه يستبدل بكائه ضحكا.

سر المعتمد على الله و شكر ابن خرداذبه على وصفه و اطنابه. ثم سأله عن صفه المغنى الحاذق و عن أنواع الطرب. فقال ان المغنى الحاذق هو من تمكن من انفاسه و لطف فى اختلاسه و تفرغ فى اجناسه. أما أنواع الطرب فهى ثلاثه: طرب محرك مستخف الأريحيه ينعش النفس، و طرب شجن و حزن لا سيما اذا كان فى وصف ايام الشباب و الشوق الى الأوطان، و طرب يكون فى صفاء النفس و لطافه الحس و لا سيما عند جوده التأليف و احكام الصنعه. و ان الاستمتاع بأنواع الطرب يتطلب رفاهه الحس ورقه الشعور. اذ من غلظ حسه و تبلد شعوره، كره سماع الغناء و تشاغل عنه بل عابه و ذمه.

ثم انتقل ابن خرداذبه الى شرح علاقه الايقاع بالغناء و منزلته منه، و اجناسه الأربعة، و طرائقه الثمانيه. و قد فرح المعتمد على الله فى هذا المجلس و خلع على ابن خرداذبه و على من حضر من الندماء، و كان مجلس لهو و سرور.

و فى مجلس آخر من مجالس المعتمد على الله طلب الخليفه من بعض الحاضرين من الندماء ان يصفوا له الرقص و انواعه، و ما هى الصفه المحموده من الرقص و ما يجب ان تكون عليه شمائله.

فاجابه أحد الندماء بان الاقاليم و البلدان تختلف فى رقصها، و ان

أنواع الايقاع فى الرقص ثمانية هى: الخفيف و الهزج و الرمل و خفيف الرمل و خفيف الثقيل الأول و ثقيله و خفيف الثقيل الثانى و ثقيله. و ان الراقص يحتاج الى أشياء فى طباعه، و اشياء فى خلقته، و أشياء فى عمله. فأما يحتاجه فى طباعه فخفه الروح، و حسن الطبع على الايقاع، و ان يكون مرحا حسن التدبير فى رقصه و التصرف فيه. و ان ما يحتاج اليه فى خلقته فطول العنق و السوالف و حسن الدل و الشمائل، و التمايل فى الاعطاف، و دقه الخصر. و أما ما يحتاج اليه فى عمله فمقدره التصرف فى ألوان الرقص و احكام كل حد من حدوده، و حسن الاستداره، و ثبات القدمين على مدارهما.

«السنوات الهجرية وابتدائها و ما يقابلها من السنوات الميلادية» «عن أطلس التاريخ الاسلامى، ص: ٢٤٤»

الهجرية / تبتدى ء فى / الميلاديه / الهجرية / تبتدى ء فى / الميلاديه

٢٢٠ / ٥ كانون الثانى / ٨٣٥ / ٢٤٢ / ١٠ مائس / ٨٥٦

٢٢١ / ٢٦ كانون الاول / ٨٣٥ / ٢٤٣ / ٣٠ نيسان / ٨٥٧

٢٢٢ / ١٤ كانون الاول / ٨٣٦ / ٢٤٤ / ١٩ نيسان / ٨٥٨

٢٢٣ / ٣ كانون الاول / ٨٣٧ / ٢٤٥ / ٨ نيسان / ٨٥٩

٢٢٤ / ٢٣ تشرين الثانى / ٨٣٨ / ٢٤٦ / ٢٨ آذار / ٨٦٠

٢٢٥ / ١٢ تشرين الثانى / ٨٣٩ / ٢٤٧ / ١٧ آذار / ٢٦١

٢٢٦ / ٣١ تشرين الاول / ٨٤٠ / ٢٤٨ / ٢ آذار / ٨٦٢

٢٢٧ / ٢١ تشرين الاول / ٨٤١ / ٢٤٩ / ٢٩ شباط / ٨٦٣

٢٢٨ / ١٠ تشرين الاول / ٨٤٢ / ٢٥٠ / ١٣ شباط / ٨٦٤

٢٢٩ / ٣٠ أيلول / ٨٤٣ / ٢٥١ / ٢ شباط / ٨٦٥

٢٣٠ / ١٨ أيلول / ٨٤٤ / ٢٥٢ / ٢٢ كانون الثانى / ٨٦٦

٢٣١ / ٧ أيلول / ٨٤٥ / ٢٥٣ / ١١ كانون الثانى / ٨٦٧

٢٣٢ / ٢٨ آب / ٨٤٦ / ٢٥٤ / ١ كانون الثانى / ٨٦٨

٢٣٣ / ١٧ آب / ٨٤٧ / ٢٥٥ / ٢٠ كانون الاول / ٨٦٨

الهجرية / تبتدى ء فى / الميلاديه / الهجرية / تبتدى ء فى / الميلاديه

٢٣٤ / ٥ آب / ٨٤٨ / ٢٥٦ / ٩ كانون الاول / ٨٦٩

٢٣٥ / ٢٦ تموز / ٨٤٩ / ٢٥٧ / ٢٩ تشرين الثانى / ٨٧٠

٢٣٦ / ١٥ تموز / ٨٥٠ / ٢٥٨ / ١٨ تشرين الثانى / ٨٧١

٢٣٧ / ٥ تموز / ٨٥١ / ٢٥٩ / ٧ تشرين الثانى / ٨٧٢

٢٣٨ / ٢٣ حزيران / ٨٥٢ / ٢٦٠ / ٢٧ تشرين الاول / ٨٧٣

٢٣٩ / ١٢ حزيران / ٨٥٣ / ٢٦١ / ١٦ تشرين الاول / ٨٧٤

٢٤٠ / ٢ حزيران / ٨٥٤ / ٢٦٢ / ٦ تشرين الاول / ٨٧٥

٢٤١ / ٢٢ مائس / ٨٥٥ / ٢٦٣ / ٢٤ أيلول / ٨٧٦

٢٤٢ / ١٣ أيلول / ٨٧٧ / ٢٧٣ / ٨ حزيران / ٨٨٦

٢٤٣ / ٣ أيلول / ٨٧٨ / ٢٧٤ / ٢٨ مائس / ٨٨٧

٢٤٤ / ٢٣ آب / ٨٧٩ / ٢٧٥ / ١٦ مائس / ٨٨٨

٢٤٥ / ١٢ آب / ٨٨٠ / ٢٧٦ / ٦ مائس / ٨٨٩

٢٤٦ / ١ آب / ٨٨١ / ٢٧٧ / ٢٥ نيسان / ٨٩٠

٢٤٧ / ٢١ تموز / ٨٨٢ / ٢٧٨ / ١٥ نيسان / ٨٩١

٢٤٨ / ١١ / ٨٨٢ / ٢٧٩ / ٣ نيسان / ٨٩٢

٢٤٩ / ٢٩ حزيران / ٨٨٤ / ٢٨٠ / ٢٣ آذار / ٨٩٣

٢٥٠ / ١٨ حزيران / ٨٨٥ / //

المصادر و المراجع

١- المصادر الاوليه:

ابن أبى اصبيعه، موفق الدين احمد بن القاسم بن خليفه:

عيون الانباء فى طبقات الاطباء.

تحقيق الدكتور نزار رضا.

دار مكتبه الحياه- بيروت، ١٩٦٠.

ابن أبى الربيع، شهاب الدين أحمد بن محمد:

سلوك المالك فى تدبير الممالك.

دراسه و تحقيق: الدكتور ناجى التكريتى.

تراث عويدات- بيروت، ١٩٧٨.

ابن الأثير، عز الدين ابو الحسن على بن أبى الكرم الشيبانى:

الكامل فى التاريخ- الاجزاء (٦ و ٧ و ٨).

دار صادر- بيروت، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.

ابن الاخوه، محمد بن محمد بن أحمد القرشى:

معالم القرية فى أحكام الحسبه.

نشره روين لوى- مطبعه الفنون بكمبرج، ١٩٣٧.

(طبعه مكتبه المثنى بالافسيت).

ابن بطوطه، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الطنجى:

رحله ابن بطوطه (المسماه تحفه النظر فى غرائب الامصار و عجائب الأسفار).

ص: ٤٣٠

مطبعة التقدم بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٢٢.

ابن جبیر، أبو الحسین محمد بن أحمد الاندلسی:

رحله ابن جبیر.

نشرته المكتبة العربیة ببغداد.

مطبعة عبد الحمید أحمد حنفی - مصر، ١٣٥٦-١٩٣٧.

ابن جلیجل، أبو داود سلیمان بن حسان الاندلسی:

طبقات الاطباء و الحكماء.

تحقیق فؤاد سید.

مطبعة المعهد العلمی الفرنسی للآثار الشرقیة بالقاهرة ١٩٥٥.

(طبعة مكتبة المثنى بالآوفسیت).

ابن الجهم، أبو الحسن علی بن جهم بن بدر:

دیوان علی بن الجهم.

تحقیق: خلیل مردم.

لجنة التراث العربی - بیروت، الطبعة الثانية.

ابن الجوزی، أبو الفرج عبد الرحمن بن علی:

المنتظم فی تاریخ الملوك و الامم (الاجزاء: ٥ و ٦ و ٧) مطبعة حیدر آباد الدکن، الطبعة الاولى، ١٣٥٧.

ابن حمدون، أبو المعالی محمد بن الحسن بن محمد بن علی:

تذکره ابن حمدون - السیاسة و الاداب الملكیه.

مطبعة النهضة - الطبعة الاولى ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٥ م نشرته مكتبة الخانجی بمصر.

ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي الموصلي:

صوره الارض.

مكتبه الحياه - بيروت.

ابن خردادبه، أبو القاسم عبيد الله:

المسالك و الممالك.

نشره دي خويه - مطبعه بريل في لندن، ١٨٩٨.

(طبعه مكتبه المثنى بالافوسيت).

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي:

(١) مقدمه ابن خلدون.

المطبعه الخيرييه بمصر، الطبعه الاولى، ١٣٢٢.

(٢) كتاب العبر ديوان المبتدأ و الخبر (الجزء الثالث).

دار الكتاب اللبناني - بيروت، ١٩٧٧.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد:

وفيات الاعيان و انباء و أبناء الزمان (٦) أجزاء.

تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

الطبعه الاولى، مطبعه السعاده، ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م ابن خياط، خليفه بن خياط بن خليفه الشيباني:

تأريخ خليفه بن خياط (الجزء الثاني).

تحقيق أكرم ضياء العمرى.

مطبعه الاداب في النجف الاشرف، ١٣٨٦ - ١٩٦٧.

ابن دحيه، عمر بن ابي علي حسن بن علي الكلبي:

كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس.

مطبعه المعارف - بغداد، ١٣٦٥ - ١٩٤٦.

ابن دقماق، ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلاني:

الانتصار لواسطه عقد الامصار.

المكتب التجارى للطباعه و النشر و التوزيع.

طبع بالاوفسييت على طبعه بولاق فى سنه ١٣١٠ هـ.

ابن ربن، أبو الحسن على بن سهل بن ربن الطبرى:

فردوس الحكمه.

تحقيق الدكتور محمد زبير صديقى.

مطبعه آفتاب بيرلين، ١٩٢٨.

ابن رسته، أبو على أحمد بن عمر:

الاعلاق النفيسه.

نشره دى خويه - مطبعه بريل بليدن، ١٨٩١.

(طبعه مكتبه المثنى بالاوفسييت).

ابن الساعى، تاج الدين أبو طالب على بن أنجب.

نساء الخلفاء.

تحقيق الدكتور مصطفى جواد.

دار المعارف بمصر.

ابن سليمان، ماري:

اخبار فطاركه كرسى المشرق.

طبع فى روميه الكبرى سنه ١٨٩٤.

(طبعه مكتبه المثنى بالافوسيت).

ابن الطقطقى، محمد بن على بن طباطبا:

الفخرى فى الاداب السلطانيه و الدول الاسلاميه.

مطبعه الموسوعات بمصر، ١٣١٧.

ص: ٤٣٣

ابن طلحه، أبو سالم محمد بن طلحه الوزير:

العقد الفريد للملك السعيد.

المطبعة الرهيبه، ١٢٨٣.

ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن طاهر الكاتب:

بغداد.

نشره عزه العطار الحسنى - ١٣٦٨ - ١٩٤٩.

ابن عبد الله، الحسن:

آثار الاول في ترتيب الدول.

مطبعة بولاق - مصر.

ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله القرشي الانصارى:

فتوح مصر و اخبارها.

تحقيق شارل تورى.

مطبعة بريل بليدن، سنة ١٩٢٠.

(طبعه مكتبه المثنى بالافسيت).

ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الاندلسى:

العقد الفريد (٧) أجزاء.

تحقيق أحمد أمين و أحمد الزين و ابراهيم الايبارى مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر - القاهرة.

١٣٦٧ - ١٩٤٨.

ابن عذارى، عبد الواحد بن على التميمى المراكشى:

البيان المغرب فى اخبار الاندلس و المغرب (الجزء الاول).

تحقيق: ج. س. كولان وا. ليفى بروفيسال.

دار الثقافه - بيروت.

ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي:

شذرات الذهب في اخبار من ذهب (جزآن).

المكتب التجارى للطباعه و النشر - بيروت.

ابن الفراء، أبو علي الحسين بن محمد:

كتاب رسل الملوك و من يصلح للرساله و السفاره.

تحقيق صلاح الدين المنجد.

مطبعه لجنه التأليف و الترجمه و النشر - القايره ١٩٤٧.

ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني:

مختصر كتاب البلدان.

نشره دي خويه، مطبعه برييل بليدن، ١٣٠٢.

(طبعه مكتبه المثنى بالافوسيت).

ابن الفوطى، أبو الفضل عبد الرزاق البغدادى:

الحوادث الجامعه فى المائه السابعه.

عنيت بطبعه المكتبه العربيه ببغداد باشراف مصطفى جواد.

مطبعه الفرات - بغداد، ١٣٥١.

ابن قتيبه، أبو محمد عبد الله بن مسلم:

(١) تأويل مشكل القرآن.

تحقيق السيد أحمد صقر.

دار أحياء الكتب العربيه، ١٣٧٢ - ١٩٥٤.

(٢) عيون الاخبار (٤) أجزاء.

دار الثقافة و الارشاد القومى بمصر، ١٣٨٣ - ١٩٦٣.

نسخه مصوره عن طبعه دار الكتب.

(٣) المعارف.

حققه: ثروت عكاشه.

مطبعه دار الكتب - مصر، ١٩٦٠.

ابن قدامه، قدامه بن جعفر بن قدامه بن زياد الكاتب:

كتاب الخراج و صناعه الكتابه.

حققه الدكتور محمد حسين الزبيدي.

طبع بدار الحريره للطباعه - بغداد ١٩٨١.

ابن المدبر، ابراهيم بن محمد بن عبيد الله:

الرساله العذراء.

حققها الدكتور زكي مبارك.

مطبعه دار الكتب المصريه - القاهره، ١٣٥٠ - ١٩٣١ - الطبعة الثانيه.

ابن متى، عمرو:

اخبار فطاركه كرسى المشرق.

طبع روميه الكبرى، سنه ١٨٩٦.

(طبعه مكتبه المثنى بالافسيت).

ابن المعتز، عبد الله:

طبقات الشعراء.

تحقيق: عبد الستار احمد فراج.

دار المعارف - مصر، ١٩٥٦.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الانصارى:

لسان العرب.

طبعه دار صادر- بيروت، ۱۹۵۵-۱۳۷۴.

ابن النديم، محمد بن اسحاق بن محمد البغدادي:

الفهرست.

المكتبة التجاريه الكبرى - بمطبعه الاستقامه بالقاهره.

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي:

ديوان أبي تمام (٤) أجزاء.

تحقيق: محمد عبد عزام.

دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثه.

أبو حيان، على بن محمد بن العباس التوحيدى:

البصائر و الذخائر (٤) أجزاء.

تحقيق: الدكتور ابراهيم الكيلانى.

مطبعه الانشاء بدمشق.

أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل:

المختصر فى اخبار البشر (الجزء الثانى).

الطبعة الاولى بالمطبعه الحسينيه المصريه.

(طبعه مكتبه المثنى بالافوسيت).

أبو الفرج، على بن الحسين الاصبهانى:

(١) كتاب الاغانى.

أ- طبعه وزاره الثقافه و الارشاد القومى، ١- ١٦.

ب- طبعه الهيئه المصريه العامه للتأليف و النشر، الاجزاء ١٧- ٢٤- تحقيق عبد الكريم العزبادى، المطبعه الثقافيه، ١٩٧٠.

(٢) مقاتل الطالبين.

تحقيق السيد احمد صقر.

دار احياء الكتب العربيه - القايره، ١٣٦٨ - ١٩٤٩.

ص: ٤٣٧

الاصطخري، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الكرخي:

كتاب الاقاليم.

نشره الدكتور ج. ه. مولر سنة ١٨٣٩.

(طبعه مكتبه المثنى بالافوسيت).

الأزدي، علي بن ظافر:

بدائع البدائه.

تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم.

مكتبه الانجلو المصريه، ١٩٧٠.

الانباري، أبو البركات محمد بن أبي سعيد النحوي:

نزهه الالباء في طبقات الادباء.

تحقيق: الدكتور عطيه عامر.

المطبعه الكاثوليكيه - بيروت، ١٩٦٣.

البحترى، أبو عباده الوليد بن عبيد الطائي:

ديوان البحترى.

أ- طبعه دار صادر (جزآن) بيروت، ١٩٦٢-١٣٨١.

ب- طبعه دار المعارف بمصر (٤ أجزاء) تحقيق:

حسن كامل الصيرفي.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل:

الأدب المفرد.

طبع بمطبعة الاوفسيت بمدينه طشقند، ١٣٩٠.

البغدادى، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر:

الفرق بين الفرق.

تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثرى.

نشره السيد عزه العطار الحسنى، ١٣٦٧ - ١٩٤٠.

البغدادى، اسماعيل باشا:

هديه العارفين، اسماء المؤلفين و آثار المصنفين (جزآن).

مطبعه المعارف باستانبول، ١٩٥٥.

البغدادى، صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحسن:

مرصد الاطلاع على أسماء الامكنه و البقاع (٣) أجزاء.

تحقيق و تعليق: على محمد البجاوى.

دار أحياء الكتب العربيه - ١٣٧٧ - ١٩٥٤.

البكرى، أبو عبيد الله بن عبد العزيز:

المغرب فى ذكر بلاد افريقيه و المغرب.

طبع فى الجزائر سنه ١٨٥٧.

(طبعه مكتبه المثنى بالافوسيت).

البلاذرى، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر:

فتوح البلدان.

راجعته و علق عليه: رضوان محمد رضوان.

المكتبه التجاربه الكبرى بمصر.

البلخى، أبو زيد أحمد بن سهل:

البدء و التاريخ (الجزآن ٤ و ٥).

نشره كلمان هوار فى باريس سنه ١٨٩٩.

(طبعه مكتبه المثنى بالافوسيت).

البيرونى، أبو الريحان محمد بن أحمد:

الاثار الباقيه عن القرون الخاليه.

نشره أدوار سخاو، طبع فى ليزك سنه ١٩٢٣.

(طبعه مكتبه المثنى بالافسيت).

البیهقی، الشیخ ابراهیم بن محمد:

المحاسن و المساوی ء.

دار صادر- بیروت، سنه ١٣٨٠- ١٩٦٠.

البیهقی، ظهیر الدین علی بن زید:

تاریخ حکماء الاسلام.

عنی بتحقیقه و نشره: محمد کرد علی.

الطبعه الثانيه بمطبعه المفید الجدیده بدمشق، ١٩٣٦- ١٩٦٧.

التنوخی، القاضی أبو علی المحسن بن علی:

(١) کتاب الفرج بعد الشده.

أ- طبعه مکتبه الخانجی بمصر بدار الطباعه المحمديه ١٣٥٧- ١٩٥٥، (جزآن).

ب- طبعه دار صادر بیروت، تحقیق: عبود الشالجی (خمسه أجزاء).

(٢) نشوار المحاضره و اخبار المذاکره (٨) أجزاء.

تحقیق: عبود الشالجی.

مطابع دار صادر- بیروت، ١٩٧٣.

الثعالبی، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعیل:

ثمار القلوب فی المضاف و المنسوب.

تحقیق: محمد ابو الفضل ابراهیم.

دار نهضه مصر للطبع و النشر- مطبعه المدنی بالقاهره سنه ١٣٨٢- ١٩٦٥.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الکنانی:

(١) كتاب البيان و التبين (٤) أجزاء.

تحقيق و شرح: عبد السلام محمد هارون.

مكتبة الخانجي بمصر و مكتبة المثنى ببغداد، ١٩٦٠.

(٢) رسائل الجاحظ (جزآن).

تحقيق و شرح: عبد السلام محمد هارون.

مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٦٤.

(٣) كتاب التاج في أخلاق الملوك.

تحقيق: أحمد زكي باشا.

المطبعة الاميرييه بالقاهره، ١٣٢٢-١٩١٤.

(٤) ثلاث رسائل للجاحظ.

نشرها يوشع فتكل.

المطبعة السلفيه، الطبعة الثانيه، ١٣٨٢.

(٥) كتاب التبصر بالتجاره.

عنى بنشره و التعليق عليه: حسن حسنى عبد الوهاب التونسى، المطبعة الرحمانيه بمصر، الطبعة الثانيه-١٣٥٤-١٩٣٥.

الجمحى، محمد بن سلام بن عبد الله:

طبقات الشعراء.

اللجنة الجامعيه لنشر التراث العربى- دار النهضه العربيه للطباعه و النشر- بيروت، ١٩٦٨.

الجهشيارى، أبو عبد الله محمد بن عبدوس:

كتاب الوزراء و الكتاب.

تحقيق: مصطفى السقا و ابراهيم الاييارى و عبد الحفيظ شلبى.

مطبعة البابى الحلبي و أولاده- القاهره.

الطبعة الاولى سنة ١٣٥٧ - ١٩٣٨.

الحريري، أبو محمد القاسم بن علي:

دره الغواص في أوهام الخواص.

طبع في ليزك سنة ١٨٧١.

(طبعه مكتبه المثنى بالافسيت).

الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي:

(١) ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأديب) (٧ أجزاء تحقيق: د. س. مرجليوث. مطبعة هندية بمصر، ١٩٢٣.

(طبعه مكتبه المثنى بالافسيت).

(٢) معجم البلدان (٥ أجزاء.

طبعه دار صادر- بيروت للطباعة والنشر، ١٣٧٦-١٩٥٧.

(٣) كتاب المشترك وضعه و المفترق صقعا.

نشره فرديناند و ستفيلد في كوبنهاجن بألمانيا سنة ١٨٤٦.

(طبعه مكتبه المثنى بالافسيت).

الحموي، تقى الدين أبو بكر بن علي بن حجة:

ثمرات الاوراق.

طبع بهامش كتاب المستطرف.

المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ١٣٧٩.

الحنفي، أحمد بن محمد الحموي:

النفحات المسكية في صناعة الفروسيه.

تحقيق: عبد الستار القرغولي.

مطبعة التفيفض - بغداد، ١٣٦٩ - ١٩٥٠.

الخطيب البغدادي، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي:

تاريخ بغداد أو مدينة السلام (١٤) جزء.

نشر دار الكتاب العربي - بيروت.

الخوارزمي، أبو جعفر محمد بن موسى:

كتاب صورة الارض.

تحقيق هانس فون مزيك.

مطبعة أدولف هدلز هوزن في فيينا سنة ١٩٢٦.

(طبعه مكتبه المثنى بالافوسيت).

الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف:

مفاتيح العلوم.

دار الطباعه المنيريه - بمطبعه الشرق، ١٣٤٢.

(طبعه مكتبه المثنى بالافوسيت).

الدينوري، أبو حنيفه أحمد بن داود:

الاخبار الطوال.

مطبعه عبد الحميد أحمد حنفي - مصر.

بنفقه المكتبه العربيه ببغداد.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز:

(١) كتاب دول الاسلام (جزآن).

طبع بمطبعه جمعيه المعارف العثمانيه - الطبعة الثانيه، ١٣٦٤.

(٢) العبر في خبر من غير (جزآن).

تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد.

مطبعه الحكومه - الكويت، ١٩٦٠.

الراغب، أبو القاسم حسين بن محمد الاصبهاني:

محاضرات الادباء و محاورات الشعراء (جزآن)

المطبعة الشرقية بمصر، ١٣٢٦.

الرشيد بن زبير القاضي:

الذخائر و التحف.

تحقيق الدكتور محمد حميد الله راجعه الدكتور صلاح الدين المنجد طبع في الكويت، ١٩٥٩.

الزمخشري، جار الله محمود بن عمر:

تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤) أجزاء.

دار الكتاب العربي، بيروت.

السجستاني، أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث:

كتاب المصاحف نشره الدكتور ارثر جيفرى.

المطبعة الرحمانية بمصر، ١٣٥٥ - ١٩٣٦.

سهراب (و يعرف بابن سراييون):

كتاب عجائب الاقاليم السبعة الى نهايه العماره.

تحقيق: هانس فون مزيك.

طبع بمطبعة أدولف هولز هوزن في فيينا، ١٩٢٩.

(طبعه مكتبه المثنى بالافوسيت).

السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله:

أخبار النحويين البصريين.

تحقيق: طه محمد الزيني و محمد عبد المنعم خفاجي.

مكتبه و مطبعه البابي الحلبي و أولاده بمصر ١٣٧٤ - ١٩٥٥.

السيرافي:

رحله السيرافي الى الهند و الصين و اليابان و اندنوسيه دار منشورات البصرى.

مطبعه دار الحديث - بغداد، ١٣٨٠ - ١٩٦١.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر:

(١) الاشباه و النظائر في النحو (٣) أجزاء.

مطبعة دار المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن ١٣٦٠.

(٢) تاريخ الخلفاء.

تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

مطبعة المدني، مصر، ١٩٦٤.

(٣) بغيه الوعاه في طبقات اللغويين و النحويين (جزآن).

تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم.

مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه، ١٣٨٤ - ١٩٦٤.

الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد:

الديارات تحقيق: كور كيس عواد.

مطبعة المعارف - بغداد، ١٩٦٦ - الطبعة الثانية.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر:

الملك و النحل (جزآن).

تحقيق: محمد سيد كيلاني.

مكتبه و مطبعة البابي الحلبي بمصر، ١٣٨١ - ١٩٦١.

الشيزري، عبد الرحمن بن نصر:

نهايه الرتبه في طلب الحسبه.

نشره السيد الباز العربي.

مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر - مصر، ١٣٦٥ - ١٩٤٦.

الصابى، أبو الحسين هلال بن المحسن الصابى:

(١) رسوم دار الخلافه.

تحقيق: ميخائيل عواد.

مطبعه العانى - بغداد، ١٣٨٣-١٩٦٤.

(٢) الوزراء أو تحفه الامراء فى تاريخ الوزراء تحقيق: عبد الستار أحمد فراج.

دار أحياء الكتب العربيه، ١٩٥٨.

الصابى ء، غرس النعمه أبو الحسن محمد بن هلال الصابى ء:

الهفوات النادره.

حققه: الدكتور صالح الاشر.

من مطبوعات مجمع اللغه العربيه بدمشق.

الطبعه الاولى، ١٣٨٧-١٩٦٧.

الصفدى، صلاح الدين خليل بن ابيك:

نكت الهميان فى نكت العميان.

وقف على طبعه: أحمد زكى بك.

المطبعه الجماليه بمصر، ١٩١١.

(طبعه مكتبه المثنى بالافست).

الصولى، أبو بكر محمد بن يحيى الصولى:

١- شعر ابن المعتز (القسم الثانى).

دراسه و تحقيق الدكتور يونس أحمد السامرائى.

دار الحريه للطباعه- بغداد، ١٩٧٨.

٢- كتاب الاوراق (قسم اخبار الشعراء).

عنى بنشره: جى. هيورث دن.

مطبعه الصاوى بمصر، ١٩٣٤.

الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير:

(١) تاريخ الطبرى (تاريخ الرسل و الملوك) الاجزاء:

ص: ٤٤٦

٨، ٩، ١٠.

دار المعارف بمصر، ١٩٦٩.

تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم.

(٢) جامع البيان عن تأويل آى القرآن (الجزء الاول).

مطبعة و مكتبه البابى الحلبي و اولاده بمصر.

الطبعة الثانيه، ١٣٧٣ - ١٩٥٤.

الطرطوشى، أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد:

سراج الملوك.

المطبعة الاميريه ببولاق، سنة ١٢٨٩.

آثار البلاد و اخبار العباد.

دار صادر - بيروت، ١٣٨٠ - ١٩٦٠.

القفطى، أبو الحسن جمال الدين على بن يوسف:

(١) انباه الرداه على انباه النحاه (٣) أجزاء.

مطبعة دار الكتب المصريه، ١٣٦٩ - ١٩٥٠.

(٢) تاريخ الحكماء.

حقيقه يوليوس ليبرت.

طبع فى ليبزك سنة ١٩٠٣.

(طبعه مكتبه المثنى بالاوفسيت).

القلقشندى، أبو العباس احمد بن على:

(١) صبح الاعشى فى صناعه الانشا (الجزء - ٣).

طبع المؤسسه العامه للتأليف و الترجمه و النشر.

(٢) مآثر الاناقه فى معالم الخلافه.

تحقيق: عبد الستار أحمد فراج.

وزاره الارشاد و الانباء فى الكويت، ١٩٦٤.

القيروانى، أبو اسحاق ابراهيم بن على الحصرى:

جمع الجواهر فى الملح و النوادر تحقيق محمد على البجاوى.

الطبعة الاولى - دار أحياء الكتب العربيه بمصر، ١٣٧٢-١٩٥٣.

الكاتب، أبو جعفر احمد بن يوسف:

المكافأه.

صححه و علق عليه: أحمد أمين و على الجارم.

الطبعة الاولى - المطبعة الاميرييه ببولاق، ١٩٤١.

الكاتب، محمد بن الحسن بن محمد البغدادى:

كتاب الطبيخ.

نشره الدكتور داود الجلبى.

مطبعة أم الربيعين - الموصل، ١٣٥٣-١٩٣٤.

الكتيبى، محمد بن شاکر بن احمد:

فوات الوفيات (جزآن).

حققه: محمد محيى الدين عبد الحميد.

مطبعة السعاده بمصر، ١٩٥٤.

الكندى، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصياح:

(١) كتاب الكندى الى المعتصم بالله فى الفلسفه الاولى.

حققه و علق عليه: الدكتور أحمد فؤاد الاهواتى دار أحياء الكتب العربيه بمصر، ١٩٤٨-١٣٦٧.

(٢) رسائل الكندى الفلسفيه (جزآن).

حققها و اخرجها: محمد عبد الهادى أبو ريده.

دار الفكر العربى.

مطبعه الاعتماد بمصر، ١٣٦٩ - ١٩٥٠.

الكندى، أبو عمر محمد بن يوسف المصرى:

كتاب الولاه و كتاب القضاء.

تهذيب و تصحيح: رفت كست.

مطبعه الآباء اليسوعيين - بيروت، ١٩٠٨.

(طبعه مكتبه المثنى بالافوسيت).

الماوردى، أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى:

(١) الاحكام السلطانيه.

عنى بتصحيحه: السيد محمد بدر الدين النعسانى الحلبي.

الطبعه الاولى - مطبعه السعاده بمصر.

(٢) أدب القاضى (جزآن).

تحقيق: هلال السرحان.

مطبعه الارشاد- بغداد، ١٣٩١-١٩٧١.

المسعودى، أبو الحسن على بن الحسين:

(١) مروج الذهب و معادن الجواهر (الجزء الرابع).

تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد.

الطبعه الخامسه، سنه ١٣٨٧-١٩٦٧.

(٢) التنبيه و الاشراف.

عنى بتصحيحه و مراجعته: عبد الله اسماعيل الصاوى.

مكتبه الشرق الاسلاميه و مطبعتها، ١٣٥٧-١٩٣٨.

مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد:

كتاب تجارب الامم (الجزء الاول).

اعتنى بتصحيحه و طبعه: ه. ف. امدروز.

مطبعة شركة التمدن الصناعيه، مصر، ١٣٣٢-١٩١٤ و (الجزء السادس) منه و قد طبعه دى خويه فى مطبعة برييل بليدن فى سنه ١٨٦٩ ملحقا بكتاب العيون و الحداثق فى اخبار الحقائق.

(طبعه مكتبه المثنى بالاوفسيت).

المقدسى، أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالبشارى:

أحسن التقاسيم فى معرفه الاقاليم.

طبعه دى خويه فى مطبعة برييل بليدن سنه ١٩٠٦.

(طبعه مكتبه المثنى بالاوفسيت).

المقرزى، تقى الدين أبو العباس أحمد بن على:

المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الاثار المعروف بالخطط المقرزیه (جزآن).

مطبعة بولاق بمصر سنه ١٩٢٤.

(طبعه مكتبه المثنى بالاوفسيت).

مؤلف مجهول: العيون و الحداثق فى اخبار الحقائق (الجزء الثالث).

نشره دى خويه.

مطبعة برييل بليدن فى سنه ١٨٧١.

(طبعه مكتبه المثنى بالاوفسيت).

مؤلف مجهول:

اخبار الدوله العباسيه (لمؤلف من القرن الثالث).

تحقيق: الدكتور عبد العزيز الدورى و الدكتور عبد الجبار المطلبى.

دار الطليعه للطباعه و النشر- بيروت، ١٩٧١.

الهرثمي، الشعراتي:

مختصر سياسة الحروب.

تحقيق: عبد الرؤوف عون و مراجعه الدكتور محمد مصطفى زياده.

المؤسسه المصريه العامه للتأليف و الترجمه و الطباعه و النشر، مطبعه مصر، ١٩٦٤.

النويرى، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب:

نهايه الارب فى فنون الادب (الاجزاء: ١، ٥، ٧).

نسخه مصوره عن طبعه دار الكتب.

وزاره الثقافه و الارشاد القومى بمصر.

الوشاء، أبو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى:

الموشى.

حققه: كمال مصطفى.

الطبعه الثانيه بمطبعه الاعتماد بمصر سنه ١٣٧٣ - ١٩٥٣.

وكيع، القاضى محمد بن خلف بن حيان:

أخبار القضاة (٣) أجزاء.

صححه و علق عليه: عبد العزيز مصطفى المراغى الطبعه الاولى - المكتبه التجاربه الكبرى، ١٣٦٩ - ١٩٥٠.

اليقوبى، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن واضح العباسى:

(١) تاريخ اليعقوبى (جزآن).

دار صادر - بيروت، ١٣٧٩ - ١٩٦٠.

(٢) كتاب البلدان.

طبع فى مطبعه بريل فى ليدن سنه ١٨٩١ مع كتاب الاعلاق النفيسه لابن رسته.

(طبعه مكتبه المثنى بالاوفسيت).

(٣) مشاكله الناس لزمانهم.

تحقيق: وليم ملورد.

الطبعه الاولى - دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٢.

٢- المراجع الحديثه:

آرنولد، توماس:

تراث الاسلام.

تأليف جمهره من المستشرقين باشرافه.

تعريف: جرجيس فتح الله.

الطبعه الثانيه- دار الطليعه- بيروت، ١٩٧٨.

الأزميري، اسماعيل حقي:

فيلسوف العرب.

ترجمه: عباس العزاوي.

مطبعه أسعد- بغداد، ١٣٨٢-١٩٦٣.

أمير علي، سيد:

مختصر تاريخ العرب.

ترجمه: عفيف البعلبكي.

دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦١.

أمين، أحمد:

(١) ضحى الاسلام (٣) أجزاء.

الطبعه السابعه- مطبعه لجنه التأليف و الترجمة و النشر- القايره، ١٩٦٤.

(٢) ظهر الاسلام (الجزء الثاني و الثالث).

الطبعه الثالثه- مكتبه النهضه المصريه، ١٩٦٢.

ص: ٤٥٣

اتينكهاوزن، ريتشارد:

فن التصوير عند العرب.

ترجمه: الدكتور عيسى سلمان و سليم طه التكريتي.

وزاره الاعلام - بغداد، ١٩٧٣.

باتون، ولتر ملفيل:

احمد بن حنبل و المحنه.

ترجمه و علق عليه: عبد العزيز عبد الحق.

دار الهلال بمصر.

باقر، طه:

(١) مقدمه في تاريخ الحضارات القديمه.

مطبعه الحوادث - بغداد، ١٣٩٣ - ١٩٧٣.

(٢) المرشد الى مواطن الاثار.

بالاشتراك مع فؤاد سفر.

مديرية الفنون و الثقافه الشعبيه بوزاره الارشاد، بغداد، ١٩٦٢.

بروكلمان، كارل:

تاريخ الشعوب الاسلاميه (الجزء الثاني).

ترجمه: الدكتور نبيه فارس و منير البعلبكي.

دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٤٨.

بصمه جي، الدكتور فرج:

كنوز المتحف العراقي.

وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٢.

بيتر، نورمان:

الامبراطوريه البيزنطيه.

ترجمه: حسين مؤنس و محمد يوسف زايد.

مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر - القاهرة، ١٩٥٧.

جب، هاملتون:

دراسات في حضاره الاسلام ترجمه احسان عباس و آخرين.

دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٦٤.

جرونيباوم، جوستاف. أ. فون:

حضاره الاسلام.

ترجمه: عبد العزيز توفيق جاويد و مراجعه:

عبد الحميد العبادى.

دار مصر للطباعه، ١٩٥٦.

جواد، الدكتور مصطفى جواد، بالاشتراك مع أحمد سوسه:

دليل خارطه بغداد المفصل في خطط بغداد قديما و حديثا.

مطبعة المجمع العلمى العراقى، ١٣٧٨ - ١٩٥٨.

الحانى، الدكتور ناصر:

النقد الادبى و أثره فى الشعر العباسى.

مطبعة بغداد - ١٩٥٥.

حسن، الدكتور ابراهيم، و الدكتور على ابراهيم حسن:

النظم الاسلاميه.

الطبعة الرابعه - مطبعة ألسنه المحمديه، ١٩٧٠.

الخضرى، محمد:

محاضرات تاريخ الامم الاسلاميه (الجزء الثالث).

الطبعه الثالثه، مطبعه مصطفى محمد بمصر.

الخليلى، جعفر:

موسوعه العتبات المقدسه.

قسم سامراء- الجزء الاول.

دار التعارف- بغداد.

الطبعه الاولى- مطابع دار الكتب، بيروت.

الخورى، فارس:

موجز فى علم المالىه.

مطبعه الحكومه بدمشق، ١٩٢٤.

الخوئى، السيد أبو القاسم الموسوى:

البيان فى تفسير القرآن (الجزء الاول).

المطبعه العلميه فى النجف، ١٣٧٧، ١٩٥٧.

خير الله، الدكتور أمين أسعد:

الطب العربى.

تعريب: الدكتور مصطفى أبو عز الدين.

المطبعه الامريكانيه- بيروت، ١٩٤٦.

الدورى، الدكتور عبد العزيز:

(١) بحث فى نشأه علم التأريخ عند العرب.

المطبعه الكاثوليكيه- بيروت، ١٩٦٠.

(٢) تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى.

مطبعة المعارف - بغداد، ١٩٤٨.

(٣) النظم الاسلاميه (الجزء الاول).

مطبعة نجيب - بغداد، ١٩٥٠.

دورزى، رينهارت:

المعجم المفصل للملابس عند العرب.

ص: ٤٥٦

ترجمه: الدكتور أكرم فاضل.

دار الحرية للطباعة - بغداد، ١٣٩١ - ١٩٧١.

دى بور، ت. ج:

تاريخ الفلسفه فى الاسلام.

ترجمه محمد عبد الهادى أبو ريده.

مطبعه لجنه التأليف و الترجمه و النشر - مصر، ١٣٥٧ - ١٩٣٨.

دونلدسن، م:

عقيده الشيعه.

تعريب: ع. م.

مطبعه السعاده - مصر، ١٣٦٥ - ١٩٤٦.

ديماند، م. س:

الفنون الاسلاميه.

ترجمه: أحمد محمد عيسى و مراجعه الدكتور احمد فكرى.

الطبعه الثانيه - دار المعارف بمصر، ١٩٥٨.

روزنتال، فرانز:

علم التاريخ عند المسلمين.

ترجمه: الدكتور صالح أحمد العلى.

مراجعته: محمد توفيق حسين.

مكتبه المثنى ببغداد، ١٩٦٣.

الزركلى، خير الدين:

الاعلام.

قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين.

الطبعة الثانية، (١٠) أجزاء.

ص: ٤٥٧

زیدان، جرجی:

تأریخ التمدن الاسلامی (٥) أجزاء.

مطبعة دار الهلال، مصر، ١٩٢٢.

سابق، السید:

فقه السنه (الجزء الثالث).

دار الكتاب العربی - بیروت. الطبعة الاولى ١٣٩١ - ١٩٧١.

السامر، الدكتور فیصل:

ثورہ الزنج.

الطبعة الثانية - مكتبة المنار بغداد، ١٩٧١.

سرکیس، الیان:

معجم المطبوعات العربیة و المعربة.

مطبعة سرکیس - مصر، ١٢٨ - ١٣٤٦.

سوسه، الدكتور أحمد سوسه:

ری سامراء فی عهد الخلفه العباسیة (جزآن).

مطبعة المعارف - بغداد، ١٩٤٩.

الطائی، الدكتور فاضل احمد:

أعلام العرب فی الکیمیا.

دار الرشید للنشر - دار الحریة للطباعة - بغداد، ١٤٠١ - ١٩٨١.

طوقان، قدری حافظ:

تراث العرب العلمى.

اصدار مجله المقتطف سنه ١٩٤١.

عبد الرزاق، مصطفى:

فيلسوف العرب و المعلم الثانى.

دار أحياء الكتب العربيه - ١٩٤٥ - ١٣٦٤.

عبد القادر، الدكتور على حسن:

نظرة عامه فى تاريخ الفقه الاسلامى.

مكتبه القاهره الحديثه، الطبعة الثانيه، ١٩٥٦.

العبيدى، الدكتور صلاح حسين:

الملابس العربيه الاسلاميه فى العصر العباسى.

دار الرشيد للنشر - ١٩٨٠.

عثمان، فتحى:

الحدود الاسلاميه البيزنطيه بين الاحتكاك الحربى و الاتصال الحضارى - الكتاب الاول فى الظروف التاريخيه و الجغرافيه لقيامها.

الدار القوميه للطباعه و النشر - القاهره.

على، عبد الله يوسف:

ترجمه معانى القرآن الكريم الى اللغه الانكليزيه.

دار الفكر - بيروت.

العميد، الدكتور طاهر مظفر:

العماره العباسيه فى سامراء.

دار الحريره للطباعه - بغداد، ١٣٩٦ - ١٩٦٧.

عيسى، الدكتور أحمد:

تاريخ اليمارسنات فى الاسلام.

المطبعه الهاشميه - دمشق، ١٣٥٧ - ١٩٣٩.

فازيليف:

العرب و الروم.

ترجمه: الدكتور محمد عبد الهادي شعيره.

دار الفكر العربي.

ص: ٤٥٩

فراج، عبد الستار احمد:

اشعار الخليل الحسين بن الضحاك.

دار الثقافه - بيروت، ١٩٦٠.

كويل، ارنست:

الفن الاسلامى.

ترجمه: الدكتور أحمد موسى.

دار صادر - بيروت، ١٩٦٦.

لسترانج، غن:

(١) بغداد فى عهد الخلفه العباسيه.

ترجمه: بشير فرنسيس.

المطبعه العربيه - بغداد، الطبعه الاولى، ١٣٥٥ - ١٩٣٦.

(٢) بلدان الخلفه الشريقيه.

ترجمه: بشير فرنسيس و كور كيس عواد.

مطبعه الرابطه - بغداد، ١٣٧٣ - ١٩٥٤.

لوبون، الدكتور غوستاف:

حضاره العرب.

ترجمه: عادل زعيترو.

الطبعه الثانيه - مطبعه دار أحياء الكتب العربيه، ١٩٤٨.

متر، آدم:

الحضاره الاسلاميه فى القرن الرابع الهجرى (جزآن).

ترجمه: محمد عبد الهادى أبو ريده.

ص: ٤٦٠

مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر- القاهرة، ١٣٥٩- ١٩٤٠.

مختار، اللواء محمد باشا:

كتاب التوفيقات الالهاميه فى مقارنه التواريخ البحريه بالسنين الافرنكيه و القبطيه.

الطبعة الاولى- المطبعة الاميرييه ببولاق- مصر، ١٣١١.

المخزومى، الدكتور مهدي:

مدرسه الكوفه و منهجها فى دراسه اللغه و النحو.

مطبعة دار المعرفه- بغداد، ١٣٧٤- ١٩٥٥.

مرزوق، الدكتور محمد عبد العزيز:

العراق مهد الفن الاسلامى.

وزاره الاعلام.

مطبعة ثيان، ١٩٧١.

المدنى، أحمد توفيق:

المسلمون فى جزيره صقلية.

المطبعة العربيه- الجزائر، ١٣٦٥.

هرنشو:

علم التاريخ.

ترجمه: عبد الحميد العبادى.

مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر- القاهرة، ١٩٣٧.

ص: ٤٦١

هل، يوسف:

الحضاره العربيه.

ترجمه: الدكتور ابراهيم أحمد العدوى، و مراجعه الدكتور حسين مؤنس.

مكتبه الانجلو المصريه - القايره، ١٣٧٥ - ١٩٥٦.

اليسوعى، الاب رتشر د يوسف مكارتي:

التصانيف المنسوبه الى فيلسوف العرب.

مطبعه العانى - بغداد، ١٣٨٢ - ١٩٦٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩